لابن عطية من اول الانبيا الى اواخر سبا

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

هذه السورة مكية بإجماع وكان عبد الله بن مسعود يقول الكهف ومريم
وطه والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي يريد من قديم ما اكتسبت وحفظت
من القرآن كالمال التلاد قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ٥ روي
أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به آخر في يوم نزول
هذه السورة فقال الذي كان يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القرآن فقال
الآخر نزل اليوم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده من
البنيان وقال والله لا بنيت أبدا وقد اقترب الحساب وقوله اقترب للناس
حسابهم عام المعنى في جميع الناس وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار
قريش ويدل على ذلك ما بعد من الآيات وقوله في غفلة معرضون يريد
الكفار قال أبو محمد ويجب من هذه الألفاظ على العصاة من المؤمنين قسطهم
وقوله ما يأتيهم وما بعده مخصوص بالكفار وقوله من ذكر من ربهم محدث قالت فرقة
المراد ما نزل من القرآن ومعناه محدث نزوله وإتيانه إياهم لا هو في نفسه
وقالت فرقة المراد بالذكر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الشرع بعثه
ووعظه وتذكيره فهو محدث على الحقيقة وجعله من ربهم من حيث النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا ما هو من عند الله وقالت فرقة الذكر
الرسول نفسه واحتجت بقوله تعالى قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو
عليكم آيات الله مبينات فهو محدث على الحقيقة ويكون قوله استمعوه بمعنى
استمعوا إليه وقوله وهم يلعبون جملة في موضع الحال أي استماعهم في
[illegible] فهو غير نافع ولا واصل للنفس قوله عز وجل لاهية قلوبهم
[illegible] الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم

تبصرون قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم ٥ قوله
لاهية حال بعد حال واختلف النحاة في إعراب قوله وأسروا النجوى الذين
ظلموا فمذهب سيبويه رحمه الله أن الضمير في أسروا فاعل وأن الذين بدل
منه وقال رحمه الله لغة من قال أكلوني البراغيث ليست في القرآن وقال
أبو عبيدة وغيره الواو والألف علامة أن الفاعل مجموع كالتاء في قولك قامت
هند والذين فاعل بأسروا وهذا على لغة من قال أكلوني البراغيث وقالت فرقة
الضمير فاعل والذين مرتفع بفعل مقدر تقديره أسرها الذين أو قالها الذين
قال أبو محمد والوقوف على النجوى في هذا القول وفي الأول أحسن ولا
حسن في الثاني وقالت فرقة الذين هو مرتفع على خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين
ظلموا والوقف مع هذا حسن وقالت فرقة الذين في موضع نصب بفعل تقديره
أعني الذين وقالت فرقة الذين في موضع خفض بدل من الناس في قوله
اقترب للناس قال أبو محمد وهذه أقوال ضعيفة ومعنى أسروا النجوى
تكلموا بينهم في السر والمناجاة بعضهم لبعض وقال أبو عبيدة أسروا أظهروا
وهو من الأضداد ثم بين تعالى الأمر الذي تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض
هل هذا إلا بشر مثلكم ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة
أفتأتون السحر أي ما يقول شبهوه بالسحر المعنى أفتتبعون السحر وأنتم تبصرون
أي تدركون أنه سحر وتعلمون ذلك كأنهم قالوا أتضلون على بينة ومعرفة
ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم وللناس جميعا قل ربي يعلم القول في السماء
والأرض أي يعلم أقوالكم هذه وهو بالمرصاد في المجازاة عليها وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو وابن عامر قل ربي وقرأ حمزة والكسائي قال ربي يعلم على
معنى الخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واختلف عن عاصم قال الطبري
رحمه الله وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قوله عز وجل
بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون

ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا
نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين ﴿ه﴾ لما اقتضت الآية التي قبل هذه أنهم قالوا إنه
سحر عدد الله في هذه جميع ما قالته طوائفهم ووقع الإضراب بكل مقالة عن
المتقدمة ليتبين اضطراب أمرهم فهي إضرابات عن جحد متقدم لأن الحالم
ليس حقيقة في نفسه والأضغاث الأخلاط وأصل الضغث القبضة المختلطة من
العشب والحشيش فشبهت تخاليط الحلم بذلك وهو ما لا يتفسر ولا يتحصل ثم حكى
قول من قال إنه مفتر قاصد للكذب ثم حكى قول من قال شاعر وهي مقالة فرقة
عامية منهم لأن نبلاء العرب لم يخف عليهم بالبديهة أن مباني القرآن ليست مباني
شعر ثم حكى اقتراحهم وتمنيهم آية تضطرهم وتكون في غاية الوضوح كناقة
صالح وغيرها وقولهم كما أرسل الأولون دال على معرفتهم بإتيان الرسل
الأمم المتقدمة وقوله تعالى ما آمنت قبلهم مقدرا كلاما يدل عليه المعنى تقديره والآية
التي طلبوا عادتنا أن القوم إن كفروا بها عاجلناهم وما آمنت قرية من القرى
التي نزلت بها هذه النازلة أفهذه كانت تؤمن وقوله أهلكناها جملة في موضع
الصفة للقرية والجملة إذا اتبعت النكرات فهي صفات لها وإذا اتبعت المعارف
فهي أحوال منها وقوله وما أرسلنا قبلك إلا رجالا رد على فرقة منهم كانوا
يستبعدون أن يبعث الله من البشر رسولا لا يتفق على نوع من البشر بهذا القدر
من الفضل فمثل الله تعالى في الرد عليهم بمن سبق من الرسل من البشر وقرأ الجمهور
يوحى على بناء الفعل للمفعول وقرأ حفص عن عاصم نوحي بالنون ثم أحالهم على سؤال
أهل الذكر من حيث لم يكن عند قريش كتاب ولا أثارة من علم واختلف الناس
في أهل الذكر من هم فروي عن عبد الله بن سلام أنه قال أنا من أهل الذكر
وقالت فرقة هم أحبار أهل الكتاب وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال أنا
من أهل الذكر وقالت فرقة هم أهل القرآن قال أبو محمد وهذا موضع ينبغي

أن يتأمل وذلك أن الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده فأهل
القرآن أهل ذكر وهذا أراد علي بن أبي طالب وأما المحال على سؤالهم في هذه
الآية فلا يصح أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت لأنهم كانوا خصومهم وإنما
أحيلوا على سؤال أحبار أهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم فتجيء شهادتهم بأن الرسل قديما من البشر لا مطعن فيها لازمة
لكفار قريش وقوله وما جعلناهم جسدا قيل الجسد من الأشياء يقع على ما لا
يتغذى ومنه قوله عجلا جسدا يعني هذا ما جعلناهم أجسادا لا تتغذى وقيل الجسد
يعم المتغذي من الأجسام وغير المتغذي من الأجساد فالمعنى ما جعلناهم أجسادا
وجعلناهم مع ذلك لا يأكلون الطعام كالجمادات أو كالملائكة فجعلناهم جسدا على
التأويل الأول منفي وعلى الثاني موجب والنفي واقع على صفته وقوله لا يأكلون الطعام
كناية عن الحدث ثم نفى عنهم الخلد لأنه من صفات القديم وكل محدث غير مخلد
في دار الدنيا قوله عز وجل ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا
المسرفين لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون
﴿ه﴾ هذا وعيد في ضمن وصفه تعالى سيرته في الأنبياء من أنه يصدق مواعيدهم
فكذلك يصدق لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ما وعدهم من النصر وظهور
الكلمة وقوله ومن نشاء معناه من المؤمنين بهم والمسرفين الكفار المفرطون
في غيهم وكفرهم وكل من ترك الإيمان فقد أسرف ثم وبخهم تعالى بقوله لقد أنزلنا
الآية والكتاب القرآن وقوله ذكركم يحتمل أن يريد فيه الذكر الذي أنزله
الله إليكم بأمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه فأضاف الذكر إليهم
من حيث هو في أمرهم ويحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما
يذكر عظام الأمور وفي هذا تحريض ثم أكد التحريض بقوله أفلا تعقلون وحركهم
بذلك إلى النظر ثم مثل لهم على جهة الوعيد بمن سلف من الأمم المعذبة وكم للتكثير

وهي في موضع نصب بقصمنا ومعناه أهلكنا وأصل القصم الكسر في
الأجرام فإذا استعير للقوم والقرية ونحوه فهذا ما يشبه الكسر وهو
إهلاكهم فما وقع هذه الأمور على القرية والمراد أهلها وهذا يهيج ليث ومنه
ما أمت قبلهم من قرية وغيره وقوله وأنشأنا أي خلقنا ونشأنا أمة أخرى
غير المهلكة وقوله فلما أحسوا وصف عن قرية من القرى المجملة أولا قيل
كانت باليمن تسمى حضورا بعث الله إلى أهلها رسولا فقتلوه فأرسل الله إليهم
بخت نصر صاحب بني إسرائيل فهزموه أحسبه مرتين فنهض في الثالثة بنفسه
فلما هزمهم وأخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل أن لا يريد بالآية قرية
بعينها وأنه وصف حال كل قرية من القرى المعذبة وأن أهل كل قرية كانوا
إذا أحسوا العذاب من أي نوع كان أخذوا في الفرار وأحسوا باشروه
بالحواس والركض تحريك الرجل على الصفة المعهودة بالفار والجاري بالجملة
والركض إما دابة وأما الأرض تشبيها بالدابة **قوله عز وجل** لا تركضوا وارجعوا
إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما
زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما لاعبين ه يحتمل قوله لا تركضوا إلى آخر الآية أن يكون من قول
رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزءوا
بهم بأن قالوا للهاربين لا تفروا وارجعوا إلى مواضعكم لعلكم تسألون
صلحا أو جزية أو أمرا تتفقون عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادي يا لثارات
النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم قال أبو محمد هذا كله مروي
ويحتمل أن يكون لا تركضوا إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب على تأويل
الآخر أن الآيات وصف قصة كل قرية وأنه لم يرد تعيين حضورا ولا غيرها
فالمعنى على هذا أن أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله
بمكان وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا أو يسألوا عن وجه

كذبهم لنبيهم ويحتجون عليه في ذلك بحجج ينفعهم في ظنهم فلما نزل العذاب
دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين ناداهم الملائكة على وجه الهزء
بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسألون كما كنتم تطمعون بسفهكم أن
تكون وقوله حصيدا أي بالعذاب تركوا كالحصيد والأشهر أن النقم وقوله دعواهم
معناه دعاؤهم وكلامهم أي لم ينطقوا بغير التأسف والحصيد يشبه بحصيد
الزرع بالمنجل أي ردهم الهلاك كذلك وخامدين أي موتى دون أرواح
مشبهين بالنار إذا طفئت ولما فرغ وصف هذه الحال وعظ الله تعالى السامعين
بقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي كما ظن هؤلاء الذين
نزل بهم ما نزل وكما يظنون أنتم أيها الكفرة الآن في الآية وعند هذا
الوجه والمعنى إنما خلقنا هذا كله ليعتبر به وينظر فيه ويؤمن بالله بحسبه
قال بعض الناس تسألون معناه تفهمون وتفقهون قال أبو محمد وهذا
تفسير لا يعطيه اللفظ وقالت فرقة تسألون معناه شيئا من أموالكم وعرض دنياكم
قوله عز وجل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ه ظاهر هذه
الآية الرد على من قال من الكفار اتخذ مريم وما ضارعه من الكفر تعالى الله
عن قول المبطلين واللهو في هذه الآية المرأة وروي أنه في بعض لغات العرب
يقع على الزوجة وإن في قوله إن كنا يحتمل أن تكون الشرطية بمعنى لو كنا
ولسنا كذلك وللمتكلمين هنا اعتراض وانفصال ويحتمل أن تكون نافية بمعنى ما
وكل هذا قد قيل والحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق
والباطل أيضا عام كذلك ويدمغه معناه يصيب دماغه وذلك مهلك في
البشر فكذلك الحق يهلك الباطل والويل الخزي والهم وقيل هو اسم
واد في جهنم وهو المراد في هذه الآية وهذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا
الله تعالى بما لا يجوز عليه ولا يليق به تعالى الله عن قولهم **قوله تعالى**

وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ۝ قوله وله يحتمل ان يكون
ابتدا كلام ويحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل فانه تقسيم الامر في
نفسه اي للمختلفين هذه المقالة الويل ولله تعالى من في السموات والارض واللام
في له لام الملك وقوله من في السموات يعم الملائكة والنبيين وغيرهم ثم خصص من
هذا العموم من اراد تشريفه من الملائكة بقوله من عنده لان عند هنا ليست في
المسافات انما هي تشريف في المنزلة فوصفهم تعالى بانهم لا يستكبرون عن عبادة
الله ولا يسامونها ولا يكلون فيها والحسير من الابل المعيي ومنه قول الشاعر
؛؛ لهن الوجى لم كن عونا على النوى ولا زال منها ظالع وحسير ؛؛ ويستحسر
واستحسر بمعنى وهذا موجود في كثير من الافعال وان كان الباب في استفعل
ان يكون لطلب الشي وقوله لا يفترون روي عن كعب الاحبار انه قال جعل الله
لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم دايما دون ان يلحقهم فيه سامة
وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس من اصحابه
اذ قال اتسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شي يا رسول الله قال اني لاسمع اطيط
السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد او قايم قوله
تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسل عما يفعل وهم يسلون ام اتخذوا
من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون ۝ هذه ام التي هي بمنزلة الف الاستفهام وهي هاهنا تقرير
وتوقيف ومذهب سيبويه انها بمنزلة بل مع الف الاستفهام كان في القول اضرابا
عن الاول ووقفهم الله تعالى هل اتخذوا الهة يحيون ويخترعون اي ليست
المتخذة كذلك فهي غير الهة لان من صفة الاله القدرة على الاحيا والاماتة
وقرات فرقة ينشرون بضم اليا بمعنى يحيون غيرهم وقرات فرقة ينشرون بمعنى

يحيون هم ويبقون ثم حاجهم تعالى بتقرير الميت وابتدا الله تعالى امر التمانع
بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وذلك انه كان يبغي بعضهم على بعض وذهب
بما خلق واقتضاب القول في هذا ان الاثنين لو فرضنا وقوع بينهما الاختلاف في تحريك
جرم وتسكينه فمحال ان تتم الارادتان ومحال ان لا تتم جميعا واذا تمت الواحدة
كان صاحب الاخرى عاجزا وهذا ليس باله وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه
منهما ونظر اخر وذلك ان كل جزء يخرج من العدم الى الوجود فمحال ان تتعلق به
قدرتان فاذا كانت قدرة احدهما توجده نفي الاخر فضلا لا معنى له في ذلك الجزء
ثم نتمادى النظر هكذا جزءا جزءا ثم نزه تعالى نفسه عما وصفه اهل الجهالة
والكفر ثم وصف نفسه تعالى بانه لا يسال عما يفعل وهذا وصف يحتمل معنيين
اما ان يريد انه بحق ملكه وسلطانه لا يعارض ولا يسال عن شي يفعله اذ
له ان يفعل في ملكه ما يشا واما ان يريد انه محكم الافعال واضع كل شي
موضعه فليس في افعاله موضع سوال ولا اعتراض وهولا من البشر يسالون لهاتين
العلتين لانهم ليسوا مالكين ولانهم في افعالهم خلل كثير ثم قررهم تعالى ثانية
على اتخاذ الالهة وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في ذكره وبيان فساده وفي
هذا التقرير زيادة على الاول وهو قوله من دونه فكانهم قررهم هنا على قصد
الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الحجة والاتيان بالبرهان وقوله هذا
ذكر من معي وذكر من قبلي يحتمل ان يريد بهذا جميع الكتب المنزلة قديمها
وحديثها اي ليس فيها برهان على اتخاذ الهة من دون الله بل فيها ضد ذلك
ويحتمل ان يريد بقوله هذا القران والمعنى فيه ذكر الاولين والاخرين
فذكر الاخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم وردهم على طريق النجاة وذكر
الاولين بقص اخبارهم وذكر الغيوب في امورهم ومعنى الكلام على هذا التاويل
عرض القران في معرض البرهان اي هاتوا برهانكم فهذا برهاني انا ظاهر في
ذكر من معي وذكر من قبلي وقرات فرقة هذا ذكر من وذكر من بالاضافة فيهما

وقرأت فرقة "هذا ذكرٌ من" بالإضافة في الأول وذكرٌ من قبلي بتنوين ذكر
الثاني وكسر الميم من قوله من قبلي وقرأ يحيى بن يعمر وابن مصرف بالتنوين في
ذكر في الموضعين وكسر الميم من قوله من في الموضعين وضعّف أبو حاتم هذه
القراءة بكسر الميم في الأول ولم ير لها وجها ثم حكم عليهم تعالى بأن أكثرهم لا
يعلمون الحق لإعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لأنهم لا يعلمون بل المعنى
فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق وقرأ الحسن وابن محيصن الحقُّ بالرفع
على معنى هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراءة لا يعلمون **قوله عز وجل**
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ه لما أخبر تعالى أنهم لا يعلمون الحق لإعراضهم أتبع ذلك بإعلامه أنه ما أرسل
قط رسولا إلا وأوحي إليه أن الله تعالى فرد صمد وهذه عقيدة لم تختلف النبوات فيها
وإنما اختلفت في الأحكام وقرأ حمزة والكسائي نوحي بنون مضمومة وقرأ الباقون
يوحى بياء مضمومة واختلف عن عاصم ثم عدد بعد ذلك نوعا آخر من كفرهم وذلك
أنه مع اتخاذهم آلهة كانوا يقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق إلا أنهم
قال بعضهم اتخذ الملائكة بنات وقال نحو هذه المقالة النصارى في عيسى بن مريم واليهود
في عزير فجاءت هذه الآية رادة على جميعهم منبهة عليهم ثم نزه تعالى نفسه عن مقالة
الكفرة وأضرب عن مقالهم ونص ما هو الأمر في نفسه بقوله بل عباد مكرمون
وهذه عبارة تشمل الملائكة وعزيرا وعيسى وقوله لا يسبقونه بالقول عبارة عن
حسن طاعتهم ومراعاتهم لامتثال الأمر وقوله تعالى ما بين أيديهم وما خلفهم
أي ما تقدم من أفعالهم وأعمالهم والحوادث التي لها إليهم تسبب وما تأخر
أخبر أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله أن يشفع له قال بعض المفسرين لأهل
لا إله إلا الله والمشفق المبالغ في الخوف المحترق النفس من الفزع على أمرٍ ما

قوله عز وجل ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ه المعنى من يقل منهم هذا إن لو قاله
وليس منهم من قال هذا وقال بعض المفسرين المراد بقوله ومن يقل الآية
إبليس قال أبو محمد وهذا ضعيف لأن إبليس لم يرو قط أنه ادعى ربوبية
وقرأ الجمهور نجزيه بفتح النون وقرأ أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد نجزيه بضم
النون والهاء ووجهها أن المعنى نجعلها جزيته من قولك أجزأني الشيء ثم خففت
الهمزة ياء وقوله كذلك أي جزاء كهذا القائل نجزي الظالمين ثم وقفهم
على عبرة دالة على وحدانية الله جلت قدرته والرتق الملتصق بعضه ببعض
المبهم الذي لا صدع فيه ولا فتح ومنه امرأة رتقاء واختلف المفسرون في معنى
قوله كانتا رتقا ففتقناهما فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالأرض ففتقهما
الله بالهواء وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون
كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا **قال أبو محمد** وعلى هذين القولين فالرؤية
الموقف عليها رؤية القلب وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والأرض قبل النبات
رتق ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات كما قال الله تعالى والسماء ذات
الرجع والأرض ذات الصدع وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة
بمحسوس بين ويناسب قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي أي من الماء الذي أوجده
الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار وقالت فرقة السماء والأرض رتق
بالظلمة ففتقهما الله بالضوء قال أبو محمد والرؤية على هذين القولين
رؤية العين والأرض هنا اسم الجنس فهي جمع وقرأ الجمهور رتقا بسكون التاء
والرتق مصدر وصف به كالزور والعدل وقرأ الحسن والثقفي وأبو حيوة
كانتا رتقا بفتح التاء وهو اسم المرتوق كالنقض والنفض والخبط والخبط
وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شتيم

ألم تر حولك أن حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا ٥ وقوله كانتا
في القولين الأولين بمنزلة قولك كان زيد حيا أي ثم لم يكن وفي القولين الأخيرين
بمنزلة قولك كان زيد عالما أي وهو كذلك وقرأ ابن كثير وحده ألم ير بإسقاط
الواو وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي من أنه ليس على عموم فإن الملائكة والجن
قد خرجوا من ذلك ولكن الوجه أن يحمل على أعم ما يمكن فالحيوان أجمع والنبات
على أن الحياة فيه استعارة داخل في هذا وقالت فرقة المراد بالماء المني في جميع
الحيوان ثم وقفهم على ترك الإيمان توبيخا وتقريعا **قوله تعالى** وجعلنا في
الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل في فلك يسبحون ٥ الرواسي جمع راسية أي ثابتة يقال رسا يرسو
إذا ثبت واستقر ولا يستعمل إلا في الأجرام الكبار كالجبال والسفينة
ونحوه ويروى أن الأرض كانت تميد بأهلها حتى ثقلها الله تعالى بالجبال فاستقرت
والميد التحرك والفجاج الطرق المتسعة في الجبال وغيرها وسبلا جمع سبيل
والضمير في قوله فيها يحتمل أن يعود على الرواسي ويحتمل أن يعود على الأرض وهو
أحسن ويهتدون معناه في مسالكهم وتصرفهم والسقف ما علا والحفظ
هنا عام في الحفظ من الشياطين ومن الوهي والسقوط وغير ذلك من الآفات
وآياتها كواكبها وأمطارها والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك مما يشبهه وقرأت
فرقة وهم عن آيتها بالإفراد الذي يراد به الجنس والفلك الجسم الدائر دورة اليوم
والليلة فالكل في ذلك سابح متصرف قال أبو محمد وعن بعض المفسرين في الكلام
ما هو الفلك فقال بعضهم كحديدة الرحا وقال بعضهم كالطاحونة وغير هذا مما لا
يعطي الوقوف عليه غيرا ما يعرف أن الفلك جسم مستدير ويسبحون معناه يتصرفون
وقالت فرقة الفلك موج مكفوف ورأوا قوله يسبحون من السباحة وهي العوم
قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون

كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون قيل
إن سبب هذه الآية أن بعض المسلمين قال إن محمدا لن يموت وإنما هو مخلد فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنكره ونزلت هذه الآية والمعنى لم نخلد أحدا
ولا أنت لا نخلدك ومعنى أن لا ينبغي أحد من المشركين عليك وهذا أنهم مخلدون
إن مت أنت فيصح لهم استقامة وقيل إن سبب الآية أن نفرا من كفار مكة طعنوا على النبي صلى
الله عليه وسلم بأنه بشر وأنه يأكل الطعام ويموت فكيف يصح إرساله فنزلت الآية
رادة عليهم وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط وقدمت في أول
الجملة لأن الاستفهام له صدر الكلام والتقدير أفهم الخالدون إن مت والفاء
في قوله فإن عاطفة جملة على جملة وقرأت فرقة مت بضم الميم وفرقة مت بكسرها
وقوله كل نفس عموم يراد به الخصوص والمراد كل نفس مخلوقة والذوق هاهنا
مستعار ونبلوكم معناه نختبركم وقدم الشر لأن الابتلاء به أكثر ولأن العرب
من عادتها أن تقدم الأقل والأردى ومنه قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
ومنه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فبدأ في
تقسيم أمة محمد بالظالم وقال الطبري عن ابن عباس إنه جعل الخير والشر هاهنا
عاما في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية والهدى والضلالة
قال أبو محمد والظاهر أن المراد من الخير والشر هنا كل ما يصح أن يكون
فتنة وابتلاء وذلك خير المال وشره وخير البدن وشره وخير الدنيا في الحياة
وشرها وأما الهدى والضلال فغير داخل في هذا ولا الطاعة ولا المعصية لأن
من هدي فليس نفس هداه اختبارا بل قد تبين خيره فعلى هذا ففي الخير والشر
ما ليس فيه اختبار كما يوجد أيضا اختبار بالأوامر والنواهي وليس بداخل
في هذه الآية وفتنة معناه امتحانا وكشفا ثم أخبر عز وجل عن الرجعة إليه
والقيام من القبور وفي قوله وإلينا ترجعون وعيد وقرأت فرقة ترجعون
بضم التاء وقرأت فرقة ترجعون بفتحها وقرأت فرقة يرجعون بالياء مضمومة على

الخروج من الحصور الى الغيبة **قوله عز وجل** واذا رآك الذين كفروا ان
يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون
خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين ۵ روي ان ابا سفيان بن حرب وابا جهل بن هشام رأيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فاستهزآ به فنزلت بسببهما وظاهر الآية
ان كفار قريش وعظماءهم بعينهم هذا المعنى من انهم ينكرون اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امر آلهتهم وذكره لهم بفساد وان معنى ما في الكلام
حذف تقديره يقولون أهذا الذي وقوله يذكر لفظة تعم المدح والذم لكن قرينة
المقال ابدا تدل على المراد من الذكر وتم ما حكي عنهم في قوله آلهتكم ثم ردّ
عليهم بان قرن بانكارهم ذكر الاصنام كفرهم بذكر الله اي فهم احق بالملامة
وهم المخطئون وقوله بذكر اي بما يجب ان يذكر به ولا اله الا الله منه وقوله
بذكر الرحمن روي ان الآية نزلت حين انكروا هذه اللفظة وقالوا ما نعرف
الرحمن الا اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصد به العبارة عن الله تعالى كما
لو قال وهم بذكر الله وهذا التاويل اعرق في ضلالهم وخطائهم وقوله
خلق الانسان من عجل توطية للرد عليهم في استعجالهم العذاب وطلبهم آية
مقترحة وهي تقرونه بعذاب بجهران هزوا بعد ذلك ووصف تعالى الانسان
الذي هو اسم الجنس انه خلق من عجل وهذا على جهة المبالغة كما تقول للرجل
البطال انت من لعب ومن لهو وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست
من دد ولا دد مني وهذا نحو قول الشاعر

:: وانا لمما نضرب الكبش ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم ::

كأنه لما كانوا اهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب قال
ابو محمد وهذا التاويل يتم به معنى الآية المقصود في ان ذم تعجلهم وقيل لهم
على جهة الوعيد ان آياتي ستاتي فلا تستعجلون وقال بعض المفسرين في قوله خلق

الانسان من عجل انه على المقلوب كانه اراد خلق العجل من الانسان على معنى
انه جعل طبيعة من طبائعه وجزءا من اخلاقه **قال ابو محمد** وهذا التاويل
ليس فيه مبالغة وانما هو اخبار مجرد وانما حمل قائليه عليه علمهم وجه التجوز
والاستعارة في ان يبقى الكلام على ترتيبه ونظير هذا القلب الذي قالوه قول
العرب اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء وكما قالوا اعرضت
الناقة على الحوض وكما قال الشاعر

:: حسرت كفي عن السربال آخذه فردا يخر على ايدي المفدينا :: واما المعنى
في تاويل من رأى الكلام من المقلوب فهو المعنى الذي قدمناه وقالت فرقة من المفسرين ب ب
قوله خلق الانسان من عجل انما اراد ان آدم عليه السلام خلقه الله في آخر ساعة
من يوم الجمعة فتعجل به قبل مغيب الشمس وروى بعضهم ان آدم قال يا رب
اكمل خلقي فان الشمس على الغروب او قد غربت قال ابو محمد وهذا قول ضعيف
ومعناه لا يناسب معنى الآية وقالت فرقة العجل الطين والمعنى خلق آدم من طين
وانشد النقاش :: والنخل ينبت بين الماء والعجل :: وهذا ايضا ضعيف
ومعناه مباين لمعنى الآية وقالت فرقة معنى قوله خلق الانسان من عجل اي بقوله
كن فهو خالق العجلة قال ابو محمد وهذا ايضا ضعيف وفيه تخصيص ابن آدم
من كل مخلوق تشاركه فيه وليس في هذه الاقوال ما يصح معناه ويلتئم مع الآية
الا القول الاول وقرأت فرقة خلق الانسان على بناء الفعل للمفعول وقرأت فرقة
خلق الانسان على معنى خلق الله الانسان ومعنى الآية على اولها خلق الانسان من عجل
على معنى التعجب من تعجل هؤلاء المقصودين بالرد ثم توعدهم بقوله سأريكم
آياتي اي ستأتي ما يسوءكم اذا دمتم على كفركم يعني يوم بدر وغيره
ثم فسر تعالى على استعجالهم بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم وكان استعجالهم
على جهة التكذيب وقوله ان كنتم صادقين يريدون محمدا صلى الله
عليه وسلم ومن آمن به لان المؤمنين كانوا يتوعدونهم على لسان الشرع وضع

نحو رفع عند البصريين وقال بعض الكوفيين موضعه نصب على الظرف
والعامل فعل مقدر تقديره يكون او يجي والاول اصوب **قوله تعالى** لو
يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد
استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ٥ حذف
جواب لو ايجازا لدلالة الكلام عليه وابهم قدر العذاب لانه ابلغ واهيب
من النص عليه وهذا محذوف نحو قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الاية وتقدير المحذوف في جواب هذه الاية لما استعجلوا
ونحوه وقوله حين لا يكفون عن وجوههم النار يريد يوم القيامة وذكر
الوجوه خاصة لشرفها من الانسان وانها موضع حواسه وهو احرص على
الدفاع عنه ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع ابدانهم وقوله بل تاتيهم
استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات لا تاتي بحسب اقتراحهم بل تاتيهم
بغتة والضمير للساعة التي تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان يكون للنار
وقرات فرقة ياتيهم بالياء على ان الضمير للوعد فيبهتهم بالياء ايضا والبغتة
الفجاة عن غير مقدمة وينظرون معناه يؤخرون ثم انس تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم بما جرى على سائر الانبياء من استهزاء قومهم بهم وحلول العذاب بالمستهزئين
وحاق معناه نزل وحل وهي مستعملة في العذاب والمكاره وقوله ما كانوا فيه
محذوف تقديره جزاء ما كانوا او نحوه وفي هذا التانيس الذي لمحمد صلى الله عليه
وسلم وعيد للكفرة وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم **قوله تعالى** قل
من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم
الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا
هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون ٥ المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المستهزئين بك وبما جئت به

الكافرين بذكر الرحمن الجاهلين به قل لهم على جهة التقريع والتوبيخ
من يحفظكم ويكلا معناه يحفظ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال اكلا لنا
الفجر وفي اخر الكلام تقدير محذوف كانه قال ليس لهم مانع ولا كالئ وعلى هذا
النفي تركبت بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون ثم [illegible] عليهم [illegible]
في انه لا مانع لهم من الله بان كشف امر الهتهم والمعنى ايظنون ان الهتهم التي هي
بهذه الصفة تمنعهم من دوننا وتنال لا يمنعهم احد الاخر وقوله ولا هم منا يصحبون
يحتمل تاويلين احدهما يجارون ويمنعون والاخر ولا هم منا يصحبون بخير
ولا تزكية ونحو هذا وفي الكلام تقدير نعت محذوف كانه قال ليس ثم تنحى عن هذا
كله بل متعنا هؤلاء لانا متعناهم ومتعنا اباءهم فنسوا عقاب الله وظنوا ان حالهم
لا تبيد والمعنى طال العمر في رخاء ثم وقفهم تعالى على مواضع العبرة في الامم وفي
البشر بحسب الخلاف في الاطراف والرؤية في قوله يرون رؤية العين تتبعها
رؤية العلم وناتي معناه بالقدرة والباس والارض عامة في الجنس وقوله من
اطرافها اما ان يريد فيما خرب من المعمور فذلك نقص الارض واما ان يريد
موت البشر فهو ينقص القرون ويكون المراد حينئذ ناتي اهل الارض وقال
قوم النقص من الاطراف موت العلماء ثم وقفهم على جهة التوبيخ اهم يغلبون
من غلب جميع اهل الارض وقهر الكل بسلطانه وعظمته اي ان ذلك محال بين
بل هم مغلوبون مقهورون **قوله عز وجل** قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع
الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين ٥ المعنى قل ايها المعرضون المتسلطون انما انذركم بوحي يوحيه
الله الي وبدلالات على العبر التي نصبها الله تعالى لينظر فيها كنقصان الارض من
اطرافها وغيره ولم ابعث باية مضطرة ولا بما تقترحونه ثم قال ولا يسمع معنى
وانتم تعرضون عما انذركم به فهو [illegible] مانع لكم وشبههم بالصم وقرا جمهور
القراء ولا يسمع بالياء واسناد الفعل الى الصم وقرا ابن عامر وحده ولا تسمع بضم التاء

مر الى الكل
جار وصاحب
رسلان ابي محمد

وكسر الميم ونصب الصم وقرأت فرقة ولا تسمع بالتاء مضمومة وفتح الميم و نا
الفعل للمفعول والعرفان نصب الدعا وقرأت فرقة ولا يسمع الصم الدعاء باضافة
الصم الى الدعاء وهي قراة ضعيفة وان كانت متوجهة ثم خاطب تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم متوعدا لهم بقوله ولئن مستهم نفحة والنفحة الخطرة والمسة كما
تقول نفح بيده اذا قال بها هكذا ضاربا الى جهة ومنه نفحة الطيب كانه يخطر
خطرات على الحاسة ومنه نفح له من عطاياه اذا اخذه منها نصيبا ومنه نفح الفرس
برجله اذا ركض والمعنى ولئن مست هولاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم
لتندمن ولتقرن بظلمهم **قوله تعالى** ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم
بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له
منكرون ۵ لما توعدهم بنفحة من عذاب الدنيا عقب ذلك بتوعد بوضع
الموازين وانما جمعها وهي ميزان واحد من حيث لكل احد وزن يخصه
ووحد القسط وهو قد جاء لفظ الموازين مجموعا من حيث القسط مصدر وصف
به كما تقول قوم عدل ورضى وقرأت فرقة القصط بالصاد وقوله
ليوم القيامة اي لحساب يوم القيامة او لحكم يوم القيامة فهو بتقدير
حذف مضاف والجمهور على ان الميزان في يوم القيامة بعمود وكفتين توزن
به الاعمال ليبين للناس المحسوس المعروف عندهم والخفة والثقل
متعلقة باجسام يقرنها الله تعالى يومئذ بالاعمال فاما ان تكون صحف الاعمال
او مثالات تخلق او ما شاء الله تعالى وقرأ نافع وحده مثقال بالرفع على ان تكون
كان تامة وقرأ جمهور الناس مثقال بالنصب على معنى وان كان الشيء او
العمل وقرأ الجمهور اتينا على معنى جئنا وقرأ ابن عباس ومجاهد وغيرهما آتينا
على معنى واتينا من المواتاة ولا بتقدير ولا تفسير اتينا اعطينا لما تعدت بحرف

بمعنى المجازاة

الا ان يراد بمعنى جازينا
[illegible]

جز قال ابو محمد وتوهم من هذه القراءة ان بدل الواو المفتوحة همزة
ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة ومن قولهم [illegible]
توعد ثم عقب بالتمثيل بامر موسى عليه السلام والفرقان فيما قالت فرقة التوراة وهي
الضياء والذكر وقرأ ابن كثير وحده ضئاء بهمزتين قبل الالف وبعدها وقرأ الباقون
ضياء بهمزة واحدة بعد الالف وقرأ ابن عباس الفرقان ضياء بغير واو وهي قراءة
عكرمة والضحاك وهذه القراءة تؤيد قول من قال المراد بذلك كله التوراة
وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقه الله من نصر وظهور حجة وغير ذلك مما فرق
بين امره وبين امر فرعون لعنه الله والضياء التوراة والذكر بمعنى التذكرة
وقوله بالغيب يحتمل ثلاث تاويلات احدها في غيبهم وخلواتهم وحيث لا يطلع
عليهم احد وهذا ارجحها والثاني انهم يخشون الله على ان امره تعالى غائب
عنهم وانما استدلوا بالدلايل لا بمشاهدة والثالث انهم يخشون الله ربهم بما
اعلمهم به مما غاب عنهم من امر اخرتهم ودنياهم والاشفاق اشد الخشية
والساعة القيامة وقوله وهذا اشارة الى القرآن وانزلناه اما ان يكون
بمعنى انشأناه كما تقول انزل السلطان فلانا بمكان كذا وكذا اذا اثبته فيه واما
ان يتعلق النزول بالملك ثم وقفهم تعالى تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكاره
وبركته وما فيه من الدعاء الى الله تعالى والى صالح العمل **قوله عز وجل** ولقد
اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم
بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ۵ الرشد
عام في هداياته الى رفض الاصنام وفي هداياته في امر الكواكب والشمس والقمر
وغير ذلك من النبوة فما دونها قال بعضهم معناه وفق للخير صغيرا وهذا

كله متقارب ومن قبل معناه من قبل موسى وهرون فهذه الاضافه هو
قبل كما هي في نوح سه وكنا به عالمين مدح لابرهيم اي بانه مستحق
لما اهله له وهذا نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والعامل في اذ
قوله اتينا والتماثيل الاصنام لانها كانت على صوره الانسان من خشب والعكوف
الملازمه للشي وقوله فطرحن عباره عنها كانها تعقل وهي من حيث لها طاعه
وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل وقوله وتالله لاكيدن
الايه روي انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على حضور ابرهيم معهم طمعا
منهم ان يستحسن شيا من اخبارهم فمشى معهم فلما كان في الطريق انثنى
عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال لهم اني سقيم فمر به جمهورهم ثم قال في
خلوه من نفسه وتالله لاكيدن اصنامكم وسمعه قوم من ضعفتهم ممن
كان يسير في اخر الناس وقوله بعد ان تولوا مدبرين معناه الى
عيدكم ثم انصرف ابرهيم عليه السلام الى بيت اصنامهم وحده فدخله ومعه
قدوم فوجد الاصنام قد وقفت اكبرها اول ثم الذي يليه فالذي يليه
وقد جعلوا اطعماتهم في ذلك اليوم بين يدي الاصنام تبركا بها لينصرفوا من ذلك
العيد الى اكله فجعل عليه السلم يقطعها بذلك القدوم ويهشمها حتى افسد
اشكالها حاشى الكبير فانه تركه بحاله وعلق القدوم من يديه وخرج عنها
وجذاذا معناه قطعا صغارا والجذ القطع وقرا الجمهور جذاذا بضم
الجيم وقرا الكسائي وحده جذاذا بكسرها وقرا ابن عباس وابو نهيك وابو السمال
بفتحها وهي لغات والمعنى واحد وقوله جعلهم ونحوه معامله للاصنام بحال
من يعقل من حيث كانت تعبد وتنزل منزله من يعقل والضمير في اليه الاظهر
فيه انه عائد على ابرهيم اي فعل هذا كله توخيا منه ان يعقب ذلك منهم
رجعه اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود الضمير الى الكبير المتروك ولكن
يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام **قوله تعالى** قالوا من فعل

هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قالوا
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا
ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون ٥ المعنى
فانصرفوا من عيدهم فراوا ما حدث بالهتهم فانكروا ذلك وحينئذ قالوا
من فعل هذا على جهة البحث والانكار وقالوا الثانيه الضمير فيها للقوم الضعفه
الذين سمعوا ابرهيم حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم واختلف الناس
في وجه رفع قوله ابرهيم فقالت فرقه هو مرتفع بتقدير النداء كانهم ارادوا
الذي يقال له عند ندائه يا ابرهيم وقالت فرقه رفعه على اضمار الابتداء
تقديره هو ابرهيم **قال ابو محمد** والاول ارجح وقال الاستاذ ابو الحجاج
الاشبيلي الاعلم هو رفع على الاهمال قال ابو محمد لما راي وجوه الرفع كانها
لا توضح المعنى الذي قصدوه ذهب الى رفعه بغير شي كما قد يرفع المجرد والعرو
عن العوامل قال ابو محمد والوجه عندي انه مفعول لم يسم فاعله على ان
تجعل ابرهيم غير دال على الشخص بل تجعل النطق به دالا على بناء هذه اللفظه
وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلاثة احرف فلم تدل بوجه على الشخص
بل دللت بنطقك على نفس اللفظه وعلى هذه الطريقه تقول قلت ابرهيم ويكون
مفعولا صحيحا انزلته منزلة قول او كلام فلا يتعذر بعد ذلك ان يبنى الفعل فيه
للمفعول وقوله على اعين الناس يريد في الحفل ومحضر الجمهور وقوله
يشهدون يحتمل ان يراد به الشهاده عليه يريدون بفعله او بقوله لاكيدن
ويحتمل ان يريد به المشاهده اي يشاهدون عقوبته او غلبته المؤديه الى
عقوبته المعنى فجا ابرهيم حين اتي به فقالوا اانت فعلت هذا بالالهه فقال
لهم ابرهيم عليه السلم بل فعله كبيرهم هذا على معنى الاحتجاج عليهم اي انه غار من
ان يعبد هو وان يعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وقالت فرقه هي الاكثر
ان هذا الكلام قاله ابرهيم عليه السلام لانها كذبه في ذات الله تؤدي الى خزي

قوم كافرين والحديث الصحيح يعضد ذلك وهو قول النبي صلي الله عليه وسلم لم
يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك هي
اختي ثم طرق الي موضع خزيهم بقوله فاسلوهم ان كانوا ينطقون علي جهة التوقيف
قال ابو محمد وذهب فرقة الي نفي الكذب عن هذه المقالات وقالت فرقة
معني قول النبي صلي الله عليه وسلم لم يكذب ابرهيم اي لم يقل كلاما ظاهره الكذب
او يشبه الكذب وذهبت الي تخرج هذه المقالات فخرجت هذه الاية علي معني انه
اراد تعليق فعل الكبير بنطق الاخرين كانه قال بل هو الفاعل ان نطق هولاء
ولم يجزم الخبر علي ان الكبير فعل ذلك وفي الكلام تقديم علي هذا التاويل في قوله
فاسلوهم وذهب الفرا الي جهة اخري بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما هو
فلعله علي جهة التوقع حذف الكلام علي قولهم علّه بمعني لعله ثم خففت اللام قال
ابو محمد وهذا تكلف قوله عز وجل فرجعوا الي انفسهم فقالوا انكم انتم
الظالمون ثم نكسوا علي روسهم لقد علمت ما هولا ينطقون قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما علي
ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ٥ المعني نظهر لهم ما قال ابرهيم
من ان الاصنام التي قد اهلوها للعبادة ينبغي ان تسل وتستفسر فقالوا انكم
ظالمون في توقيف هذا الرجل علي هذا الفعل وانتم معكم من تسلون ثم ارتكبوا
من ضلالهم ورأوا بالفكرة وبديهة العقل ان الاصنام لا تنطق فساقهم ذلك
حتي نطقوا عنه الي موضع قيام الحجة عليهم وقوله نكسوا علي روسهم
استعارة للذي يرتطم في غيه كانه منكوس علي راسه فهي افحم هيئة الانسان
وكذلك هذا هو في اسوا حالات النظر فقالوا لابرهيم حين نكسوا في حيرتهم
لقد علمت ما هولا ينطقون اي فما بالك تدعونا الي ذلك فوجد ابرهيم عليه السلام
عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم توبيخا علي عبادتهم تماثيل لا تنفع بذاتها

ولا تضر ثم حقر شانها وازري بها في قوله اف لكم وقرا ابن كثير اف لكم
بالفتح وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر اف لكم
بالكسر وترك التنوين فيهما وقرا نافع وحفص عن عاصم اف لكم بالكسر والتنوين
واف لفظة تقال عند المستقذرات من الاشيا فستعار ذلك للمكروه من
المعاني لهذا وغيره فلما غلبهم ابرهيم من جهة النظر والحجة حسوا روسهم
واخذتهم عزة باثم وانصرفوا الي طريق الغشم والغلبة فقالوا احرقوه وروي
ان قايل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الي يوم القيامة وقوله ان كنتم فاعلين
حريض كما تقول للعزم علي كذا ان كنت عازما وروي انهم لما اجمعوا انفاذ
علي حرقه حبسه نمرود الملك وامر بجمع الحطب فجمع من مدة اشهر وكان المريض
يحمل علي نفسه نذرا اذا هو برى ان يجمع كذا وكذا حزمة حتي اجتمع من الحطب ما
تبرع به الناس وما حطب الملك من اهل الرساتيق كالجبل من الحطب ثم اضرم
نارا فلما ارادوا طرح ابرهيم فيه لم يقدروا علي القرب من النار فجاءهم ابليس في
صورة شيخ فقال لهم انا اصنع لكم الة يلقي بها في النار فعلمهم صنعة المنجنيق ثم
اخرج ابرهيم عليه السلام فشد رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي به فوضع في النار
وقد قيل للنار كوني بردا وسلاما فاحترق الحبل الذي ربط فيه فقط وروي
ان جبريل عليه السلام جاءه وهو في الهواء فقال له الك حاجة فروي انه قال اما
اليك فلا وروي انه قال له اي خليل وانا الملك حاجتي من خليلي لا من رسوله
فقال الله تعالي يا ابرهيم قطعت الواسطة بيني وبينك لاقطعنها بيني وبين النار يا
نار وروي انه حين خرطت النار حدثت كل نار في الارض وروي ان الغراب
كان ينقل الحطب الي نار ابرهيم وروي ان الوزغة كانت تنفخ عليه لتضرم وكذلك
البغل وروي ان العصفور والخطاف والضفدع كانوا ينقلون الما لتطفا النار
فابقي الله علي هذه الوقاية وسلط علي تلك الاخر النوايب والايدي وقال بعض العلما

فيما روي ان الله لو لم يقل سلاما لهلك ابرهيم من بردِ النارِ **قال ابو محمد**
وقد اكثر الناس في قصص حرق ابرهيم وذكروا الجيد منه بقايه في النار وصوره
بقايه فيها بامارات احضاره لعله صحيحه والصحيح من ذلك انه القي في النار فجعلها
الله عليه بردا وسلاما فخرج منها سالما وكانت اعظم اياته وروى انهم قالوا انها
نار مسحوره لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق وروي ان ابرهيم كان له
بسط وطعام في تلك النار كل ذلك من الجنه وروي ان العيدان انبعثت واثمرت
له هنالك ثمارها التي كانت اصولها وقوله وسلاما معناه وسلامة وقال
بعضهم هي تحية من الله تعالى لابرهيم قال ابو محمد وهذا ضعيف وكان الوجه
ان يكون مرفوعا والكيد هو ما ارادوه من حرقه وكانوا في خسارة من هزمهم
وغلبته لهم وحرق الشيخ الذي جربوا به النار وروي ان الملك نبا نبأ واطلع
على النار فراي ابرهيم عليه السلام ومعه ناس فعجب وسال هل طرح معه احد
فقيل له لا فناداه فقال من ولاك فقال هو لا جه ربي قال ابو محمد والمروي
في هذا خبر غير صحيح **قوله تعالى** ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ٥
روي ان ابرهيم عليه السلم لما خرج من النارِ احضره النمرود وكلمه ثم خصمه الله عليه
بالكفر فلج وقال لابرهيم في بعض قوله ان جنود ربك الذي تزعم فقال له سيرسل
فقال اصغر جنوده فبعث الله تعالى على نمرود واصحابه سحابة من بعوض فاكلتهم
عن اخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضا ودخلت منها بعوضة في
راس نمرود فكان راسه يضرب بالعيدان وغيرها ودام تعذيبه بها زمانا طويلا
وهلك منها وخرج ابرهيم عليه السلام ومن اخيه لوط من تلك الارض مهاجرين وهي
كوثا من العراق ومع ابرهيم عليه السلام ابنة عمه ساره زوجته وفي تلك السفره
لقي الجبار الذي رام اخذها منه واختلف الناس في الارض التي بورك فيها

ثم لوطا بن اخيه ابرهيم

وجا اليها ابرهيم ولوطا عليهما السلام فقالت فرقة هي مكة وذكروا قول
الله تعالى للذي ببكة مباركا وقال الجمهور هي ارض الشام وهي الارض التي
بارك الله فيها اما من جهة الاخرة فبالنبوة والايمان واما من جهة الدنيا فهي اطيب
بلاد الله ارضا واعذبها ماء واكثرها ثمرة ونعمة وهو الموضع المعروف بسكنى
ابرهيم وعقبه وروى انه ليس في الارض ما عذب الا واصله وخروجه
من تحت صخرة بيت المقدس **قال ابو محمد** وهذا ضعيف وهي ارض المحشر وبها
يجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك المسيح الدجال وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوما في خطبته انه كان بالشام جند وبالعراق جند وباليمن جند
فقال رجل يا رسول الله خر لي فقال عليك بالشام فان الله قد تكفل لي بالشام
واهله فمن بغى فليلحق بيمنه وليسق بغدره وقال عمر لكعب الاحبار الا تحول
الى المدينه فقال يا امير المومنين اني اجد في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله
من ارضه وبها كنزه من عباده وروي ان ابرهيم ولوطا هاجرا من كوثا
ومرا بمصر ولست بالطريق ولكنهم نحوا اخوف الاتباع حتى جاوا الشام
فنزل ابرهيم السبع من ارض فلسطين وهي بريد الشام ونزل لوط بالموتفكه
واسحق بن ابرهيم ويعقوب ولد اسحق والنافلة العطيه كما تقول نفلني الامام
كذا والنافلة الطاعه كانها عطيه من الله لعباده يثيبهم عليها وقالت فرقة
الموهوب اسحق والنافلة يعقوب والاول ابين ويهدون معناه يرشدون
غيرهم واقام مصدر وفي هذا نظر **قوله عز وجل** ولوطا اتيناه حكما
وعلما ونجيناه من القريه التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه
واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ٥ التقدير واتينا لوطا اتيناه فهو منصوب
بفعل مضمر يدل عليه الظاهر والحكم فصل القضاء بين الناس والخبائث اتيان

الرجال وضرا طهم وبعا سهم الى غير ذلك من كفرهم وقوله في نوح من قبل
الاضافه الى ابرهيم ولوط والكرب العظيم هو الغرق وما نال قومه من الهلكه
بدعايه عليهم الذي استجيب وقوله ونصرناه لما كان جل نصرته النجاه وكانت
غلبة قومه بغير يد بل بامر اجنبي منه حسن ان يقول نصرناه من ولا يتمكن هنا على
كما يمكن في امر محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه قال ابو محمد وذكر هولا الانبيا
عليهم السلم ضرب مثل لقصة محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ونجاه الانبيا
وهلاك مكذبيهم ضمنها توعد لكفار قريش قوله تعالى وداود وسليمان
إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا
فاعلين ٥ المعنى واذكر داود وسليمان هكذا قدره جماعة من المفسرين قال
ابو محمد ويحتمل عندي ويقوي ان يكون المعنى واتينا داود عطفا على قوله
ونوحا وذلك عطف على قوله ولوطا اتيناه حكما وعلما والمعنى على هذا
التاويل يتسق وسليمان هو بن داود وداود من بني اسرايل وكان ملكا عدلا
نبيا يحكم بين الناس ووقعت بين يديه هذه النازله وكان ابنه اذ ذاك قد كبر
وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود
على باب اخر فتخاصم الى داود عليه السلم رجل له زرع او كرم قال ابو محمد
والحرث يقال فيهما وهو في الزرع ابعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل
اخر فافسدت عليه فراى داود عليه السلم ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث
فقالت فرقة على ان يقوم بينه وقالت فرقة بل دفع الغنم الى صاحب الحرث
والحرث الى صاحب الغنم قال ابو محمد فيشبه على القول الواحد انه
راى الغنم تقاوم الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني راها تقاوم الحرث
وغلته قال ابو محمد ولا نظر لداود الا ان حكمه بطر متوجه فلما خرج
الخصمان على سليمان عليه السلم شكى صاحب الغنم فجا سليمان الى داود فقال يا

نبي الله الى حكمت بهذا او كذا واني رايت ما هو ارفق للجميع قال وما
هو قال ان ياخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان
وياخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المده وينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل
وغير ذلك فاذا كمل الحرث وعاد الى حاله صرف كل واحد مال صاحبه فرجعت
الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك
قال ابو محمد ولا شك ان سليمان راى بتحمله صاحب الغنم من مقدار ريع
غنمه تلك المده ومن مونه اصلاح الحرث يوازي ما فسد في الحرث وفضل حكمه
حكم ابيه في انه احرز ان يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه ويبقى نفسه بذلك
طيبه قال ابو محمد وذهبت فرقة الى ان هذه النازله لم يكن الحكم فيها
باجتهاد وانما حكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود
وجعلت فرقة منها من ذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان اي فهمناه القضا
الفاصل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازله قال ابو محمد وخاج
هذه الفرقه في هذه اللفظه الى التعب ويبقى لها المعنى بعد قلقا وقال جمهور
الامه ان حكمهما كان باجتهاد وادخل العلما هذه الايه في كتبهم على مسله اجتهاد
العالمين فينبغي ان نذكر هنا ملخص مسله الاجتهاد اختلف اهل السنه
في العالمين فيما زاد فيتبين من الفروع والاحكام في المسله مختلفان فقالت
فرقة الحق في مسايل الفروع وفي طرفين واحد عند الله تعالى وقد نصب على ذلك
ادله وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف العين المطلوبه
في المسلة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر في الاجتهاد واجر في
الاصابه ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطي في ان لم يصب العين
فله اجر وهو غير معذور وهذا هو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه
اذا اجتهد العالم فاخطا فله اجر وكذلك ايضا يدخل في قوله عليه السلم
كل مجتهد مصيب العالم المجتهد يخالف نصا لم يبلغه كقول سعيد بن المسيب في

النكاح انه العقد في مسئلة التحليل للزوج المطلق ونحوه وهذا جمع من قوله
اذا اجتهد العالم فاخطا ومن قوله كل مجتهد مصيب اي اخطا العين المطلوب
واصاب في اجتهاده ورات هذه الفرقة ان العالم المخطي لا اثم عليه في خطايه
وان كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى
عليه دليلا بل وكل الامر الى نظر المجتهد فمن اصابه اصابه ومن اخطاه فهو
معذور ماجور ولم نتعبد باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط وقال
جمهور اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك واصحابه الحق في مسايل الفروع في
الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في الظن فكل مجتهد فقد اداه
نظره الى الافضل في ظنه والدليل على هذه المقالة ان الصحابة فمن بعدهم قرر
بعضهم خلاف بعض ولم ير احد منهم ان يقع الاحتمال على قوله دون قول مخالفه
ومنه رد مالك رحمه الله للمنصور ابي جعفر عن حمل الناس على الموطا الى نحو من
هذا المعنى واذا قال عالم في امر ما حلال فذلك هو الحق فيما يخص ذلك العالم
عند الله وكل من اخذ بقوله واذا قال اخر حرام فكل ذلك باجتهاد فذلك ايضا
حق عند الله فيما يخص ذلك العالم وكل من اخذ بقوله فاما من قال ان الحق
في طرف فراى مسئلة داود وسليمان تطرده على قوله وان سليمان صادف العين
المطلوب وهي التي فهم ومن راى ان الحق في الطرفين راى سليمان عليه السلم
فهم القضية المثلى والتي هي ارجح لان الاول خطا وعلى هذا يحملون قول النبي صلى
الله عليه وسلم اذا اجتهد العالم فاخطا اي فاخطا الافضل قال ابو محمد وكثيرا
ما يكون من الاقوال في هذه المسايل قليل تباين الا ان ذلك الشغوف بشرف
القول وكثيرا ما يسر العقل من القولين باد في نظره ومسايل الفروع تخالف مسايل
الاصول في هذا ومسئلة المجتهدين في ذا مسئلة اصل والفرق بين مسايل الفروع
ومسايل الاصول ان مسايل الاصول الكلام فيها انما هو في وجود شي ما كيف هو
كقولنا يرى الله يوم القيامة فقالت المعتزلة لا يرى وكقولنا الله واحد وقالت النصارى

ثلاثه وهكذا اهل المسايل عين اوليس لها عين مطلوبة ومسايل الفروع انما
الكلام فيها على شي متقرر الوجود كيف حكمه من تحليل او تحريم ونحو هذا والاحكام
خارجة عن ذاته ووجوده وانما هي بمقاييس واستدلالات وتعتبر مسايل الفروع
بانها كلها يمكن ان ينسخ بعضه ببعض ومسايل الاصول لا يتقرر الوجه الواحد
لم يصح ان ينظر الاخر فيما عليه **قال ابو محمد** ومسئلة الاجتهاد طويلة متشعبة
الا ان هذه النبذة تليق بالاية وبعضها حرضنا على الايجاز وتعلق بالاية فصل اخر
لا بد من ذكره وهو رجوع الحاكم بعد قضايه من اجتهاد الى اجتهاد اخر ارجح من
الاول فان داود عليه السلم فعل ذلك في هذه النازلة واختلف فقهاء المذهب
المالكي في القاضي يحكم ويقضيه ثم يرى بعد ذلك ان غيرها اذ حكم به اصوب
فيريد ان ينقض الاول ويقضي بالثاني فقال عبد الملك ومطرف في الواضحة ذلك له
ما دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس ذلك له وهو بمنزلة غيره من
القضاة وهذا هو ظاهر قول مالك رحمه الله في المدونة وقال سحنون في رجوعه
من اجتهاد فيه قول الى غيره مما راه اصوب لينسخ ذلك له وقاله ابن عبد الحكم
قالا ويستانف الحكم بما قوي عنده اخرا من ذلك قبل قال سحنون الا ان يكون نسي
الاقوى عنده او وهم فحكم بغيره فله نقضه واما ان حكم بحكم وهو الاقوى
عنده في ذلك الوقت ثم ترجح عنده غيره بعد ذلك فلا سبيل الى نقض الاول قاله
سحنون في كتاب ابنه وقال اشهب في كتاب ابن المواز ان كان رجوعه الى الاصوب
في مال فله نقض الاول وان كان في طلاق او نكاح او عتق فليس له نقضه وقد تقدم
القول في الحرث روت فرقة انه كان زرعا وروت فرقة انه كان كرما والنفش
تسريب البهايم في الزرع وغيره بالليل والهمل تسريحها في ذلك بالنهار والليل
وقال ابن سيرين لا يقال الهمل في الغنم وانما هو في الابل ومضى الحكم في الاسلام
بتضمين ارباب النعم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان يثقفوها وعلى اهل الزروع
زعيرها حفظها بالنهار هذا هو مقتضى الحديث وفاقه البراء بن عازب وهو مذهب

تلك وجمهور الأمة وفي كتب من يعنون أن الحرث إنما كان في أصل
المدينة التي هي حيطان بحدقة وأما البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة وبساتين
فذلك يضمن أرباب النعم ما أفسدت من ليل أو نهار قال أبو محمد كأنه
ذهب إلى أن تركه تثقيف الحيوان في مثل هذه البلاد تعد لأنها ولا بد تفسد وقال
أبو حنيفة في ذلك لا ضمان وأدخله في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء
جبار وقاس جميع أفعالها على جرحها وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما
تأول قوم منه أن داود لم يخطئ في هذه النازلة بل فيها أوتي الحكم والعلم
وقالت فرقة بل لأنه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة مدحه الله بأن له
حكما وعلما يرجع إليه في غير هذه النازلة وقوله وكنا فاعلين مبالغة في الخبر
والتحقيق له وفي اللفظ تعني وكان ذلك في حقه وعد مستوجبة ثنا فكأنه قال وكنا
فاعلين لأجل استحقاقه ذلك وحذف اختصارا لدلالة ظاهر القول على ما حذف
منه وقوله لحكمهم يريد داود وسليمان والخصمين لأن الحكم مضاف
إلى جميعهم وإن اختلفت جهات الإضافة وقرأت فرقة لحكمهما واختلف الناس
في قوله يسبحن فذهبت فرقة وهي الأكثر إلى أنه قول سبحان الله وذهبت فرقة منها منذر
بن سعيد إلى أنه بمعنى يصلين معه بصلاته **قوله عز وجل** وعلمناه صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى
الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ه عدد الله تعالى على البشر أن علم
داود صنعة الدروع وألان له الحديد وكان يصنعها أحكم صنعة لتكون
وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو واللبوس في اللغة السلاح
فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك ومنه قول الشاعر
،، ومعي لبوس للبئيس كأنه روق بجبهة ذي نعاج مجفل ،، يعني
الرمح وقرأ نافع والجمهور ليحصنكم بالياء على معنى ليحصنكم داود أو اللبوس
وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم لتحصنكم بالتاء على معنى الصنعة أو الدروع التي

أوقع عليها اللبوس وقرأ أبو بكر عن عاصم لنحصنكم بالنون على معنى رد الفعل
إلى الله تعالى ويروى أنه كان الناس قبل داود يتقون منهم لباس صفائح
الحديد فكان ثقله يقطع أكثر الناس وقرأت فرقة الريح بالنصب على معنى
وسخرنا لسليمان الريح وقرأت فرقة الريح بالرفع على الابتداء والخبر في المجرور
قبله ويروى أن الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذي فيه
بساطه وقد مد حول البساط بالخشب والألواح حتى صنع سريرا يحمل جميع عسكره
وأقواته فتقله من الأرض في الهواء ثم تتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله إلى
حيث أراد سليمان وقوله إلى الأرض التي باركنا فيها اختلف الناس فيها
فقالت فرقة هي أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وخص في هذه
الآية انصرافه من سفراته إلى أرضه لأن ذلك يقتضي سيره إلى المواضع التي سافر
إليها والبركة في أرض الشام بينة الوجود وقد قال بعضهم إن العاصفة
هي في القفول على عادة البشر والدواب في الإسراع إلى الوطن والرخاء
كانت في البداءة حيث أصاب أي حيث يقصد لأن ذلك وقت تأن وتدبير وتقلب
رأي وقال منذر بن سعيد في الآية تقديم وتأخير والكلام تام عند قوله
إلى الأرض وقوله التي باركنا فيها صفة للريح قال أبو محمد ويحتمل أن
يريد الأرض التي يسير إليها سليمان كائنة ما كانت وذلك أنه لم يكن يسير إلى
أرض إلا أصلحها وقتل كفارها وأثبت فيها الإيمان وبث فيها العدل ولا بركة
أعظم من هذا فكأنه قال إلى أي أرض باركنا فيها ببعثنا سليمان إليها **قوله تعالى**
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين
وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ه
يحتمل أن يكون قوله من يغوصون في موضع نصب على معنى وسخرنا ويحتمل أن
يكون في موضع رفع على الابتداء ويتناسب هذا مع القراءتين المتقدمتين في قوله

والسليمان الريح بالنصب والرفع وقوله يغوصون جمع على معنى من لا على
لفظها والغوص الدخول في الماء والارض والعمل دون ذلك البنيان وغيره
من الصنايع والخدمة ونحوه وقوله وكنا لهم حافظين قيل معناه من
افسادهم ما صنعوه فانهم كان لهم حرص على ذلك لولا ما حال الله بينهم
وبين ذلك وقيل معناه عالمين وحاضرين اي لا يشذ عن علمنا ويحيزنا احد
منهم وقوله وايوب احسن ما فيه النصب بفعل مضمر تقديره واذكر
ايوب وفي قصص ايوب عليه السلام طول واختلاف من المفسرين لخص ذلك
انه روي ان ايوب عليه السلام كان نبيا مبعوثا الى قوم وكان كثير المال من
الابل والبقر والغنم وكان صاحب البثنية من ارض الشام فعمر كذلك
مدة ثم ان الله تعالى لما اراد محنته وابتلاه اذن لابليس في ان يفسد ماله
فاستعان بذريته فاحرقوا ماله ونعمه اجمع فكان كلما اخبرته من ذلك حمد
الله تعالى وقال هي عاريته استردها صاحبها والمنعم بها فلما راي ابليس ذلك
جا فاخبر بعجزه عنه فاذن الله له في اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع
فدام ايوب على شكره وصبره فاخبر ابليس بعجزه فاذن الله له في اصابته
في بدنه وحجر عليه لسانه وعينيه وقلبه فجاءه المس وهو ساجد فنفخ في انفه
نفخة احترق بدنه منها وجعلها الله الله في بدنه فلما عظمت ونتن اخرجه
الناس من بينهم وجعلوه على مزبلة ولم يبق معه بشر حاشا زوجته ويقال
كانت بنت يوسف الصديق وقيل انها رحمة وقيل في ايوب انه كان من بني
اسراييل وقيل انه من الروم من ذرية عيصو فكانت زوجته تسعى عليه وتاتيه
بما ياكل وتقوم عليه فدام في هذا العذاب مدة طويلة قيل ثلاث سنين وقيل
ثمان عشرة وقيل اثني عشر وقيل سبعة اعوام وقيل ثلاثة وهو في كل
ذلك صابر شاكر حتى جاءه فيما روي ثلاثة ممن كان امن به فقدوه بالقول
وانبوه وجبهوه وقالوا ما صنع لم يبتل هذا الابتلاء باطنه فبكى لاجلهم

ايوب في اخر قولهم بكلام يقتضيه انه دليل لا يقدر على اقامة حجة ولا بيان
ظلامة فخاطبه الله تعالى عاتبا على هذه المقالة وبينا له انه لا حجة لاحد مع الله
ولا يسئل عما يفعل ثم عرفه تعالى بانه قد اذن في اصلاح حاله وعاد عليه بفضله
فدعا ايوب عند ذلك فاستجيب له ويروي ان ايوب لم يزل صابرا لا يدعو
في كشف ما به وكان فيما روي يقع الدود منه فيردها بيده حتى مر به قوم
كانوا يعادونه فشمتوا به فتالم لذلك ودعا حينئذ فاستجيب له وكانت امراته
غايبة عنه في بعض شانها فانبع الله له عينا وامر بالشرب منها فبرئ باطنه وامر
بالاغتسال فبرئ ظاهره ورد الى افضل جماله واتي باحسن الثياب وهب عليه
رجل من جراد من ذهب فجعل يحثي منها في ثوبه فناداه الله تعالى يا ايوب الم اكن
اغنيتك عن هذا قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك فبينما هو كذلك
اذ جاءت امراته فلم تره على المزبلة فجزعت وظنت انه ازيل عنها وجعلت تتوله
فقال لها ما شانك ايتها المراة فهابته لحسن هيبته وقالت اني فقدت مريضا
كان لي في هذا الموضع ومعالم المكان قد تغيرت وتاملت في اثناء المقاولة
فرات ايوب فقالت له انت ايوب فقال لها نعم واعتنقها وبكى فروي انه لم يفارقها
حتى اراه الله جميع ماله حاضرا بين يديه واخلف الله له في اهله وولده الذين اتاه
الله مثلهم فكان ذلك كله في الدنيا فرد الله عليه ولده باعيانهم وجعل مثلهم
عدة له في الاخرة وقيل بل اوتي جميع ذلك في الدنيا من اهل ومال وقوله
وذكري للعابدين اي وتذكرة وموعظة للمومنين ولا يعبد الله الا مؤمن والذكري
انما هي في محنته والرحمة في زوال ذلك وقوله اني مسني الضر تقديره باني
مسني بحذف الجار وبقيت اني في موضع نصب وروي ان سبب محنة ايوب
عليه السلم انه دخل مع قوم على ملك جاير عليهم فاغلظ له القوم ولين له ايوب القول
خوفا منه على ماله فعاقبه الله على ذلك وروي انه كان يقال له مالك لا تدعوا
في العافية فكان يقول اني لاستحي من الله ان اساله زوال عذابه حتى يمر علي فيه

كانوا من الرجال واصابه البلاء فيما روي وهو ابن ثمانين سنة **قوله تعالى** واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين
٥ المعنى واذكر اسمعيل وهو اسمعيل بن ابرهيم الخليل وهو ابو العرب المعروفين
اليوم في قول بعضهم وادريس هو خنوخ وهو اول نبي بعثه الله بعد ادم وروي
انه كان خياطا يسبح الله عند ادخال الابرة ويحمده عند اخراجها وذو الكفل
كان نبيا وروي انه بعث الى رجل واحد وقيل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا
صالحا وروي ان اليسع جمع بني اسرائيل فقال من يتكفل لي بصيام النهار وقيام
الليل وان لا يغضب واوليه النظر للعباد بعدي فقام اليه شاب فقال انا الا ذلك
فراجعه ثلاثا وفي كل ذلك يقول انا الكفيل بذلك فاستعمله فلما مات اليسع قام
بالامر فجا ابليس ليغضبه وكان لا ينام الا في القايلة فكان ياتيه وقت القايلة اياما
فيوقظه ويشتكي ظلامة ويقصد تضييق صدره فلم يضيق صدرا ويمضي معه لينصفه
بنفسه فلما راي ابليس ذلك امسك عنه وسماه الله تعالى ذا الكفل لانه تكفل
بامر ووفى به وباقي الاية بين **قوله عز وجل** وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ٥ المعنى
واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبه يونس بن متى عليه السلم ونسب الى
الحوت الذي التقمه على الحالة التي ياتي ذكرها في موضعها الذي تقتضيه وهو نبي
من اهل نينوى وهذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
اني خير من يونس بن متى فقد كذب وفي حديث اخر لا ينبغي لاحد ان يقول انا
خير من يونس بن متى وهذا الحديث وقوله لا تفضلوني على يونس يتوهم انهما
يعارضان قوله عليه السلم على المنبر انا سيد ولد ادم ولا فخر والانفصال عن
هذا بوجهين احدهما ذكره الناس وهو ان يكون قوله انا سيد ولد ادم
متاخرا في التاريخ وانه نزل اعلمه الله به لما لم يكن علمها وقت تلك المقالات

الاخر والوجه الثاني وهو عندي اجرى مع حال النبي صلى الله عليه وسلم انه
انما نهى عن التفضيل بين شخصين مذكورين وذهب مذهب التواضع ولم يزل
سيد ولد ادم ولكنه نهى ان يفضل على نبي ذاهبا الى ان يغضب اليهود لذلك
فيزيد نفارها عن الايمان وسبب الحديث يقتضي هذا وذلك ان يهوديا قال لا والذي
فضل موسى على العالمين فقال له رجل من الانصار تقول هذا ورسول الله بين اظهرنا
ولطمه فشكى الامر وارتفع الى النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن تفضيله على موسى
ونهى عليه السلام عن تفضيله على يونس لئلا يظن احد بيونس نقص فضيلة بسبب ما
وقع له فنهيه عليه السلام عن التفضيل في شخص معين وقوله في حديث ثالث لا
تفضلوا بين الانبيا هذا الله مع قوله انا سيد ولد ادم . اطلاق الفضل له دون
اقران احد من صحيح وتامل هذا فانه يلوح منه قال عمر رضي الله عنه للحطيئة
امدح ممدوحك ولا تفضل بعض الناس على بعض قال ابو محمد ولفظة سيد
ولفظة خير سيان فهذا ما جمع اخر من الاحاديث يذهب ما يظن من التعارض
وقوله مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب
فارا بنفسه وقد كان الله تعالى امره بملازمتهم والصبر على دعايهم فكان ذنبه
في مخالفته هذا الامر وروي انه كان شابا فلم يحمل اثقال النبوة وتفسخ تحتها كما
يتفسخ الربع تحت الحمل ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت
اي اصبر ودم على الشقا بقومك وقالت فرقة انما غاضب الملك الذي كان على
قومه قال ابو محمد وهذا نحو من الاول فيما يلحق منه يونس عليه السلم وقال
الحسن بن ابي الحسن وغيره انما ذهب مغاضبا لربه واستفزه ابليس وروي في
ذلك ان يونس لما طال عليه امر قومه طلب من الله عذابهم فقيل له ان العذاب
يحيفهم يوم كذا فاخبرهم يونس بذلك فقالوا ان رحل عنا فالعذاب نازل
وان اقام معنا لم نبال فلما كان سحر ذلك اليوم قام يونس فرحل فايقنوا
العذاب فخرجوا باجمعهم الى البراز وفرقوا بين صغار البهايم وامهاتها وتضرعوا

وكانوا قد رفع الله عنهم العذاب وبقي يونس في موضعه الذي خرج إليه
ينتظر الخبر فلما عرف أنهم لم يعذبوا ساءه أن عدّوه كاذبا وقال والله
لا انصرف إليهم أبدا وروي أنه كان من دينهم قتل الكذاب فغضب
حينئذ على ربه وخرج على وجهه حتى دخل في سفينة في البحر قال أبو محمد
وفي هذا القول من الضعف ما لا خفاء به مما لا يتصف به نبي واختلف الناس
في قوله فظن أن لن نقدر عليه فقالت فرقة استنزله إبليس ووقع في ظنه إمكان
أن لا يقدر الله عليه بمعاقبته قال أبو محمد وهذا قول مردود وقالت فرقة
معنى ظن أن لن نضيق عليه في مذهبه من قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وقالت فرقة هو من القدر أي ظن أن لن يقدر الله عليه بعقوبة
وقالت فرقة الكلام بمعنى الاستفهام أي أفظن أن لن يقدر الله عليه وحكى
منذر بن سعيد أن بعضهم قرأ أفظن بالألف وقرأ الزهري نُقدِّر بضم النون
وفتح القاف وشد الدال وقرأ الحسن يقدر وعنه أيضا يقدر وبعد هذا الكلام
محذوف كثير اقتضب لبيانه في غير هذه الآية المعنى فدخل البحر وكذا وكذا
حتى التقمه الحوت وصار في ظلمة جوفه واختلف الناس في جمع الظلمات
ما المراد به فقالت فرقة ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت وقالت فرقة
ظلمة البحر وظلمة حوت التقم الحوت الأول وظلمة الحوت الأول الذي التقم
يونس قال أبو محمد ويصح أن يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الأول
فقط كما قال في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة فجمعها سائغ وروي أن
يونس سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر ثم قال في دعائه
اللهم إني قد اتخذت لك مسجدا في موضع لم يتخذه أحد قبلي وأن مفسرة
نحو قوله تعالى أن امشوا وفي هذا نظر وقوله من الظالمين يريد فيما خالف
فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم هذا أحسن الوجوه وقد تقدم
ذكر غيره فاستجاب الله تعالى له وأخرجه إلى البر ووصف هذا يأتي

في موضعه والعرش كان ما له حين التقمه الحوت وقرأ جمهور القراء
ننجي بنونين الثانية ساكنة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر نجي بنون واحدة
مضمومة وشد الجيم ورويت عن أبي عمرو وقرأت فرقة ننجّي بنونين الأولى
مضمومة والثانية مفتوحة والجيم مشددة فأما القراءة الأولى والثالثة
فبينتان الأولى بجعلها معدى بالهمزة والأخرى بالتضعيف وأما القراءة
الوسطى التي هي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وياء ساكنة فقال أبو علي
لا وجه لها وإنما هي وهم من السامع وذلك أن عاصما قرأ ننجي والنون
الثانية لا يجوز إظهارها لأنها تخفى مع هذه الحروف يعني الجيم وما جرى مجراها
فخفاء الإخفاء يشبهها بالإدغام ويمتنع أن يكون الأصل نجي ثم تدعو اجتماع
النونين إلى إدغام إحداهما في الجيم لأن اجتماع المثلين إنما يدعو إلى ذلك
إذا كانت الحركة فيهما متفقة ويمتنع أن يكون الأصل نجّي وتسكن الياء ويكون المفعول
الذي لم يسم فاعله المصدر كأنه قال نجي النجاء المؤمنين لأن هذه لا تجيء إلا في
ضرورة وليست في كتاب الله والشاهد فيها قول الشاعر

ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

وأيضا فإن الفعل الذي يبنى للمفعول إذا كان ماضيا لم يسكن آخره قال أبو
محمد والمصاحف فيها نون واحدة كتبت كذلك من حيث النون الثانية مخفاة

قوله تعالى وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين تقدم أمر زكريا
عليه السلام في سورة مريم وإصلاح الزوجة قيل بأن جعلها ممن تحمل وهي
عاقر فاعتدت فحاضت وحملت وهذا هو الذي يشبه الآية وقيل بأن أزيل
بذاء كان في لسانها قال أبو محمد وهذا ضعيف وعموم اللفظة يتناول
جميع وجوه الإصلاح وقرأت فرقة يدعوننا وقرأت فرقة يدّعوننا وقرأت

وقرأ رُغَبا بفتح الراء والغين ورَهَبا كذلك وقرأت فرقة بضم الراء فيهما وسكون
الغين والهاء وقرأت فرقة بفتح الراء وسكون الغين والهاء والمعنى انهم يدعون
في وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف في حال واحدة لان
الرغبة والرهبة متلازمتان وقال بعض الناس الرغب ان ترفع بطون
الاكف نحو السماء والرهب ان ترفع ظهورها قال القاضي ابو محمد وتلخيص هذا
ان عادة كل داع من البشر ان يستعين بيديه فالرغب من حيث هو طلب يحسن
معه بسط الراح نحو المطلوب منه اذ هي موضع الاعطاء وبها يتملك والرهب
من حيث هو دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الى اذهابه وتوقيه
بنفض اليد ونحوه والخشوع التذلل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب
قوله عز وجل والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا
امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ٥ المعنى واذكر
التي احصنت وهي مريم بنت عمران ام عيسى والفرج فيما قال الجمهور وهو ظاهر
القرآن الجارحة المعروفة وفي احصانها هو المدح وقالت فرقة الفرج هنا هو
فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك وهذا ضعيف واما نفخ الولد فيها فقال الكثير من
العلماء انما نفخ في جيب درعها واضاف الروح اضافة الملك الى المالك وابنها هو
عيسى بن مريم عليه السلام واراد تعالى انه جعل مجموع قصة عيسى وقصة مريم من
اولها الى آخرها آية لمن اعتبر في ذلك والعالمين يريد لمن عاصره فما بعد ذلك وقوله
تعالى ان هذه امتكم يحتمل الكلام ان يكون منقطعا خطابا لمعاصري محمد صلى
الله عليه وسلم ثم اخبر عن الناس انهم تقطعوا اثم وعدوا وعدا ويحتمل ان يكون
متصلا اي جعلنا مريم وابنها آية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم
ان هذه امتكم اي دعي الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم اخبر تعالى انهم

بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم ثم وعد تعالى المحسنين والمسي فذكر المحسن
بالوعد اي فمن عمل من الصالحات وهو مومن فهو يتبعه بمجازى وذكر المسي
بالوعيد في قوله وحرام الى آخر الاية فتامل الوعيد فيها على كل قول تذكره فانه بين
والكفران مصدر كالكفر ومنه قول الشاعر
رأيت اناسا لا تنام جدودهم وجدي ولا كفران لله نائم — واختلف
القراء في قوله وحرام فقرأ عكرمة وغيره وحَرِم بفتح الحاء وكسر الراء وقرأ
جمهور السبعة وحرام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وحِرْم بكسر الحاء
وسكون الراء وقرأ ابن عباس بخلاف عنه وحَرْم بفتح الحاء وسكون الراء وقرأت
فرقة وحرّم بفتح الحاء والراء وشد الراء وقرأت فرقة وحُرِّم بضم الحاء وكسر الراء
وشدها وقرأ قتادة ومطر الوراق وحَرُم بفتح الحاء وضم الراء والمستفيض
من هذه القراءات قراءة من قرأ وحِرْم وقراءة من قرأ وحرام وهما مصدران
بمعنى نحو الحل والحلال واما معنى الاية فقالت فرقة حرام وحرم معناه جزم
وحتم فالمعنى وحتم على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا فيتوبون
ويستعتبون بل هم صايرون الى العقاب وقال بعض هذه الفرقة الاهلال هو الطبع
على القلوب ونحوه والرجوع هو الى التوبة والايمان وقالت طايفة المعنى وحرام
اي ممتنع وحرم كذلك على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وقالوا لا زايدة
في الكلام واختلفوا في الاهلال والرجوع حسب القولين المذكورين قال ابو
محمد يحتمل ان يرتفع حرام بالابتدا والخبر رجوعهم ولا زايدة ويحتمل ان يرتفع
حرام على خبر الابتدا كانه قال والاقالة والتوبة حرام ثم يكون التقدير بانهم
لا يرجعون فتكون لا على بابها كانه قال هذا عليهم ممتنع بسبب كذا فالتحريم
في الاية بالجملة ليس بتحريم الشرع الذي اثبتنا المنهي به قال ابو محمد
ويتجه في الاية معنى ضمنه وعيد بين وذلك انه ذكر من عمل صالحا وهو مومن
ثم عاد الى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب

ولا يرجعون الى معاد انهم يثبتون بذلك انه لا عقاب فجاءت الآية مكذبة
لهؤلاء اي وممتنع على القرية المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون
الى عقاب الله واليم عذابه فتكون لا على بابها والحرام على بابه وكذلك الحرم
فتامله **قوله عز وجل** حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون
واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين ه يحتمل حتى في هذه الآية ان تكون متعلقة بقوله وتقطعوا
ويحتمل على بعض التاويلات المتقدمة ان تعلق بيرجعون ويحتمل ان تكون حرف
ابتدا وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا وهو المقصود ذكره واختلف
هنا في الجواب فقالت فرقة الجواب قوله اقترب الوعد والواو زائدة وقالت
فرقة منها الزجاج وغيره الجواب في قوله يا ويلنا التقدير قالوا يا ويلنا وليست
الواو بزائدة والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى
الذي قصد ذكره لانه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه
وقرا الجمهور فتحت بتخفيف التاء وقرا ابن عامر وحده فتحت بتثقيلها وروي ان
يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم على السد فيقولون غدا نفتح ولا يردون المشيئة
الى الله تعالى فاذا كان غدا وجدوا الردم كما كان حتى اذا اذن الله في فتحه قال
قائلهم غدا نفتحه ان شاء الله فيجدونه كما تركوه فيتم الانفتاح فيفتحونه حينئذ وقرا
عاصم وحده يأجوج ومأجوج بالهمز وقرا الجمهور بالتسهيل وقد تقدم في سورة
الكهف توجيه ذلك وكثير من حال يأجوج ومأجوج مغنينا ها هنا عن اعادة
ذلك والحدب كل مسنم من الارض كالجبل والظرب والكدية والقبر
ونحوه وقالت فرقة المراد بقوله وهم يأجوج ومأجوج انهم يطلعون من كل
ثنية ومرتفع ويعمون الارض وذلك انهم من الكثرة بحيث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم اخرج بعث النار من ذريتك
فيخرج من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين قال ففزع الناس فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج الف رجل وروي ان الرجل منهم
لا يموت حتى يولد له الف من رجل وامراة وقالت فرقة المراد بقوله وهم جميع
العالم وانما هو تعريف بالبعث من القبور وقرا ابن مسعود من كل جدث وهذه
القراءة تؤيد هذا التاويل وينسلون معناه يسرعون في تطامن ومنه قول الشاعر
عسلان الذئب امسى قاربا ** برد الليل عليه فنسل ** وقرات فرقة بكسر
السين وقرات فرقة بضمها واسند الطبري عن ابي سعيد قال يخرج يأجوج
ومأجوج فلا يتركون احدا الا قتلوه الا اهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمر
آخرهم فيقول كان هاهنا مرة ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر اعناقهم
فيقول اهل الحصون لقد هلك اعداء الله فيدلون رجلا ينظر فيجدهم قد هلكوا
قال فينزل الله من السماء ماء فيقذفهم في البحر فتطهر الارض منهم وفي حديث فيه
نحو هذا وفي آخره قال وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها وروي ان ابن عباس
راى صبيانا يلعبون ويثب بعضهم على بعض فقال هكذا خروج يأجوج ومأجوج
وقوله واقترب الوعد الحق يريد يوم القيامة وروي في الحديث ان الرجل
ليقتني الفلو من بعد يأجوج ومأجوج فلا يبلغ منفعته حتى تقوم الساعة وقوله
تعالى هي مذهب سيبويه انها ضمير القصة كانه قال فاذا القصة او الحادثة شاخصة
الابصار وجوز الفراء ان تكون ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام وجي بما يفسرها
وانشد على ذلك ** فلا وابيها لا تقول خليلتي الا فر عني مالك بن ابي كعب **
والشخوص بالعين احداد النظر دون ان تطرف وذلك يعتري من الخوف المفرط
او علة او نحوه وقوله يا ويلنا تقديره يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة عما وجدنا الآن
وتبيناه من الحقائق ثم تركوا الكلام الاول ورجعوا الى نقد ما كان يلحقهم من تعقب
الكفر وقصد الاعراض فقالوا بل كنا ظالمين **قوله تعالى** انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون ه هذه مخاطبة لكفار مكة اي انكم واصنامكم حصب جهنم

والحصب ما توقد به النار اما لانها حصب به اي رمي وإما ان تكون
لغة في الحطب إذا رمي وأما قبل ان يرمى به فلا يسمى حصبا إلا بتجوز وقرا الجمهور
حصب بالصاد مفتوحة وسكنها ابن السميفع وذلك على ايقاع المصدر موقع
اسم المفعول وقرا علي بن ابي طالب وأبي بن كعب وعائشة وابن الزبير حطب جهنم بالطاء
وقرا ابن عباس حضب جهنم بالضاد منقوطة مفتوحة وسكنها غيره والحضب
ايضا ما يرمى به في النار لتوقد به والمحضب العود الذي تحرك به النار والحديد
او نحوه ومنه قول الاعشى ** فلا تك في حربنا محضبا لتجعل قومك شتى شعوبا **
وقوله وما تعبدون يريد الاصنام وحرقها في النار على جهة التوبيخ لعابدها
ومن حيث يقع ما لمن يعقل في بعض المواضع اعترض في هذه الآية عبد الله بن
الزبعرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن عيسى وعزيرا ونحوهما قد
عبدوا من دون الله فيلزم ان يكونوا حصبا لجهنم فنزلت إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك الآية ثم قرر الاشارة الى الاصنام التي ارادها في
قوله ما تعبدون فقال لو كان هؤلاء آلهة وعبر عن الاصنام بهؤلاء من حيث هي
عندهم بحال من يعقل والورود في هذه الآية ورود الدخول **قوله تعالى**
لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ه الضمير في لهم
عائد على من يعقل ممن توعد والزفير صوت المعذب وهو كنهيق الحمير وشبهه
إلا انه من الصدر وقوله لا يسمعون قالت فرقة معناه لا يسمعون خيرا ولا سارا
من القول وقالت فرقة إن عذابهم ان يجعلوا في توابيت في داخل توابيت
اخر فيصيرون هنالك لا يسمعون شيئا ولما اعترض ابن الزبعرى في امر
عيسى بن مريم وعزير نزلت إن الذين سبقت لهم منا الحسنى مبينة ان هؤلاء
ليسوا تحت المراد لانهم لم يرضوا ذلك ولا دعوا اليه والحسنى يريد كلمة

الرحمة والحكم بالتفضيل والحسيس الصوت وهو بالجملة ما يتأدى الى الحس
من حركة الاجرام وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضي ان في
الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر
عام في كل هول يكون في يوم القيامة فكأن يوم القيامة بجملته هو الفزع
الاكبر وإن خصص شيء من ذلك فيجب ان يقصد لاعظم هوله قالت فرقة من ذلك لاعظم
هو ذبح الموت وقالت فرقة هو وقوع طبق جهنم على جهنم وقالت فرقة هو الامر
باهل النار الى النار وقالت فرقة هو وقت النفخة الآخرة وهذا وما قبله من
الاوقات اشبه ان يكون فيها الفزع لزجر الظنون وتعرض الحوادث فاما
وقت ذبح الموت ووقوع الطبق فوقت قد حصل فيه اهل الجنة في الجنة فذلك فزع
بين الا انه لا يصيب احدا من اهل الجنة فضلا عن الانبياء العلماء الا ان يريد لا
يحزنهم الشيء الذي هو عند اهل النار فزع اكبر فاما إن كان فزعا لجميع فلا بد
مما قلنا من انه قبل دخول الجنة وقد ذهب بعض الناس الى ان قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى يعم كل مؤمن وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال عثمان منهم قال ابو محمد ولا مرية انها نزلت في خصوص معبود
تناول كل من سعد في الآخرة وقوله وتتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير
لهم اي هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم **قوله عز وجل** يوم
نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا
فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون ه وقرات فرقة نطوي بنون العظمة وقرات فرقة يطوي السماء
بياء مفتوحة على معنى يطوي الله تعالى وقرات فرقة تطوى السماء بتاء مضمومة
ورفع السماء على ما لم يسم فاعله واختلف الناس في السجل فقالت فرقة السجل
ملك يطوي الصحف وقالت فرقة رجل كان كاتبا للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابو
محمد وهذا كله وما شاكله ضعيف وقالت فرقة السجل الصحيفة التي يكتب فيها والمعنى كطي

السجل أي كما يطوى السجل من أجل الكتاب الذي فيه فالمصدر مضاف
إلى المفعول ويحتمل أن يكون المصدر مضافا إلى الفاعل أي كما يطوي السجل
الكتاب الذي فيه ما فيه قال يوم نطوي السماء كالهيئة التي فيها طي السجل للكتاب
ففي التشبيه يكون وقرأ الحسن بن أبي الحسن السجل بشد السين وسكون الجيم
وتخفيف اللام وفتح أبو السمال السين فقرأها السجل وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن
جرير السجل بضم السين وشدها وضم الجيم وقرأ الجمهور للكتاب وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم للكتب وقوله كما بدأنا أول خلق نعيده يحتمل معنيين أحدهما
أن يكون خبرا عن البعث أي كما اخترعنا الخلق أولا على غير مثال كذلك
ننشئهم تارة أخرى فنبعثهم من القبور والثاني أن يكون خبرا عن أن كل شخص
يبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا ويؤيد هذا التأويل أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما
بدأنا أول خلق نعيده وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده وقوله فاعلين
تأكيد للأمر بمعنى أن الأمر واجب فيه ذلك وقالت فرقة الزبور اسم يعم جميع الكتب
المنزلة لأنه مأخوذ من زبرت الكتاب إذا كتبته قالت هذه الفرقة والذكر
أراد به اللوح المحفوظ وقال بعضهم الذكر الذي في السماء وقالت فرقة الزبور
هو زبور داود والذكر أراد به التوراة وقالت فرقة الزبور ما بعد التوراة
من الكتب والذكر التوراة وقرأ حمزة وحده الزبور بضم الزاي وقالت فرقة
الأرض أراد بها أرض الدنيا أي كل ما يناله المؤمنون من الأرض وقالت
فرقة أراد أرض الجنة واستشهد بقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقالت فرقة إنما أراد بهذه الآية
الإخبار عما كان صنعه مع بني إسرائيل أي فاعلموا أنا كما وفينا لهؤلاء بما وعدناهم
كذلك ننجز لكم ما وعدناكم من النصرة **قوله عز وجل** إن في هذا
لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم

إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري
أقريب أم بعيد ما توعدون ٥ قالت فرقة الإشارة بقوله في هذا إلى هذه الآيات
المتقدمة وقالت فرقة الإشارة إلى القرآن بجملته والعابدين متضمن الإيمان بالله
وقوله إلا رحمة للعالمين قالت فرقة عم العالمين وهو يريد من آمن فقط وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس رحمة على من كفر به ومات على الكفر وقالت فرقة العالمين
عام ورحمة للمؤمنين بينة وهي للكافرين بأن الله تعالى رفع عن الأمم أن يصيبهم
ما كان يصيب القرون قبلهم من أنواع العذاب المستأصلة كالطوفان وغيره
قال أبو محمد ويحتمل الكلام أن يكون معناه وما أرسلناك للعالمين إلا رحمة
أي هو رحمة في نفسه وهدى بين أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض وقوله
آذنتكم على سواء معناه عرفتكم بنذاري وأردت أن تشاركوني في معرفة ما عندي
من الخوف عليكم من الله ثم أعلمهم أنه لا يعرف تعيين وقت لعقابهم بل هو مترقب
في القرب والبعد وهذا أهول وأخوف **قوله عز وجل** إنه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين قل رب احكم
بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ٥ الضمير في قوله إنه عائد على الله عز
وجل وفي هذه الآية تهديد أي يعلم جميع الأشياء الواقعة منكم وهو بالمرصاد
في الجزاء عليها وقرأ يحيى بن عامر وإن أدري أقريب بفتح الياء فيهما وأنكر ابن مجاهد
فتح هذه الياء ووجهه أبو الفتح وقوله لعله الضمير فيه عائد على الإملاء لهم وصفح
الله تعالى عن عذابهم وتمادي النعمة عليهم وفتنة امتحان وابتلاء والمتاع ما
يستمتع به مدة الحياة الدنيا ثم أمره تعالى أن يقول على جهة الدعاء رب احكم
بالحق والدعاء هنا بهذا فيه توعد أي أن الحق إنما هو في نصرتي عليكم وأمر الله
تعالى له بهذا الدعاء دليل على الإجابة والعدة بها وقرأت فرقة رب احكم وقرأ أبو
جعفر بن القعقاع رب بالرفع على المنادى المفرد وقرأت فرقة ربي أحكم على وزن
أفعل وذلك على الابتداء والخبر وقرأت فرقة ربي أحكم على أنه فعل ماض ومعاني

هذه القراءات ثم توكل في احدا لابد واستعان بالله تعالى وقرا جمهور
القراء قل رب وقرا عاصم فيما روي عنه قال رب وقرا ابن عامر وحده تصفون
بالياء وقرا الباقون والناس تصفون بالتاء من فوق على المخاطبة تم تفسير سورة الانبيا

تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مكية سوى ثلاث ايات قوله تعالى هذان خصمان الى تمام ثلاث
ايات قاله ابن عباس ومجاهد وروي ايضا عن ابن عباس انهن اربع ايات الى قوله
عذاب الحريق وقال الضحاك هي مدنية وقال قتادة سورة الحج مدنية الا اربع
ايات من قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الى قوله عذاب عقيم فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر
ايات وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح
والله اعلم لان الايات تقتضي ذلك وروي عن انس بن مالك انه قال نزل
اول السورة في السفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بها فاجتمع الناس
اليه فقال اتدرون اي يوم هذا فسكتوا فقال يوم يقول الله يا ادم اخرج
بعث النار فيخرج من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين قال فاعتم الناس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا ومنكم رجل ومن ياجوج وماجوج الف رجل
الحديث **قوله عز وجل** يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ه صدر الاية تحذير
لجميع العالم ثم اوجب الحجة بان امر زلزلة القيامة وهي احدى اشراطها
وسماها شيئا اما لانها حاصلة متوقع وقوعها فيستسهل لذلك ان تسمى شيئا وهي
معدومة اذ اليقين بها يشبهها بالموجودات واما على المال اي هي اذا وقعت شيء
عظيم فكانه لم يطلق الاسم الان بل المعنى انها اذا كانت فهي حينئذ شيء عظيم والزلزلة
التحريك العنيف وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق حسب ما تضمن حديث ابي

هريرة من ثلاث نفخات ومن لفظ الزلزلة قول الشاعر
؛؛ يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكراء والزلزال ؛؛ ويحتمل
ان تكون الزلزلة في الاية عبارة عن اهوال يوم القيامة كما قال تعالى مستهم
الباساء والضراء وزلزلوا وكما قال عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم والجمهور
على ان زلزلة الساعة هي المعهودة في الدنيا الا انها في غاية الشدة واختلف المفسرون
في الزلزلة المذكورة هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم ام هي في يوم القيامة
على جميع العالم فقال الجمهور هي في الدنيا والضمير في ترونها عائد عندهم على
الزلزلة وقوى قولهم ان الرضاع والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم
القيامة واحتجت بحديث انس المذكور انفا اذ قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية
ثم قال انه اليوم الذي يقول الله فيه لادم اخرج بعث النار قال ابو محمد
وهذا الحديث لا حجة فيه لانه يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا الاية المتضمنة ابتداء امر
الساعة ثم قصد في تذكيره وتخويفه الى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره
وهذا من الفصاحة والضمير عند هذه الفرقة عائد على الساعة اي يوم ترون ابتداءها
في الدنيا فيصح لهم هذا التاويل ان لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل في يوم القيامة
ولو اعادوه على الزلزلة فسد قولهم بما يلزمهم على ان النقاش قد ذكر ان المراد بكل
ذات حمل من مات من الاناث وولدها في جوفها قال ابو محمد وهذا ضعيف
والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره وقال
ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها وقرا ابن ابي عبلة تذهل بضم التاء
وكسر الهاء ونصب كل والحق الهاء في مرضع لانه اراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم
فاجراه على الفعل واما اذا اخبرت عن المراة بان لها طفلا ترضعه فانما تقول مرضع
بلا هاء قال علي بن سليمان هذه الهاء في مرضعة يرد على الكوفيين قولهم ان
الهاء لا تكون فيما لا يلتبس له بالرجال وحكى الطبري ان بعض نحويي الكوفة قال
ام الصبي مرضعة والمستاجرة له مرضع والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن او على راس شجرة

وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى اي من الخمر ثم نفى عنهم السكر الحقيقي
الذي هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرا جمهور القراء سكارى بضم السين
وثبوت الالف وكذلك في الثاني وهذا هو الباب فيه جعله سيبويه جمعا
ومرة جعله اسم جمع وقرا ابو هريرة بفتح السين فيهما وهذا ايضا قد يجي في هذه
الجموع قال ابو الفتح هو تكسير وقال ابو حاتم هي لغة تميم وقرا حمزة والكسائي
سكرى في الموضعين ورواه عمران بن حصين وابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهي قراءة بن مسعود وحذيفة واصحاب عبد الله قال سيبويه وقوم يقولون
سكرى جعلوه مثل مرضى لانهما شيئان يدخلان على الانسان ثم جعلوا روى مثل سكرى
وهم المستقلون نوما من شرب الرائب قال ابو علي ويصح ان يكون سكرى جمع سكر
كزمن وزمنى وقد حكى سيبويه رجل سكر بمعنى سكران فيجي سكرى حينئذ لتانيث
الجمع حا العلامة في طائفة لتانيث الجمع وقرا سعيد بن جبير وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى بالضم والالف وحكى المهدوي عن الحسن انه قرا الناس سكارى
وما هم بسكرى وقرا الحسن والاعرج وابو زرعة بن عمرو بن جرير في الموضعين
سكرى بضم السين قال ابو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا افتاني ابو علي وقد
سالته عن هذا وقرا ابو زرعة بن عمرو بن جرير وابو هريرة وابو نهيك وترى
بضم التاء الناس بالنصب قال وانما هي تحسبه وروت هذه القراءة ترى الناس
بضم التاء والبناء اي ترى جماعة الناس **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه
الى عذاب السعير يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم
من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا ٥ قوله ومن الناس الاية قال
بن جريج نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف وقيل في ابي جهل بن هشام ثم هي

١

بعد تتناول كل من اتصف بهذه الصفة والمجادلة المحاجة والمراده بالمجادلة ما حوده
من الجدال وهو القتل والمعنى في قدرة الله وصفاته وكان سبب الاية كلا
من ذكر وغيرهم في ان الله لا يبعث الموتى ولا نعيم الاجساد من القبور والشيطان
هنا هو مغويهم من الجن ويحتمل ان يكون الشيطان من الانس والاجحا على متبعيه
والمريد المتجرد من الخير للشر ومنه الامرد وشجرة مرداء اي عارية من الورق
وصرح ممرد اي مملس من زجاج وصخرة مرداء اي ملساء والضمير في عليه عائد على
الشيطان قاله قتادة ويحتمل ان يعود على المجادل وانه في موضع رفع على المفعول
الذي لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وقيل هي مكررة
للتاكيد فقط وهذا معترض بان الشي لا يؤكد الا بعد تمامه وتمام الاولى انما هو
بصلتها في قوله السعير ولذلك لا يعطف عليه ولسيبويه في مثل هذا انه بدل وقيل
انه الثانية خبر ابتدا محذوف تقديره فشانه انه يضله وقدره ابو علي فله انه يضله
قال ابو محمد ويظهر لي ان الضمير في انه الاولى للشيطان وفي الثانية لمن الذي
هو المولى وقوله ويهديه بمعنى يدله على طريق ذلك وليست بمعنى الارشاد على
الاطلاق وقرا ابو عمرو انه من تولاه فانه يضله بالكسر فيهما وقوله عز وجل
يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية هذا احتجاج على العالم بالبداءة الاولى
وضرب الله تعالى في هذه الاية مثلين اذا اعتبرهما الناظر جوز في العقل البعث
من القبور وورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه والريب الشك وقوله ان
كنتم شرط مضمنه التوقيف وقرا الحسن بن ابي الحسن البعث بفتح العين وهي لغة
في البعث عند البصريين وهي عند الكوفيين تخفيف بعث وقوله خلقناكم
من تراب يريد ادم ثم سلط الغفل عليهم من حيث هم من ذريته وقوله من نطفة
يريد المني الذي يكون من البشر والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره وقال النقاش
المراد نطفة ادم وقوله ثم من علقة يريد من الدم الذي يعود النطفة اليه في الرحم
او المقارن للنطفة والعلق الدم الغليظ وقيل العلق الشديد الحمرة فسمي الدم لذلك

وقوله من مضغة ثم ليس بمضغة لحم على قدر ما يمضغ وقوله مخلقة معناه متممة
البنية وغير مخلقة غير متممة اي التي تستسقط قاله مجاهد وقتادة والشعبي
وابو العالية فاللفظة بناء مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضاء متباينة
وكل واحد منها مختص بخلق حسن في جملته ضعف الفعل لان فيه خلقا كثيرة
وقرا ابن ابي عبلة مخلقة بالنصب وغير بالنصب في الحرفين ويتصل بهذا الموضع
من الفقه ان العلماء اختلفوا في امر الولد اذا سقطت بجعة لم يتصور هل
تكون ام ولد بذلك فقال مالك والاوزاعي وغيرهما هي ام ولد بالمضغة
اذا علم انها مضغة الولد وقال الشافعي وابو حنيفة لا حتى يتبين فيه خلق
ولو عضو واحد وقوله لنبين قالت فرقة معناه لنبين امر البعث فهو
اعتراض من الكلامين وقرات هذه الفرقة بالرفع في نقر المعنى ونحن نقر
وهي قراءة الجمهور وقالت فرقة لنبين معناه يكون المضغة غير مخلقة
وطرح النساء اياها كذلك نبين للناس ان التناقل في الرحم هي هكذا
وقرات هذه الفرقة ونقر بالنصب وكذلك قرات ونخرجكم بالنصب
وهي رواية المفضل عن عاصم وحكى ابو عمرو الداني ان رواية المفضل هذه
هي بالياء ويقر ويخرجكم والرفع على هذا التاويل سائغ ولا يجوز النصب
على التاويل الاول وقرا ابن وثاب ما نشاء بكسر النون والاجل المسمى هو مختلف
بحسب جنين جنين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا وقوله
طفلا اسم الجنس اي اطفالا واختلف الناس في الاشد من ثمانية عشر الى
ثلاثين الى اثنين وثلاثين الى ستة وثلاثين الى اربعين الى خمسة واربعين واللفظة
تقال باشتراك باشد الانسان على العموم غير اشد اليتيم الذي هو الاحتلام
والاشد في هذه الاية يحتمل المعنيين والرد الى ارذل العمر هو حصول الانسان
في زمانه واختلال قوته حتى لا يقدر على اقامة الطاعات واختلال عقل
حتى لا يقدر على اقامة ما يلزمه من المعتقدات وهذا الحد يجتمع مع الكبر

وقد يكون ارذل العمر في قليل من الناس حين تختل لحمته زمانته وقد
ذكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمسة وسبعون سنة وهذا
فيه نظر وان صح عن علي رضي الله عنه ارذل العمر خمسة وسبعون سنة فلا
يتوجه الا ان يزيد على الاكثر فقد نرى كثيرا ابناء ثمانين سنة لم يصيروا في ارذل
العمر وقرا الجمهور العمر ساكنة وقرا نافع العمر مخففة الميم واختلف عنه
وقوله لكي لا يعلم اي لينسى معارفه وعلمه الذي كان معه فلا يعلم من ذلك شيئا
فهذا مثال واحد يقتضي لمعتبره ان القادر على هذه المناقل المتقن لها قادر
على اعادة تلك الاجساد التي اوجدها بهذه المناقل الى حالها الاولى **قوله تعالى**
وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج
بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في
الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان
الله ليس بظلام للعبيد ه هذا هو المثال الثاني الذي يعطي المعتبر فيه جواز
بعث الاجساد وذلك ان احياء الارض بعد موتها بين وكذلك الاجساد
وهامدة معناه ساكنة دارسة بالية ومنه قيل همد الثوب اذا بلي قال الاعشى
،، قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك باليات همدا ،، واهتزاز
الارض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماء وربت معناه نشزت
وارتفعت ومنه الربوة وهو المكان المرتفع وقرا ابو جعفر بن القعقاع وربات
بالهمز ورويت عن ابي عمرو وقراها عبد الله بن جعفر وخالد بن الياس وهي
غير وجيهة ووجهها ان تكون من ربات القوم اذا علوت شرفا من الارض
طليعة فكان الارض بالماء تتطاول وتعلو والزوج النوع والبهيج فعيل من
البهجة وهي الحسن قاله قتادة وغيره وقوله ذلك اشارة الى كل ما

او يعود على ان
الساعة

تقدم ذكره فذلك ابتداء وخبره بان اي هو بان الله هو الحق يحيي قادر وقوله
وإن الساعة آتية ليست بسبب لما ذكر لكن المعنى ان الامر مرتبط بعضه
ببعض او على تقدير ان الساعة وقوله تعالى ومن الناس الاية الاشارة بقوله
ومن الناس الى القوم المتقدم ذكرهم وحكى النقاش عن محمد بن كعب انه قال
نزلت هذه في الاخنس بن شريق وكررت هذه على جهة التوبيخ فكانه يقول فهذه
الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان
الواو واو الحال والاية المتقدمة الواو فيها واو عطف جملة الكلام على ما
قبلها والاية على معنى الاخبار وهي هاهنا مكررة للتوبيخ وثاني حال من الضمير
في يجادل ولا يجوز ان يكون من من لانها ابتداء والابتداء انما عمله الرفع
لا النصب وايضا فثاني غير متعلق بها لانها في معنى الانفصال اذ تقدير ها
ثانيا عطفه وقوله ثاني عطفه عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عباس
وغيره قال ابو محمد وذلك ان صاحب الكبر يرد وجهه عما يتكبر
عنه فهو يرد وجهه يصعر خده ويولي صفحته ويلوي عنقه ويثني عطفه وهذه
هي عبارات المفسرين والعطف الجانب وقرأ الحسن عطفه بفتح العين
والعطاف السيف لان صاحبه يتعطفه اي يصله بجنبه وقرأ الجمهور ليضل
بضم الياء وقرأ مجاهد واهل مكة بفتح الياء وكذلك قرأ ابو عمرو والخزي
الذي توعد به النضر بن الحرث صدق في اسره يوم بدر وقتله بالصفراء والحريق
طبقة من طبقات جهنم وقوله ذلك بما قدمت يداك بمعنى يقال له وسبب
التقديم الى اليدين اذ هما آلة الاكتساب واختلف في الوقف على قوله يداك
فقيل لا يجوز لان التقدير وبان الله اي وان هذا هو العدل فيك بجرائمك
وقيل يجوز والمعنى والامر ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد والعبيد هنا ذكروا
في معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جاءت هذه الصيغة قوله تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته

هم

فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ه هذه الايات نزلت في
اعراب وقوم لا يقين لهم كان احدهم اذا اسلم فاتفق له اتفاقات حسان
من نمو ماله وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه
المعاني وان كان الامر بخلاف تشاءم به وارتد كما صنع العرنيون وغير
قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وقوله على حرف معناه
على انحراف منه عن العقيدة البيضاء او على شفا منها معد للزهوق والفتنة الاختبار
وقوله انقلب على وجهه عبارة للمولى عن الامر وخسارته الدنيا والاخرة
انما الدنيا فبالمقادير التي جرت عليه واما الاخرة فبارتداده وسوء معتقده
وقرأ مجاهد وحميد والاعرج خاسر الدنيا والآخرة نصبا على الحال وقوله
ما لا يضره يريد الاوثان ومعنى يدعوا يعبد ويدعو ايضا في بهاته واختلف
الناس في قوله يدعو لمن ضره فقالت فرقة من الكوفيين اللام مقدمة على
موضعها وانما التقدير يدعو من لضره ويؤيد هذا التاويل ان عبد الله بن
مسعود قرأ يدعو من ضره وقال الاخفش يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ وضره
مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة وخبر من محذوف والتقدير يقول لمن
ضره اقرب من نفعه اله وشبه هذا بقول عنترة ه يدعون عنتر والرماح كأنها
قال ابو محمد وهذا القول فيه نظر وتامل افساده للمعنى اذ لم يعتقد الكافر
قط ان ضر الاوثان اقرب من نفعها واعتذار ابي علي هنا مموه وايضا فهو لا
يشبه البيت الذي استشهد به وقيل المعنى يدعو يسمي وهذا كالقول الذي
قبله الا ان المحذوف اخرا مفعول تقديره الاها وقال الزجاج يجوز ان
يكون يدعو في موضع الحال وفيه هاء محذوفة والتقدير ذلك هو الضلال
البعيد يدعوا او يدعوه فيوقف على هذا قال ابو علي ويحسن ان يكون ذلك بمعنى

الذي اي الذي هو الضلال البعيد يدعوا ويكون قوله ذلك موصولا بقوله
هو الضلال البعيد ويكون يدعوا عاملا في قوله ذلك **قال ابو محمد** دون ذلك
معنى الذي غير سهل وشبهه المهدوي بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
وقد يظهر في الابيان يكون قوله يدعو متصلا بما قبله ويكون فيه معنى التوبيخ كانه
قال يدعو من لا يضره ولا ينفع ثم ذكر يدعو على جهة التوبيخ غير معدى إذ قد علم
اول الكلام ثم ابتدا الاخبار بقوله لمن ضره واللام مؤذنة بمجي القسم والثانية
التي هي لبيس لام القسم وان كان ابو علي مال الي انها لام الابتدا والثانية لام اليمين
ويظهر ايضا في الاية ان يكون المراد يدعو من ضره ثم علق الفعل باللام ويصح
ان يقدر هذا الفعل من الافعال التي تعلق وهي افعال الغير كظننت وحسبت
واشار ابو علي الي هذا ورد عليه والعشير القريب المعاشر في الامور وذهب
الطبري الى ان المراد بالمولى والعشير هو الانسان الذي يعبد الله على حرف
ويدعو الاصنام والظاهر ان المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضره
اقرب من نفعه وهذا قول مجاهد والله اعلم **قوله عز وجل** إن الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار إن الله يفعل
ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله
يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شي شهيد ه لما
ذكر تبارك وتعالى حاله من يعبد على حرف وسفه رايهم وتوعدهم بخسارة الاخرة
عقب ذلك بذكر حالة مخالفيهم من اهل الايمان وذكر ما وعدهم به من ادخاله
إياهم الجنة ثم اخبر ان الاية في توبيخ اولئك الاولين والاعلام الي رايهم
واحالتهم على ما فيه عنتهم وليس فيه راحتهم كانه يقول هولا العابدون على حرف
صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار

وعدنا من ظن غير ذلك فليمدد بسبب وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه
قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر في قولهم دونك الحبل فاختنق
يقال ذلك للذي يريد من الامر ما لا يمكنه والسبب الحبل والنصر معروف الا
ان ابا عبيدة ذهب به الى معنى الرزق كما قالوا ارض منصورة اي ممطورة وكما قال الشاعر
ه وإنك لا تعطي امرا فوق حقه ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره ه وقال
وقف بنا سايل من بني ابي بكر فقال من يصرني نصره الله والسما على هذه الاقوال
الهوا علوا فكانه اراد سقفا او شجرة او نحوه وقال ابن زيد السماء هي المرفوعة
وذهب الى معنى اخر كانه قيل لمن يظن ان الله لا ينصر محمدا إن كنت تظن ذلك فامدد
بسبب الى السماء واقطعه إن كنت تقدر على ذلك فان عجزت فكذلك لا تقدر على
قطع سبب محمد من السماء اذ نصرته من هنالك والوحي الذي يأتيه قال ابو محمد
والقطع على هذا التاويل ليس بالاختناق بل هو جزم السبب وفي مصحف ابن مسعود
ثم ليقطعه بها والجمهور على ان القطع هنا هو الاختناق قال الخليل وقطع الرجل
إذا اختنق بحبل او نحوه ثم ذكر الاية ويحتمل الاية معنى اخر وهو ان يراد
به الكفار وكل من يغتاظ بان ينصره الله ويطمع بان لا ينصر قيل لهم من ظن ان هذا
لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويويد
هذا ان الطبري والنقاش قالا ويقال نزلت في نفر من بني اسد وغطفان قالوا انا
نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى
الاول الذي قيل للعابدين على حرف ليس بهذا ولكنه معنى من قلق واستبطا
النصر وظن ان محمدا لا ينصر فليختنق سفاهة إذ تعدى الامر الذي حق له في
الصبر واستبطا صنع الله وقال مجاهد الضمير في ينصره عائد على من والمعنى من كان
من المتقلقين من المؤمنين قال ابو محمد والضمير في التاويل الذي ذكرناه في ان
يراد الكفار لا يعود إلا على النبي صلى الله عليه وسلم فقط وقالت فرقة الضمير عائد
على الدين والقران وقرا ابو عمرو وابن عامر ليقطع فلينظر بكسر اللام فيهما على الاصل

وهي قراءة الجمهور وقرا عاصم وحمزة والكسائي بسكون اللام فيهما وفي لام
الامر في كل القران مع الواو والفا وثم واختلف عن نافع وهي قراءة الحسن وابي
عمرو وعيسى قال ابو محمد واما الفا والواو اذا دخلت على لام الامر فحكى
سيبويه انهما تجريان مجرى الكلمة فتسكن اللام تخفيفا وهو افصح من تحريكها
واما ثم فهي كلمة مستقلة فالوجه تحريك اللام بعدها قال ابو محمد وقد راى بعض
النحويين الميم من ثم بمنزلة الفا والواو وقوله ما يغيظ يحتمل ان تكون ما بمعنى الذي
وفي يغيظ عايد عليها ويحتمل ان تكون مصدرية حرفا فلا عايد عليها والكيد هو
ههنا السبب **قال ابو محمد** ويحتمل وجه هذه الاية ان تكون مثلا ويكون
النصر المعروف والقطع الاختناق والسما الارتفاع في الهوا سقف او شجرة ونحوه
فتامله وقوله تعالى وكذلك انزلناه الى قوله الآية المعنى وكما وعدنا بالنصر وامرنا
بالصبر كذلك انزلنا القران آية بينة لمن نظر واهتدى لا تقترح معها ويستعجل
العذاب وقال الطبري المعنى وكما بينت حججي على من جحد قدرتي على احياء الموتى كذلك
انزلنا والضمير في انزلناه عايد على القران وجاءت هذه الضماير هكذا وان لم يتقدم
لها ذكر لشهرة المشار اليه نحو قوله حتى توارت وغيره وقوله وان الله ويصح
خبر الابتدا او العطف على الامر ان الله يهدي من يريد وهداية الله تعالى هي
خلقه الرشاد والايمان في نفس الانسان ثم اخبر تعالى عن فعله بالفرق المذكورين
وهم المومنون بمحمد وغيره واليهود والصابئون وهم قوم يعبدون الملائكة
ويستقبلون القبلة ويوحدون الله ويقرون الزبور قاله قتادة والنصارى
والمجوس وهم عبدة النار والشمس والقمر والمشركون وهم عبدة الاوثان قال
قتادة الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن وخبر ان قوله يفصل
بينهم ثم دخلت ان على الجزء كله وحسن ذلك لطول الكلام فهي وما بعدها
خبر ان الاولى وقرن الزجاج هذه الاية بقول الشاعر
إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم نقله من الطبري

قال ابو محمد وليس هذا البيت كالاية لان الخبر في البيت في قوله ترجى
الخواتيم وان الثانية وجملتها معترضة بين الكلامين تم تم الكلام في قوله القيمة
واستانف الخبر عن ان الله على كل شيء شهيد عالم به وهذا خبر مناسب للفصل
بين الفرق وفصل الله تعالى بين هذه الفرق هو ادخال المومنين الجنة والكافرين
النار **قوله عز وجل** الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير
حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم
الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ٥ الم تر تنبيه من رؤية
القلب وهذه آية اعلام بتسليم المخلوقات اجمع لله وخضوعها وذكر في الاية
كل ما عبد الناس اذ في المخلوقات اعظم مما قد ذكر كالبحار والرياح والهوا فمن
في السموات الملائكة ومن في الارض من عبد من البشر والشمس كانت تعبدها
حمير وهم قوم بلقيس والقمر كانت كنانة تعبده قاله ابن عباس وكانت تميم تعبد
الدبران وكانت لخم تعبد المشتري وكانت طي تعبد الثريا وكانت قريش تعبد الشعرى
وكانت اسد تعبد عطارد وكانت ربيعة تعبد المرزم والجبال والشجر فيها
النار واصنام الحجارة والخشب والدواب فيها البقر وغير ذلك مما عبد من
الحيوان كالديك ونحوه والسجود في هذه الاية هو الخضوع والانقياد للامر
كما قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وهذا مما يتعذر فيه
السجود المتعارف وقال مجاهد سجود هذه الاشيا هو ظلالها وقال بعضهم سجودها
هو بظهور الصنعة فيها قال ابو محمد وهذا وهم وانما خلط هذه الاية باية
التسبيح وهناك يحتمل ان يقال هي باثار الصنعة وقوله وكثير حق عليه العذاب
يحتمل ان يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثير حق عليه العذاب يسجد اي كراهية

وعلى رغمه إما بظله وإما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك قاله مجاهد وقال
سجوده بظله ويحتمل أن يكون رفعا بالابتداء مقطوعا مما قبله وكان الجملة
معادلة لقوله وكثير من الناس لأن المعنى أنهم مرحومون بسجودهم ويؤيد هذا
قوله بعد ذلك ومن يهن الله فما له الآية وقرأ جمهور الناس من مكرم بكسر الراء
وقرأ ابن أبي عبلة بفتح الراء على معنى موضع كرامة أو على أنه مصدر كمدخل وقرأ
الجمهور والدواب مشددة الباء وقرأ الزهري وحده بتخفيف الباء وهي قليلة
ضعيفة وهي تخفيف على غير قياس كما قالوا ظلت وأحست وكما قال علقمة
كأن إبريقهم ظبي على شرف ** مفدم بسبا الكتان ملثوم ** أراد بسبائب
الكتان وأنشد أبو علي في مثله
حتى إذا ما لم أجد غير الشر ** كنت امرأ من مالك بن جعفر **
وهذا باب إنما يستعمل في الشعر فلذلك
ضعفت هذه القراءة وقوله تعالى هذان خصمان الآية اختلف الناس في المشار
إليه بقوله هذان خصمان فقال قيس بن عباد وهلال بن يساف نزلت هذه
الآية في المتبارزين يوم بدر وهم ستة حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث برزوا
لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وروي عن علي بن أبي طالب
أنه قال أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى وأقسم
أبو ذر على هذا القول قال أبو محمد ووقع أن الآية فيهم في صحيح البخاري
وقال ابن عباس الإشارة إلى المؤمنين وأهل الكتاب وذلك أنه وقع بينهم
تخاصم فقالت اليهود نحن أقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت الآية وقال
عكرمة المخاصمة بين الجنة والنار وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والحسن
بن أبي الحسن وعاصم والكسائي الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم
قال أبو محمد وهذا قول تعضده الآية وذلك أنه تقدم قوله وكثير من
الناس المعنى هم مؤمنون ساجدون ثم قال وكثير حق عليه العذاب ثم أشار
إلى هذين الصنفين بقوله هذان خصمان والمعنى أن الإيمان وأهله والكفر

وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب وقوله
خصمان يريد طائفتين لأن لفظة خصم هو مصدر يوصف به الجمع والواحد
ويدل على أنه أراد الجمع قوله اختصموا فإنها قراءة الجمهور وقرأ ابن أبي عبلة
اختصما في ربهم وقوله في ربهم معناه في شأن ربهم وصفاته وتوحيده ويحتمل
أن يريد في رضى ربهم وفي ذاته ثم بين حكمي الفريقين فتوعد تعالى الكفار
بعذاب جهنم وقطعت معناه جعلت لهم بتقدير كما يفصل الثوب وروي أنها
من نحاس وقيل ليس شيء من الحجارة والفلز أحر منه إذا حمي وروي في صب
الحميم وهو الماء المغلي أنه تضرب رؤوسهم بالمقامع فتنكشف أدمغتهم فيصب
الحميم حينئذ وقيل يصب الحميم أولا فيفعل ما وصف ثم تضرب بالمقامع بعد
ذلك ويصهر معناه يذاب وقيل معناه ينضج وهذه العبارة قلقة وقيل معناه
ينضج ومنه قول الشاعر ** تصهره الشمس ولا ينصهر ** وإنما يشبه فيمن قال
بعض إنه أراد أن الحميم بحرارته يهبط كل ما يلقى في الجوف ويكشطه ويسلته
وقد روى أبو هريرة نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يسلته ويبلغ به قدميه
ويذيبه ثم يعاد كما كان وقرأ الجمهور يصهر وقرأت فرقة يصهّر بفتح
الصاد وشد الهاء والمقمعة بكسر الميم مقرعة من حديد يقمع بها المضروب
وقوله أرادوا روي فيه أن لهب النار إذا ارتفع رفعهم فيصلون إلى أبواب
النار فيريدون الخروج فيضربون بالمقامع وتردهم الزبانية ومن في قوله
منها لابتداء الغاية وفي قوله من غم يحتمل أن تكون لبيان الجنس ويحتمل أن تكون
لابتداء غاية أيضا وهو بدل من الأول وقوله وذوقوا هنا محذوف تقديره
ويقال لهم ذوقوا والحريق فعيل بمعنى مفعل أي محرق وقرأ الجمهور هذان
بتخفيف النون وقرأ ابن كثير وحده هذانّ بتشديد النون وقرأها شبل وهي لغة
لبعض العرب في المبهمات كاللذانّ وهذانّ وقد ذكر ذلك أبو علي قوله تعالى
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار

يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب
من القول وهدوا إلى صراط الحميد إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم ۝ هذه الآية معادلة لقوله فالذين كفروا وقرأ الجمهور
يحلون بضم الياء وشد اللام من الحلي وقرأ ابن عباس يحلون بفتح الياء واللام مع
تخفيفها يقال حلي الرجل وحليت المرأة إذا صارت ذات حلي وقيل هي من قولهم
لم يحل فلان بطائل ومن في قوله من أساور هي لبيان الجنس ويحتمل أن تكون للتبعيض
والأساور جمع سوار وإسوار بكسر الهمزة وقيل أساور جمع أسورة وأسورة
جمع سوار وقرأ ابن عباس من أسورة من ذهب واللؤلؤ الجوهر وقيل صغاره
وقيل كباره والاشتهار أنه اسم للجوهر وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ولؤلؤا
بالنصب عطفا على موضع الأساور لأن التقدير يحلون أساور وهي قراءة الحسن
والجحدري وسلام ويعقوب والأعرج وأبي جعفر وعيسى بن عمر وحمل الفتح نصبه
على إضمار فعل وقرأ الباقون من السبعة ولؤلؤ بالخفض عطفا إما على لفظ الأساور
ويكون اللؤلؤ في غير الأساور وإما على الذهب لأن الأساور أيضا تكون من ذهب
ولؤلؤ قد جمع بعضه إلى بعض وروت هذه القراءة عن الحسن بن أبي الحسن وطلحة
وابن وثاب والأعمش وأهل مكة وثبتت في الإمام ألف بعد الواو قاله الجحدري
وقال الأصمعي ليس فيها ألف وروى يحيى بن أبي بكر عن عاصم همز الواو الثانية دون
الأولى وروى المعلى بن منصور عن أبي بكر عن عاصم ضد ذلك قال أبو علي
همزهما وتخفيفهما وهمز أحدهما دون الآخر جائز كله وقرأ ابن عباس وليليا
بكسر اللامين وأخبر عنهم بلباس الحرير لأنها من أجل حالات الآخرة وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال
ابن عباس لا تشبه أمور الآخرة أمور الدنيا إلا في الأسماء فقط وأما الصفات فمتباينة
والطيب من القول لا إله إلا الله وما جرى معها من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه

وسائر كلام أهل الجنة من محاورة وحديث طيب فإنها لا تسمع فيها لاغية
وصراط الحميد هو طريق الله تعالى الذي دعا عباده إليه ويحتمل أن يريد
بالحميد نفس الطريق فأضاف إليه على حد إضافته في قوله دار الآخرة وقوله
إن الذين كفروا الآية قوله ويصدون عن تقديره وهم يصدون و بهذا حسن عطف
المستقبل على الماضي وقالت فرقة الواو زائدة ويصدون خبر إن قال أبو محمد
وهذا مفسد للمعنى المقصود وإنما الخبر محذوف مقدر عند قوله والباد تقديره
خسروا أو هلكوا وجاء يصدون مستقبلا إذ هو فعل يديمونه كما جاء قوله تعالى
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ونحوه وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك أنه لم يعلم لهم صد قبل ذلك
لجمع إلا أن يريد صدهم لأفراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث وقالت
فرقة المسجد الحرام أراد به مكة قال أبو محمد وهذا صحيح لكنه قصد
بالذكر المهم المقصود من ذلك وقرأ جمهور الناس سواء بالرفع وهو على الابتداء
والعاكف خبره وقيل الخبر سواء وهو مقدم وهو قول أبي علي والمعنى الذي جعلناه
للناس قبلة أو متعبدا وقرأ حفص عن عاصم سواء بالنصب وهي قراءة الأعمش وذلك
يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مفعولا ثانيا لجعل ويرتفع العاكف به لأنه مصدر
في معنى مستو أعمل عمل اسم الفاعل والوجه الثاني أن يكون حالا من الضمير في
جعلناه وقرأت فرقة سواء بالنصب العاكف بالخفض عطفا على الناس والعاكف المقيم
في البلد والبادي القادم عليه من غيره وقرأ ابن كثير في الوصل والوقف البادي بالياء
ووقف أبو عمرو بغير ياء ووصل بالياء وقرأ نافع الباد بغير ياء في الوصل والوقف في
رواية المسيبي وأبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس وروى ورش الوصل بالياء
وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء وصلا ووقفا وهي في الإمام بغير ياء
وأجمع الناس على الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة فذهب عمر بن
الخطاب وابن عباس ومجاهد وجماعة معهم إلى أن الأمر كذلك في دور مكة وأن

الناديه له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال
ذلك سفيان الثوري وغيره وكذلك كان الامر في الصدر الاول قال ابن
سابط وكانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فانكر
عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله فقال انما اردت حفظ
متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وقال جمهور من الامة منهم
مالك ليست الدور كالمسجد ولاهلها الامتناع بها والاستبداد وعلى هذا هو
العمل اليوم وهذا الاختلاف مترتب على الاختلاف في مكة هل هي عنوة كما
روي عن مالك والاوزاعي او صلح كما روي عن الشافعي فمن راها صلحا فان
الاستواء في المنازل عنده بعيد ومن راها عنوة امكنه ان يقول الاستواء فيها قرره
الائمة الذين لم يقطعوها احدا وانما سكنى من سكن من قبل نفسه قال ابو محمد
وظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل منزلا يقتضي ان لا استواء وانها
متملكة ممنوعة على التاويلين في قوله عليه السلام لانه تاول بمعنى انه ورث جميع
منازل ابي طالب وغيره وتاول بمعنى انه باع منازل بني هاشم حين هاجروا ومن
الحجة لتملك اهلها دورهم ان عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن امية دارا
للسجن باربعة الاف ويصح مع ذلك ان يكون الاستواء في وقت الموسم للضرورة والحاجة
فيخرج الامر حينئذ عن الاعتبار بالعنوة او الصلح وقوله بالحاد قال ابو
عبيدة الباء زائدة ومنه قول الشاعر ،، بواد يمان ينبت الشث صدره واسفله بالمرخ والشبهان ،،
ومنه قول الاعشى ،، ضمنت برزق عيالنا ارماحنا ،، وهذا كثير ويجوز ان
يكون التقدير ومن يرد فيه الناس بالحاد والالحاد الميل وهذا الالحاد
والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة المكان توعد
الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك الا
في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم وقال ابن عباس
الالحاد في هذه الاية الشرك وقال ايضا هو استحلال الحرم وحرمته

وقال مجاهد هو العمل السيئ فيه وقال عبد الله بن عمر لا والله وبلى والله
بمكة من الالحاد وقال حبيب بن ابي ثابت الحكرة بمكة من الالحاد بالظلم
قال ابو محمد والعموم ياتي على هذا كله وقرات فرقة ومن يرد من الورود
حكاه الفراء والاول ابين واعم وامدح للبقعة ومن شرط جازمة للفعل
وذلك منع من عطفها على الذين والله المستعان **قوله عز وجل** واذ بوانا
لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع
السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا
البايس الفقير ه المعنى واذكر اذ بوانا وبوا هي تعديه با بالتضعيف وبوا معناه رجع
فكان المبوى يرد المبوا الى المكان واستعملت اللفظة بمعنى سكن ومنه قوله
تعالى نتبوا من الجنة حيث نشا وقال الشاعر
،، كم من اخ لي صالح بوأته بيدي لحدا ،، واللام في قوله لابرهيم قالت فرقة هي
زايدة وقالت فرقة بوانا نازلة منزلة فعل يتعدى باللام نحو جعلنا قال ابو محمد
والاظهر ان يكون المفعول الاول ببوانا محذوفا تقديره الناس والعالمين ثم
قال لابرهيم بمعنى له كانت هذه الكرامه وعلى يديه بوينا والبيت هو الكعبة وكان
فيما روي قد جعله الله لادم عليه السلام ثم درس بالطوفان وغيره فلما جاءت مدة
ابرهيم امره الله ببنائه فجا الى موضعه وجعل يطلب اثرا فبعث الله ريحا
فكشفت له عن اساس ادم فرتب قواعده عليه وقوله ان لا تشرك هي مخاطبة
لابرهيم عليه السلام في قول الجمهور حكيت لنا معنى قيل له ان لا تشرك بي وقرا
عكرمة ان لا يشرك بالياء على نقل معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد
من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لان لا تشرك قال ابو محمد
ويحتمل ان تكون ان في قراءة الجمهور مفسرة ويحتمل ان تكون مخففة من
الثقيلة وفي الاية طعن على من اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم

في ايام

من تعبد وأنتم فلم تفعلوا إلا أنتم وقالت فرقة الخطاب من قوله أن لا
تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر بتطهير البيت والأذان بالحج قال أبو محمد
والجمهور على أن ذلك لابرهيم وهو الأصح وتطهير البيت عام في الكفر
والبدع وجميع الأنجاس والدماء وغير ذلك والقائمون هم المصلون
وذكر تعالى من أركان الصلاة أعظمها وهي القيام والركوع والسجود وقرأ
جمهور الناس وأذن بشد الذال وقرأ الحسن بن أبي الحسن وابن محيصن وآذن
بمد وتخفيف الذال وتصحف هذا على ابن جني فإنه حكى عنهما وأذن على فعل ماض
وأعرب عن ذلك بأن جعله عطفا على بوأنا وروي أن ابرهيم عليه السلام
لما أمر بالأذان بالحج قال يا رب وإذا ناديت فمن يسمعني فقيل له ناد يا ابرهيم
فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على أبي قبيس وقيل على حجر المقام ونادى أيها
الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا واختلفت الروايات في ألفاظه
عليه السلام والأزمان جون فيها ذكر البيت والحج وروي أنه يوم نادى أسمع
كل من يحج إلى يوم القيامة في أصلاب الرجال وأجابه كل شيء في ذلك الوقت
من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية على ذلك قاله ابن عباس
وابن جبير وقرأ جمهور الناس بالحج بفتح الحاء وقرأ ابن أبي إسحق في كل القرآن
بكسرها ورجالا جمع راجل كتاجر وتجار وقرأ عكرمة وابن عباس وابن
مجلز وجعفر بن محمد رجالا بضم الراء وشد الجيم ككاتب وكتاب وقرأ
عكرمة أيضا وابن أبي إسحق رجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وهو قليل في أبنية
الجمع ورويت عن مجاهد وقرأ مجاهد رجالى على وزن فعالى فهو مثل كسالى
والضامر قالت فرقة أراد بها الناقة قال أبو محمد وذلك أنه يقال
ناقة ضامر ومنه قول الأعشى

عهدي بها في الحي قد درعت هيفاء مثل المهرة الضامر

فجمع قوله يأتين مستقيما على هذا التأويل وقالت فرقة الضامر هو كل ما اتصف بذلك من

جمل أو ناقة وغير ذلك قال أبو محمد وهذا هو الأظهر لكنه
تضمن معنى الجماعات أو الرفاق فحسن لذلك قوله يأتين وقرأ أصحاب
ابن مسعود يأتون وهي قراءة ابن أبي عبلة والضحاك وفي تقديم رجالا تفضيل
للمشاة في الحج قال ابن عباس ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا
فإني سمعت الله يقول يأتوك رجالا وقال ابن أبي نجيح حج ابرهيم وإسماعيل ماشيين
واستدل بعض العلماء بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أن فرض الحج بالبحر ساقط
قال أبو محمد قال مالك في الموازية لا أسمع للبحر ذكرا قال أبو محمد وهذا تأنيس
لأنه يلزم من سقوط ذكره سقوط الفرض فيه وذلك أن مكة ليست في ضفة
بحر فيأتيها الناس بالسفن ولا بد لمن ركب البحر أن يصير في إتيان مكة إما راجلا
وإما على ضامر فإنما ذكرت حالتا الوصول وإسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس
بالكثير ولا القوي فأما إذا اقترن به عدو أو خوف أو هول شديد أو مرض
يلحق شخصا ما فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب وذلك بهذه
الأعذار وأنه ليس بسبيل يستطاع وذكر صاحب كتاب الاستظهار في هذا
المعنى كلاما ظاهره أن الوجوب لا يسقطه شيء من هذه الأعذار قال أبو محمد
وهذا ضعيف والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد قال الشاعر

إذا الخيل جاءت من فجاج عميقة يمد بها في السير أشعث شاحب

والمنافع في هذه الآية التجارة في قول أكثر المتأولين ابن عباس وغيره وقال أبو
جعفر محمد بن علي أراد الأجر ومنافع الآخرة وقال مجاهد بعموم الوجهين وقوله
اسم الله يصح أن يريد بالاسم هاهنا المسمى بمعنى ويذكروا الله على تجوز في هذه
العبارة إلا أن يقصد ذكر القلوب ويحتمل أن يريد بالاسم التسميات وذكر الله
تعالى إنما هو بذكر أسمائه ثم تذكر القلوب السلطان والصفات وهذا كله على
أن يكون الذكر بمعنى حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق ويؤيده
قوله عليه السلام إنها أيام أكل وشرب وذكر لله وذهب قوم إلى أن المراد

ذكر اسم الله على المنحور والذبح وقالوا ان في ذكر الايام دليلا على ان الذبح في الليل
لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الراي وقال ابن عباس الايام المعلومات
هي ايام العشر ويوم النحر وايام التشريق وقال ابن سيرين بل ايام العشر فقط
وقالت فرقة بل ايام التشريق ذكره العتبي وقالت فرقة منها مالك واصحابه
بل المعلومات يوم النحر ويومان بعده وايام التشريق ثلاثة هي معدودات فيكون يوم
النحر معلوما لا معدودا واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود
لا معلوم قال القاضي ابو محمد وحمل هولاء على هذا التفصيل انهم اخذوا ذكر
الله هنا على الذبح للاضاحي والهدي وغيره فاليوم الرابع لا يضحى فيه عند مالك
وجماعة واخذوا التعجل والتاخر بالنفر في الايام المعدودات بمعنى ان تلك
الايام الفاضلة كلها ويبقى امر الذبح وامر الاستعجال لا يتعلق بمعدود ولا بمعلوم
ويكون فايدة قوله معلومات ومعدودات التحريض على هذه الايام وعلى
اغتنام فضلها اي ليست كغيرها فكانه قال هي مخصوصات فلتغتنم وقوله
فكلوا منها استحب اهل العلم للرجل ان ياكل من هديه او اضحيته وان يتصدق
بالاكثر مع تجويزهم الصدقة بالكل واكل الكل والبايس الذي قد مسه ضر
الفاقة وبوسها يقال باس الرجل يبوس وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة
دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه السلام لكن البايس سعد بن خولة
والمراد في هذه الاية اهل الحاجة قوله عز وجل ثم ليقضوا تفثهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله
فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس
من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله
فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ○ اختلف
القراء في سكون اللام من قوله ليقضوا وليوفوا وليطوفوا وفي تحريك جميع
ذلك بالكسر وفي تحريك ليقضوا وتسكين الاثنين وقد تقدم في قوله فليمدد

بسبب ترجيه جميع ذلك والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير
شعر وحلقه وازالة شعث ونحوه من اقامة الخمس من الفطرة حسب
الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه اذ لا يقضى التفث الا بعد ذلك
وقرا عاصم وحده في رواية ابي بكر وليوفوا بفتح الواو وتشديد الفاء ووفى
واوفى لغتان مستعملتان في كتاب الله واوفى الاكثر والنذور ما معهم من هدي
وغيره والطواف المذكور في هذه الاية هو طواف الافاضة الذي هو من واجبات
الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك قال مالك هو واجب يرجع
وداع تاركه من وطنه الا ان يطوف طواف وداع فانه يجزيه منه قال القاضي ابو محمد
ويحتمل بحسب الترتيب ان يكون الاشارة الى الطواف التي اذ المستحسن ان يكون
ولا بد وقد اسند الطبري عن عمرو بن ابي سلمة قال سالت زهيرا عن قوله تعالى
وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هذا طواف الوداع وقال مالك في الموطا واختلف
المتاولون في وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم
يقال سيف عتيق وقد عتق الشي قال القاضي ابو محمد وهذا قول يعضده النظر
اذ هو اول بيت وضع للناس الا ان ابن الزبير قال سمي عتيقا لان الله اعتقه
من الجبابرة بمنعه اياه منهم وروي في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا نظر مع الحديث وقالت فرقة سمي عتيقا لانه لم يملك موضعه قط وقالت فرقة
سمي عتيقا لان الله يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب قال القاضي ابو محمد وهذا
يرده التصريف وقيل سمي عتيقا لانه اعتق من غرق الطوفان قاله ابن جبير ويحتمل
ان يكون العتيق صفة مدح تقتضي جودة الشي كما قال عمر بن الخطاب حملت
على فرس عتيق الحديث ونحوه قوله كلام حر و[illegible] وقوله ذلك يحتمل
ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان
يكون في موضع نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار واحسن الاشيا
مضمرا احسنها مظهرا ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير

هذا دليل من عمر حسبته وبعد الهدي إذ اما قابل نطقا

والحرمات المقصودة هاهنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك تعظيم المواضع قاله ابن زيد وغيره
ووعد على تعظيمها بعد ذلك تحريضا وتحريضا ثم لفظ الاية بعد تناول كل
حرمة لله تعالى في جميع الشرع وقوله فهو خير ظاهره انها ليست للتفضيل
وانما هي عدة بخير ويحتمل ان تجعل خيرا للتفضيل على تجوز في هذا الموضع وقوله
احلت اشارة الى ما كانت العرب تفعله من تحريم اشيا برايها كالبحيرة والسايبة
فاذهب الله ذلك واحل لهم جميع الانعام الا ما يتلى عليهم في كتاب الله تعالى
في غير موضع ثم امرهم باجتناب الرجس من الاوثان والكلام يحتمل معنيين احدهما
ان تكون من لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان فقط ويبقى سائر
الارجاس نهيها في غير هذا الموضع والمعنى الثاني ان تكون من لابتداء الغاية
فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة
الوثن جامعة لكل فساد ورجس ويظهر ان الاشارة الى الذبائح التي كانت
للاوثان فيكون هذا مما يتلى عليهم ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الاية
وافسده والمروي عن ابن عباس وابن جريج ان الاية نهي عن عبادة الاوثان
والزور عام في الكذب والكفر وذلك ان كل ما عدا الحق فهو كذب
وباطل وزور وقال ابن مسعود وايمن بن خريم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الاية والزور مشتق
من الزور وهو الميل ومنه في جانب فلان زور ويظهر ان الاشارة الى
زور اقوالهم في تحريم وتحليل ما قد كانوا شرعوا في الانعام وحنفا معناه
مستقيمين او مائلين الى الحق بحسب ان لفظة الحنف من الاضداد تقع على
الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقال قوم حنفا معناه حجاجا
قال ابو محمد وهذا تخصيص لا حجة معه وغير مستقيم يجوز ان يحج ولا

اخرى ويجوز ان يكون صفة لقوله حنفا ثم ضرب مثلا للمشرك بالله
اظهره به في غاية السقوط وتحمل الهول والانبتات من النجاة خلاف ما
ضرب للمؤمن في قوله ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى ومنه قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول
الله فلان اخر من السما الى الارض اهون علي من ان اكذب عليه الحديث
وقرا نافع وحده فتخطفه الطير بفتح الخا وشد الطا على حذف تا التفعل
وقرا الباقون فتخطفه بسكون الخا وتخفيف الطا وقرا الحسن فيما روي
عنه فتخطفه بكسر التا والخا وفتح الطا مشددة وقرا ايضا الحسن وابو
رجا بفتح التا وكسر الخا والطا وشدها وقرا الاعمش من السما تخطفه
بغير فا وعلى نحو قراة الجماعة وعطف المستقبل على الماضي لانه بتقدير
فهو يخطفه الطير وقرا ابو جعفر الرياح والسحيق البعيد ومنه قولهم
اسحقه الله ومنه قوله عليه السلام فاقول فسحقا فسحقا ومنه نخلة سحوق
للبعيدة في السما **قوله عز وجل** ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
ه التقدير في هذا الموضع الامر والشعائر جمع شعيرة وهو كل شي لله
تعالى فيه امر اشعر به واعلم وقالت فرقة قصد الشعائر في هذه الاية الهدي
والانعام المشعرة والمعنى تعظيمها التسمين والاهتبال بامرها والمغالاة
بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة وعود الضمير في انها على التعظمة والفعلة
التي تضمنها الكلام وقرا القلوب بالرفع على انها فاعلة بالمصدر الذي هو
تقوى ثم اختلف المتاولون في قوله لكم فيها منافع الاية فقال مجاهد

وقتاده اراد ان للناس في انعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك
ما لم يبعثها بها هديا فهو الاجل المسمى وقال عطا بن ابي رباح اراد لكم في
الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر والاجل نحرها
ويكون ثم لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عندها من العرفين
ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لانه اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي
وغيره وقال ابن زيد وابن عمر والحسن ومالك الشعائر في هذه الاية مواضع
الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفه والمزدلفه والصفا والمروه والبيت وغير
ذلك وفي الاية التي تاتي ان البدن من الشعائر والمنافع التجاره وطلب
الرزق ويحتمل ان يريد كسب الاجر والمغفره وبكل احتمال قالت فرقه
والاجل الرجوع الى مكه لطواف الافاضه وقوله ثم محلها الى ماخوذ
من احلال المحرم معناه ثم اخر هذا كله الى طواف الافاضه بالبيت العتيق
فالبيت على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا ثم اخبر تعالى انه جعل
لكل امة من الامم المؤمنة منسكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك
ظرف كالمذبح ونحوه ويحتمل ان يريد به المصدر كانه قال عبادة ونحوها
والناسك العابد وقال مجاهد سنه في هراقة دماء الذبائح وقرا معظم
القرا منسكا بفتح السين وهو من نسك ينسك بضم السين في المستقبل وقرا
حمزة والكساي منسكا بكسر السين قال ابو علي الفتح اولى لانه اما المصدر واما
المكان وكلاهما مفتوح والكسر وهذا من الشاذ في اسم المكان ان يكون
مفعل من فعل يفعل مثل مسجد من سجد يسجد ولا يسوغ فيه القياس ويشبه ان
الكساي سمعه من العرب وقوله ليذكروا اسم الله معناه امرناهم عند
ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم رجع اللفظ
من الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم
فكذلك الامر في الذبيحة انما ينبغي ان تخلص له واسلموا معناه لحقه ولوجهه

ولا نعامه اسلموا الهوا ويحتمل ان يريد الاستسلام ثم امر تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يبشر بشارة على الاطلاق وهي ابلغ من المفسره لانها
مرسله مع نهاية التخيل المخبتين المتواضعين الخاشعين من المؤمنين والخبت
ما انخفض من الارض والمخبت المتواضع الذي مشيته متطامن كانه
في حدور من الارض وقال ابو عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لم ينتصروا قال ابو محمد وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين
اللين وقال مجاهد هم المطمئنون بامر الله ووصفهم تعالى بالخوف
والوجل عند ذكر الله وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكانهم
بين يديه ووصفهم بالصبر وباقامة الصلاة وادامتها وقرا الجمهور الصلاة
بالخفض وقرا ابن ابي اسحق والحسن الصلاة بالنصب على توهم النون وان
حذفها للتخفيف ورويت عن ابي عمرو وقرا الاعمش والمقيمين الصلاة بالنون
والنصب في الصلاة وقرا الضحاك والمقيم الصلاة وروي ان هذه الاية قوله
وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم **قوله تعالى**
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها
صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك
سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر
المحسنين **ه** البدن جمع بدنه وهي ما اشعر من ناقة او بقرة وقاله عطا
وغيره وسميت بذلك لانها تبدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل
وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح الباء والدال ثم اختلفت فقال بعضها
البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الابل والبقر ويقال
للسمين من الرجال بدن وقال بعضها البدن جمع بدنه كثمرة وثمر وقرا
الجمهور والبدن ساكنة الدال وقرا ابو جعفر وشيبه والحسن وابن

اي بحق والبدن بضم الدال محتمل ان تكون جمع بدنة كثمرة وعدد
الله تعالى في هذه الآية نعمته على الناس في هذه البدن وقد تقدم القول في
الشعاير والخير قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه
في خير الدنيا والآخرة وقوله عليها اي عند نحرها وقرا جمهور الناس
صواف بفتح الفا وشدها جمع صافة اي مصطفة في قيامها وقرا الحسن ومجاهد
وزيد بن اسلم وابو موسى الاشعري وشقيق وسليمان التيمي والاعرج
صوافي جمع صافية اي خالصة لوجه الله تعالى لا شركة فيها لشي كما كانت
الجاهلية تشرك وقرا الحسن ايضا صواف بكسر الفا وتنوينها مخففة وهي
بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على غير قياس وفي هذا نظر وقرا ابن
مسعود وابن عمر وابن عباس وابو جعفر محمد بن علي صوافن بالنون جمع
صافنة وهي التي قد رفعت احدى يديها بالعقل لئلا تضطرب والصافن من
الخيل الرافع لفراهيته احدى يديه وقيل احدى رجليه ومنه قوله تعالى الصافنات
الجياد وقال عمرو بن كلثوم ؎ تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا ؎
ووجبت معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس ومنه قول اوس بن
حجر ؎ الم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب ؎ وقوله
فكلوا ندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر
وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم وقال مجاهد وابرهيم
والطبري هي اباحة والقانع السائل يقال قنع الرجل يقنع قنوعا اذا
سال بفتح النون في الماضي وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا
تعفف واستغنى ببلغته قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ
؎ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع ؎ فمحرزوا
القول من اهل العلم قالوا القانع السائل والمعتر المعترض من غير سؤال قاله
محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابرهيم والكلبي والحسن بن ابي الحسن وعكست

فرقة هذا القول حكى الطبري عن ابن عباس انه قال القانع الراضي
بما اعطيته والمعتر هو المعترض وحكى عنه انه قال القانع المتعفف
والمعتر السائل وحكي عن مجاهد انه قال القانع الجار وان كان غنيا
وقرا ابو رجا القنع فعلى هذا القنا وبل معنى الاية اطعموا المتعفف الذي لا
ياتي معترضا والمعترض وذهب ابو الفتح بن جني الى انه اراد القانع فحذف
الالف تخفيفا قال ابو محمد وهذا يبعد لان توجيهه على ما ذكرته انفا
احسن وانما يلجا الى هذا اذا لم يوجد منه وجه وقرا ابو رجا وعمرو بن عبيد
المعتري والمعنى واحد وروي عن ابي رجا والمعتر بخفيف الرا وقال الشاعر
؎ لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا لنمنعه بالضايع المتهضم ؎ وذهب ابن
مسعود الى ان الهدي اثلاث وقال جعفر بن محمد عن ابيه اطعم القانع والمعتر
ثلثا والبايس الفقير ثلثا واهلي ثلثا وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدي منه
الا الربع قال ابو محمد وهذا كله على جهة الاستحسان لا على الفرض ثم قال كذلك
اي كما امرناكم فيها بهذا كله سخرناها لكم ولعلكم ترجى في حقنا وبالاضافة
الى نظرنا وقوله لن ينال عبارة مبالغة وتوكيد وهي بمعنى لن يرتفع عنه ويحصل
بسبب ثواب وقال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يضرجون البيت بالدما
فاراد المومنون فعل ذلك فنهى الله عن ذلك ونزلت هذه الآية والمعنى ولكن
ينال الرفعة عنه والتحصيل حسنة لديه التقوى اي الاخلاص وعمل الطاعات
وقرا مالك بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهري تنال وتناله بتاء فيهما والتشبيه
والتكبير على الهدي والاضحية هو ان يقول الذابح بسم الله والله اكبر وروي
ان قوله وبشر المحسنين نزلت في الخلفا الاربعة حسبما تقدم في التي قبلها فاما ظاهر
اللفظ فيقتضي العموم في كل محسن **قوله عز وجل** ان الله يدفع عن الذين
امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا

دفاع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ۝ روي
ان هذه الايه نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكه واذاهم الكفار وهاجر
من هاجر الى ارض الحبشه اراد بعض مؤمني مكه ان يقتل من امكنه من
الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت هذه الايه الى قوله كفور وعد فيها
بالمدافعه ونهى افصح نهي عن الخيانه والغدر وقرا نافع والحسن وابو جعفر
يدافع ولولا دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وابن عامر
وحمزه والكسائي يدافع ولولا دفع قال ابو علي اجرت دافع في هذه القراه
مجرى دفع كعاقبت اللص وطارقت النعل فجا المصدر دفعا قال ابو الحسن
الاخفش اكثر الكلام إن الله يدفع ويقولون دافع الله عنك إلا أن دفع اكثر
قال ابو محمد الاظهر في الايه يدافع لانه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم
فيجي دفعه مدافعة عنهم وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع
كحسب حسابا ثم اذن الله في قتال المؤمنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله اذن
وصورة الاذن مختلفة بحسب القراءات فبعضها اقوى من بعض فقرا نافع
وحفص عن عاصم أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التا اي في ان يقاتلوهم والاذن
في هذه القراءه ظاهر انه في محاربة وقرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم والحسن والزهري
أذن بضم الالف يقاتلون بكسر التا والاذن في هذه القراه في ابتدا القتال وقرا
ابن كثير وحمزه والكسائي أذن بفتح الالف يقاتلون بكسر التا وقرا ابن عامر
بفتح الالف والتا جميعا وهي في مصحف ابن مسعود اذن للذين يقاتلون في سبيل
الله بكسر التا وفي مصحف ابي أذن بضم الهمزه للذين قاتلوا وكذلك قرا طلحه
والاعمش الا انهما فتحا همزة اذن وقوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب
انهم ظلموا قال ابن جريج وهذه الايه اول ما نقض الموادعه قال ابن عباس وابن
جبير نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه وقال ابو بكر الصديق

لما سمعتها علمت انه سيكون قتال وقال مجاهد الايه في مؤمنين بمكه ارادوا
الهجره الى المدينه فتبعوا قال ابو محمد وما بعد هذا في الايه يرد هذا القول
لان هؤلاء منعوا الخروج لا أخرجوا ثم وعد تعالى بالنصر في قوله وان الله على نصرهم
لقدير وقوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق يريد كل من نبت به مكه
واذاه اهلها حتى أخرجوه باذايتهم طائفه الى الحبشه وطائفه الى المدينه
ونسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معرض تقرير الذنب والزامه
وقوله إلا ان يقولوا ربنا الله استثنا منقطع ليس من الاول هذا قول
سيبويه ولا يجوز عنده فيه البدل وجوزه ابو اسحق والاول اصوب وقوله
ولولا دفاع الله الايه تقويه للامر بالقتال وذكر انه المصلحه فيه وذكر
انه متقدم في الامم وبه صلحت الشرايع واجتمعت المتعبدات فكانه قال أذن
في القتال فليقاتل المؤمنون ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل
امه هذا اصوب تاويلات الايه ثم ما قيل بعد من مثل الدفاع تبع للجهاد وقال
مجاهد لولا دفاع الله ظلم قوم بشهادة العدول ونحو هذا وقالت فرقه
لولا دفاع الله ظلم الظلمه بعدل الولاه وقال علي بن ابي طالب ولولا دفع الله
باصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم قال ابو محمد وهذا كله فيه دفع
قوم بقوم الا ان معنى القتال اليق بما تقدم من الايه وقالت فرقه ولولا دفاع
الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار ونحوه قال ابو محمد وهذا وما شاكله
مفسر لمعنى الايه وذلك ان الايه تقتضي ولا بد مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه
فتامله وقرا نافع وابن كثير لهدمت مخففة الدال وقرا الباقون لهدمت مشدده
قال ابو محمد وهذه تحسن من حيث هي صوامع كثيره ففي هدمها تكرار وكثره
كما قال في بروج مشيده فثقل اليا وقال قصر مشيد فخفف لكونه مفردا
ومنه وغلقت الابواب ومفتحة لهم الابواب والصومعه موضع العباده وزنها
فوعله وهي بنا مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القلب

[illegible]

وكذلك قيل ان الصوامع مختصه برهبان النصارى وبعباد الصابين قاله قتاده ثم
استعمل في مئذنة المسلمين والبيع كنايس النصارى واحدتها بيعة قال الطبري
وقيل هي كنايس اليهود قال ابو محمد ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك
والصلوات مشتركه لكل مله واستعير الهدم للصلوات من حيث تعطل او اراد موضع
صلوات وذهبت فرقه الى ان الصلوات اسم لشنايع اليهود وان اللفظه عبرانيه
عربت وليست بجمع صلاة وقال ابو العاليه الصلوات مساجد الصابين واختلفت
القراء فيها فقرا جمهور الناس صلوات بفتح الصاد واللام وبالتا بنقطتين وذلك
اما بتقدير ومواضع صلوات واما على ان تعطيل الصلوات هدمها وقرا جعفر بن محمد
صلوات بفتح الصاد وسكون اللام وقرات فرقة بكسر الصاد وسكون اللام
حكاهما ابن جني وقرا الجحدري فيما روي عنه وصلوت بالتا بنقطتين من فوق وبضم
الصاد واللام على وزن فعول قال وهي مساجد النصارى وقرا الجحدري والحجاج
بن يوسف وصلوب بضم الصاد واللام وبالبا على انه جمع صليب وقرا الضحاك والكلبي
وصلوث بضم الصاد واللام وبالثا منقوطة بثلاث قال وهي مساجد اليهود وقرات
فرقة صلوات بفتح الصاد وسكون اللام وقرات فرقة صلوات بضم الصاد واللام
حكاها ابن جني وقرات فرقة صلوث بضم الصاد واللام وقصر الالف بعد الثا وحكى
ابن جني ان خارج باب الموصل بيوت يدفن فيها النصارى يقال لها صلوث وقرا
عكرمة ومجاهد صلويثا بكسر الصاد وسكون اللام وكسر الواو وقصر الالف
بعد الثا قال ابو محمد وذهب خصيف الى ان هذه الاسما قصد بها تقسيم
متعبدات الامم فالصوامع للرهبان قال ابو محمد وقيل للصابين والبيع للنصارى
والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين قال ابو محمد والاظهر انها قصد بها
المبالغه وذكر المتعبدات وهذه الاسما تشترك الامم في مسمياتها الا البيعه فانها
مختصه بالنصارى في عرف لغة العرب ومعاني هذه الاسما هي في الامم التي لهم كتاب
على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الايه المجوس ولا اهل الاشراك لان هولا ليس

لهم ما تجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرايع وقوله يذكر
فيها الضمير عايد على جميع ما تقدم ثم وعد الله تعالى بنصرة ناصر دينه وشرعه
وفي ذلك حض على القتال والجد فيه ثم الايه تعم كل من نصر حقا الى يوم القيامه
قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب
موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير ه قالت فرقة هذه الايه
في الخلفا الاربعه قال ابو محمد ومعنى هذا التخصيص ان هولا مكنوا في
الارض من جملة الذين يقاتلون المذكورين وصدر الايه والعموم في هذا كله
ابين وبه يتجه الامر في جميع الناس وانما الايه اخذ عهد على كل من مكنه
الله تعالى كل على قدر ما مكن فاما الصلاة والزكاة فكل ماخوذ باقامتها واما
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكل بحسب قوته والايه امكن ما هي في الملوك
والمعروف والمنكر يعمان الايمان والكفر فما دونهما وقالت فرقة نزلت
هذه الايه في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصه من الناس وهذا على ان الذين بدل
من قوله يقاتلون قال ابو محمد او على ان الذين تابع لمن في قوله من ينصره
وقوله ولله عاقبة الامور توعد للمخالف عن هذه الاوامر التي تضمنتها الايه لمن مكن
وقوله وان يكذبوك يعني قريشا وهي ايه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد
لقريش وذلك انه مثلهم بالامم المكذبه المعذبه واسند فعلا فيه علامة التانيث
الى القوم من حيث اراد الامه والقبيله ليطرد القول في عاد وثمود وقوم نوح هم اول
امه كذبت نبيها ثم اسند التكذيب في موسى عليه السلام الى من لم يسم فاعله من حيث
لم يكذبه قومه بل كذبه القبط وقومه به مؤمنون وامليت معناه امهلت وكان
الاملا ان تمهل من تنوي فيه المعاقبه وانت في حال امهالك عالم بفعله والنكير
مصدر كالعذير بمعنى الانكار والاعذار وهو في هذه المصادر بنا مبالغه ومعنى هذه

نكيرا فعلت بهم الامر كذلك افعل بقومك **قوله تعالى** فكاين من قرية
اهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا
في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة
ثم اخذتها والي المصير ه كاين هي كاف التشبيه دخلت على اي قاله سيبويه
وقد اوعبت القول في معنى هذه اللفظة وقراتها في سورة ال عمران في قوله وكاين من
نبي وهي لفظة اخبار وقد تجي استفهاما حكى الفرا كاين مالك اي كم مالك
وقرات فرقة اهلكناها وقرات فرقة اهلكتها بالافراد والمراد اهل القرية
وظالمة معناه بالكفر وخاوية معناه خالية ومنه خوى النجم اذا خلا من النو
ونحوه ساقطة على عروشها والعروش السقوف فالمعنى ان السقوف سقطت ثم
وقعت الحيطان عليها فهي على العروش وقوله وبير معطلة قيل هو معطوف على
العروش وقيل على القرية وهو اصوب وقرات فرقة وبير بهمز على الياء وسهلها
الجمهور وقرات فرقة معطلة بفتح الميم وسكون العين وفتح الطا وتخفيفها
والجمهور على معطلة بضم الميم وفتح العين وشد الطا والمشيد المبني بالشيد وهو
الجص وقيل المشيد المعلى بالاجر ونحوه من الشيد قول عدي بن زيد
٭ شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور ٭ شاده بناه بالشيد
والاظهر في البيت انه اراد علاه بالمرمر وقد قالت فرقة في هذه الاية ان مشيدا
معناه معلى محصنا وجملة معنى الاية معنى انه كان ذلك قبل خرابهم وجهلهم على
الغفلة وترك الاعتبار بقوله افلم يسيروا في الارض اي في البلاد فينظروا في احوال
الامم المكذبة المعذبة وهذه الاية تقتضي ان العقل في القلب وذلك هو الحق ولا
ينكر ان للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل اذا اختل الدماغ وقوله
فتكون نصب بالفا في جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم الى النصب وقوله

فانها لا تعمى الابصار لفظة مبالغة كانه قال ليس العمى عمى البصر وانما العمى
حق العمى عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصد ما ذكرناه وهذا
كقوله عليه السلام ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير في
انها للقصة ونحوها من التقدير وقوله التي في الصدور مبالغة كقوله يقولون
بافواههم وكما يقول نظرت اليه بعيني ونحو هذا والضمير في يستعجلونك لقريش
وقوله ولن يخلف الله وعده وعيد واخبار بان ذلك اتي الى وقت محدود والوعد
هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه وقوله وان يوما عند ربك
كالف سنة قالت فرقة معناه وان يوما من ايام عذاب الله كالف سنة مما
تعدون من هذه لطول العذاب وبوسه فكان المعنى فما احمل من يستعجل هذا
وقالت فرقة معناه وان يوما عند الله لاحاطته به وعلمه وانفاذه قدرته
كالف سنة عندكم قال ابو محمد وهذا التاويل يقتضي ان عشر الالف سنة
وان ما لا نهاية من العدد في حكم الالف ولكنهم قالوا ذكر الالف لانه
منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه قال ابو محمد وهذا التاويل لا يناسب
الاية وقالت فرقة ان المعنى ان اليوم عند الله الف سنة من هذا العدد من ذلك
قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تؤخر امتي نصف يوم وقوله يدخل
فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك خمس مائة سنة ومنه قول ابن
عباس مقدار الحساب يوم القيامة الف سنة فكان المعنى وان طال الامهال
فانه في بعض يوم من ايام الله ذكره قوله وكاين لانه جلب معنى اخر ذكر اولا
القرى المهلكة دون املا لم يعقب التكذيب ثم ثنى بالمهلة لئلا يفرح هولا بتاخر
العذاب عنهم وقرات فرقة تعدون بالتا وقرات فرقة يعدون بالياء على الغايب
قوله تعالى قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معجزين اولئك اصحاب
الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته

فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن
الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ٥ المعنى قل يا محمد إنما أنا نذير عذاب
الله ليس إلي أن أعجل عذابا ولا أن أؤخره عن وقته ثم قسم حالة المؤمنين والكافرين
بأن للمؤمنين ستره ذنوبهم ورزقه إياهم في الجنة والكريم صفة نفي المذام
كما تقول ثوب كريم وبأن للكافرين والمعاجزين عذاب الجحيم وهذا له مما
أمر أن يقوله أي هذا معنى رسالتي لا ما تتمنون أنتم وقوله سعوا معناه تحيلوا
وكادوا من السعاية والآيات آيات القرآن أي كادوه بالتكذيب وسائر
أقوالهم وقرأت فرقة معاجزين ومعناه مغالبين كأنهم طلبوا عجز صاحب الآيات
والآيات تقتضي تعجيزهم فصارت مفاعلة وعبر بعض الناس في تفسير معاجزين
بظانين أنهم يفلتون الله تعالى قال أبو محمد وهذا تفسير خارج عن اللفظة
وقرأت فرقة معجزين بغير ألف وبشد الجيم ومعناه معجزين الناس عن الإيمان — لعله عاجزين(?)
أي جاعلوهم بالتثبيط عجزة عن الإيمان وقال أبو علي معناه ناسبين أصحاب
النبي إلى العجز كما تقول فسقت فلانا وزنيته أي نسبته إلى ذلك وقوله
وما أرسلنا الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن النازلة التي ألقى الشيطان فيها
في أمنية النبي صلى الله عليه وسلم وتمنى معناه المشهور أراد وأحب وقالت فرقة
هو معناها في الآية والمراد أن الشيطان ألقى ألفاظه بسبب ما تمناه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مقاربة قومه وكونهم متبعين له قالوا فلما تمنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لم يقضه الله وجد الشيطان السبيل فحين
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم في مسجد مكة وقد حضر المسلمون
والمشركون بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى
الشيطان تلك الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى فقال الكفار هذا محمد

يذكر آلهتنا بما نريد وفرحوا بذلك فلما انتهى إلى السجدة سجد الناس
أجمعون إلا أمية بن خلف فإنه أخذ قبضة من تراب فرفعها إلى جبهته وقال
يكفيني هذا قال البخاري هو أمية بن خلف وقال بعض الناس هو الوليد بن
المغيرة وقال بعض الناس هو أبو أحيحة سعيد بن العاصي ثم اتصل بمهاجرة
الحبشة أن أهل مكة اتبعوا محمدا ففرحوا بذلك فأقبل بعضهم فوجد ألقية
الشيطان قد نسخت وأهل مكة قد ارتبكوا أو افتتنوا وقالت فرقة تمنى معناه
تلا والأمنية التلاوة ومنه قول الشاعر
"تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر" ومنه قول
الآخر "تمنى داود الزبور على رسل" وتأولوا قوله تعالى إلا أماني
أي إلا تلاوة وقالت هذه الفرقة في معنى سبب إلقاء الشيطان في تلاوة النبي صلى
الله عليه وسلم ما تقدم آنفا من ذكر الآلهة قال أبو محمد وهذا الحديث
الذي فيه هي الغرانقة وقع في كتب التفسير ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره
في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى ولا يعينون
هذا السبب ولا غيره ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة
بها وقعت الفتنة ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء فالذي في التفاسير
وهو مشهور القول أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بتلك الألفاظ وأن الشيطان
أوهمه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الألفاظ على لسانه وروي أنه نزل إليه
جبريل بعد ذلك فدارسه سورة النجم فلما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له جبريل لم آتك بهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله
وقلت ما لم يقل لي وجعل يتفجع ويغتم فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك
من رسول قال أبو محمد وحدثني أبي رضي الله عنه أنه لقي بالمشرق من شيوخ
العلماء والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في
التبليغ وإنما الأمر أن الشيطان نطق بلفظ أسمعه الكفار عند قول النبي صلى

الله عليه وسلم أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقرب
صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامر على المشركين
وقالوا محمد قراها قال ابو محمد وتمنى على هذا التاويل تلا ولا بد وقد روي
نحو هذا التاويل عن الامام ابي المعالي وغيره رحمه الله قال ابو محمد والرسول
اخص من النبي وكثير من الانبيا لم يرسلوا وكل رسول نبي والنسخ في هذه الايه
الاذهاب كما تقول نسخت الشمس الظل وليس برفع ما استقر من الحكم
قال ابو محمد وطرق الطبري واشبع الاسناد في ان القا الشيطان كان على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم واختلفت الروايات في الالفاظ ففي بعضها تلك
الغرانقة وفي بعضها تلك الغرانيق وفي بعضها وان شفاعتهم وفي بعضها وان
شفاعتهن وفي بعضها منها الشفاعة ترتجى قال ابو محمد والغرانيق معناه
السادة العظام الاقدار ومنه قول الشاعر ٥ اهلا بصابن الغرانيق
وقوله ليجعل ما يلقي الشيطان الايه اللام في قوله ليجعل متعلقة بقوله فينسخ
الله والفتنة الامتحان والاختبار والذين في قلوبهم مرض هم عامة الكفار
والقاسية قلوبهم خواص منهم عتاة كابي جهل والنضر وعقبة والشقاق
البعد عن الخير والضلال والكون في شق غير شق الفلاح وبعيد معناه انتهاهم
وتعمق فرجعتهم منه غير مرجوة والذين اوتوا العلم هم اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم والضمير في انه عايد على القران وتخبت معناه تتطامن وتخضع
وهو ماخوذ من الخبت وهو المطمين من الارض وقرات فرقه لهاد بغير يا
بعد الدال وقرات فرقه لهادي بيا وقرات فرقه لهاد بالتنوين وترك
الاضافه وهذه الايه معادله لقوله قبل وان الظالمين لفي شقاق بعيد
قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة
او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يوميذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاوليك لهم عذاب

مهين ٥ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم
حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله
لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلي الكبير ٥ المريه الشك والضمير في قوله
منه قالت فرقه هو عايد على القران وقالت فرقه على محمد صلى الله عليه وسلم وقال
فرقه على ما القى الشيطان وقال سعيد بن جبير ايضا على سجود النبي صلى الله عليه
وسلم في سورة النجم والساعه قالت فرقه اراد يوم القيامة واليوم العقيم
يوم بدر وقالت فرقه الساعه ساعة موتهم او قتلهم في الدنيا كيوم بدر
ونحوه واليوم العقيم يوم القيامه قال ابو محمد وهذان القولان جيدان
لانهما احرزا التقسيم باو ومن جعل الساعة واليوم العقيم يوم القيامة فقد
افسد رتبة او وسمي يوم القيامه او يوم الاستيصال عقيما لانه لا ليله بعده
ولا يوم والايام كلها نتايج لمجي واحد اثر واحد فكان اخر يوم قد عقم بق
وهذه استعارة وجملة هذه الايه توعد وقوله الملك يوميذ لله السا
منه انه في يوم القيامة من حيث لا ملك فيه لاحد من ملوك الدنيا وجوز ان يريد
به يوم بدر ونحوه من حيث نفذ قضا الله وحده وبطل ما سواه ومضى
حكمه فيمن اراد تعذيبه فاما من تاوله في يوم القيامه فاتسق له قوله فالذين
امنوا الى قوله مهين ومن تاوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله فالذين امنوا
ابتدا خبر عن حالهم المرتبه على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الايمان والكفر
وقوله والذين هاجروا في سبيل الله الايه ابتدا معنى اخر وذلك انه لما
مات بالمدينه عثمان بن مظعون وابو سلمه بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل
من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الايه مسويه بينهم في ان الله

تعالى يرزقهم جميعا رزقا حسنا وليس هذا بمناقض لتساويهم في الفضل وظاهر
الشريعة ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس المقتول والميت في سبيل الله
شهيدان ولكن للمقتول مزية بما اصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل
ان يريد به رزق الشهدا عند ربهم في البرزخ ويحتمل ان يريد بعد يوم القيمه
في الجنة وقرات فرقة مُدخلا بضم الميم من ادخل فهو محمول على الفعل المذكور
وقرات فرقة مَدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون
مدخلا واسند الطبري عن سلامان بن عامر قال كان فضالة برودس
اميرا على الارباع فخرج بجنازتي رجلين احدهما قتيل والاخر متوفى فراى ميل
الناس مع جنازة القتيل فقال اراكم ايها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه والذي
نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقروا قول الله تعالى والذين هاجروا
في سبيل الله الاية الى حليم وقوله تعالى ذلك ومن عاقب الى قوله الكبير
المعنى الامر ذلك ثم اخبر تعالى عن من عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة
ووعد المبغي عليه بانه ينصره وسمى الذنب في هذه الاية باسم العقوبة كما تسمى العقوبة
كثيرا باسم الذنب وهذا كله تجوز واتساع وذكر ان هذه الاية نزلت في قوم
من المؤمنين لقيهم كفار في اشهر الحرم فابى المؤمنون من قتالهم وابى
المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله فنزلت الاية فيهم
وقوله ذلك بان الله يولج الليل في النهار معناها نصر الله اولياءه ومن
بغي عليه بانه القادر على العظايم الذي لا تضاهى قدرته فاوجز العبارة بان
اشار بذلك الى النصر وعبر عن القدرة بتفصيلها فذكر منها مثالا لا يدعيه غير الله
تعالى وجعل تقصير الليل وزيادة النهار وعكسهما ايلاجا تجوزا وتشبيها
وقوله ذلك بان الله هو الحق معناه نحو ما ذكرناه وقرات فرقة وأن
بفتح الالف وقرات فرقة وإن بكسر الالف وقرات فرقة تدعون بالتاء من فوق
وقرات فرقة بالياء والاشارة بما يدعى من دونه قالت فرقة هي الى الشيطان

وقالت فرقة هي الى الاصنام والعموم هنا حسن **قوله عز وجل** الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه إن الله
بالناس لرءوف رحيم ٥ قوله الم تر تنبيه وبعده خبر إن الله انزل من
السماء ماء فتظل الارض مخضرة وقوله فتصبح بمنزلة قوله فتضحي او تصير
عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ورفع قوله
تصبح من حيث الاية خبر والفاء عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله
الم تر فاسد المعنى وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة
ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطر **قال ابو محمد**
وذهب ان ذلك الاخضرار في ساير البلاد يتاخر قـال ابو محمد وقد شاهدت
هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط واصبحت تلك الارض الرمله
التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق وقرا الجمهور مخضرة
وقرات فرقة مخضرة واللطيف المحكم للامور برفق واللام في قوله ما في السموات
لام الملك والغني الذي لا حاجة به الى شيء هكذا هو على الاطلاق وقوله
سخر لكم ما في الارض يريد من الحيوان والمعادن وساير المرافق وقرا الجمهور
والفلك بالنصب وذلك يحتمل وجهين من الاعراب احدهما ان تكون عطفا
على ما تقديره وسخر الفلك والاخر ان تكون عطفا على المكتوبة بتقدير وان
الفلك وقوله تجري على الاعراب الاول في موضع الحال وعلى الاعراب
الثاني في موضع الخبر وقرات فرقة والفلك بالرفع فتجري خبر على هذه القراة وقوله
الا باذنه يحتمل ان يريد يوم القيامة كان طي السماء ونقض هذه الهيئة يوقعها
ويحتمل ان يريد بذلك الوعيد في انه اذن في سقوط السماء عليكم كسفا سقطت
ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه

فانه اراد الا انه فيه نسكها والى الله من قوله تعالى وهو الذي
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل امة جعلنا
منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى
مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامه
فيما كنتم فيه تختلفون ٥ الاحيا والاماتة في هذه الايه لان ترات وسقط
منها الموت الاول الذي نص عليه في غير هذه الايه بالمعنى في هذه والمنسك
المصدر فهو بمعنى العباده والشرعه وهو ايضا موضع النسك وقرات
فرقة بفتح السين وفرقة بكسرها وقد تقدم القول في هذه السوره وقوله
ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون
فيه وروت فرقة ان هذه الايه نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذباح
وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تاكلون ما قتل الله من
الميته فنزلت الاية بسبب هذه المنازعه وقوله فلا ينازعنك هذه البنيه
من الفعل والنهي يحتمل معنى التخويف ويحتمل معنى احتقار الفاعل وانه اقل
ان تفاعل وهذا هو المعنى في هذه الايه وقال ابو اسحق المعنى فلا تنازعهم
فينازعوك قال ابو محمد وهذا التقدير الذي قدر انما يحسن مع معنى
التخويف وانما يحسن ان تقدر هذا المعنى فلا بد لهم ينازعنك فالنهي انما
يراد به معنى من غير اللفظ كما يراد في قولهم لا ارينك هاهنا اي لا تكن
هاهنا وقرات فرقة فلا ينزعنك وقوله في الامر معناه على التاويل ان
المنسك الشرعه لا ينازعنك في الدين والكتاب ونحوه وعلى ان المنسك
موضع الذبح على ما روت الفرقه المذكوره من ان الايه نزلت في الذبائح
فيكون الامر الذبح والهدي في هذه الايه الارشاد وقوله وان جادلوك
الايه موادعه محضه نسختها اية السيف وباقي الايه وعيد قوله تعالى
الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله

يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر
من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ٥ لما اخبر
تعالى في الايه قبلها بانه يحكم بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه اتبع
ذلك الخبر بان عنده علم كل شي ليقع الحكم في معلوم فخرجت العباره على
طريق التنبيه على علم الله واحاطته وان ذلك كله في كتاب وهو اللوح المحفوظ
وقوله ان ذلك على الله يسير يحتمل ان تكون الاشاره الى كون ذلك في
كتاب وكونه معلوما ويحتمل ان تكون الاشاره الى الحكم في الاختلاف ثم
ذكر تعالى على جهة التوبيخ فعل الكفره في انهم يعبدون من الاصنام من
دون الله ما لم ينزل الله فيه حجة ولا برهانا والسلطان الحجة حيث وقع
من القران وقوله وما للظالمين من نصير توعد والضمير في عليهم عائد على
كفار قريش والمعنى انهم كانوا اذا سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم
او من احد من اصحابه وسمعوا ما فيه من رفض الهتهم والدعا الى التوحيد
عرفت المساة في وجوههم والمنكر من معتقدهم وعدوانهم وانهم يريدون
ويتسرعون الى السطوة بالتالي والمعنى انهم يكادون يسطون دهرهم اجمع
واما في الشاذ من الاوقات فقد سطوا بالتالين كما فعل بعبد الله بن مسعود
وبالنبي صلى الله عليه وسلم حين اغاثه وحل الامر ابو بكر الصديق وبعمر
حين اجاره العاصي بن وائل وبابي ذر وغير ذلك والسطو ايقاع ببطش
او امر بقاصم ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع
انبئكم اي اخبركم بشر من ذلكم والاشاره بذلكم الى السطوة ثم ابتدا
ينبئ كان قائلا قال له وما هو قال النار اي نار جهنم وقوله وعدها الله
الذين كفروا ويحتمل ان يكون اراد ان الله وعدهم النار فيكون الوعد في

الشر ونحو ذلك لما نص عليه ولم يجي مطلقا ويحتمل ان يكون اراد ان الله
تعالى وعد النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعد على بابه الذي يقتضي
تسوغها الى الحسنا دونحو هذا قولها هل من مزيد ونحوه ان ذلك وبئس المصير
مفعل من صار إذا تحول من حال الى حال قال ابو محمد ويقتضي كلام
الطبري في هذه الآية ان الاشارة بذلكم الى اصحاب محمد التالين ثم قال
الا اخبركم باكره اليكم من هولاء انتم الذين وعدتم النار واسند هذا
القول الى قايل لم يسمه وهذا كله ضعيف **قوله تعالى** يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ٥ الخطاب
بقوله يا ايها الناس قيل هو خطاب يعم جميع العالم وقيل هو خطاب
للمومنين حينيذ الذين اراد الله ان يبين عندهم خطا الكافرين ولا شك
ان المخاطب هم ولكنه خطاب يعم جميع الناس متى نظره احد في امر
عبدة الاوثان توجه له الخطاب واختلف المتاولون في فاعل ضرب من
هو فقالت فرقة المعنى ضرب اهل الكفر مثلا لله اصنامهم واوثانهم
فاستمعوا انتم ايها الناس لامر هذه الالهة وقالت فرقة المعنى ضرب مثلا
لهذه الاصنام وهو كذا وكذا فالمثال والمثل في القول الاول هي
الاصنام والذي جعله المثال الله تعالى والمثال في التاويل الثاني
هو في الذباب وامره والذي جعل له هي الاصنام ومعنى ضرب اثبت
والزم وهذا كقوله ضربت عليهم الذلة وكقولهم ضربت الجزية وضرب
البعث ويحتمل ان يكون ضرب المثل من الضرب الذي هو المثل من
قولك هذا ضرب هذا فكانه قال هذا مثل مثل وقرات فرقة يدعون
بالياء من تحت والضمير للكفار وقرات فرقة يدعون بضم الياء وفتح العين

على ما لم يسم فاعله والضمير للاصنام ونبه تعالى بنفي الخلق والاختراع عنهم
من حيث هي صفة ثابتة له مختصة به فكانه قال ليس لهم صفتي ثم بين الامر الذي
يبلغ بهم غاية التعجيز وذكر تعالى امر سلب الذباب لانه كان كثيرا محسوسا
عند العرب وذلك انهم كانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب
يذهب بذلك وكانوا يتالمون من هذه الجهة فجعلت مثلا والذباب جمعه
اذبة في القليل وذبان في الكثير كغراب واغربة وغربان ولا يقال ذبابات الا
في الديون لا في الحيوان واختلف المتاولون في قوله ضعف الطالب والمطلوب
فقالت فرقة اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب اي انهم ينبغي ان
يكونوا طالبين لما سلب من طيبهم على معهود ذلك في الحيوان وقالت فرقة
معناه ضعف الكفار في طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الاصنام وضعف
الاصنام عن اعطا ذلك وانالته قال ابو محمد ويحتمل ان يريد ضعف
الطالب وهو الذباب في استلابه على الاصنام وضعف الاصنام في ان لا منعة
لهم وعلى كل قول يدل ضعف الذباب الذي هو محسوس مجمع عليه وضعف
الاصنام في ان لا منعة لهم عن هذا المجمع على ضعفه على ان الاصنام في احط
رتبة واخس منزلة وقوله ما قدروا الله حق قدره خطاب للناس المذكور
والضمير في قدروا للكفار والمعنى ما وفوه حقه من التعظيم والتوحيد
ثم اخبر بقوة الله وعزته وهما صفتان مناقضتان لعجز الاصنام **قوله تعالى**
الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا وا
اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ٥ روي ان هذه الاية الى
قوله الامور نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة اانزل عليه الذكر من بيننا
الاية فاخبر الله تعالى انه يصطفي اي يختار من الملايكة رسلا الى الانبيا
وغيرهم حسبما ورد في الاحاديث ومن الناس وهم الانبيا المبعوثون لاصلاح

الخلق الذين اختصهم النبوة والرسالة وقوله ما بين أيديهم
وما خلفهم عبارة عن احاطة علمه بهم وحقيقته ما قبلهم من الحوادث
وما بعدهم والامور جمع امر ليس يراد به المصدر ثم امر الله تعالى المؤمنين
بعبادته وخص الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاة واختلف الناس
هل في هذه الآية سجدة وذهب مالك ان لا سجدة هاهنا وقوله
وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع
وقوله لعلكم ترجع في حق المؤمنين كقوله لعله يتذكر او يخشى والفلاح في هذه
الآية نيل البغية وبلوغ الامل **قوله عز وجل** وجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم
النصير ٥ قالت فرقة هذه آية امر الله تعالى فيها بالجهاد في سبيله وهو قتال
الكفار وقالت فرقة هي اعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد الكافرين
وجهاد الظلمة وغير ذلك امر الله عباده بان يفعلوا ذلك في ذات الله تعالى
حق فعله قال ابو محمد والعموم حسن وبين ان عرف اللفظة يقتضي
القتال في سبيل الله وقال هبة الله وغيره ان قوله حق جهاده وقوله
في الاخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف الى الاستطاعة قال ابو محمد ومعنى
الاستطاعة في هذه الاوامر هو المراد من اول الامر فلم يستقر تكليف بلوغ الغاية
شرعا ثابتا فقال انه نسخ بالتخفيف واطلاقهم النسخ في هذا غير محذور واجتباكم
معناه تخيركم وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج معناه من تضييق
يريد في شرعه الملة وذلك انها حنيفية سمحة ليست كشدائد بني اسرائيل وغيرهم
بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما كثر عده والحرجة الشجر
الملتف المتضايق ورفع الحرج صح لجمهور هذه الامة ولمن استقام على منهاج
الشرع واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج
وهم جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا
من الزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة
العزم ليس بحرج وقوله ملة نصب بفعل مضمر تقديره الزموها او نحوه
من افعال الاغراء وقال الفراء هو نصب على تقدير حذف الكاف كانه قال
كملة وقيل هو بما نصب المصدر وقوله سماكم قال ابن زيد الضمير لابراهيم
والاشارة الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال ابن عباس وقتادة
ومجاهد الضمير لله تعالى ومن قبل معناه في الكتب القديمة وفي هذا اي القرآن
وهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير لابراهيم ولا تتوجه الا على تقدير
محذوف من الكلام مستأنف وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بالتبليغ
وقوله وتكونوا شهداء على الناس اي بتبليغ رسلهم اليهم على ما اخبركم نبيكم
واخبر الطبري عن قتادة انه قال اعطيت هذه الامة ما لم تعطه الا نبي كان
يقال للنبي انت شهيد على امتك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج
وكان يقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه ادعوني استجب لكم ثم امر تعالى بالصلاة
المفروضة ان تقام ويدام عليها بجميع حدودها وبالزكاة ان تؤدى كما
امر عليكم فافعلوا كذا ثم امر بالاعتصام بالله اي بالتعلق به والخلوص له
وطلب النجاة منه ورفض التوكل على سواه والمولى في هذه الآية معناه الذي
يليكم نصره وحفظه وباقي الآية بين ٨ كمل تفسير سورة الحج

تفسير سورة المؤمنين بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون
والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
٥ اخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وانهم نالوا البغية واحرزوا البقاء الدائم

وروى عن كعب الاحبار ان الله تعالى لما خلق جنة عدن قال لها تكلمي فقالت
قد افلح المؤمنون وروي عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها
قال قد افلح المؤمنون وقرا طلحة بن مصرف قد أُفلح المؤمنون بضم الالف بيد
قد افلحوا اوهى قراءه مردوده وروي عنه قد أُفلح بضم الهمزة وكسر اللام وصف
تعالى هولا المفلحون فقال الذين هم في صلاتهم خاشعون والخشوع التطامن
وسكون الاعضا والوقار وهذا انما يظهر في الاعضا ممن في قلبه خوف واستكانة
وروي عن بعض العلما انه راى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا
خشعت جوارحه وروي ان سبب هذه الاية ان المسلمين كانوا يلتفتون
في صلاتهم عنة وبسرة فنزلت هذه الاية وامروا ان يكون نظر المصلي حذا قبلته
او بين يديه وفي الحرم الى الكعبة وروى عن ابن سيرين وغيره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان ينظر في صلاته الى السما فنزلت الاية في ذلك واللغو سقط
القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع اداب الشرع وكذلك كان النبي واصحابه
وكان الاية فيها موادعه وقوله والذين هم للزكاة فاعلون ذهب الطبري
وغيره الى انها الزكاة المفروضة في الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد
بالزكاة الفضايل كانه اراد الازكى من كل فعل كما قال تعالى خيرا منه زكاة
واقرب رحما وقوله والذين هم لفروجهم حافظون صفة العفة وقوله
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الاية يقتضي تحريم الزنا والاستمنا ومواقعة
البهائم وكل ذلك في قوله وراء ذلك ويريد وراء هذا الحد الذي حد ومعنى ما
ملكت ايمانهم من النسا ولما كان حافظون بمعنى يحفظون حسن استعمال على والعادي
الظالم **قوله عز وجل** والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين
هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم
فيها خالدون ٥ قرا جمهور الناس لاماناتهم بالجمع وقرا ابن كثير لامانتهم بالافراد
والامانة والعهد تجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم

معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ورعاية ذلك حفظه والقيام به
والامانة اعم من العهد اذ كل عهد فهو امانة فيما تقدم فيه قول او فعل او معتقد
وقد تعم امانة فيما لم يتعهد فيه تقدم وهذا اذا اخذناهما بنسبتهما الى العباد
فان اخذناهما من حيث هما عهد الله الى عباده وامانته التي حملهم كانا في رتبة
واحدة وقرا الجمهور صلواتهم وقرا حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد وهذا
الافراد اسم جنس فهو في معنى الجمع والمحافظة على الصلاة ترفها وقيامها والمبادرة
الى وقت الفضل فيها والوارثون يريد الجنة وروي من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار
فاما المؤمنون فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار في منازلهم
في النار قال ابو محمد ويحتمل ان يسمى تعالى الحصول على الجنة وراثة من حيث
حصلوها دون غيرهم فهو اسم مستعار على الوجهين والفردوس مدينة الجنة
وهي جنة الاعناب واللفظة فيما قال مجاهد رومية عربت وقيل هي فارسية عربت
والعرب تقول للكروم فراديس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لام حارثة
انها جنان كثيرة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى **قوله عز وجل** ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ٥ هذا ابتدا كلام والواو في اوله عاطفة
جملة الكلام على جملة وان تباينت في المعاني واختلف المفسرون في قوله الانسان
فقال قتادة وغيره اراد ادم عليه السلام لانه استل من الطين قال ابو محمد ويجي
الضمير في قوله ثم جعلناه عايدا على ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان
المعنى لا يصلح الا له نظير ذلك حتى توارت بالحجاب وغيره وقال ابن عباس وغيره
المراد بقوله الانسان ابن ادم والسلالة من طين صفوة الما قال ابو محمد
وهذا على انه اسم الجنس ويترتب فيه انه سلالة من حيث كان الكل عن ادم او عن

الأنوثه المتغذيين بما يكون من الطين وذلك النسغ الذي جعل الله رزق بني
آدم فيها ويجي قول ابن عباس فيها إن شا الله وعلى هذا الحي قول ابن عباس إن
السلاله صفوه الما يعني المني وقال مجاهد سلاله من طين مني آدم قال
أبو محمد وهذا من إذ آدم طين وذريته من سلالة وما يكون على الشي فهو
سلالته وخلف وجوه ذلك الكون فمنه قولهم للخمر سلاله لأنها سلالة العنب
ومنه قول الشاعر :: إذا نتجت منها المهاري تشابهت على العود إلا بالأنوف سلالة ::
ومن اللفظة قول هند بنت النعمان بن بشير :: سليله أفراس تجللها بغل ::
ومنه قول الآخر :: فجات به عضب الأديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين ::
وهذه الفرقة بترتيب مع قولها عود الضمير في جعلناه وأنشأناه والنطفه
تقع في اللغه على قليل الما وعلى كثيره وهو هنا المني من آدم والقرار المكين من
المراه هو موضع الولد والمكين المتمكن فإن القرار هو المتمكن في الرحم
والعلقة الدم الغليظ والمضغة اللحم قدر ما يمضغ وقرا الجمهور عظاما
في الموضعين وقرا ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر عظما بالإفراد في الموضعين
وقرا السلمي وقتاده والأعرج والأعمش بالإفراد أولا وبالجمع في الثاني وقرا
مجاهد وأبو رجا وإبراهيم بن أبي بكر بعكس ذلك وفي قراءة ابن مسعود ثم جعلنا
المضغه عظما وعصبا فكسوناه لحما واختلف الناس في الخلق الآخر
فقال ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه
وقال ابن عباس أيضا خروجه إلى الدنيا وقال قتاده عن فرقه نبات شعره
وقال مجاهد كمال شبابه وقال ابن عباس أيضا تصرفه في أمور الدنيا
قال أبو محمد وهذا التخصيص كله لا وجه له وإنما هو عام في هذا وغيره
من وجوه النطق والإدراك وحسن المحاوله وهو بها آخر وأول رتبه
من كونه آخر هي نفخ الروح فيه والطرف الآخر من كونه آخر تحصيله المعقولات
إلى أن يموت وتبارك هو مطاوع بارك فكأنها بمنزلة تعالى وتقدس من معنى البركه

وهذه الآية يروى أن عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآية إلى قوله آخر
قال فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا
أنزلت ويروى أن قايل ذلك معاذ بن جبل ويروى أن قايل ذلك هو
عبد الله بن أبي سرح وبهذا السبب ارتد وقال أنا آتي بمثل ما يأتي به محمد
وفيه نزلت ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شي
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله الآية وقوله أحسن الخالقين معناه أحسن
الصانعين يقال لمن صنع شيا خلقه ومنه قول الشاعر
:: ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري :: وذهب بعض
الناس إلى نفي هذه اللفظه عن الناس فقال ابن جريج إنما قال الخالقين لأنه تعالى
قد أذن لعيسى أن يخلق واضطرب بعضهم في ذلك قال أبو محمد ولا تنفى
اللفظه عن البشر في معنى الصنع وإنما هي منفيه بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم
ومن هذه الآية قال ابن عباس لعمر حين سأل مشيخه الصحابه عن ليلة القدر فقالوا
الله أعلم فقال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا أمير المومنين إن الله خلق السموات
سبعا والأرضين سبعا وخلق ابن آدم من سبع وجعل رزقه في سبع فأراها في ليله
سبع وعشرين فقال عمر أعجزتم أن تأتوا بمثل ما أتى به هذا الغلام الذي لم تجتمع
شوون رأسه وهذا الحديث بطوله في مسند ابن أبي شيبه فأراد ابن عباس بقوله
خلق ابن آدم من سبع هذه الآية وبقوله وجعل رزقه في سبع قوله تعالى فأنبتنا فيها
حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهه وأبا الآية السبع منها لابن آدم
والأب للأنعام والقضب يأكله ابن آدم ويسمن منه النسا هذا قول وقيل القضب
البقول لأنها تقضب فهي رزق ابن آدم والسابعه هي الأنعام إذ هي من أعظم
رزق ابن آدم **قوله عز وجل** ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السما ما بقدر
فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل

وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين ۝ ذلك اشارة الى ما ذكر من هذه الاحوال وقرا ابن ابي
عبلة لمايتون بالالف وتبعثون معناه من قبوركم احيا وهذا خبر بالبعث والنشور
والطرايق كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض ومنه طارقت نعلي ويريد بالسبع
الطرايق السموات ويجوز ان تكون الطرايق بمعنى المبسوطات من طرقت الشي وقوله
تعالى وما كنا عن الخلق غافلين نفي عام اي في اتقان خلقهم وعن حفظهم
وعن اعمالهم وقوله تعالى ماء بقدر قال بعض العلما اراد المطر وقال بعضهم
انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والفرات والنيل **قال ابو محمد**
والصواب ان هذا كله داخل تحت الماء الذي انزله الله تعالى وقال مجاهد
ليس في الارض ماء الا وهو من السماء قال ابو محمد ويمكن ان يقيد هذا بالعذب
والا فالاجاج ثابت في الارض مع القحط والعذب يقل مع القحط وايضا فالاحاديث
تقتضي الما الذي كان قبل خلق السموات والارض ولا محالة ان الله قد جعل في
الارض ماء وانزل من السماء ماء وقوله بقدر اي على مقدار مصلح لانه لو كثر
اهلك وانشانا معناه اوجدنا وخلقنا وذكر تعالى النخيل والاعناب لانها ثمرة
الحجاز بالطايف والمدينة وغيرهما قاله الطبري ولانها ايضا اشرف الثمار فذكرها
مثلا تشريفا لها وتنبيها عليها وقوله لكم فيها يحتمل ان يعود الضمير على الجنات
يريد فيها جميع انواع الفاكهة ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ
فيها مراتب وانواع والاول اعم لساير الثمرات وقوله وشجرة عطف على
قوله جنات ويريد بها الزيتونة وهي كثيرة في طور سيناء من ارض الشام وهو الجبل
الذي كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره والطور الجبل في كلام
العرب وقيل هو مما عرب من كلام العجم واختلف في سيناء فقال قتادة معناه
الحسن ويلزم على هذا التاويل ان ينون الطور وقال مجاهد معناه مبارك
وقال معمر عن فرقة معناه ذو شجر قال ابو محمد ويلزمهم ان ينون الطور وقال

الجمهور هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وسيناء اسم مضاف اليه الجبل
وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير سيناء بكسر السين وقرا الباقون وعمر بن الخطاب
سيناء بفتح السين وهم بالمد فعلى فتح السين لا ينصرف الاسم بوجه وعلى كسر السين
حرباء فالهمزة كهمزة حرباء ولم ينصرف في هذه الاية لانه جعل اسم بقعة او ارض وقرا
الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء فالتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج
زيد بسلاحه وقرا ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء واختلف في التقدير
على هذه القراءة فقالت فرقة الباء زايدة وهذا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وهذا المثال عندهم معترض وان كان ابو علي قد ذكره وكقول الشاعر
نحن بنو جعدة ارباب الفلج ۝ نضرب بالسيف ونرجو بالفرج ۝ ونحو هذا
وقالت فرقة التقدير تنبت جناها ومعها الدهن فالمفعول محذوف قاله ابو علي الفارسي
ايضا وقد قيل نبت وانبت بمعنى فيكون الفعل كما مضى وقراءة الجمهور والاصمعي
ينكر انبت ويتهم قصيدة زهير التي فيها انبت البقل وقرا الزهري والحسن والاعرج
تنبت برفع التاء ونصب الباء قال ابو الفتح هي باء الحال اي تنبت ومعها دهنها وفي قراءة
ابن مسعود تخرج بالدهن وهي ايضا باء الحال وقرا زر بن حبيش تنبت بضم التاء وكسر
الباء الدهن بحذف الباء ونصبه وقرا سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان بالالف
والمراد في هذه الاية تعديد نعمة الزيت على الانسان وهي من اركان النعم التي لا
غنى للصحة عنها ويدخل في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الاقطار
وقرات فرقة وصبغ وقرات فرقة واصباغ بالجمع وقرا عامر بن عبد قيس ومتاعا
للآكلين **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ الانعام هي الابل
والبقر والضان والمعز والعبرة في خلقها وساير احوالها وقرا الجمهور نسقيكم
بضم النون من اسقى وروي عن عاصم وقرا نافع وعاصم وابن عامر نسقيكم بفتح
النون من سقى ومن الناس من قال هما لغتان بمعنى ومنهم من قال سقيته اذا اعطيته

للشفقة واسقيته اذا جعلت له سقيا لأرض او ثمرة او نحوه فكان الله تعالى جعل
الانعام لعباده سقيا يشربون وينتفعون وقرأ ابو جعفر تسقيكم بالتاء من
فوق اي تسقيكم الانعام والمنافع الحمل عليها وجلودها واصوافها واوبارها
وغير ذلك مما يطول عده والفلك السفن واحدها فلك والحركات في الواحد
حركات قفل وبرد والحركات في الجمع حركات أسد ووثن **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون ۝ هذا ابتدا تمثيل
لكفار قريش بأمم قد هلكت بأنبيائها فأهلكوا ففي ضمن ذلك الوعيد بأن تحل
بهؤلاء نحو ما حل بأولئك ونوح عليه السلام اول نبي ارسل الى الناس وادريس
اول من نبي ولم يرسل والملأ الاشراف لانهم عيهم بصدر الملأ وهو جمع القوم
وفي قولهم هؤلاء استبعاد بعثة البشر وهم قوم يعرفون بالملائكة وذلك لا شك
متقرر عندهم من تناسوه ادم وادريس وغيرهما ولم يكن ذلك الا عن علم صحيح
ولا معرفة باخبار نبوة والجنة الجنون وتربصوا معناه اصبروا وانتظروا
هلاكه وحتى حين معناه الى وقت ولم يعينوه وانما ارادوا الى وقت يحلم القدر
به ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وان كان دعاؤه في هذه
الاية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضي طلب العقوبة
واما النصرة بمجردها فكانت تكون بردهم الى الايمان وقرأ ابو جعفر وبن
محيصن رب انصرني برفع البا وكذلك رب احكم وشبهه **قوله تعالى**
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جا امرنا وفار التنور فاسلك
فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك

فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا
وانت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ۝ قد تقدم القول
في صفة السفينة وقدرها في سورة هود والفلك هنا مفرد لا جمع وقوله
تعالى باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة على
اعين واعين ولا يجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية
ووحينا معناه في كيفية العمل ووجه البيان وذلك ان جبريل عليه السلام نزل
الى نوح فقال له اصنع كذا وكذا لجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه واتخذ
الكفار نوحا لادعائه بزعمهم انها دعوى وسخروا منه لعمله السفينة على غير بحر
او لكونها اول سفينة ان صح ذلك وقوله امرنا يحتمل ان يكون مصدرا
يعني ان نأمر الما الفيض ويحتمل ان يريد واحد الامور اي اهلاكنا للكفرة
وقد تقدم القول في معنى قوله وفار التنور والصحيح من الاقوال فيه انه تنور
الخبز وانها امارة كانت بين الله وبين نوح عليه السلام وقوله فاسلك
معناه فادخل ومنه قول الشاعر
‹‹ حتى سلكن الشوى منهن في مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج ›› وقال الآخر
‹‹ وكنت لزاز خصمك لم أعرد وقد سلكوك في يوم عصيب ›› فقال سلك
واسلك بمعنى وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين وقرأ الباقون وابو بكر عن
عاصم باضافة كل دون تنوين والزوجان كل ما شأنه الاصطحاب من كل شيء
نحو الذكر والانثى من الحيوان ونحو النعال وغيرها كل واحد زوج للآخر
هذا موقع اللفظة في اللغة والعدديون يوقعون الزوج على الاثنين وعلى
هذا امر استعمال العامة للزوج وقوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى
من سبق عليه القول بانه كافر وهو ابنه وامرأته ثم امر نوح عليه السلم
الا يراجع ربه ولا يخاطبه شافعا في احد من الظالمين والاشارة الى من استثنى
اذ الغرق من البشر الحيوان على الاهل ثم امره تعالى بان يحمد ربه على النجاة

من الظلمة عند استوائه وتمكنه في الفلك ثم أمره بالدعاء في بركة المنزل
وقرأ عاصم في رواية أبي بكر منزلا بفتح الميم وكسر الزاي وهو موضع
النزول وقرأ الباقون وحفص عن عاصم منزلا وهو مصدر بمعنى الانزال بضم
الميم وفتح الزاي ويجوز أن يراد موضع النزول وقوله تعالى إن في ذلك
لآيات خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أي إن فيما جرى على هذه الأمم لعبرا
ودلائل لمن له نظر وعقل ثم أخبر أنه تعالى يبتلي عباده الزمن بعد الزمن
على جهة الوعيد لكفار قريش بهذه الأخبار وإن عند سيبويه هي المخففة من
الثقيلة واللام لام التأكيد والفراء يقول إن نافية بمعنى ما واللام بمعنى إلا ومعناه
مصيبين بلاء ومختبرين اختبارا يؤدي إلى ذلك قوله عز وجل ثم أنشأنا من
بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون
منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ٥
قال الطبري إن هذا القرن هم ثمود ورسولهم صالح قال
أبو محمد وفي جل الروايات ما يقتضي أن قوم عاد أقدم إلا أنهم لم يهلكوا
بصيحة وفي هذا احتمالات كثيرة والله أعلم وأترفناهم معناه نعمناهم
وبسطنا لهم الآمال والأرزاق ومقالة هؤلاء تقتضي استبعاد بعثة
البشر وهذه الطائفة وقوم نوح لم يذكر في هذه الآيات أن المعجزة
ظهرت لهم وأنهم كذبوا بعد وضوحها ولكن ذلك مقدر معلوم
وإن لم تعين لنا المعجزة والعقاب لا يتعلق بأحد إلا بعد تركه الواجب
عليه ووجوب الاتباع إنما هو بعد قيام الحجة على المرء ادعى من هو
المعتقد والجمهور كالعرب في معجزة القرآن والأطباء لعيسى والسحرة
لموسى فتمام الحجة على هذا قائمة على جميع من وراءهم قوله عز وجل

أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات
لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إن هو إلا
رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون ٥
قوله أيعدكم استفهام بمعنى التوقيف على جهة ومعنى الهزء بهذا الوعيد
وأنكم الثانية بدل من الأولى عند سيبويه وفيها معنى تأكيد الأولى وكررت
لطول الكلام وكان المبرد يأبى عبارة البدل لكونه من غير مستقل إذ لم يذكر
خبر إن الأولى والخبر عند سيبويه محذوف تقديره أنكم تبعثون إذا متم وهذا
المقدر هو العامل في إذا وفي قراءة عبد الله بن مسعود أيعدكم إذا متم وكنتم
ترابا وعظاما أنكم مخرجون بحذف أنكم الأولى وتعنون بالإخراج النشور من القبور
وقوله هيهات هيهات استبعاد وهذه كلمة لها في الفعل التقدير بعد كذا
فطورا تلي الفعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد أي بعد ذلك ومنه قول
جرير ٤ فهيهات هيهات العقيق ومن به وهيهات خل بالعقيق نواصله ٤
وأحيانا يكون الفعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود
لما توعدون ومن حيث كانت هذه اللفظة بمعنى الفعل أشبهت الحروف مثل
صه وغير ذلك ولذلك بنيت على الفتح وهذه قراءة الجماعة بفتح التاء وهي مفرد
سمي به الفعل في الجراء أي بعد كما أن شتان اسم افترق وعرف تسمية الفعل
أن يكون في الأمر كصه ومه وقرأ أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء غير
منونة وقرأها عيسى بن عمر وأبو حيوة بخلاف عنه هيهات بتاء مكسورة منونة
وهي على هذا بين القراءتين عند سيبويه جمع هيهات وكان حقها أن تكون هيهات
إلا أن ضعفها لم يقتض إظهار الياء فقال سيبويه رحمه الله هي مثل بيضات أراد في أنها
جمع فظن بعض النحاة أنه أراد في اتفاق المفرد فقال واحد هيهات هيهة وليس
كما قال وتنوين عيسى على إرادة التنكير ونزل أبي جعفر التنوين على إرادة التعريف
وقرأ عيسى الهمداني هيهات هيهات بتاء ساكنة وهي على هذا جماعة لا مفرد وقرأها هالك

الأعرج وروت عن أبي عمرو وقرأ أبو حيوة هيهاتٌ بتاء مرفوعة منونة
وهذا على أنه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون أي البعد لما توعدون كما
تقول النجح لسعيك وروي عن أبي حيوة هيهاتُ بالرفع دون تنوين وقرأ خالد
بن إلياس هيهاتاً هيهاتاً بالنصب والتنوين والوقوف على هيهات من حيث هي
مبنية بالهاء ومن قرأ بخفض التاء وقف بالتاء وفي اللفظة لغات هيها وهيهات
وهيهان وأيهات وهيهاتٍ وهيهاتٍ وهيهاتُ وهيهاً قال رؤبة
❊ هيهات من منخرق هيهاؤه ❊ وقرأ ابن أبي عبلة هيهاتُ هيهاتُ ما توعدون
بغير لام وقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا أرادوا أنه لا وجود لنا غير هذا
الوجود وإنما تموت منا طائفة فتذهب وتجيء طائفة جديدة وهذا هو قول الدهرية
ومؤمنين معناه مصدقين ثم دعا عليهم نبيهم وطالب عقوبتهم على تكذيبهم ❊
قوله تعالى قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء
فبعداً للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ما تسبق من أمة أجلها
وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا
بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ۝ المعنى قال الله
لهذا النبي الداعي عما قليل يندم قومك على حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر
الصيحة ذهب الطبري إلى أنهم قوم ثمود وقوله بالحق معناه بما استحقوا بأفعالهم
وبما حق منا في عقوبتهم والغثاء ما يحمله السيل من زبده ومعتاده الذي لا ينتفع
به فيشبه كل هامد وتالف بذلك وبعداً منصوب بفعل متروك إظهاره
ثم أخبر تعالى عن أنه أنشأ بعدهم أمماً كثيرة كل أمة بأجل وفي كتاب لا تتعداه
في وجودها وعند موتها وتترى مصدر بمنزلة فعلى مثل الدعوى والعدوى
ونحوها وليس تترى بفعل وإنما هو مصدر من تواتر الشيء وقرأ الجمهور تترى
كما تقدم ووقفهم بالألف وحمزة والكسائي يميلانها قال أبو حاتم هي ألف
تأنيث وقال ابن كثير وأبو عمرو تترًى بالتنوين ووقفهما بالألف وهي ألف إلحاق

قال ابن سيده يقال جاؤوا تترى وتترًى أي متواترين التاء مبدلة من الواو
على غير قياس لأن قياس إبدال الواو تاء إنما هو في افتعل فاؤه واو فإن فاءه
تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل وذلك نحو اتزن واتخذ وقوله فأتبعنا بعضهم
بعضاً أي في الإهلاك وقوله وجعلناهم أحاديث يريد أحاديث مثل وقلما
يستعمل الجعل حديثاً إلا في الشر **قوله تعالى** ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون
بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإيه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا
أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين
۝ ثم هاهنا على بابها لترتيب الأمور واقتضاء المهلة والآيات التي جاء بها موسى
وهارون هي اليد والعصا اللتان اقترن بهما التحدي وهما السلطان المبين ويحتمل
في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر والمرسلات الست وأما غير ذلك مما جرى
بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني إسرائيل والملأ
هاهنا الجمع يعم الأشراف وغيرهم واستكبروا معناه عن الإيمان بموسى
وأخيه لأنهم أنفوا من ذلك وعالين معناه قاصدين العلو بالظلم والكبرياء
وقوله عابدون معناه خادمون ومن هذا قيل لعرب الحيرة العباد لأنهم
دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى وهذا أحد القولين في تسميتهم والطريق
المعبد المذلل وعلوهم هو الذي ذكر الله تعالى في قوله تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ومن المهلكين يريد بالغرق
قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم
وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ۝ الكتاب التوراة ولعلهم يريد بني إسرائيل
لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط والترجي يقع في حيز
البشر أي كان من جعلنا معهم يترجوا سعة من أحد إيمانهم وهذا هو القضا
فترجيهم بما خلقهم ومن مريم عيسى عليه السلام وقصتها لها آية عظمى بمجموعها وهي آيات

مع التفصيل وأخذها من كل الوجهين متمكن وأوى معناه ضم واستعمال اللفظه
في الاماكن اي اقررناهما والربوة المرتفع من الارض وقرا جمهور الناس ربوه
بضم الرا وقرا عاصم وابن عامر بفتحها وهي قراه الحسن وابي عبد الرحمن وقرا ابن عباس
ونصر عن عاصم كسرها وقرا محمد بن ابي اسحق رباوه بضم الرا وقرا الاشهب
العقيلي بفتحها وقرات فرقة بكسرها وكلها لغات فيها والقرار التمكن فعني
هذا انها مستوية منبسطة للحرث والغراسة قاله ابن عباس وقال قتادة القرار
هنا الثمار والحبوب ومعني الايه انها من البقاع التي تحلت حتي لها فهي اهل ان
يستقر فيها وقد يمكن ان يستقر علي الكمال في البقاع التي ماواها لا بد فيه بعد
ان ماهته الربوه يري معنيا جاريا علي وجه الارض قاله ابن عباس وهذا تمام
الكمال والمعين الظاهر الجري للعين فالميم زايده وهو الذي يعاين جريه
لا كالبير ونحوه وكذلك ادخل الخليل هذه اللفظه في باب ع ي ن وقد
يحتمل ان يكون من قولهم معن الما اذا كثر ومن قولهم المعن المعروف والجود
فالميم فا الفعل وانشد الطبري علي هذا قول عبيد بن الابرص
واهيه او معين معن وهضبه دونها لهوب ٥ وقد قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم رحم الله هاجر لو تركت ماء زمزم لكانت عينا معينا وهذا
يحتمل الوجهين وهذه الربوه هي الموضع الذي فرت اليه مريم حين استحيت
في قصه عيسي عليه السلام وهو الذي قيل لها فيه قد جعل ربك تحتك سريا هذا قول
بعض المفسرين واختلف الناس في موضع الربوه فقال ابن المسيب سعيد هي الغوطه
بدمشق وهذا اشهر الاقوال لان صفه الغوطه انها ذات قرار ومعين علي الكمال
وقد قال ابو هريره هي الرمله من فلسطين واسند الطبري عن كريب عن مره البهزي
عن النبي صلي الله عليه وسلم ويعارض هذا القول ان الرمله ليس جري بها ما الثنيه
ذكره الطبري وضعف القول به وقد قال كعب الاحبار الربوه بيت المقدس
وزعم ان في التوراه ان بيت المقدس اقرب الارض الي السما وانه يزيد علي اعلا

الارض ثمانيه عشر ميلا قال أبو محمد ويترجح ان الربوه في بيت لحم
من بيت المقدس لان ولاده عيسي هنالك كانت وحينيذ كان الايوا وقال
بن زيد الربوه بارض مصر وذلك انها لا تحتاج الي فيض النيل اليها فيلا الارض
ولا ينال تلك الربا وفيها القري وبها كانت تحلة قال أبو محمد وتضعف هذا القول
انه لم يرو ان عيسي عليه السلام ومريم كانا بارض مصر ولا حفظت لهما بها قصه
وقوله تعالي يايها الرسل يحتمل ان يكون معناه وقلنا يايها الرسل فتكون
هذه بعض القصص التي ذكر وكيف ما حول المعني فلم يخاطبوا قط مجتمعين
وانما خوطب كل واحد في عصره وقالت فرقة الخطاب بقوله يايها الرسل
لمحمد صلي الله عليه وسلم ثم اختلفت فقال بعضها اقامه مقام الرسل كما قال
الذين قال لهم الناس وقيل غير هذا مما لا يثبت مع النظر والوجه في هذا ان
يكون الخطاب لمحمد وخرج بهذه الصيغه ليفهم وجيز ان هذه المقاله قد
خوطب بها كل نبي او هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها وهذا كما تقول
لتاجر يا تجار ينبغي ان تجتنبوا الربا فانت تخاطبه بالمعني وقد اقترن بذلك ان
هذه المقاله تصلح لجميع صنفه وقال الطبري الخطاب بقوله يايها الرسل
لعيسي وروي انه كان ياكل من غزل امه والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل
البريه ووجه خطابه لعيسي ما ذكرناه من تقديره لمحمد صلي الله عليه وسلم والطيبات
هنا الحلال ما لذ وغير ذلك وفي قوله اني بما تعملون عليم تنبيه علي التحفظ وضرب
من الوعيد بالمباحثة صلي الله علي جميع رسله وانبيايه واذا كان هذا معهم فما
ظن كل الناس بانفسهم قوله عز وجل وان هذه امتكم امه واحده وانا
ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في
غمرتهم حتي حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون ٥ قرا عاصم وحمزه والكسايي وان هذه بكسر الالف وشد النون
وقرا ابن عامر وان هذه بفتح الالف وتخفيف النون وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع

وأن هذه بفتح الألف وتشديد النون فالقراءة الأولى تنسيه على القطع وأما
فتح الالف وتشديد النون فمذهب سيبويه انها متعلقة بقوله آخرا فاتقون
على تقدير لأن اي فاتقون لان امتكم امة واحدة وانا ربكم وهذا عنده نحو
قوله عز وجل وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وان عنده في موضع
خفض وهي عند الخليل في موضع نصب لما زال الخافض وقد عكس هذا الذي
نسبت اليهما بعض الناس وقال الفرا ان متعلقة بفعل مضمر تقديره واعلموا او
واحفظوا وقرا الحسن وابن ابي اسحق امة واحدة بالرفع على البدل وقرا نافع
وعاصم وابو عمرو امة واحدة بالنصب على الحال وقيل على البدل من هذه وفي
هذا نظر وهذه الآية تقوي ان قوله تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم
وانه بتقدير حضورهم وفي هذه الآية بعد ذلك تقدير وقلنا للناس وإذا
قررت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قوله
فتقطعوا اما ان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان قيل للانبيا فاممهم داخلون
فيه بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشريعة
والاشارة بهذه الى الحنيفية السمحة ملة ابرهيم عليه السلام وهو دين الاسلام
وقوله فتقطعوا امرهم يريد الامم اي افترقوا وليس بفعل مطاوع كما تقول تقطع
الثوب بل هو فعل متعد بمعنى قطعوا ومثله تجهمني الليل وتخوفني السير وتعرفني
الزمن وقرا نافع زبرا بضم الزاي والباء جمع زبور وقرا الاعمش وابو
عمرو بخلاف زبرا بضم الزاي وفتح الباء فاما القراءة الاولى فيحتمل معنيين احدهما
ان الامم تنازعت امرها كتبا منزلة فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة
وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل وهذا قول قتادة والثاني
انهم تنازعوا امرهم كتبا وضعوها وضلالات الفوها وهذا قول ابن زيد
واما القراءة الثانية فمعناها فرقا كزبر الحديد ثم ذكر تعالى ان كل فريق منهم
معجب برايه وضلالته وهذه غاية الضلال لان المرتاب يتعين يطرق طلب

الحق من حيث كان ذكر الامم وفي هذه الآية مثال لقريش خاطب محمدا
صلى الله عليه وسلم في شانهم متصلا بقوله فذرهم اي فذر هولاء الذين هم
بمنزلة من تقدم والغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء الغمر بما حصل
فيه وقرا ابو عبد الرحمن في غمراتهم وحتى حين اي الى وقت فتح فيهم غير
محدود وفي هذه الآية موادعة منسوخة باية السيف ثم وقفهم على خطا
رايهم في ان نعمة الله عندهم بالمال ونحوه انما هي لرضاه عن حالهم وبين
تعالى ان ذلك انما هو املا واستدراج واختبار وفي قوله نسارع وقرا جمهور
الناس نسارع بنون العظمة وفي الكلام على هذه القراءة ضمير عائد تقديره لهم به
وقرا عبد الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء من تحت وكسر الراء بمعنى ان امدادنا
يسارع ولا ضمير مع هذه القراءة الا ما يتضمن الفعل وروي عن ابي بكرة المذكور
يسارع بفتح الراء وقرا الحر النحوي نسرع بالنون وسقوط الالف والخيرات
هنا نعم الدنيا وقوله بل لا يشعرون وعيد وتهديد والشعور ماخوذ من الشعار
وهو ما يلي الانسان من ثيابه **قوله عز وجل** إن الذين هم من خشية ربهم
مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يوتون ما اوتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في
الخيرات وهم لها سابقون ٥ لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك
بذكر المومنين ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم والاشفاق ابلغ التوقع والخوف
ومن في قوله من خشية هي لبيان جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله
ومن في قوله من عذاب هي لابتدا غاية والايات تعم القران وتعم العبر والمصنوعات
التي لله وعند ذلك نهاية نظر واعتبار وفي كل شي له اية ثم ذكرهم تعالى بنفي
الطرف الاخر وهو نفي الاشراك لان الكفار قريش ان يقولوا ونحن نومن بايات ربنا
ويريدون تصديقا بانه المخترع الخالق فذكر نفي الاشراك الذي لا حظ لهم فيه بسبب

[illegible]

أمثالهم وقوله والذين يؤتون ما آتوا على قراءة الجمهور معناه يعطون
ما أعطوا وقال الطبري يريد الزكاة المفروضة وسائر الصدقة وروي نحوه
عن ابن عمر ومجاهد قال ـــــ ابو محمد وانما ضعفهم الى هذا التخصيص ان العطاء
مستعمل في المال على الأغلب قال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع اعمال البر
وهذا احسن كانه قال والذين يعطون من انفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم
وقرأت عائشة ام المؤمنين وابن عباس وقتادة والاعمش والحسن يأتون
ما أتوا ومعناه يفعلون ما فعلوا وروت هذه القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذهبت فرقة الى ان معناه من المعاصي وذهبت فرقة الى ان ذلك في جميع الاعمال
طاعتها ومعصيتها وهذا امدح واسند الطبري عن عائشة انها قالت قلت يا رسول
الله قوله تعالى يأتون ما أتوا هي في الذي يزني ويسرق قال لا يابنت ابي بكر هي
في الرجل يصوم ويصدق وقلبه وجل يخاف ان لا يتقبل منه قال ـــــ ابو محمد ولا
نظر مع الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف وصورة هذا الوجل اما المخلط
فينبغي ان يكون ابدا تحت خوف من ان يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما
التقي او التائب فخوفه امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى
ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وقال الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون
من البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله قال ـــــ ابو محمد وهذه
عبارة حسنة ويروى عن الحسن ايضا انه قال المؤمن جمع احسانا وشفقة
والمنافق جمع اساءة وامنا وقرأ الجمهور انهم بفتح الالف والتقدير بانهم
او لانهم او من اجل انهم ويحتمل ان يكون قوله وجلة عاملا في ان من حيث
هي بمعنى خائفة وقرأ الاعمش انهم بكسر الالف على الاخبار مقطوع في ضمنه
تخويف ثم اخبر تعالى عنهم بانهم يبادرون الى فعل الخيرات وقرأ الجمهور
يسارعون وقرأ الحر النحوي يسرعون وانهم اليها سابقون وهذا قول بعضهم

في قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون فالسبق على هذا
التأويل هو الى رضوان الله تعالى وعلى الاول هو الى الخيرات وقال الطبري
عن ابن عباس المعنى سبقت لهم السعادة في الازل فهم لها ورجحه الطبري
بان اللام متمكنة في المعنى **قوله تعالى** ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا
كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال
من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون
ه قوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها نسخ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف
ما لا يطاق على الحقيقة وتكليف ما لا يطاق اربعة اقسام ثلاثة حقيقة ورابع
مجازي وهو الذي لا يطاق للاشتغال بغيره مثل الايمان للكافر والطاعة للعاصي
وهذا التكليف باق وهو تكليف اكثر الشريعة واما الثلاثة فورد الاثنان منها
وفيهما وقع النسخ المحال عقلا في نازلة ابي لهب والمحال عادة في قوله ان تبدوا ما في
انفسكم الآية والثالث لم يرد فيه شيء وهو النوع المهلك لان الله تعالى لم يكلفه
عباده فاما قتل القاتل ورجم الزاني فعقوبته بما فعل ومقتضى القول مستوعبا
موجزا في رسالة تكليف ما لا يطاق في سورة البقرة وفي قولنا ناسخ نظر من جهة
التواريخ وما نزل بالمدينة وما نزل بمكة والله المعين وقوله تعالى ولدينا
كتاب اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال التي ترفعه الملائكة
وفي الآية على هذا التأويل تهديد وتأنيس من الحيف والظلم وقالت فرقة الاشارة
بقوله ولدينا كتاب الى القرآن قال ـــــ ابو محمد وهذا يحتمل والاول اظهر
وقوله في غمرة يريد في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء الغمر ما حصل فيه وقوله
من هذا يحتمل ان يشير الى القرآن ويحتمل ان يشير الى كتاب الاحصاء ويحتمل ان
يشير الى الاعمال الصالحة المذكورة قبل اي هم في غمرة من اطراحها وتركها
ويحتمل ان يشير الى الدين بجملته او الى محمد صلى الله عليه وسلم وكل تأويل من هذه
فقد قالته فرقة وقوله تعالى ولهم اعمال من دون ذلك الاشارة بذلك

الى الغمرة والضلال المحيط بهم فمعنى الاية انهم ضالون معرضون عن الحق وهم
مع ذلك لهم سعايات فساد وصد فهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وابو
العالية وعلى هذا التاويل فالاخبار عما سلف من اعمالهم وعما هم فيه وقالت فرقة
الاشارة بذلك الى قوله من هذا فكانه قال لهم اعمال من دون الحق او
القران ونحوه وقال الحسن ابن الحسن ومجاهد انما اخبر بقوله ولهم اعمال
عما يستانف من اعمالهم اي انهم لهم اعمال من الفساد يستعملونها وحتى حرف ابتدا
لا غير واذا والثانية التي هي جواب يمنعان من ان تكون حتى غاية لعاملون والمترف
هو المنعم في الدنيا الذي هو منها في ترف وهذه حالة شائعة في رؤساء الكفرة من كل
امة ويجارون معناه يستغيثون بصياح كصياح البقر وكثر استعمال الجؤار في
البشر ومنه قول الاعشى ؛ يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا ؛
وذهب مجاهد وغيره الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد يوم بدر وفيه
نظر على مترفيهم فالضمير في قوله اذا هم يحتمل ان يعود على المترفين فقط لانهم صاحوا
حين نزل بهم الهزم والقتل يوم بدر ويحتمل ان يعود على الباقين بعد المعذبين
وقد جعل ذلك الطبري عن ابن جريج قال المعذبون قتلى بدر والذين يجارون اهل
مكة لانهم ناحوا واستغاثوا **قوله تعالى** لا تجاروا اليوم انكم منا لا
تنصرون قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به
سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ۵ المعنى يقال
لهم يوم العذاب وعدلوله لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون وهذا القول
يجوز ان يكون حقيقة اي تقول ذلك لهم الملائكة ويحتمل ان يكون مجازا اي
لسان الحال يقول ذلك وهذا على ان الذين يجارون هم المعذبون واما على قول ابن جريج
فلا يحتمل ان تقول ذلك الملائكة قال ــــ ابو محمد وقوله قد كانت اياتي تتلى عليكم
الاية يريد بها القران وتنكصون معناه ترجعون وراءكم وهذه استعارة
للاعراض والادبار عن الحق وقرا علي بن ابي طالب على ادباركم تنكصون بضم

الكاف وبذلك الادبار بدل الاعقاب ومستكبرين حال والضمير في به قال
الجمهور هو عائد على الحرم والمسجد وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر والمعنى
انكم تعتقدون في نفوسكم ان لكم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على الناس
والمنازل عند الله فانتم تستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت
فرقة الضمير عائد على القران من حيث ذكر الايات والمعنى يحدث لكم سماع اياتي
كبرا وطغيانا قال ــــ ابو محمد وهذا قول جيد وذكر منذر بن سعيد ان
الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما بعده كان الكلام تم في قوله مستكبرين
ثم قال بمحمد صلى الله عليه وسلم سامرا تهجرون وقوله سامرا حال وهو مفرد
بمعنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو
ما يقع على الاشخاص من ضوء القمر فكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب
معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحراء فترى الطوالع من الغوارب وقرا الجمهور سامرا
وقرا ابو رجا سمارا وقرا ابن عباس وعكرمة وابن محيصن سمرا ومن هذه اللفظة
قول الشاعر ؛ من دونهم ان جئتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر ؛
فكانت قريش تسمر حول الكعبة مجالس في اباطيلها وكفرها وقرا الجمهور تهجرون
بفتح التاء وضم الجيم واختلف المتاولون في معناها فقال ابن عباس معناه تهجرون
الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر المعروف وقال ابن زيد هو من هجر المريض
اذا هذى اي تقولون اللغو من القول وقاله ابو حاتم وقرا نافع وحده من
السبعة تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة اهل المدينة وابن محيصن وابن
عباس ايضا ومعناه تقولون الفحش والهجر والعضاية من القول وهذه اشارة
الى سبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن عباس ايضا وغيره
وفي الحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا وقرا
ابن محيصن وابو نهيك تهجرون بضم التاء وفتح الهاء وشد الجيم مكسورة وهو تضعيف
هجر وحيث الهجر او الهجر على المعنيين المتقدمين وقال ابن جني لو قيل ان المعنى

الكم بالغون في الهاجرة حتى الكم وان كنتم سمرا بالليل فانتم تهجرون في
الهاجرة على غاية الافصاح لكان وجها قال ابو محمد ولا تكون هذه
القراءة حسنة تهجرون بضم التاء وكسر الجيم لان افعل لا يتعدى ولا حير بتضعيف
اذا التضعيف والهمزة متعاقبان ثم وبخهم على اعراضهم بعد تدبر القول
لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وسائر ذلك
وقوله ام جاءهم كذلك توبيخ ايضا والمعنى ابدع لهم امر لم يكن في الناس
قبلهم بل قد جاء الرسل قبل نوح وابرهيم واسماعيل وهذا التاويل من المحوز
ان يجعل ما الف الاسم انا اذا الناس في الجملة اخرهم من قبلهم ويحتمل اللفظ
معنى اخر على ان يراد بابائهم الاولين من فرط من سلفهم في العرب فانه قال
افلم يدبروا القول ام جاءهم امر غريب من عند الله لم يات اباءهم فهم عقولهم
وثبت عنه اذ هالهم فان التوبيخ يتسق بان يقدر الكلام افلم يدبروا ان بهر
عقولهم وثبت اذهانهم عن امر من امور الله غريب في سلفهم والمعنى الاول
ابين **قوله عز وجل** ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ۝
هذا ايضا توبيخ والمعنى الم يعرفوه صادقا مدة عمره ولم يقع منهم قط انكار لمعرفة
وجه محمد صلى الله عليه وسلم وانما احرزوا صدقه وقوله ام يقولون به جنة
توبيخ ايضا لان العرف بين حكمه وفصل الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي
الجنة لا يخفى على ذي فطرة ثم بين تعالى حاله عليه السلام في مجيئه بالحق وقوله
تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى قال
ابو محمد وهذا ليس من نمط الاية وقال غيرهما الحق هنا الصواب والمستقيم
وهذا هو الاجرى على ان يكون المذكور قبل الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويستقيم على هذا فساد السموات والارض ومن فيهن لو كان على هوى

هولاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولو كان هذا حقا لم تكن لله
الصفات العلية ولو لم تكن له لم تكن القدرة والشعة كما هي وكان ذلك
فساد السموات والارض ومن فيهن ومن قال ان الحق في الاية الله تعالى تتشعب
له لفظة اتبع وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الاية لان لفظة الاتباع على
الوجهين انما هي استعارة بمعنى ان تكون اهواؤهم يصوبها الحق ويقررها فنحن
نجد الله تعالى قد قررهم امم واهواءهم فليس في ذلك فساد سموات واما الحق
نفسه الذي هو الصواب فلو كان لطبق اهواءهم لفسد كل شيء فتامله وقرا
ابن وثاب ولو اتبع بضم الواو وقال ابو الفتح الضم هنا في الواو قليل والوجه تشبيهها
بواو الجمع نحو اشتروا الضلالة وقوله بذكرهم يحتمل ان يريد بوعظهم والبيان
لهم قاله ابن عباس وقرا قتادة نذكرهم بنون مضمومة وذال مفتوحة وكاف
مشددة ويحتمل ان يريد بشرفهم وهو مروي وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق
بل اتيتهم بذكرهم بضم تاء المتكلم وقرا ابن ابي اسحق ايضا بل اتيتهم خطابا لمحمد صلى الله
عليه وسلم وقرا الجمهور بل اتيناهم بالمد بمعنى اعطيناهم **قوله عز وجل** ام تسالهم
خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ۝ هذا توبيخ لهم كانه قال ام سالتهم مالا
فقلقوا لذلك واستثقلوك من اجله وقرا حمزة والكسائي خراجا فخراج وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم خرجا فخراج وقرا ابن عامر خرجا فخرج وهو المال
الذي يجبى ويوتى به لاوقات محدودة قال الاصمعي الخرج الجعل مرة واحدة
والخراج ما تردد لاوقات ما قال ابو محمد وهذا فرق استعمالي والا
فهما في اللغة بمعنى وقد قرئ خراجا في قصة ذي القرنين وقوله فخراج
ربك يريد ثوابه سماه خراجا من حيث كان بمعادلة الخراج وهذا الكلام ويحتمل
ان يريد فخراج ربك رزق ربك ويدل هذا قوله وهو خير الرازقين والصراط

المستقيم دين الإسلام والناكبون معناه عادلون ومعرضون ثم أخبر تعالى
عنهم أنهم لو زال عنهم القحط ومن الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك
لبقوا على كفرهم ولجوا في طغيانهم وهذه الآية نزلت في المدة التي أصابت فيها
قريشا السنون الجدبة والجوع الذي دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله اللهم سبعا كسبع يوسف الحديث **قوله عز وجل** ولقد أخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد إذا هم فيه مبلسون ه هذا إخبار من الله تعالى عن استكبارهم
وطغيانهم بعد ما نالهم من الجوع هذا قول روي عن ابن عباس وابن جريج
أن العذاب هو الجوع والجدب المشهور نزوله بهم حتى أكلوا الجلود وما
جرى مجراها وأن الباب المتوعد به يوم بدر وهذا القول يرد بأن الجدب
الذي نالهم إنما كان بعد وقعة بدر وروي أنهم لما لحقهم الجهد جاء أبو سفيان
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم يا محمد أنك بعثت رحمة للعالمين قال
بلى قال قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع وقد أكلنا العلهز فنزلت الآية
واستكانوا معناه انخفضوا وتواضعوا ويحتمل أن يكون من السكون ولزمه
أن يكون استكنوا ووجهه أن فتحة الكاف مطلت فتولدت منها الألف وبعض
التصريف أنه من كان يكون وأن وزنه استفعل وعلى الأول وزنه افتعل وكونه من كان
أبين والمعنى فما طلبوا أن يكونوا لربهم أي طاعة وعبيد خير وروي عن الحسن
رحمه الله أنه قال إذا أصاب الناس من قبل السلطان بلاء فإنما هي نقمة فلا تستقبلوا
نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار واستكينوا وتضرعوا إلى الله
وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
والعذاب الشديد إما يوم بدر بالسيوف كما قال بعضهم وإما توعد بعذاب
غير معين وهو الصواب لما ذكرناه من تقدم بدر للمجاعة وروي عن مجاهد
أن العذاب والباب الشديد هو كله في مجاعة قريش قال أبو محمد وهذا حسن

كأن الأخذ كان في صدر الأمر وفتح الباب عند تناهيه حتى أبلسوا وجاء
أبو سفيان والمبلس الذي قد نزل به شر ويئس من زواله ونجاته خير
قوله عز وجل وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا
ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون
قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ه ابتدأ تعالى بتعديد نعمه في نفس
تعديدها استدلالا بها على عظيم قدرته وأنها لا يعزب عنها أمر البعث ولا
يتعاظم وأنشأ بمعنى اخترع والسمع مصدر فلذلك وحد وقيل أراد الجنس
والأفئدة القلوب وهذه إشارة إلى النطق والعقل وقوله قليلا نعت
لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا ما تشكرون وذهبت فرقة إلى أنه أراد
قليلا منكم من يشكر أي من يؤمن ويشكر حق الشكر قال أبو محمد
والأول أظهر وذرأكم معناه بثكم وخلقكم وقوله وإليه تحشرون فيه
حذف مضاف أي إلى حكمه وقضائه وتحشرون يريد البعث وقوله
وله اختلاف الليل والنهار أي له القدرة التي عنها ذلك والاختلاف هنا
التعاقب والكون خلفة ويحتمل أن يكون الذي هو المغايرة البينة وقوله
بل إضراب والجحد قبله مقدر كأنه قال ليس لهم نظر في هذه الآيات أو نحو هذا
والأولون يشير به إلى الأمم الكافرة كعاد وثمود وقوله لمبعوثون أي لمعادون
أحياء وقولهم وآباؤنا إن حكى المقالة عن العرب فمرادهم من سلف من العالم
جعلوهم آباء من حيث النوع واحد وإن حكى ذلك عن الأولين فالأمر مستقيم
فيهم والأساطير جمع أسطورة كأعجوبة وأعاجيب وأحدوثة وأحاديث
وقيل هي جمع جمع سطر وأسطار وأساطير **قوله عز وجل** قل لمن الأرض
ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات

السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت
كل شي وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
ه امر الله نبيه بسوالهم على هذه الاشيا التي لا يمكنهم الا الاقرار بها
ويلزمهم من الاقرار بها ان يومنوا بباريها ويتبعوا الشرع ورسالة رسوله
وقرا الجميع في الاول لله بلا خلاف واختلف في الثاني والثالث فقرا ابو عمرو
وحده الله جوابا على اللفظ وقرا باقي السبعة لله جوابا على المعنى كانه
قال في السوال لمن ملك السموات السبع اذ قولك لمن هذه الدار وقولك
من مالك هذه الدار واحد في المعنى ثم جعل التوبيخ مدرجا بحسب وضوح
الحجة شيا شيا فوقف على الارض ومن فيها وجعل بازا ذلك التذكر ووقف
على السموات السبع والعرش وجعل بازا ذلك التقيه وهي ابلغ من التذكر
وهذا بحسب وضوح الحجة وفي قوله افلا تتقون وعيد ثم وقف على ملكوت
كل شي وفي الاقرار بهذا التزامهم كل ما تقع به الغلبة في الاحتجاج فوقع التوبيخ
بعده في غاية البلاغة بقوله قل فانى تسحرون ومعنى انى كيف ومن اين وفي هذا
تقريعهم وهو سوال عن الهيئة التي سحروا بها والسحر هنا مستعار لهم
وهو تشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها
بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقالت فرقة تسحرون معناه تمنعون
وحكى بعضهم ذلك لغة وقرا ابن محيصن العظيم برفع الميم وملكوت فعلوت
في بنا مبالغه والاجارة المنع من الاسباب والمعنى ان الله اذا منع احدا فلا
يقدر عليه واذا اراد احدا فلا مانع له وكذلك سائر قدرته وما ينفذ من
قضاياه لا يعارض شي ولا يحيله عن مجراه **قوله عز وجل** بل اتيناهم بالحق
وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة
فتعالى عما يشركون ه المعنى ليس الامر كما يقولون من نسبتهم الى الله تعالى

ما لا يليق به بل اتيناهم وقرا ابن ابي اسحق بل اتيتهم على خطاب محمد صلى الله
عليه وسلم وانهم لكاذبون يراد به فيما ذكروا الله تعالى به من الصاحبة والولد
والشريك في قوله تعالى وما كان معه من اله الاية دليل التمانع وهذا هو
الفساد الذي يتضمنه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والجزء المخترع
محال ان تتعلق به قدرتان فصاعدا ويختلفا الالهان في ارادة فمحال نفوذهما
ومحال عجزهما فاذا نفذت ارادة الواحد فهو العالي والاخر ليس باله فان
قيل نقدرهما لا يختلفان في ارادة قيل ذلك بفرض فاذا جوزه العقل قامت
عليهم الحجة فان ما الزم جوازه جرى في الحجة مجرى ما الزم وقوعه وقوله
اذن جواب لمحذوف تقديره لو كان معه اله اذن لذهب وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم عالم بخفض الميم اتباعا للمكتوبة في قوله سبحان
الله وقرا الباقون وابو بكر عن عاصم عالم بالرفع والمعنى هو عالم قال الاخفش
الجر اجود ليكون الكلام من وجه واحد قال ابو علي ووجه الرفع ان
الكلام قد انقطع قال ابو محمد والابتدا عندي ابرع والفا في قوله فتعالى
عاطفة بالمعنى كانه قال علم الغيب والشهادة فتعالى وهذا كما تقول زيد شجاع
فعظمت منزلته اي شجع فعظمت ويحتمل ان يكون المعنى فاقول تعالى عما يشركون
على اخبار موتنف والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما شاهدوه **قوله تعالى**
قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان
نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ه امر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة ان
كان قضي ان يرى ذلك وان شرط وما زايدة وتريني جزم بالشرط لزمته
النون الثقيلة وهي لا تفارق اما عند المبرد ويجوز عند سيبويه ان تفارقها
فقال اما تريني لكن استعمل القران لزومها فمن هنالك الزمها المبرد وهذا

الدعا فيه استصحاب الخشية والتحذير من الامر المعذب من اجله ثم
نظيره لسائر الامة دعا في جودة الخاتمة وفي هذه الاية حملها اعلام
بقرب العذاب منهم كما كان في يوم بدر وقوله ثانيا رب اعتراض
بين الشرط وجوابه وقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية امر بالصفح ومكارم
الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق في الامة ابدا وما فيها من معنى
موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن امورهم فمنسوخ بالقتال
وقوله نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها اية موادعة وقال مجاهد الدفع
بالتي هي احسن السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن والله لا يصيبها احد
حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره قال ابو محمد هذه الطرفان وفي هذه
الاية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم اي اشتغل انت بهذا وكل امرهم والنقمة منهم
الينا وامره بالتعوذ من الشيطان في همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك
الانسان فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المومنين مع الكفار فتقع المحادة
فلذلك اتصلت بهذه الاية وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون قال ابو محمد
وفي مصنف ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اعوذ
بك من الشيطان من همزه ونفثه قال ابو داود همزه الموتة وهي الجنون ونفخه
ونفخه الكبر ونفثه السحر قال ابو محمد والنزغات وسورات الغضب
من الشيطان وهي المتعوذ منها في الاية والتعوذ من الجنون ايضا وكيد
وقراه ابي بن كعب رب عائذا بك من همزات الشياطين وعائذا بك رب ان يحضرون
وقوله ان يحضرون اي ان يكونوا معي في اموري اي فانهم اذا حضروا الانسان
كانوا معدين للهمز فاذا لم يكن حضور فلا همز قال ابو محمد واصل
الهمز الدفع والوخز بيد وغيرها ومنه همز الخيل وهمز الناس باللسان وقيل
لبعض العرب اتهمز الفاره سئل بذلك عن اللفظة وظن ان المراد تخص الفاره
فقال الهر يهمزها قوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب

ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قايلها ومن وراهم برزخ
الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ۵ حتى في هذا الموضع حرف ابتدا ويحتمل
ان تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو
المعنى به المقصود ذكره والضمير في قوله احدهم للكفار وقوله ارجعون
معناه الى الحياة الدنيا وجمع الضمير يخرج على معنيين اما ان يخاطبه مخاطبة
الجمع تعظيما على نحو اخباره تعالى عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع واما
ان يكون استغاثة بربه اولا ثم خاطب ملايكة العذاب بقوله ارجعون وقال
الضحاك هي في المشرك وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المومن قالت له
الملايكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما
الكافر فيقول ارجعون لعلي اعمل صالحا وقرا الحسن والجمهور لعلي
بسكون اليا وقرا طلحة بن مصرف لعلي بفتح اليا وكلا رد وزجر وهي من كلام
الله تعالى وقوله انها كلمة هو قايلها يحتمل ثلاثة معان احدها الاخبار
المؤكد بان هذا الشي يقع ويقول هذه الكلمة والاخر ان يكون المعنى انها
كلمة لا تغني اكثر من انه يقولها ولا نفع له فيها ولا غوث والثالث ان يكون اشارة
الى انه لو رد لعاد فيكون اية ذم لهم والضمير في وراهم للكفار اي
بين ايديهم وهو حاجز بين المدتين والبرزخ بين المسافتين ثم يستعار لما عدا
ذلك فهو هنا للمدة التي بين موت الانسان وبين بعثه وهذا اجماع
من المفسرين وقرا الجمهور في الصور وهو القرن وقرا ابن عباس في الصور
بفتح الواو جمع صورة ويوم مضاف الى يبعثون وقوله فلا انساب بينهم يومئذ
اختلف المتاولون في صفة ارتفاع الانساب فقال ابن عباس وغيره هذا
عند النفخة الاولى وذلك ان الناس باجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك
الوقت وهم اموات قال ابو محمد وهذا التاويل يزيل ما في الاية من

من ذكر هول الحشر، وقال ابن مسعود وغيره إنما المعنى انه عند النفخة
الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينئذ لهول المطلع واشتغال كل امرئ بنفسه
قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الانساب فلذلك نفاها فالمعنى
فلا انساب نافعة، وروي عن قتادة انه قال ليس أحد أبغض إلى الانسان
في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف أن يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم
يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ويفرح كل أحد يومئذ أن يكون
له حق على ابنه وأبيه، وقد ورد بهذا حديث، وكذلك ارتفاع التساؤل والتعارف
لهذه الوجوه التي ذكرناها ثم تأتي في القيامة مواطن يكون فيها السؤال
والتعارف. قال أبو محمد: وهذا التأويل حسن وهو مروي المعنى عن
ابن عباس، وثقل الموازين هو بالحسنات، والثقل والخفة إنما تتعلق بأجرام
يخترع الله فيها ذلك، وهي فيما روي برات. **قوله تعالى** ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار
وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون
قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون ۝ جمع الموازين من حيث الموزون جمع وهي
الأعمال. قال أبو محمد: ومعنى إقامة الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم
وعرفهم، ووزن الكافر على أحد وجهين إما أن يوضع كفره في كفة فلا يجد
شيئا يعادله في الكفة الأخرى، وإما أن توضع أعماله من صلة رحم
ووجه بر في كفة الحسنات ثم يوضع كفره في الكفة الأخرى فيخف أعماله، وتلفح
النار: أصابتها بالوهج والإحراق، وقرأ أبو حيوة كلحون بغير ألف، والكلوح
انكشاف الشفتين عن الأسنان، وهذا يعتري الإنسان عند المباطشة مع
الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار، وبذلك فسره عبد الله بن مسعود، فأما في
هذه الآية فهو ما يعتري رؤوس الكباش إذا شوطت بالنار فإنها تكلح، ومنه كلوح

الكلب والأسد، ويستعار للزمن والخطوب، وقوله ألم تكن آياتي قبله
محذوف تقديره: يقال لهم، والآيات هنا القرآن، وأخبر عنهم تعالى أنهم
إذا سمعوا هذا التقرير أذعنوا وأقروا على أنفسهم وسلموا بقولهم غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين، وقرأ جمهور الناس شقوتنا بكسر الشين دون
ألف، وهي قراءة الحسن، وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين وألف بعد
القاف، وهي قراءة ابن مسعود وحمزة عاصم في الوجهين، وهما مصدران من
شقي يشقى، ثم تدرجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرع، وذلك أنهم أدلوا
لأن الإقرار بالذنب اعتذار، ووصل فوقع جواب رغبتهم بحسب ما حتمه
الله من عذابهم بقوله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون، وجاء ولا تكلمون لفظ نهي
وهم لا يستطيعون الكلام على ما روي فهذه مبالغة في المنع، ويقال إن هذه
الكلمة إذا سمعوها يئسوا، وعلى الطبري حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار
وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم، وآخرها هذه الكلمة اخسؤوا، قال
فتطبق عليهم جهنم ويقع اليأس ويبقون ينبح بعضهم في وجه بعض. قال
أبو محمد: واختصرت هذا الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح، عافانا الله من ذلك
بمنه، وقوله اخسؤوا زجر، وهو مستعمل في زجر الكلاب، ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم لابن صياد اخسأ فلن تعدو قدرك. **قوله عز وجل** إنه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا
أنهم هم الفائزون ۝ قرأ هارون أنه كان بفتح الألف، وهي قراءة أبي بن كعب، وفي
مصحف أبي بن كعب أن كان، وهذا كله متعاضد، وفي قراءة ابن مسعود تكلمون
كان فريق بغير إنه، وهذه بكسر الألف من إنه لأنها استئناف، وهذه الهاء
هي مبهمة ضمير الأمر، والكوفيون يسمونها المجهولة، وهي عبارة فاسدة، وهذه
الآية كلها مما يقال للكفرة على جهة التوبيخ، والفريق المشار إليه كل مستضعف

من المؤمنين تمنعون أن تكون حاله مع كفار في مثل هذه الحال ونزلت الآية
في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم من ضعفة المسلمين فمن جعل أ
جزاهم قد عنا وبقية الدهر وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين وقرأ
الباقون سخريا بكسرها وهما لغتان كالبقية هما بمعنى واحد ذكر ذلك الطبري وقال
ذلك ابو زيد الانصاري انهما بمعنى الهزء وقال ابو عبيدة وغيره ان ضم السين
من السخرة والتخديم وكسر السين من السخر وهو من الاستهزاء ومنه قول الاعشى
« إني أتاني حديث لا أسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر » قال ابو علي قراءة
كسر السين أوجه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه اكثر وهو اليق بالآية الا ترى
الى قوله وكنتم منهم تضحكون قال ابو محمد الا ترى الى اجماع القراء على ضم
السين في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتخديم قال يونس اذا
أريد التخديم فضم السين لا غير واذا أريد الاستهزاء فالضم والكسر وقرأ اصحاب
عبد الله والاعرج وابن ابي اسحق كل ما في القرآن بضم السين وقرأ الحسن وابو
عمرو كل ما في القرآن بالكسر الا التي في الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس
لأنها من التخديم واضاف الانساء الى الفريق من حيث كان سببهم والمعنى ان
اشتغالهم بالهزء بهولاء انساهم ما ينفعهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم وابن عامر انهم هم الفائزون بفتح الالف جزيتهم عامل في ان ويجوز
ان يعمل في مفعول محذوف ويكون المعنى لانهم وقرأ حمزة والكسائي وخارجة
عن نافع انهم بكسر الالف فالمفعول الثاني لجزيت مقدر تقديره الجنة او الرضوان
والفائزون المنتهون الى غايتهم التي كانت املهم ومعنى الفوز النجاة من هلكة الى
نعمة **قوله عز وجل** قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون ۵ قرأ نافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر قال كم لبثتم
وقال ان لبثتم وقرأ حمزة والكسائي فيهما قل كم لبثتم وقل ان لبثتم وروى البزي

عن ابن كثير قل كم على الامر قال ان على الخبر وادغم ابو عمرو وحمزة والكسائي
الثاء في التاء والباقون لا يدغمون ومعنى الاول الاخبار ان الله يوقفهم بالسؤال
عن المدة ثم يعلمهم اخرا بلبثهم قليلا ومعنى الثانية الامر لواحد منهم مشار اليه
معناه يقال لاحدهم قل كذا فاذا قال غير القوم قيل له قل ان لبثتم ومعنى رواية
البزي التوقيف من الاخبار وفي المصاحف قال فيهما الا في مصحف الكوفة فان
فيه قل بغير الف وقوله في الارض قال الطبري معناه في الدنيا احياء وعن هذا
وقع السؤال ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما او بعض يوم قال
ابو محمد والغرض من هذا توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اذا اداهم الكفر فيها الى
عذاب طويل وقال جمهور المتأولين معناه في جوف التراب امواتا قال ابو
محمد وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكان قولهم انهم لا يقومون من التراب
قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله اخرا وانكم الينا لا ترجعون يقضي ما قلناه
وعدد نصب بلم على التمييز وقرأ الاعمش عددا سنين بتنوين عددا وقال مجاهد
ارادوا بالعادين الملائكة وقال قتادة ارادوا اهل الحساب قال ابو محمد
وظاهر اللفظ انهم ارادوا وا سل من يتصف بهذه الصفة ولم يعينوا ملائكة
ولا غيرها لان النائم والميت لا يعد الحركة فيتعذر له الزمان وقوله ان لبثتم
الا قليلا معتضد على القول بان اللبث في الدنيا اي قليل القدر فيجب ما بعد موت
وعلى القول بان اللبث في القبور معناه انه قليل اذ ذلك آت قريب ولكنكم كذبتم
به اذ كنتم لا تعلمون اذ لم ترغبوا في العلم والهدى وعبثا معناه باطلا لغير غاية
مراده وقرأ الجمهور ترجعون بضم التاء وفتح الجيم وقرأ حمزة والكسائي ترجعون
بفتح التاء وكسر الجيم والمعنى فيهما بين **قوله عز وجل** فتعالى الله الملك الحق لا اله
الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ۵
المعنى فتعالى الله عما يقولون وجهته من الصاحبة والولد ومن حسنا بهذا انهم

يرجعون وغير ذلك اي تنزه الله عن اتخاذ الاولاد وتعالى عنها وقرا ابن محيصن
الكريم بالرفع صفة للرب ثم توعد جلت قدرته عبدة الاصنام بقوله ومن يدع
مع الله الاية والوعيد قوله فانما حسابه عند ربه والبرهان الحجة وظاهر
الكلام ان من شرط وجوابه في قوله فانما حسابه عند ربه وقوله لا برهان
له به في موضع الصفة وذهب قوم الى ان الجواب في قوله لا برهان وهذا
هروب من دليل الخطاب من ان يكون ثم داع له برهان **قال ابو محمد** وهذا الخط
يتا لا يلزم ويلحقه حذف الفاء من جواب الشرط وهو غير فصيح قاله سيبويه
وفي حرف عبد الله عند ربك وفي حرف ابي عند الله وروي ان نبيه عليه السلام حتم
واكد ان الكافر لا يبلغ امنيته ولا ينجح سعيه وقرا الجمهور انه بكسر الالف
وقرا الحسن وقتادة انه بفتحها والمعنى انه لا يتدبر ولا يفلح بوجه حسابه وعذابه
حتى يلقى ربه وقرا الحسن يفلح بفتح الياء واللام ثم امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالدعاء في المغفرة والرحمة والذكر له تعالى بانه خير الراحمين لان كل
راحم فمتصرف على ارادة الله وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة ورحمته
تعالى لا تشارك لاحد فيها وايضا رحمة كل راحم في اشياء واشيا حقيرات
بالاضافة الى المعاني التي تقع فيها رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار وهبته
نعيم الجنة وعلى ما في الحديث رحمة كل راحم مجموعها لها جزء من مائة من رحمة الله
خلت قدرته اذ بث في العالم واحدة وامسك عنده تسعة وتسعين وقرا ابن محيصن
رب اغفر بضم الباء **تم** ثم تفسير سورة المؤمنين **تفسير سورة النور**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا
فيها ايات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
وليشهد عذابهما طائفة من المومنين **ه** قرا الجمهور سورة بالرفع وقرا عيسى
بن عمر سورة بالنصب وروي ذلك ايضا عن عمر بن عبد العزيز وعن ابي الدرداء

ووجه الرفع خبر ابتدا مضمر تقديره هذه سورة او ابتدا وخبره متقدم تقديره
فيما يتلى عليكم ويحتمل ان يكون قوله سورة ابتدا وما بعدها صفة لها اخرجتها
عن حد النكرة المحضة فحسن الابتدا لذلك ويكون الخبر في قوله الزانية والزاني
وفيما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة المفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة
عن ايات مسرودة لها مبدأ وختم ولكن يلحق هذا القول ان الابتدا هو الخبر
ليس بالبين الا ان يقدر الخبر في السورة باسرها وهذا بعيد في القياس وقول الله عز
فاذن ما تلوه **وو**جه النصب اضمار فعل قدره بعضهم اتلوا سورة او نحوه
وجعله بعضهم انزلنا سورة انزلناها وقال الفرا هي حال من الهاء والالف والحال
من المكني يجوز ان يتقدم عليه وقرا جمهور الناس وفرضناها بتخفيف الراء ومعناه
الاثبات والايجاب بابلغ وجوهه اذ هو مشبه بالفرض في الاجرام وقرا مجاهد
وغيره وابو عمرو وابن كثير وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود وفرضناها بشد الراء
ومعناه جعلناها فرائض فرائض من حيث تردد ذلك ضعف الفعل للمبالغة والتكثير
وقرا الاعمش وفرضناها لكم وحكى الزهراوي عن بعض العلماء انه قال كل ما في
السورة من امر ونهي فرض لا حق بهذه اللفظة والايات البينات امثالها ومواعظها
واحكامها وقال الزهراوي المعنى ليس فيها مشكل تاويلها موافق لظاهرها قال
ابو محمد وهذا تحكم وقوله لعلكم اي على توقع البشر ورجائهم وقرا جمهور
الناس الزانية بالرفع وقرا عيسى الثقفي الزانية بالنصب وهو اوجه عند سيبويه
لانه عنده كقولك زيدا اضرب ووجه الرفع عنده خبر ابتدا تقديره فيما يتلى
عليكم الزانية والزاني واجمع الناس على الرفع وان كان القياس عند سيبويه
النصب واما الفرا والمبرد والزجاج فان الرفع عندهم هو الاوجه والخبر في
قوله فاجلدوا لان المعنى ان الزانية والزاني مجلودان بحكم الله تعالى وهذا
قول جيد وهذا قول اكثر النحاة وان شئت قدرت الخبر ينبغي ان تجلدا وقرا ابن
مسعود والزان بغير يا وقدمت الزانية في اللفظ من حيث كان في ذلك الزمن زنا

النسا أفتنا وكان لإما العرب وبغايا الوقت رايات وكن مجاهرات بذلك وإذ
العار بالنسا الحق إذ هو موضع هن الحجب والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما
والالف واللام في قوله الزانية والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع
الزناة وهذه الآية باتفاق ناسخة لآية الحبس وآية الاذي اللتين في سورة
النسا وجماعة من العلما على عموم هذه الآية وان حكم المحصنين منسوخ منها واختلفوا
في الناسخ فقالت فرقة الناسخ السنة المتواترة في الرجم وقالت فرقة بل القرآن الذي
ارتفع لفظه وبقي حكمه وهو الذي قراه عمر في المنبر بمحضر الصحابة الشيخ والشيخة
فارجموهما البتة وقال انا قراناه في كتاب الله واتفق الجميع على ان لفظه رفع وبقي
حكمه وقال الحسن بن أبي الحسن ومن راهويه ليس في هذه الآية نسخ بل سنة الرجم
جاءت بزيادة والمحصن على راي هذه الفرقة يجلد ثم يرجم وهو قول علي بن ابي طالب
وفعله بشراحة ودليلهم قول النبي صلى الله عليه وسلم والثيب بالثيب جلد مائة
والرجم ويرد عليه فعل النبي صلى الله عليه وسلم حيث رجم ولم يجلد وبه قال جمهور
الامة اذ فعله هو كقوله رفع الجلد عن المحصن وقال بن سلام وغيره هذه الآية
خاصة في البكرين قال ابو محمد لانه لم يثبت بهذا حكمه الا البكران واستدلوا
على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وبقوله
على ابنك جلد مائة واستدلوا على انها غير عامة بخروج الاما والعبيد وغيرهم منها
وقد تقدم بسط كثير من هذه المعاني في سورة النسا والجلد حين والمجلود قاعد
عند مالك ولا يجزي عنده الا في الظهر واصحاب الراي والشافعي يرون ان يجلد
الرجل وهو واقف وهو قول علي بن ابي طالب ويفرق الضرب على كل الاعضا واشار
بن عمر بالضرب الى رجلين امة جلدها في الزنا والاجماع في تسليم الوجه والعورة
والمقاتل وترجح قول مالك رحمه الله بقول النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد
في ظهرك وقول عمر لا وجع متنيك ويعرى الرجل عند مالك والنخعي وابي عبيدة
بن الجراح وبن مسعود وعمر بن عبد العزيز والحسن والشعبي وغيرهم يرون ان

ان يضرب على قميص وهو قول عثمان وبن مسعود ايضا واما المراة فتستر قولا
واحدا وقرا الجمهور رافة بهمزة ساكنة على وزن فعلة وقرا بن كثير رافة
على وزن فعلة بفتح العين وقرا عاصم ايضا رافة على وزن فعالة كسامة
وكابة وهذه مصادر اشهرها الاول من رووف اذا رق ورحم وقرا الجمهور
تاخذكم بالتاء من فوق وقرا ابو عبد الرحمن ياخذكم بالياء من تحت واختلف الناس
في الرافة المنهي عنها فيم هي فقال ابو مجلز لاحق بن حميد ومجاهد وعكرمة وعطا
هي في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل بن عمر وبن جبير وغيرهما ومن
رايهما ان الضرب في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد وقال قتادة وبن المسيب
وغيرهما الرافة المنهي عنها هي في تخفيف الضرب عن الزناة ومن رايهما ان
يخفف ضرب الخمر والفرية ويشتد ضرب الزنا وقال سليمان بن يسار بل هي عن الرافة
في الوجهين وقال بن مجلز انا لنرحم المحدود ولكن لا نسقط الحد قال
ابو محمد وقول النبي صلى الله عليه وسلم في السوط دون هذا ضرب من الرافة وقال
عمر اضرب ولا تبدين ابطك واتفق الناس على ان الضرب بسوط بين سوطين وقال
الزهري ضرب الزنا والفرية مشتد لانهما بمعنى واحد وضرب الخمر مخفف وقوله
في دين الله بمعنى في الاخلال بدين الله اي بشرعه ويحتمل ان يكون الدين هنا بمعنى
الحكم ثم قررهم على معنى التثبيت والحض بقوله ان كنتم تومنون بالله وهذا كما
تقول لرجل تحضه ان كنت رجلا فافعل كذا اي هذه افعال الرجال وقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المومنين المقصود بالآية الاغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة
الناس ولا خلاف ان الطائفة كلما كثرت فهو الليق بامتثال الامر واختلف الناس
في اقل ما يجزي فقال الحسن بن ابي الحسن لا بد من حضور عشرة راى ان هذا العدد عقد
خارج عن الاحاد وهو اقل الكثرة وقال بن زيد وغيره لا بد من حضور اربعة ورأوا
ان شهادة الزنا كذلك وان هذا باب منه وقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعدا
وقال عطا وعكرمة لا بد من اثنين وهذا مشهور قول مالك فراها موضع شهادة

وقال مجاهد تجزئ الواحد ويسمى طائفة الى الالف وقاله ابن عباس ورعا
بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقوله وان طايفتان ونزلت
في تقاتل رجلين واختلف العلماء في التغريب وقد غرب الصديق الى فدك وهو
راي عمر وعثمان وعلي وابي ذر وابن مسعود وابي بن كعب ولكن عمر بعد نفى رجلا
فلحق بالروم فقال لا انفي احدا بعدها وفيه عن مالك قولان ولا يرى تغريب النساء
والعبيد واحتج بقوله عليه السلام لا تسافر امراة مسيرة يوم الا مع ذي محرم
وممن ابى التغريب جملة اصحاب الراي وقال الشافعي ينفى البكر رجلا كان او
امراة ونفى علي امراة الى البصرة **قوله عز وجل** الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين **ه** وهذه الاية
اربعة اوجه من التاويل احدها ان يكون مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره وانه
محرم على المؤمنين واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح
اي لا يطأ فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصة مبالغة واخذا من كلا الطرفين
ثم زاد تقسيم المشركة والمشرك من حيث الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى
الزاني لا يطأ في وقت زناه الا زانية من المسلمين او من هي اخس منها من المشركات
وقد روي عن ابن عباس واصحابه ان النكاح في هذه الاية الوطء وانكر ذلك الزجاج
وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزوج **قال ابو محمد** وليس كما قال
وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه عليه السلام انه بمعنى الوطء وذكر
الطبري ما ينحو الى هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن عباس وعكرمة ولكن غير
مخلص ولا مكمل والثاني ان تكون الاية قد نزلت في قوم مخصوصين وهذا قول
روي معناه عن عبد الله بن عمر وعن ابن عباس واصحابه قالوا وهم قوم كانوا
يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات فلما جاء الاسلام واسلموا لم يمكنهم الزنا
فارادوا لفقرهم زواج اولئك النسوة اذ كان من عادتهن الانفاق على من ارتسم
بزواجهن فنزلت الاية بسببهن والاشارة بالزنا الى احد اولئك حمل عليه اسم

الزنا الذي كان في الجاهلية وقوله لا ينكح اي لا يتزوج وفي الاية على هذا
التاويل معنى التفجع عليهم وفي ذلك توبيخ كانه يقول اي مصاب الزاني لا يريد ان
يتزوج الا زانية او مشركة اي تنزع نفوسهم الى هذه الخسايس لقلة انضباطهم
ويرد على هذا التاويل الاجماع على ان الزانية لا يجوز ان يتزوجها مشرك ثم قوله
وحرم ذلك على المؤمنين اي نكاح اولئك البغايا فزعم اهل هذا التاويل ان نكاح
اولئك البغايا حرمه الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد ومن اشهرهن
عناق البغي وكان الذي هو منها وبسببها ملقب بدلدل وكان يستخرج ضعفة المسلمين
من مكة سرا فلقيته له ودعته الى نفسها فابى الزنا واراد التزوج واستاذن في
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ولما دعته فابى قالت اي تبرز والله لافضحك
وذكر الطبري ان من البغايا المشهورات ام مهزول جارية السائب بن ابي السائب
المخزومي ويقال فيها ام مهزم وام عليط جارية صفوان بن امية وحنة القبطية
جارية العاصي بن وائل ومزنة جارية مالك بن عميلة بن السباق وجلالة جارية
سهيل بن عمرو وام سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وشريفة جارية زمعة
بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة وقرتنا جارية هلال بن انس وغيرهن
ممن كان لهن رايات تعرف شارة لهن بها وكذلك كان بالمدينة اماء عبد الله
بن ابي وغيره مشهورات وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال وسبا وهذا التاويل
كانت بيوت في الجاهلية تسمى المواخير كانوا يواجرون فيها فتياتهم وكانت بيوتا
معلومة للزنا فحرم الله ذلك على المؤمنين قال ابو محمد ويحتمل ان يكون الكلام
في التاويل الذي ذكرته قبل هذا وواحد المواخير ماخور ومنه قول بعض المحدثين
ه في كل واد هبطنا فيه دسكرة وكل منتزه صعدنا فيه ماخور **ه** والتاويل
الثالث ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد الزاني المحدود
والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج
الا محدودة وروي ان محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن ابي طالب نكاحهما .

وقوله وحرم ذلك يريد الزنا وحكى الزهراوي في هذا حديثا من طريق ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينكح الزاني المجلود الا مثله وهذا حديث
لا يصح وقول فيه نظر وادخال المشرك في الاية يرده والفاظ الاية تاباه وان
قدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ المشرك والرابع قول روي عن سعيد
بن المسيب وذلك انه قال هذا حكم كان في الزناة عامة الا يتزوج زان الا زانية
ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وروي ترتيب
هذا النسخ ايضا عن مجاهد الا انه قال ان التحريم انما كان في اولئك النفر خاصة
لا في الزناة عامة ذكر ذلك عنهما ابو عبيد في ناسخه وذكر عن مجاهد انه قال حرم
نكاح اولئك البغايا على اولئك النفر قال ابو محمد وذكر الاشراك في الاية
تضعف هذه المناحي وقرا ابو البرهسم وحرم الله ذلك على المؤمنين واختلف فيمن
زنا بامراة ثم اراد نكاحها فاجاز ذلك ابو بكر الصديق وابن عمر وجابر بن عبد الله
وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد وعطا والحسن وعكرمة وابن عباس ومالك
والثوري والشافعي ومنعه ابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وقالوا لا يزالان
زانيين ما اجتمعا **قوله تعالى** والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ٥ هذه الاية
نزلت في القاذفين وقال سعيد بن جبير كان سببها ما قيل في عائشة ام المؤمنين رضي
الله عنها وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة وذكر الله تعالى في الاية
قذف النساء من حيث هو اهم ورميهن بالفاحشة ابشع وانكى للنفوس وقذف الرجال
داخل في حكم الاية بالمعنى وباجماع الامة على ذلك وهذا نحو نصه تعالى على لحم
الخنزير ودخول شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى وبالاجماع وحكى الزهراوي
ان المعنى والانفس المحصنات فهي تعم بلفظها الرجال والنساء ويدل على ذلك قوله
تعالى والمحصنات من النساء والجمهور على فتح الصاد من المحصنات وكسرها يحيى

بن وثاب والمحصنات العفائف في هذا الموضع لان هذا هو الذي يوجب
جلد القاذف والعفة اعلى معاني الاحصان اذ في طيه الاسلام وهذه النازلة اكثرية
ومنه قول حسان بن ثابت ؛ حصان رزان البيت ومنه قوله تعالى التي
احصنت فرجها وذكر الله من صفات النساء الصفة المنافية للرمي بالزنا وليخرج
من ذلك من ثبت عليها الزنا وغير ذلك ممن لم تبلغ الوطء من النساء حسب الخلاف
في ذلك وعبر عن القذف بالرمي من حيث معتاد الرمي انه مؤذ كالرمي بالحجر والسهم
فلما كان قول القاذف مؤذيا جعل رميا وهذا كما قال
؛؛ وجرح اللسان كجرح اليد ؛؛ والقذف والرمي بمعنى واحد وشدد الله تعالى
على القاذف في اربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم وقرا جمهور الناس باربعة شهداء
على اضافة الاربعة الى الشهداء وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار وابو زرعة بن جرير باربعة
بالتنوين وشهداء على هذا التاويل اما بدل واما صفة للاربعة واما حال واما تمييز
وفي هذين نظر اذ الحال من نكرة والتمييز مجموع وسيبويه يرى ان تنوين العدد
وترك اضافته انما يجوز في الشعر وقد حسن ابو الفتح هذه القراءة ورجحها على قراءة
الجمهور وحكم شهادة الاربعة ان تكون على معاينة مبالغة كالمرود في المكحلة في موطن
واحد فان اضطرب منهم واحد جلد الثلاثة والقاذف كما فعل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في امر المغيرة بن شعبة وذلك انه شهد عليه بالزنا ابو بكرة نفيع بن الحرث
واخوه نافع وقال الزهراوي عبد الله بن الحرث وزياد اخوهما لام وهو مستلحق
معوية وشبل بن معبد البجلي فلما جاوا لاداء الشهادة توقف زياد ولم يؤدها
كاملة فجلد عمر الثلاثة المذكورين والجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود
او بالجلود ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف وغيره ومنه قول قيس بن الحطيم
؛؛ اجالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدي بالسيف مخراق لاعب ؛؛ ونصب
ثمانين على المصدر وجلدة على التمييز ثم امر تعالى ان لا تقبل للقذفة المحدودين شهادة
ابدا وهذا تقتضي مدة اعمارهم ثم حكم عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة

الله عز وجل ثم استثنى عز وجل من تاب واصلح من بعد القذف فانه عليهم
بالرحمة والمغفرة وتضمنت الآية ثلاثة احكام في القاذف جلده ورد شهادته
ابدا وفسقه فالاستثناء غير عامل في جلده باجماع وعامل في فسقه باجماع واختلف
الناس في عمله في رد الشهادة فقال شريح القاضي وابراهيم النخعي والحسن
والثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثناء في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله
تعالى واما شهادة القاذف فلا تقبل البتة ولو تاب واكذب نفسه ولا بحال من
الاحوال وقال جمهور الناس الاستثناء عامل في رد الشهادة فاذا تاب القاذف
قبلت شهادته ثم اختلفوا في صورة توبته فمذهب عمر بن الخطاب والشعبي وغيره
ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف الذي حد فيه وهكذا
فعل شبل بن معبد ونافع تابا عن القول في المغيرة واكذبا انفسهما فقبل عمر شهادتهما
وابى ابو بكرة فلم يكذب نفسه فرد عمر شهادته حتى مات وقالت فرقة
منها مالك رحمه الله وغيره توبته ان تصلح وتحسن حاله وان لم يرجع عن قوله
بتكذيب واختلف فقهاء المالكيين متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن
الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد فان منع
من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته قال الشيخ ابو الحسن اللخمي شهادته
في مدة الاجل في الاثبات موقوفة ورجح القول بان التوبة انما تكون بالتكذيب
في القذف والا فاي رجوع لعدل ان قذف وحد وبقي على عدالته وتابوا معناه رجعوا
قال ابو محمد وهذا ترجيح وقد رجح الطبري وغيره قول مالك واختلف ايضا
على القول بجواز شهادته بعد التوبة في اي شيء تجوز شهادته فقال مالك رحمه الله
تجوز في كل شيء باطلاق وكذلك كل من حد في شيء من الاشياء وقال سحنون رحمه
الله من حد في شيء من الاشياء فلا تجوز شهادته في مثل ما حد فيه وقال مطرف وابن
الماجشون من حد في قذف او زنا فلا تجوز شهادته في شيء من وجوه الزنا ولا في قذف
ولا في لعان وان كان عدلا وروي هذا القول عن مالك واتفقوا فيما احفظ

على ان ولد الزنا لا تجوز شهادته في الزنا **قوله عز وجل** والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم ۝ لما نزلت الآية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات
تناول ظاهرها الازواج وغيرهن فقال سعد بن عبادة يا رسول الله ان
وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى آتي باربعة والله لاضربنه بالسيف غير
مصفح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير
من سعد والله اغير مني وفي الفاظ سعد روايات مختلفات هذا نحو معناها ثم
جاء بعد ذلك هلال بن امية الواقفي يرمي زوجته بشريك بن سحماء البلوي فعزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الآية عند ذلك
فجمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وتلاعنا فتلكأت المراة عند
الخامسة لما وعظت وقيل انها موجبة ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم ولجت
وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت غلاما كانه جمل اورق ثم كان
بعد ذلك الغلام اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجاء ايضا عويمر العجلاني
فرمى امراته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سبب الآية وقيل
نازلة عويمر قبل وهو الذي وسط الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصم بن عدي
والازواج في هذا الحكم يعم المسلمات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج
للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف عن نفسها وقرأ الجمهور اربع
شهادات بالنصب وهو كانتصاب المصدر والعامل في ذلك قوله فشهادة ورفع
الشهادة على خبر ابتداء تقديره فالحكم او فالواجب او على الابتداء بتقدير فعليهم ان
تشهدوا او بتقدير حذف الخبر وتقديره في آخر الآية كافية او واجبة وقوله بالله من

صلة شهادات ويجوز ان تكون من صلة شهادة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم اربع بالرفع وذلك على خبر قوله فشهادة قال ابو حاتم لا وجه للرفع
لان الشهادة ليست باربع شهادات وبالله على هذه القراءة من صلة شهادات
ولا يجوز ان يكون من صلة شهادة لانك كنت تفصل بين الصلة والموصول الذي
هو اربع شهادات وقوله انه لمن الكاذبين في قول من نصب اربع شهادات
يجوز ان يكون من صلة شهادة وهي جملة في موضع نصب لان الشهادة او فعلها
موقع المفعول به ومن رفع اربع شهادات فقوله انه لمن الكاذبين من صلة
شهادات لعلة الفصل المتقدمة وقوله بالله وقرأ حفص عن عاصم والخامسة
بالنصب والثانية وقرأها بالنصب عنهما طلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن والحسن
والاعمش وقرأ الجمهور فيهما والخامسة بالرفع فاما من نصب فان كان من
قراءته نصب قوله اربع شهادات فانه عطف الخامسة على ذلك لانها من
الشهادات وان كان يقرأ اربع بالرفع فانه جعل نصب قوله والخامسة
على فعل يدل عليه متقدم الكلام تقديره وتشهد الخامسة واما من رفع قوله والخامسة
فان كان يقرأ اربع بالرفع فقوله والخامسة عطف على ذلك وان كان يقرأ
اربع بالنصب فانه حمل قوله والخامسة على المعنى لان معنى قوله فشهادة
احدهم اربع شهادات عليهم اربع شهادات والخامسة واستشهد ابو علي لهذا
لحمل الشاعر قوله ؛؛ ومشجج اما سواد قذاله ؛؛ البيت على قوله
؛؛ الا رواكد جمرهن هباء ؛؛ لان المعنى بها رواكد ولا خلاف في السبع
في رفع قوله والخامسة في الاولى وانما خلاف السبع في الثانية فقط فنصبه حمل
على قوله ان تشهد اربع والخامسة على القطع والحمل على المعنى وقرأ نافع وحده
ان لعنة وان غضب الله وقرأ الاعرج والحسن وقتادة وابو رجاء وعيسى ان
لعنة وان غضب الله وهذا على اضمار الامر وهي المخففة كما في قول الشاعر
؛؛ في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل ؛؛ وقرأ باقي

السبعة ان لعنة الله وان غضب الله بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة والغضب
ورجح الاخفش القراءة بتثقيل النون لان الخفيفة انما يراد بها التثقيل ويضمر
معها الامر والشان وما لا يحتاج معها الى اضمار اولى قال ابو محمد لا سيما
وان الخفيفة على قراءة نافع في قوله ان غضب قد وليها الفعل قال ابو علي واهل
العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشيء نحو قوله تعالى
علم ان سيكون وقوله افلا يرون الا يرجع اليهم وقوله وان ليس للانسان الا
ما سعى فذلك لفظه تمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك
على معنى الدعاء فلم يجر دخول العوامل عليه لئلا يفسد المعنى والعذاب المدرؤ في قول
جمهور العلماء الحد وحكى الطبري عن اخرين انه الحبس وهو قول اصحاب الرأي
وانه لا حد عليها ان لم تلاعن وليس يوجبه عليها قول الزوج قال ابو محمد
وظاهر حديث الموقفة في الخامسة حين تلكأت ثم مرت في لعانها انها كانت
تحد لقول النبي صلى الله عليه وسلم لها فعذاب الدنيا ايسر من عذاب الاخرة وجعلت اللعنة
للرجل الكاذب لانه مفتر مباهت بالقول فابعد باللعنة وجعل الغضب الذي هو
اشد على المراة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت بالقول وهذا هو معنى
هذه الالفاظ والله اعلم قال ابو محمد ولا بد ان يذكر في تفسير هذه الاية ما يتعلق
بها من مسائل اللعان اذ لا يستغنى عنها في معرفة حكمه وحيث يجب اجمع مالك واصحابه
على وجوب اللعان بادعاء رؤية زنا لا وطء للزوج بعده وذلك مشهور المذهب
وقول مالك ان اللعان يجب بنفي حمل يدعي قبله استبراء وحكى اللخمي عن مالك انه قال
مرة لا ينفى الولد بالاستبراء لان الحيض يأتي على الحمل وقاله اشهب في كتاب ابن المواز
وقاله المغيرة وقال لا ينفى الولد الا بخمس سنين واختلف المذهب في ان يقذف الرجل
او ينفي حملا ولا يعلق ذلك برؤية ولا باستبراء فجل رواة مالك على ان ذلك لا
يوجب لعانا بل يحد الزوج وقاله ابن القاسم وروي عنه ايضا انه قال يلاعن
ولا يسأل عن شيء واختلف بعد القول باللعان بالاستبراء في قدر الاستبراء فقال مالك

وَالمعنى فى احد قوليه يجرى فى ذلك حيضة وقال ايضا مالك لا ينفيه الا ثلاث
حيض واما موضع اللعان ففى المسجد وعند الحاكم والمستحب ان يكون فى المسجد
بحضرة الحاكم وكذلك يستحب بعد العصر تغليظا بالوقت ومن قذف
امراته وهى ممن لا تحمل يلاعنها هو لرفع الحد وهى لدرء العذاب وان كانت صغيرة
لا تحمل لاعن هو لرفع الحد ولم تلاعن هى لانها لو اقرت لم يلزمها شى وقال ابن
الماجشون لا حد على قاذف من لم تبلغ وقال اللخمى فعلى هذا لا لعان على زوج الصغيرة
التى لا تحمل والمستحب من الفاظ اللعان ان يمشى مع ترتيب القران ولفظه فيقول
الزوج اشهد بالله لرايت هذه المراه تزنى وانى فى ذلك لمن الصادقين ثم
يقول فى الخامسه لعنة الله على ان كنت من الكاذبين وقال اصبغ لا بد ان يقول
كالمرود فى المكحله وقيل لا يلزمه ذلك وكذلك يقول اشهب لا بد ان يقول
بالله الذى لا اله الا هو واما فى لعان نفى الحمل فمثل يقول الرجل ما هذا الولد منى
ولزنت وقال ابن القاسم فى الموازيه لا يقول ولزنت من حيث يمكن ان تغصب
ويقول المراة اشهد بالله ما زنيت وانه فى ذلك لمن الكاذبين فان منع جهلهما [illegible]
من ترتيب هذه الالفاظ واتيا بها فى معناها اجزا ذلك وحكى اللخمى عن محمد بن ابى
صفره انه قال اللعان لا يرفع العصمه لقول عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها
قال فاحدث طلاقا ومشهور المذهب ان تمام نفس اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج
معها الى تفريق حاكم ومن ابى صفره هذا الذى يعود بزاحمه الجمهور ومذهب
الشافعى ان الفرقه حاصله اثر لعان الزوج وحده وقال ابو حنيفه واصحابه لا
تفريق الا بحكم السلطان بعد تمام لعانهما فان مات احدهما بعد تمام لعانهما وقبل
حكم القاضى ورثه الاخر ومذهب المدونه ان اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق
ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق وفى مختصر ابن الجلاب لا شى لها وهذا على
ان تفريق اللعان فسخ وقال ابن القصار تفريق اللعان عندنا فسخ وتحريم اللعان
ابدى باجماع فيما احفظ من مذهب مالك رحمه الله ومن فقها الكوفه وغيرهم

من لا يراه شيا بتا وان اكذب نفسه بعد اللعان لم ينفعه ذلك وروى عن
عبد العزيز بن ابى سلمه ان اكذب نفسه بعد اللعان كان خاطبا من الخطاب
وان نكلت المراه فى اللعان فقال ابن القاسم لا تعيد وقال اشهب تعيد والجواب
فى قوله ولولا فضل الله عليكم الايه محذوف تقديره لكشف الزناة بايسر من هذا
او لاخذهم بعقاب من عنده او نحو هذا من المعانى التى اوجب تقديرها ابهام
الجواب **قوله تعالى** إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا
لكم بل هو خير لكم لكل امرى منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم
له عذاب عظيم **ه** هذه الايه وما بعدها الى ست عشره ايه انزلت فى عايشه رضى
الله عنها وما اتصل بها من امر الافك وفى البخارى فى غزوة بنى المصطلق عن عايشه
قالت وانزل الله العشر الايات ثم انزل الله ما فيه براتى قال ابو محمد فحاميتها
عدت ما فيه خصها والافك الزور والكذب والافيك والافاك الكذاب
والافك قلب الحقيقة عن حالها بالاقوال وصرفها عن جهة الصواب وبذلك
يشبه الكذب واختصار حديث الافك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بعايشه
معه فى غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع قال ابن اسحق وكانت فى سنه ست
وقال موسى بن عقبه كانت سنه اربع فضاع لها هنالك عقد فلما انصرفت الى الرحل
شعرت بضياعه فرجعت تطلبه وسار الناس حينئذ فوجدته وانصرفت فلم تجد احدا
وكانت شابه قليلة اللحم رفع الرجال هودجها ولم يشعروا بزوالها منه فلما لم
تجد احدا اضطجعت فى مكانها رجاء ان يفتقد فيرجع عنها فنامت فى الموضع ولم
يوقظها الا قول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون وذلك انه كان
تخلف وراء الجيش لحفظ الساقه وقيل لنيا فلما راى سوادها قرب منه فعرفها
فاسترجع وقال ظعينة رسول الله تخلفت ها هنا ونزل عن ناقته وتنحى حتى ركبت
عايشه واخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش فى نحر الظهيره فوقع اهل الافك
فى مقالتهم وكان الذى يجتمع اليه فيه ويستوشيه ويشعله عبد الله بن ابى بن سلول

المنافقين وكان ممن قال بالإفك حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش هذا اختصار الحديث وهو بكماله وإتقانه في البخاري ومسلم وهو في مسلم أكمل وكان صفوان صاحب ساقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته لشجاعته وكان من خيار الصحابة قال لما سمع ما قال الناس فيه سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط قال أبو محمد أراد بزنا ويدل على ذلك حديثه المروي مع امرأته وقول النبي صلى الله عليه وسلم في ابنيه لهما أشبه به من الغراب بالغراب وقيل كان حصورا لا يأتي النساء ذكره ابن إسحق من طريق عائشة وقتل شهيدا في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة في زمن عمر وقيل ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمن معوية وقوله عصبة رفع على البدل من الضمير في جاءوا وخبر إن في قوله لا تحسبوه والتقدير إن فعل الذين وهذا أنسق في المعنى وأكثر فائدة من أن يكون عصبة خبر إن والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين قاله يعقوب وغيره ولا يقال عصبة لأقل من عشرة ولم يسم من أهل الإفك إلا حسان ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير قاله عروة بن الزبير وقد سأله عن ذلك عبد الملك بن مروان وقال إلا أنهم كانوا عصبة كما قال الله تعالى وقوله لا تحسبوه خطاب لكل من ساءه من المؤمنين وقوله بل هو خير لكم يريد أنه تبرئة في الدنيا وترفيع من الله تعالى في أن نزل وحيه بالبراءة من ذلك وأجر جزيل في الآخرة وموعظة للمؤمنين في غابر الزمن وفضيحة من المفترين في الدنيا والآخرة ففي ذلك شفاء وخير وهذه خمسة أوجه والضمير في قوله منهم عائد على العصبة المذكورة واكتسب مستعمله في المآثم ونحوها لأنها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ في الذنب وكسب مستعمله في الخير وذلك أن حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب في الوجهين ومثله : فحملت بره واحتملت فجار : والإشارة بقوله والذي تولى كبره هي إلى عبد الله بن أبي بن سلول وحمنة قالته عائشة في كتاب

تفسير سورة النور من البخاري والعذاب المتوعد به هو عذاب الآخرة هذا قول الجمهور وهو ظاهر الحديث وروي عن عائشة رضي الله عنها أن حسان دخل عندها يوما وقد عمي فأنشدها مدحة فيها

: حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل : فقالت له عائشة لكنك لست كذلك تريد أنه وقع في الغوافل فأنشد

: فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إلي أناملي : فلما خرج قال لها مسروق أيدخل هذا عليك وقد قال ما قال وتوعده الله بالعذاب على توليه كبر الإفك فقالت عائشة وأي عذاب أشد من العمى وضرب الحد وفي بعض الروايات وضربه بالسيف قال أبو محمد فأما قولها عن الحد فإن حسان ومسطحا وحمنة حدوا ذكر ذلك ابن إسحق وذكره الترمذي وفي تفسير ابن عباس أن ابن أبي حد وهذا عندي لا يصح عن ابن عباس لأنه لم يحفظ عن عبد الله بن أبي الرمي قال عروة في البخاري أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه وأما ضربه بالسيف فإن صفوان بن المعطل لما بلغه قول حسان في الإفك جاءه فضربه بالسيف ضربة على رأسه وقال تلق ذباب السيف عني فإني غلام إذا هوجيت لست بشاعر فأخذ جماعة صفوان فلببوه وجاءوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح حسان واستوهبه إياه وهذا يقتضي أن حسان ممن تولى الكبر وقال قوم الإشارة بالذي إلى البادئ بهذه الفرية والذي اختلقها فلكل واحد منهم ما اكتسب وللبادئ المفتري عذاب عظيم وهو على هذا غير معين وهذا قول الضحاك والحسن وقال ابن زيد وغيره هو عبد الله بن أبي وقرأ جمهور الناس كبره بكسر الكاف وقرأ حمزة والأعرج ويعقوب والزهري وأبو رجاء والأعمش وابن أبي عبلة كبره بضم الكاف وهما مصدران من كبر وكبر الشيء معظمه ولكن استعملت العرب ضم الكاف في السن تقول هذا كبر القوم أي أكبرهم سنا أو مكانة ومنه قول النبي

صلى الله عليه وسلم في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر ومن استعماله في المعنى الثاني
قول الحطيم" تقادم عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنقصف ٥
قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا
وقالوا هذا افك مبين لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون ٥ الخطاب بهاتين الآيتين لجميع المؤمنين حاشى من
تولى الكبر ويحتمل دخولهم في الخطاب وفي هذا عتاب للمؤمنين اي كان
الانكار واجبا عليهم والمعنى انه كان ينبغي ان يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات
الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد فيهم فكانوا يقضون انه في صفوان
وعائشة ابعد لفضلهما وروي ان هذا النظر السديد وقع من ابي ايوب الانصاري
وامرأته وذلك انه دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب أسمعت ما قيل فقال نعم وذلك
الكذب أكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعائشة والله
افضل منك قالت ام ايوب نعم قال ابو محمد فهذا الفعل ونحوه هو الذي
عاتب الله المؤمنين اذ لم يفعله جميعهم والضمير في قوله جاءوا لاولئك الذين
تولوا الكبر واذ كانوا عند الله كذبة فهي الحقيقة فيهم وعند هذا حدوا
ولم يرو في شهير الدواوين ان عبد الله بن ابي حد وبيّنه ان ذلك لم يكن لانه
لم تقم عليه المقالة بينة لنفاقه وتستره وانما كان يخوض فيه مع من يذيعه
ولا يسأل عن شهادته كما قال عروة في البخاري اخبرت انه كان يقره ويستمعه
ويستوشيه قال ابو محمد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استعذر منه على
المنبر ووقفه بالقول ووقع في امره بين الاوس والخزرج ما هو مطول في كتاب
مسلم في جملة احاديث الافك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم
وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا
إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله

ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم
٥ هذا عتاب من الله تعالى بليغ تذكر ان حالهم التي وقع فيها جميعهم من
تعاطيهم الحديث وان لم يكن المخبر ولا المخبر مصدقين ولكن نفس التعاطي
والتلقي من لسان الى لسان والافاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه
وقرأ محمد بن السميفع إذ تُلقونه بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الالقاء
وهذه قراءة بينة وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود إذ تتلقونه من التلقي بتاءين وقرأ جمهور
السبعة اذ تلقونه بحذف التاء الواحدة واظهار الذال دون إدغام وهو
ايضا من التلقي وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذ تلقونه بادغام الذال في
التاء وقرأ ابن كثير اذ تلقونه باظهار الذال وادغام التاء في التاء وهذه قراءة قلقة
لانها تقتضي اجتماع ساكنين وليست كالادغام في قراءة من قرأ فلا تناجوا ولا تنابزوا
لان دونها الالف الساكنة وكونها حرف لين حسنت هنالك ما لا تحسن مع سكون
الذال وقرأ ابن يعمر وعائشة رضي الله عنها وهي اعلم الناس بهذا الامر إذ تلقونه
بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق
الرجل ولقا اذا كذب قال ابن سيده وابو الحكم حكي في تلقونه وحكي اهل
اللغة انها من ولق اذا كذب فجاءوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه
اراد اذ تلقون فيه فحذف حرف الجر ووصل الفعل للضمير وحكى الطبري وغيره ان هذه
اللفظة ماخوذة من الولق الذي هو الاسراع بالشيء بعد الشيء كعدو في اثر عدو وكلام
في اثر كلام يقال ولق في سيره اذا اسرع ومنه قول الشاعر
"جاءت به عنس من الشام تلق" ٥ وقوله تعالى وتقولون بافواهكم
مبالغة والزام وتأكيد والضمير في قوله وتحسبونه للحديث والخوض فيه
والاذاعة له وقوله تعالى ولولا إذ سمعتموه الآية عتاب لجميع المؤمنين
اي كان ينبغي عليكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية
والنقل وان تنزهوا الله تعالى عن ان يقع هذا من زوج نبيه صلى الله عليه وسلم وان

تعرضوا على هذه المقالة بأنها بهتان وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما
ليس فيه والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه ثم وعظهم تعالى في العودة إلى مثل
هذه الحالة وأن تعودوا من أجله بتقدير كراهية أن ونحوه وقوله إن كنتم
مؤمنين توقيف وتأكيد كما تقول ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا إن كنت رجلا وسائر الآية
بين وعليم حكيم صفتان تقتضيهما الآية قوله عز وجل إن الذين يحبون أن
تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا
تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ۝ قال مجاهد
وابن زيد الإشارة بهذه الآية إلى المنافقين عبد الله بن أبي ومن أشبهه وهي خاصة
في أمر عائشة رضي الله عنها قال ـــــ أبو محمد فحبهم شياع الفاحشة في المؤمنين
متمكن على وجهه لعداوتهم في أهل الإيمان وعذابهم الأليم في الدنيا الحد وفي
الآخرة النار وقالت فرقة وقولها الأظهر الآية عامة في كل قاذف منافقا
كان أو مؤمنا قال ـــــ أبو محمد فالقاذف المؤمن لا يتصف بحب شياع الفاحشة
في المؤمنين جملة لكنه يحبها للمقذوف وكذلك الآخر للمقذوفة وأحرى بتشيع الفاحشة
من مجموع فعلهم فهم لها يحبون بهذا الوجه من حيث أحب كل واحد جزءا من
شياعها والعذاب الأليم في الدنيا الحد وفي الآخرة يحتمل وجهين أحدهما أن
يكون القاذف متوعدا من بين العصاة بعذاب في الآخرة لا يزيله الحد حسب
مقتضى حديث عبادة بن الصامت ويكون أمره كأمر المحاربين إذا صلبوا لهم
خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب والوجه الثاني أن يحكم بأن الحد يسقط
عذاب الآخرة حسب حديث عبادة وأن قوله والآخرة لا يريد به عموم القذفة
بل يريد إما المنافقين وإما من لم يحد وقال الطبري إن مات مصرا غير تائب
وقوله والله يعلم معناه يعلم البريء من المذنب وسائر الأمور ووجه الحكمة
في ستركم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفكم وقوله ولولا فضل
الله الآية جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره لفضحكم بذنوبكم

ومن يتبع خطوات الشيطان

ولم يستركم ولعذبكم بما أفضتم فيه من قول الباطل والبهتان
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمر
بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا
ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ۝ هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين
وخطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي فكأن المعنى لا تمشوا في سبله وطرقه
من الأفعال الخبيثة وقال منذر بن سعيد يجوز أن تكون خطوات جمع خطء
من الخطيئة وسهلت الهمزة فنطق به خطوات وقرأ بضم الطاء من خطوات الجمهور
وقرأ بسكون الطاء عاصم والأعمش وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف أي ما
اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا وقرأ أبو حيوة والحسن زكّى بشد الكاف أي أن
تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم فتحرزوا من المعاصي
ثم ذكر تعالى أنه يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح
أمارة على سبق السعادة له ثم أخبر بأنه سميع لجميع أقوالهم وكلامهم من قذف
وغيره وعليم بحق ذلك من باطله لا يجوز عليه في ذلك وهم ولا غلط قوله تعالى
ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
۝ المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة الصديق
ومسطح بن أثاثة وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين
المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف
ومسطح لقبه وكان أبو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع أمر الإفك وقال فيه
مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا فجاءه مسطح فاعتذر
وقال إنما كنت أغشى مجلس حسان فأسمع ولا أقول فقال له أبو بكر لقد شاركت
وضحكت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الآية وقال الضحاك وابن عباس إن جماعة
من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا والله لا نصل من

تكلم في شان عايشه فنزلت الايه وصيغتهم في الاول اصح غير ان الايه
تتناول الامة الى يوم القيامه بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف الا ينفع من
هذه صفته غابر الدهر ورأى الفقهاء ان من حلف ان لا يفعل سنة من السنن او
مندوبا وابر ذلك انها جرحه في شهادته ذكره الباجي في المنتقى ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم الحجم التالي على الله لا يفعل المعروف ويأتلي معناه يحلف وقرئها
يتفعل من الاليه وهي اليمين وقالت فرقة معناه يقصر من قولك الوت في هذا اذا
قصرت فيه ومنه قوله لا يألونكم خبالا وقرأ ابو جعفر بن القعقاع وزيد بن اسلم ولا
يتأل وهذا وزنه يتفعل من الالية بلا خلاف وهي في المصحف يأتل فلذلك ساغ
هذا الخلاف لابي جعفر وزيد في روايه وذكر الطبري ان خط المصحف مع قراءة
الجمهور فظاهر قوله ان تم القائل الناس والفضل والسعة هنا هي المال وقوله
الا تحبون الايه تمثيل وحجة اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك
اغفروا لمن دونكم وينظر الى هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الايه قال اني لاحب ان يغفر الله لي
ورجع الى مسطح النفقة والاحسان الذي كان جرى عليه قالت عايشه وكفر
عن يمينه وقرأ ابن مسعود وسفين بن حسين ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء من فوق فيهما
وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء هذه ارجى ايه في كتاب الله
عز وجل من حيث لطف الله فيها بالقذفة العصاة بهذا اللفظ قال ابو محمد
وانما تعطي الايه تفضلا من الله في الدنيا وانما الرجا في الاخرة اما ان الرجا في هذه الايه
بقياس اي اذا امر اولي النهى بالعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته لا رب غيره وانما
ايات الرجا قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا وقوله تعالى الله
لطيف بعباده وسمعت ابي رضي الله عنه يقول ارجى ايه في كتاب الله عندي قوله
تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال تعالى في ايه اخرى والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك

هو الفضل الكبير فشرح الفضل الكبير في هذه الايه وبشرى المومنين في تلك
وقال بعضهم ارجى ايه في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى وواحد من امته في النار قوله تعالى
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم
عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين ٥ قال سعيد
بن جبير ان هذه الايه التي تضمنت لعن القاذف وتوعده بالشديد انما هي خاصة
في رماة عايشه وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما قيل هي في جميع ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم غلظ الله امر رميهن لمكانهن من الدين فلعن قاذفهن ولم يعقب
اخر الايه توبه قال ابو محمد وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذكرت له
التوبه وقال جماعة من العلماء بل هي في شان عايشه الا انه يراد بها كل من اتصف
بهذه الصفة وقال بعض هذه الفرقه ان هذه الايه نزلت اولا في القاذفين ثم نزلت
بعد ذلك الايه في صدر السوره التي فيها التوبه وقد تقدم القول في المحصنات
بما معناه واللعنه في هذه الايه الابعاد وضرب الحد واستيحاش المومنين منهم وهجرهم
لهم وزوالهم عن رتبة العدالة وعلى قول من قال ان هذه الايه خاصة
لعايشه تترتب هذه الشدايد في جانب عبد الله بن ابي واشباهه وقوله رمي
المحصنه رمي الرجل معها ويقدحون يومنا والعامل في قوله يوم فعل مضمر تقتضيه
العذاب اي يعذبون يوم او نحو هذا واخبر الله تعالى ان جوارحهم تشهد عليهم
وذلك من اعظم الخزي والتنكيل فيشهد اللسان وقلب المنافق لا يريد ما يشهد
به وتشهد الايدي والارجل بما يعدها الله عليه وقرأ جمهور السبعة تشهد
بالتاء من فوق وقرأ حمزة والكسائي يشهد بالياء والدين في هذه الايه الجزا ومنه قول
الشاعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اي جازيناهم كما
فعلوا ومنه المثل كما تدين تدان وقرأ جمهور الناس الحق بالنصب على الصفة للدين

وقرأ مجاهد الحقُّ بالرفع على الصفة لله عز وجل وفي مصحف ابن مسعود وأُبيّ
بن كعب يومئذ يوفيهم الله الحقَّ دينهم بتقديم الصفة على الموصوف ورُويت
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين يقوّي
قول من ذهب إلى أن الآية في المنافقين عبد الله بن أُبيّ وغيره وذلك أن كل
مؤمن في الدنيا يعلم أن الله هو الحق المبين والأمليس بمومن **قوله تعالى**
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴿ه﴾ اختلف المتأولون
في الموصوف في هذه الآية بالخبث والطيب فقال ابن عباس ومجاهد والضحاك
وقتادة هي الأقوال والأفعال ثم اختلفت هذه الجماعة فقال بعضها المعنى الكلمات
والفعلات الخبيثات لا يقولها ويرضاها إلا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم
لها بهذا الوجه وكذلك الطيبات وقال بعضها المعنى الكلمات والفعلات
الخبيثات لا تليق وتلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف إلا بالخبيثين من الناس
فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وقال ابن زيد الموصوف بالخبث والطيب النساء
والرجال وإنما الآية على نحو التي تقدمت وهي قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية
الآية ومعنى هذه التفريق بين حكم عبد الله بن أبي وأشياعه وبين حكم النبي صلى
الله عليه وسلم وفضلاء صحابته وأمته أي أن النبي صلى الله عليه وسلم طيب فلم يجعل
الله له إلا كل طيبة وأولئك خبيثون فهم أهل النساء الخبيثات قال أبو
محمد وبهذه الآية قيل لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم الطيبات المبرآت وقوله
أولئك إشارة إلى الطيبين المذكورين في قوله والطيبون للطيبات وقال النقاش
الإشارة بأولئك مبرؤون إلى صفوان وعائشة رضي الله عنهما وجمعهما في الضمير على
حد قوله تعالى فإن كان له إخوة والمراد أخوان قال أبو محمد وفي هذا
التمثيل بالإخوة نظر وحسب هذه المعاني يتقدر المراد بالضمير في يقولون [illegible]
ثم وعد الله الطيبين من المؤمنين بالمغفرة عند الحساب والرزق الكريم في الجنة

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم
والله بما تعملون عليم ﴿ه﴾ سبب هذه الآية فيما ذكر الطبري بسنده عن عدي بن ثابت
أن امرأة من الأنصار قالت يا نبي الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب
أن يراني عليها لا والد ولا ولد وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك
الحال فنزلت هذه الآية وهي عامة في الأمة غابر الدهر ومن حيث هذه النازلة تخص
بيت أحد بعينه وبيت الإنسان هو البيت الذي لا أحد معه فيه أو البيت الذي فيه
زوجه أو أمته وما عدا هذا فهو غير بيته قال ابن مسعود وعليه ينبغي للإنسان ألا
يدخل البيت الذي فيه أمه إلا بعد الاستئناس وروي في ذلك حديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم أن رجلا قال يا رسول الله أستأذن على أمي قال نعم قال إنما هي أمي ولا خادم
لها غيري قال أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها وكذلك كل
ذات محرم منه لا ينبغي أن يراهن عاريات وقالت زينب امرأة ابن مسعود كان
ابن مسعود إذا جاء منزله تنحنح مخافة أن يهجم على ما يكره وتستأنسوا معناه تستعلموا
أي تستعلموا من في البيت وتستبصروا تقول آنست إذا علمت عن حس وإذا أبصرت
ومنه قوله تعالى آنستم منهم رشدا وقوله آنست نارا ومنه قول حسان بن ثابت
﴿ انظر خليلي بباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد ﴾ وقول الحرث
﴿ آنست نبأة ﴾ البيت ووزن آنس أفعل واستأنس وزنه استفعل فكأن
المعنى في تستأنسوا أتطلبون أن تعلموا ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت منكم
وإذا طلب الإنسان أن يعلم أمر البيت الذي يريد دخوله فذلك يكون بالا
بالاستئذان على من فيه أو بأن يتنحنح ويشعر بنفسه بأي وجه أمكنه ويتأنى قدر ما
يحفظ ويدخل إثر ذلك وذهب الطبري في تستأنسوا إلى أنه بمعنى حتى تؤنسوا
أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن

تعلموا ان قد تعرفكم قال ابو محمد وتعريف الفعل الي ان يكون من انس وذكر
الطبري عن ابن عباس انه كان يقرا حتى تستاذنوا وتسلموا وهي قراه ابي بن كعب وحكاها
ابو حاتم حتى تسلموا وتستاذنوا قال ابن عباس تستانسوا خطا او وهم من الكتاب
قال ابو محمد ومصاحف الاسلام كلها قد ثبت فيها تستانسوا وصح الاجماع فيها من
لدن مدة عثمان فهي التي لا يجوز خلافها والقراه تستاذنوا ضعيفه واطلاق الخطا
والوهم علي الكتاب في لفظ اجمع الصحابه عليه قول لا يصح عن ابن عباس والاشبه ان
يقرا تستاذنوا علي التفسير وظاهر ما حكي الطبري انها قراه برواية ولكن قد روي
عن ابن عباس انه قال تستانسوا معناه تستاذنوا ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس
ان تستانسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه
وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي
انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم فكيف يخطي ابن عباس الرواة في مثل هذا وحكى الطبري
ايضا سند عن ابن جريج عن ابن عباس وعكرمه والحسن بن ابي الحسن انهم قالوا نسخ
واستثني من هذه الايه الاولى قوله بعد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونه
قال ابو محمد وهذا ايضا لا يترتب فيه نسخ ولا استثنا لان الايه الاولى في البيوت
المسكونه والمعموره والايه الثانيه في المباحه وكان من ذهب الي الاستثنا راى
ان الاولى عامة وصورة الاستئذان ان يقول الرجل السلام عليكم ادخل فان اذن
له دخل وان امر بالرجوع انصرف عنه وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف
بعد الثالثة فاما ثبوت ما ذكرته من صورة الاستئذان فروى الطبري ان رجلا
جا الي بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال الج او ايلج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامة له يقال لها روضة قولي لهذا يقول السلام عليكم ادخل فسمعه الرجل فقالها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادخل وروي ان ابن عمر اذته الرمضا يوما فاتى
فسطاط امراة من قريش فقال السلام عليكم ادخل فقالت المراة ادخل بسلام
فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت ذلك فدخل قال ابو محمد كانه

توقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان يريد ادخل بسلامتك لا بسلامك ثم تكلم
قوم في الاستئذان عرفهم في العبارة واما ثبوت الرجوع بعد الاستئذان ثلاثا
فحديث ابي موسى الاشعري الذي استعمله مع عمر وشهد به لابي موسى ابو سعيد الخدري
ثم ابي بن كعب الحديث المشهور وقال عطا ان اي باح الاستئذان واجب علي
كل محتلم وسيأتي ذكر هذا وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الرجل اذنه اي اذا ارسل الي احد فقد اذن له في الدخول وقوله ذلكم
خير لكم اي الكلام عنه وقوله لعلكم تذكرون معناه فتعلمون ذلك فترحمون وبهائم
لعلكم والضمير في قوله تجدوا فيها للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى الطبري عن
مجاهد انه قال معنى قوله فان لم تجدوا فيها احدا ان لم يكن لكم فيها متاع وضعف
الطبري هذا التاويل وكذلك هو في غاية الضعف وكان مجاهد اراى ان
البيوت غير المسكونه انما تدخل دون اذن اذا كان فيها للداخل متاع وراى لفظة
المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب وهذا كله ضعيف واسند الطبري عن
قتادة انه قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الايه فما ادركتها
ان استاذن علي بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى
لكم وقوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب
الدخول على غفلة للمعاصي والنظر الي ما لا يحل ولغيرهم ممن يقع في محظور **قوله تعالى**
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونه فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون روي ان بعض الناس لما نزلت ايه الاستئذان تعمق في الامر فكان
لا ياتي موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن فنزلت هذه الايه اباح الله فيها
رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة انما هي في الاستئذان لخوف
الكشفه علي الحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم وتمثل اهل التاويل من هذه
البيوت امثلة فقال محمد بن الحنفيه وقتاده ومجاهد هي الفنادق التي في طرق
المسلمين قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفه لياوي اليها كل ابن سبيل وفيها

متاع لكم أي استمتاع بمنفعة وتشريعها في بيوت غير مسكونة الخرب التي
يدخلها الانسان للبول والغايط ففي هذا ايضا متاع وقال ابن زيد والشعبي هي
حوانيت القيساريات والسوق قال الشعبي لانهم جاوا ببيوعهم فجعلوها
فيها وقالوا للناس هلم قال ابو محمد وهذا قول غلط وقايله لفظ المتاع
وذلك ان بيوت القيساريات محظورة باموال الناس غير مباحة لكل من اراد
دخولها باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع الناس
عنها وقال محمد بن الحنفية انما اراد تعالى دور مكة وهذا على القول بانها
غير متملكة وان الناس شركا فيها وان مكة اخذت عنوة وهذا هو في هذه
المسئلة القول الضعيف يرده قوله عليه السلام وهل ترك لنا عقيل منزلا وقوله
من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن دخل داره وغير ذلك من وجوه النظر
وباقي الاية بين ظاهره التوعد قوله عز وجل قل للمومنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل
للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما
ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن قوله قل للمومنين بمنزلة قوله انهم
فقوله يغضوا جواب الامر وقال المازني المعنى قل لهم غضوا وفي هذا من
الاعتراض ان الجواب خبر من الله وقد يوجد من لا يغض وينفصل بان المراد
يكونون في حكم من يغض وقوله من ابصارهم ظاهر ما في من ان
تكون للتبعيض وذلك ان اول نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك
فقد وقع التبعيض خلاف الفروج اذ حفظها عام لها ويويد هذا التاويل ما
روي من قوله عليه السلام لعلي بن ابي طالب لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك
وليست لك الثانية الحديث وقال جرير بن عبد الله سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن نظرة الفجاة فقال اصرف بصرك ويصح ان تكون من لبيان الجنس
ويصح ان تكون لابتداء الغاية والبصر هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق

الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وحفظ
الفروج يحتمل ان يريد في الزنا ويحتمل ان يريد في ستر العورة والاظهر ان الجميع
مراد واللفظ عام وبهذه الاية حرم العلما دخول الحمام بغير مئزر وقال ابو
العالية كل فرج ذكر في القران فهو من الزنا الا هذه الاية فانه يعني التستر قال
ابو محمد ولا وجه لهذا التخصيص عندي وباقي الاية بين وظاهره التوعد وقوله
تعالى وقل للمومنات الاية امر الله تعالى النسا في هذه الاية بغض البصر عن كل ما
يكره من جهة الشرع النظر اليه وفي حديث ام سلمة قالت كنت انا وعايشة عند
النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي احتجبن فقلنا انه اعمى فقال
عليه السلام افعميا وان انتما ومن يحتمل ما تقدم في الاولى وحفظ الفروج يعم
الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ وامر الله تعالى
بان لا يبدين زينتهن للناظرين الا ما استثناه من الناظرين في باقي الاية ثم استثنى
ما يظهر من الزينة فاختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود ظاهر الزينة
هو الثياب وقال سعيد بن جبير الوجه والثياب وقال سعيد بن جبير ايضا وعطا
والاوزاعي الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور
بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب الى نصف الذراع والقرطة
والفتخ ونحو هذا فمباح ان تبديه المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر
الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
اخر عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد ويظهر لي بحكم
الفاظ الاية ان المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفا لكل ما هو
زينة ووقع الاستثنا في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه
او اصلاح شان ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه فغالب الامر
ان الوجه بما فيه والكفين يكثر منها الظهور وهو الظاهر في الصلاة ويحسن
بالحسنة الوجه ان تستره الا من ذي حرمة محرمة ويحتمل لفظ الاية ان الظاهر

من الزينة لهما ان نبينه ولكن نقوي ما قلناه الاحتياط ومراعاة فساد
الناس فلا يظن ان يباح للنساء ابدا الزينة الا ما كان بذلك الوجه
والله الموفق للصواب برحمته وقرا الجمهور وليضربن بسكون اللام التي هي للامر
وقرا ابو عمرو في رواية عباس عنه وليضربن بكسر اللام على الاصل لان اصل لام
الامر الكسر في ليذهب وليضرب وانما تسكينها كتسكين فخذ وعضد وسبب
هذه الاية ان النساء كن في ذلك الزمان اذا غطين رؤوسهن بالاخمرة سدلنها من
وراء الظهر قال النقاش كما تصنع النبط فيبقى النحر والعنق والاذنان لا
ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه
وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الاية
عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخمرة وضربن بها على الجيوب ودخلت على عائشة
حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك فشقته
عليها وقالت انما يضرب بالكثيف الذي يستر ومشهور القراءة ضم الجيم من جيوبهن
وقرا بعض الكوفيين بكسرها بسبب الياء كقراءتهم ذلك في بيوت وشيوخ ذكره
الزهراوي **قوله عز وجل** ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او
اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او
الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ٥ المعنى في هذه الاية ولا يبدين
زينة الاخفاء للزينة الباطنة كالخلخال والاقراط ونحوه ويطرحن دونه المحفظ
الا من سمى وبدا تعالى بالبعولة وهم الازواج لان اطلاعهم يقع على اعظم من
هذا ثم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في الزينة ولكنهم تختلف مراتبهم في
الحرمة بحسب ما في نفوس البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على المراة احوط
من كشف ولد زوجها وتختلف مراتب ما يبدى لهم فيبدى للاب ما لا يجوز ابداؤه
لولد الزوج وقوله او نسائهن يعني جميع المؤمنات فكانه قال او صنفهن ودخل

في هذا الاماء المؤمنات وخرج منه نساء المشركين من اهل الذمة وغيرهم
وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني ان نساء اهل الذمة
يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان
ترى الذمية عرية المسلمة قال فعند ذلك قام ابو عبيدة فابتهل وقال ايما
امراة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد الا ان تبيض وجهها سود الله وجهها
يوم تبيض الوجوه وقوله او ما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاماء الكتابيات
ويدخل فيه العبيد عند جماعة من اهل العلم وهو الظاهر من مذهب عائشة وام سلمة
رضي الله عنهما وقال ابن عباس وجماعة من العلماء لا يدخل العبد على سيدته
فيرى شعرها ونحو ذلك الا ان يكون وغدا ومنعت هذه الفرقة الكشف على العبد
والباحث ان يكون من التابعين غير اولي الاربة وفي بعض المصاحف او ما ملكت
ايمانكم ويدخل فيه عبد الغير وقوله او التابعين يريد الاتباع ليطعموا
الفسول من الرجال الذين لا اربة لهم في الوطء ويدخل في هذه
الصنيفة المجبوب والمعتوه والمخنث والشيخ الفاني والزمن الموقوذ بزمانته
ونحو هذا هو الغالب في هذه الاصناف ورب مخنث لا ينبغي ان يكشف الا ترى
الى حديث هيت ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كشفه على النساء لما وصف
بادنة ابنة غيلان بن معتب وتامل ما روي في اخبار الدلال المخنث وكذلك
الحمقى والمعتوهون فيهم من ينبغي ان لا يكشف والذي لا اربة له من الرجال
قليل والاربة الحاجة الى الوطء وعبر عن هذا بعض المفسرين قال هو الذي
يتبعك لا يريد الا الطعام وما يتوطله وقرا عاصم وابن عامر غير بالنصب وهو على
الحال من الذكر الذي في التابعين او على الاستثناء من التابعين وقرا الباقون
غير بالخفض على النعت للتابعين والعامل فيهما الفعل وفي غير المنصوب وقوله
او الطفل اسم جنس بمعنى الجميع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم بالوطء ويظهروا
معناه يطلعون بالوطء والجمهور على سكون الواو من عورات وروي عن

بإسكان الواو وقال الزجاج الاجود سكون الواو في عورات وسكنت
لثقل الحركة على الواو والياء ومن قرا بالفتح فعلى الاصل والقياس في فعلة فعلات

قوله عز وجل ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى
الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم
(ه) اسند الطبري عن المعتمر عن ابيه قال زعم حضرمي ان امراة اتخذت
برتين من فضة واتخذت جزعا فجعلت في ساقيها فمرت على قوم فضربت برجلها
الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوتت فنزلت هذه الاية وسماع صوت هذه
الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج قال مكي رحمه الله ليس في
كتاب الله اية اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمومنات من مخفوض
ومرفوع وقرا عبد الله بن مسعود ليعلم ما سر من زينتهن ثم امر عز وجل بالتوبة
مطلقة وقد قيد توبة الكفار بالاخلاص والانتها في اية اخرى وتوبة اهل الذمة
التبيين لامر محمد صلى الله عليه وسلم وامر هذه التوبة مطلقة عامة من كل شي صغير
وكبير وقرا الجمهور ايه بفتح الها وقرا ابن عامر ايه بضم الها ووجهه ان تجعل
الها كانها من نفس الكلمة فيكون اعراب المنادى فيها وضعف ابو علي ذلك جدا
وبعضهم يقف ايه وبعضهم يقف ايها بالالف وحكى ابو علي الوقف بالالف لان
علة حذفها في الوصل انما هي لسكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف ذهبت
العلة فرجعت الالف كما ترجع اليا اذا وقفت على محلي من قوله تعالى غير محلي
الصيد والاختلاف الذي ذكرناه في ايه المؤمنين كذلك هو في ايه الساحر
وفي ايه الثقلان وقوله تعالى وانكحوا الايامى هذه المخاطبة لكل من يتصور
ان يلج في نازلة ما فهم المامورون بتزويج من لا زوج له ومن لا زوجة له
وظاهر الاية ان المراة لا تتزوج الا بولي والايم يقال للرجل والمراة ومنه
قول الشاعر ⁘ لله دري على ايم منهم وناكح ⁘ ولعموم هذه اللفظة قالت

فرقة ان هذه الاية ناسخة لحكم قوله تعالى والزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وقوله والصالحين يريد للنكاح
وقرا الحسن بن ابي الحسن من عبيدكم والجمهور من عبادكم والمعنى واحد
الا ان قرينة الترغيب بالنكاح تؤيد قراءة الجمهور عبادكم وهذا الامر بالنكاح
يختلف بحسب اختلاف شخص شخص ففي نازلة يتصور وجوبه وفي نازلة الندب
وغير ذلك وهذا بحسب ما قيل في النكاح ثم وعد الله تعالى باغناء الفقراء
المتزوجين طلب رضى الله عنهم واعتصاما من معاصيه وقال ابن مسعود
التمسوا الغنا في النكاح وقال عمر رضي الله عنه عجبي ممن لا يطلب الغنا بالنكاح
وقد قال الله تعالى ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله قال النقاش هذه الاية حجة
على من قال ان القاضي يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا لا يقدر على النفقة
لان الله قال يغنهم ولم يقل يفرق بينهما قال ابو محمد وهذا انتزاع ضعيف وليست
هذه الاية حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي وعد بالاغناء كما وقع وعده مع
التفرق في قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ونفحات رحمة الله مأمولة في
كل حال موعود بها وقوله واسع عليم صفتان نحو المعنى الذي فيه القول اي
واسع الفضل عليم بمستحق التوسعة والاغنا قوله عز وجل وليستعفف الذين
لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت
ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم (ه) استعفف
وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون عفيفا فامر الله تعالى في هذه الاية كل من
يتعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ان يستعفف ثم لما كان اغلب
الموانع عن النكاح عدم المال وعد بالاغناء من فضله فعلى هذا التاويل يعم الامر
بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح باي وجه تعذر وقالت جماعة من المفسرين
النكاح في هذه الاية اسم ما يمهر وينفق في الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به
ويلبس قال ابو محمد وحملهم على هذا قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا

أن المأمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به وفي هذا
القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف وذلك ضعيف ثم أمر الله تعالى المؤمنين
كافة أن يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيده منه خيرا قال
النقاش سببها أن غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه الكتابة فأبى عليه وقال
مكي هو صبيح القبطي غلام حاطب بن أبي بلتعة ولفظ الكتاب في الآية مصدر كالقتال
والجلاد ونحوه من مصادر فاعل والكتابة مفاعلة من حيث كتب هذا على نفسه وهذا
على نفسه واختلف الناس هل هذا الأمر بالكتابة على الوجوب أو على الندب على قولين
فمذهب مالك رحمه الله أن ذلك على الندب وقال عطا ذلك واجب وهو ظاهر قول
عمر لأنس بن مالك في سيرين حين سأل سيرين الكتابة فتلكأ أنس فقال له عمر كاتبه
أو لأضربنك بالدرة وهو قول عمرو بن دينار والضحاك واختلف الناس في المراد
بالخير فقالت فرقة هو المال ولم ير على سيد أن يكاتب عبده إلا إذا علم أن له مالا
يؤدي منه أو من التجر فيه وروي عن ابن عمر وسلمان أنهما أبيا من كتابة عبد ليس
رغبا في الكتابة وعدا باسترفاق الناس فقال كل واحد منهما لعبده أتريد أن
تطعمني أوساخ الناس وقال مالك إنه ليقال الخير القوة على الأداء وقال الحسن بن
أبي الحسن الخير هو صدق الوعد وقلة الكذب والوفاء وإن لم يكن للعبد مال
وقال عبيدة السلماني هو الصلاح في الدين قال أبو محمد وهذا في ضمن القول
الذي قبله والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم وحرمة العتق إنما تلتبس بها بعد الأداء
هذا قول جمهور الأمة وقال ابن مسعود إذا أدى ثلث الكتابة فهو عتيق غريم
وقال علي بن أبي طالب العتاقة تجري فيه بأول نجم يؤديه وقوله تعالى وآتوهم
قال المفسرون هو أمر لكل مكاتب أن يضع للعبد من مال كتابته واستحسن علي بن
أبي طالب أن يكون ذلك ربع الكتابة قال الزهراوي روي ذلك عن النبي صلى الله
عليه وسلم واستحسن الحسن بن أبي الحسن وابن مسعود ثلثها وقال قتادة عشرها
ورأى عمر بن الخطاب أن يكون ذلك من أول نجومه مبادرة إلى الخير خوف أن لا

يدرك آخرها ورأى مالك رحمه الله أن يكون الوضع من آخر نجم وعلة ذلك
أنه إذا وضع من أول نجم ربما عجز العبد فرجع هو وماله إلى السيد فعادت
إليه وضيعته وهي تشبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر فرأى مالك رحمه الله
هذا الأمر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا ورأى الشافعي وغيره أن
الوضيعة واجبة يحكم بها الحاكم على المكاتب وعلى ورثته وقال الحسن والنخعي
وبريدة إنما الخطاب بقوله تعالى وآتوهم للناس أجمعين في أن يتصدقوا على
المكاتبين وأن يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن أسلم إنما الخطاب لولاة
الأمر أن يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله تعالى
وفي الرقاب **قوله تعالى** ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد
أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۝
روي أن سبب هذه الآية هو أن عبد الله بن أبي بن سلول كانت له أمة تسمى
مسيكة وقيل معاذة وكان يأمرها بالزنا والكسب به فشكت ذلك إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين وقوله إن أردن
تحصنا راجع إلى الفتيات وذلك أن الفتاة إذا أرادت التحصن فحينئذ يمكن
ويتصور أن يكون السيد مكرها ويمكن أن ينهى عن الإكراه وإذا كانت الفتاة
لا تريد التحصن فلا يتصور أن يقال للسيد لا تكرهها لأن الإكراه لا يتصور فيها
وهي مريدة للزنا فهو أمر في سادة وفتيات حالهم هذه الحال وذهب هذا النظر
عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله إن أردن راجع إلى الأيامى في قوله وأنكحوا
الأيامى منكم وقال بعضهم هذا الشرط في قوله إن أردن ملغى ونحو هذا مما ضعف
والله الموفق للصواب برحمته وعرض الحياة الدنيا في هذه الآية الشيء الذي تكسبه
الأمة بفرجها ومعنى قوله في الآية فإن الله من بعد إكراههن غفور لهن رحيم
لهن وقد يتصور الغفران والرحمة في المكرهين بعد أن تقع التوبة من ذلك فالمعنى

عفو لمن تاب وقرأ ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن جبير لهن غفور رحيم
بزيادة لهن ثم عدد تعالى على المؤمنين نعمه فيما انزل اليهم من الآيات المنيرات
وفيما ضرب لهم من أمثال الماضين من الأمم ليقع التحفظ مما وقع أولئك فيه
وفيما ذكر لهم من المواعظ وقرأ جمهور الناس مبينات بفتح الياء أي بينها الله
تعالى واوضحها وقرأ الحسن وطلحة وعاصم والأعمش مبينات بكسر الياء أي
بينت الحق واوضحته **قوله عز وجل** الله نور السموات والارض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء
عليم ۝ النور في كلام العرب الاضواء المدركة بالبصر ويستعمل مجازا فيما صح من
المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر
نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا ۝ والله تعالى
ليس كمثله شيء فبين انه ليس من الاضواء المدركة ولم يبق للآية معنى الا انه اراد
الله تعالى ذو نور السموات والارض اي به وبقدرته انارت اضواؤها
واستقامت امورها وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن كما تقول
الملك نور الامة اي به قوام امورها وصلاح جملتها والامر في الملك مجاز وهو
في صفة الله تعالى حقيقة محضة اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل نورا
هاديا لان ظهور الوجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات
تبارك الله لا رب غيره وقالت فرقة التقدير دين الله ذو نور السموات والارض
وقال ابن عباس المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني
واوضح مع التأمل وقرأ عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة وابو عبد الرحمن السلمي
الله نوّر السموات بفتح النون والواو المشددة وفتح الراء على انه فعل وروي
ان اليهود لما نزلت هذه الآية جسموا ذلك وقالوا واعترضوا محمدا صلى الله عليه

وسلم بان قالوا كيف هو نور الارض والسماء بيننا وبينه فنزلت حينئذ مثل نوره
كمشكاة الآية ليس الامر كما ظننتم وانما هو نور بانه قوام كل شيء وخالقه
وموجده مثل نوره كذا وكذا واختلف المتأولون في الضمير في نوره
على من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم
اي مثل نور محمد وقال أبي بن كعب وابن جبير والضحاك هو عائد على المؤمنين وفي
قراءة أبي بن كعب مثل نور المؤمنين وروي ان في قراءته نور المؤمن وروي ان
فيها مثل نور من آمن به وقال الحسن هو عائد على القرآن والايمان قال
مكي بن ابي طالب وعلى هذه الاقوال يوقف على قوله والارض قال ابو محمد وهذه
اقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر وفيها مقاطعة المعنى المراد بالآية
وقالت فرقة الضمير في نوره عائد على الله ثم اختلفت هذه الفرقة في المراد
بالنور الذي اضيف الى الله تعالى اضافة مخلوق الى خالق كما تقول سماء الله وناقة
الله فقال بعضها هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضها هو المؤمن وقال بعضها
هو الايمان والقرآن قال ابو محمد وهذه الاقوال متجهة مطرد معها المعنى
فكأن اليهود لما تأولوا الله نور السموات والارض بمعنى الضوء قيل لهم ليس كذلك
وانما هو نور بانه قوام كل شيء وهاديه مثل نوره في محمد او في المؤمن او في القرآن
والايمان كمشكاة وهي الكوة غير النافذة فيها القنديل ونحوه وهذه الاقوال
الثلاثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعلى قول من قال الممثل
به محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله عليه وسلم
هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة
قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والملائكة رسل الله اليه وشبه الفضل به والزيت
هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي وعلى قول من قال الممثل به
المؤمن وهو قول ابي بن كعب فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة
قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو على

احسن الحال مثنى في الناس كالرجل الحي مشى في قبور الاموات وقد قال ان المثل به
القران والايمان فعدى الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر المؤمن
وفي قلبه كمشكاة اي هذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاول
لان المشكاة ليست تقابل الايمان وتحتمل الاية معنى اخر ليس فيه مقابلة جزء
من المثل به وقع التشبيه فيه جملة لجملة وذلك ان يريد مثل نور الله الذي
هو هداه واتقانه صنعه كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه
الجملة من النور الذي يتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور الذي
من ايدي الناس اي فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر
والمشكاة هي الكوة في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وسعيد بن عياض وجمهور
المفسرين وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها وقال مجاهد
المشكاة العمود الذي يكون المصباح على راسه وقال ابو موسى المشكاة الحديدة
او الرصاصة تكون فيها الفتيلة جوف الزجاجة وقال مجاهد ايضا المشكاة
الحدائد التي يعلق بها القنديل والاول اصح هذه الاقوال وقوله في زجاجة
لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاجة والمصباح الفتيل
بناره وامال الكسائي فيما روى عنه ابو عمرو الدوري الالف من مشكاة وكسر
الكاف التي قبلها وقرا نصر بن عاصم في زجاجة بفتح الزاي والزجاجة
كذلك وهي لغة وقوله كانها كوكب دري اي في الانارة والضوء وذلك
يحتمل معنيين اما ان يريد انها المصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها
لصفائها وشدة جوهرها كذلك قال ابو محمد وهذا التاويل ابلغ في
التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة وقرا نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم دري بضم الدال وشد الياء ولهذه القراءة وجهان اما ان ينسب الكوكب
الى الدر لبياضه وصفائه واما ان يكون اصله دريء مهموز فعيل من الدرء وهو
الدفع وخففت الهمزة وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم دريء بالهمز وهو فعيل من الدرء

هداه

بمعنى انه يدفع بعضها بعضا او بمعنى ان بهاها يدفع خفاها وفعيل بناء لا
يوجد في الاسماء الا في قولهم مريق العصفر لغة وفي السرية اذا اشتقت من السرو
وضعف هذه القراءة ابو علي وضعفها غيره وقرا ابو عمرو والكسائي دريء
على وزن فعيل كسر الفاء من الدرء وهذه متوجهة وقرا قتادة درى بفتح
الدال والهمز قال ابو الفتح هذا عزيز وانما حفظ منه السكينة بشد
الكاف وقرا سعيد بن المسيب وابو رجاء ونصر بن عاصم دري بفتح الدال دون
همز وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وطلحة والاعمش والحسن بخلاف وقتادة
وابن وثاب وعيسى توقد بضم التاء اي الزجاجة وقرا ابو عمرو واهل الكوفه
والحسن وابن محيصن توقد بفتح التاء والواو وشد القاف وضم الدال اي
الزجاجة وقرا ابو عمرو ايضا وابن كثير توقد بفتح التاء والدال اي المصباح
وقرا عاصم فيما روى عنه اسمعيل يوقد بالياء المرفوعة وفتح الواو على معنى
يوقد المصباح وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم يوقد بضم الياء اي المصباح
قال ابو الفتح وقرا السلمي والحسن وابن محيصن وسلام وقتادة يوقد بفتح الياء
والواو والقاف المشددة ورفع الدال اصله يتوقد وقوله من شجرة
اي من زيت شجرة والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الثمار نماء والطرافات
وعصارة ولاسيما بالشام والرمان كذلك والعيان يقتضي ذلك وقول ابي طالب
يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس

ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون

بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون

وقوله لا شرقية
ولا غربية قرا الجمهور فيهما بالخفض عطفا على زيتونة وقرا الضحاك لا شرقية ولا
غربية بالرفع واختلف المتاولون في معناه فقال ابن عباس فيما حكى عنه الطبري
معناه انها شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق
ولا من جهة الغرب قال ابو محمد وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس

لان الوجود يقتضي ان الشجره التي تكون بهذه الصفه يفسد جناها وقال
الحسن ليست هذه الشجره من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو
كانت في الدنيا لكانت اما شرقيه واما غربيه وقال ابن زيد اراد انها من شجر
الشام فهي ليست من شرق الارض ولا من غربها لان شجر الشام هي افضل الشجر
وهي الارض المباركه وقال ابن عباس وعكرمه وقتاده وغيرهم المعنى في قوله
لا شرقيه ولا غربيه انها في منكشف من الارض تصيبها الشمس طول النهار تستدير
عليها اي ليست خالصه للشرق فتسمى شرقيه ولا للغرب فتسمى غربيه بل هي شرقيه
غربيه وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغه في صفة صفائه وحسنه
وجودته وقرا الجمهور تمسسه بالتاء من فوق وقرا ابن عباس والحسن بالياء من
تحت وقوله نور على نور اي هذه كلها معاون تكامل بها هذا النور الممثل به
وفي هذا الموضع تم المثل ثم ذكر تعالى هداه لنوره من يشاء واسعد من عباده
وذكر تفضله في ضرب الامثال للعباد ليقع لهم العبره والنظر المؤدي الى
الايمان **قوله عز وجل** في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاه
وايتاء الزكاه يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ه الباء في قوله في بيوت
بضم وكسر لغه واختلف في الباء من قوله في فقيل هي متعلقه بمصباح قال ابو حاتم
وقيل متعلقه بيسبح المتاخر فعلى هذا التاويل الاخير يوقف على عليم قال الرماني
هي متعلقه بتوقد واختلف الناس في البيوت التي اراد بقوله تعالى في
بيوت اذن الله ان ترفع فقال ابن عباس والحسن ومجاهد هي المساجد المخصوصه
لله تعالى التي من عادتها ان تنور بذلك النوع من المصابيح وقال الحسن ابي
الحسن اراد بيت المقدس وسماه بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن
بعض قال ابو محمد وبروى ان عاده بني اسرائيل في وقيد بيت المقدس كانت
غايه في التهمم به وكان الزيت منتخبا محوطا على طروفه وقد صنع اتقن صنعه

وقدس حتى لا يجزئ الوقيد بغيره فكان هذا اوفى خيرها اضوا بيوت الارض
وقال عكرمه اراد بيوت الايمان على الاطلاق مساجد ومساكن فهي التي
يستصبح فيها بالليل للصلاه وقراة العلم وقال مجاهد اراد بيوت النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابو محمد وقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال
يقوي انها المساجد وقوله اذن بمعنى امر وقضى وحقيقة الاذن العلم
والتمكين دون حظر فان اقترن بذلك امر وانفاذ كان اقوى وترفع قيل
معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وغيره بذلك نحو قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنا مسجدا من ماله بنى الله
له بيتا في الجنه وفي هذا المعنى احاديث وقال الحسن بن ابي الحسن وغيره
معناه تعظم ويرفع شانها وذكر اسمه تعالى فيها هو بالصلاه والعباده قولا
وفعلا وقرا ابن كثير وعاصم يسبح بفتح الباء المشدده وقرا الباقون وحفص عن
عاصم يسبح بكسر الباء فرجال على القراه الاولى مرتفع بفعل مضمر يدل عليه يسبح
تقديره يسبحه رجال وهذا عند سيبويه نظير قول الشاعر
ه ليبك يزيد ضارع لخصومه ه ايبكيه ضارع ورجال على القراه
الثانيه مرتفع بيسبح الظاهر وروي عن بعض الناس انه قرا تسبح بالتاء من
فوق والغدو والاصال قال الضحاك اراد الصبح والعصر وقال ابن عباس
اراد ركعتي الفجر والعصر وان ركعتي الضحى في كتاب الله وما يغوص عليها الا
غواص وقرا ابو مجلز والايصال ثم وصف تعالى المسبحين بانهم لمراقبتهم
امر الله تعالى وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن الصلاه وذكر الله شيء من امور
الدنيا وقال كثير من الصحابه نزلت هذه الايه في اهل الاسواق الذين اذا سمعوا
النداء بالصلاه تركوا كل شغل وبادروا اليها وراى سالم بن عبد الله بن عمر
اهل السوق وهم مقبلون الى الصلاه فقال هؤلاء الذين اراد الله بقوله تعالى
رجال لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله وروي ذلك عن ابن مسعود واقام الصلاه

مصدر من أقام يقيم أصله إقوام نقلت حركة الواو إلى القاف فبقيت
ساكنة والألف ساكنة فحذفت للالتقاء فجاء إقام الصلاة فقال بعض النحويين
هو مصدر بنفسه فلذلك يضاف وقيل لا يجوز إقامة إقاما وإنما يستعمل مضافا قاله
ذكره الرماني وقال بعضهم من حيث رأوه لا يستعمل إلا مضافا فالإضافة هنا
عوضا من المحذوف في إقامة فهم إذا أضافوه حذفوا العوض لاستغنائهم عنه
بأن المضاف والمضاف إليه كاسم واحد والزكاة هنا عند ابن عباس الطاعة
لله وقال الحسن هي الزكاة المفروضة في المال واليوم المخوف الذي ذكره
الله تعالى هو يوم القيامة واختلف الناس في تقلب القلوب والأبصار فيه
هو فقالت فرقة ترى الناس الحقائق عيانا فتتقلب قلوب الشاكين ومعتقدي
الضلال عن معتقداتها إلى اعتقاد الحق على وجهه وكذلك الأبصار وقالت
فرقة هو تقلبها على جمر جهنم **قال أبو محمد** ومقصد الآية إنما هو وصف هول
يوم القيامة فأما القول الأول فليس بمعنى هول وأما الثاني فليس التقلب في
جمر جهنم في يوم القيامة بل هو بعده وإنما معنى الآية عندي أن ذلك اليوم لشدة
هوله ومطلعه القلوب والأبصار فيه مضطربة قلقة متقلبة من طمع في النجاة
إلى طمع ومن حذر هلاك إلى حذر ومن نظر في هول إلى النظر في آخر والعرب
تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها ومنه قول الشاعر

"بل كان قلبك في جناحي طائر" ومنه قول بشار "كأن فؤاده كرة تنزى"
ومنه قول الآخر "إذا حلق الحجير وصلصل الحديد" وهذا كثير **قوله تعالى**
ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده
شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج
يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **ه** اللام في قوله ليجزيهم

متعلقة بفعل مضمر تقديره فعلوا ذلك أو يسبحوا لذلك أو نحو هذا ويحتمل
أن تكون متعلقة بيسبح وقوله أحسن ما عملوا فيه حذف مضاف تقديره ثواب
أحسن ما عملوا وعدهم عز وجل بالزيادة من فضله على ما تقتضيه أعمالهم فأهل الجنة
أبدا في مزيد ثم ذكر أنه يرزق من يشاء ويخصه بما يشاء من رحمته دون حساب
ولا تقدير وكل تفضل الله فهو بغير حساب وكل جزاء على عمل فبحساب ولما ذكر
الله تعالى فيما تقدم من هذه الآية حالة الإيمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم
عقب ذلك بذكر الكفرة وأعمالهم فمثل لهم ولها مثلين الأول منهما
يقتضي حال أعمالهم في الآخرة من أنها لا تنفعهم ولا تجزيهم والثاني يقتضي حالها
في الدنيا من أنها في الغاية من الضلال والعمه التي هي لها كما ذكر من تناهي الظلمة
في قوله أو كظلمات والسراب ما يترقرق من الهواء في الهجير في فيافي الأرض
المنبسطة ويوهم الناظر إليه على البعد أنه ماء سمي بذلك لأنه ينسرب كالماء فمثل الله
أعمال الكافر في ظنه أنها نافعته فإذا كان يوم القيامة لم يجدها شيئا
بمنزلة السراب الذي يظنه الرائي العطشان ماء فإذا قصده وأتعب نفسه بالوصول
إليه لم يجده شيئا والقيعة جمع قاع كجيرة وجار والقاع المنخفض البسيط من الأرض
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في مانع زكاة الأنعام فيبطح لها بقاع قرقر وقيل
القيعة مفرده وهو بمعنى القاع وقرأ مسلمة بن محارب بقيعات وقرأ أبو جعفر وشيبة
الظمان بخلاف الظمآن بفتح الميم وطرح حركة الهمزة على الميم وترك الهمزة وقوله
حتى إذا جاءه لم يجده شيئا يريد شيئا نافعا في العطش أو يريد شيئا موجودا على العموم
ويريد بجاءه جاء موضعه الذي يتخيله فيه ويحتمل أن يعود الضمير في جاءه على السراب
ثم يكون في الكلام بعد ذلك متروك كثير يدل عليه الظاهر تقديره وكذلك
الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ويحتمل الضمير أن
يعود على العمل الذي يدل عليه قوله أعمالهم ويكون تمام المثل في قوله ماء ويستغني
الكلام عن متروك على هذا التأويل لكن يكون في المثل إيجاز وإغراب لوضوح

المعنى المراد به وقوله ووجد الله عنده اي بالمجازاه والضمير في عنده
عايد على العمل وباقي الايه بين فيه توعد وسرعة الحساب من حيث هو تعالى لا
يتكلف فيه وقوله تعالى او كظلمات عطف على قوله كسراب وهذا المثال الاخير
تضمن صفة اعمالهم في الدنيا اي هم من الضلال ونحوه في مثل هذه الظلمه
المجتمعه من هذه الاشيا وذهب بعض الناس الى ان في هذا المثل اجزا من الممثل
به فقال الظلمات الاعمال الفاسده والمعتقدات الباطله والبحر اللجي صدر
الكافر وقلبه واللجي معناه ذو اللجة وهي معظم الما وغمره واجتماع ما به
اشد ظلمته والموج هو الضلال والجهالة التي قد غمرت قلبه والفكر المعوجه
والسحاب هو شهوته في الكفر واعراضه عن الايمان وما رين به على قلبه
قال ابو محمد وهذا التاويل سايغ وان لا يقدر هذا التقابل سايغ وقرا
سفيان بن حسين او كظلمات بفتح الواو وقرا جمهور السبعه سحاب بالرفع
والتنوين وقرا ابن كثير في روايه قنبل سحاب بالرفع والتنوين ظلمات بالخفض
على البدل من ظلمات الاول وقرا ابن ابي مرة عن ابن كثير سحاب بغير تنوين على
الاضافة الى ظلمات وقوله اذا اخرج يده لم يكد يراها لفظ يقتضي مبالغه
الظلمه واختلف الناس في هذا اللفظ هل يقتضي ان هذا الرجل المقدر في
هذه الاحوال قد اخرج يده ورأى يده او لم يرها البته فقالت فرقة لم يرها
جملة وذلك ان كاد معناها قارب فكانه قال اذا اخرج يده لم يقارب رويتها
وهذا يقتضي نفي الرويه جمله وقالت فرقة بل راها بعد عسر وشده وكاد لا
يراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي
بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل قال ابو محمد وهذا لازم متى كان
حرف النفي بعد كاد داخلا على الفعل الذي بعدها تقول كاد زيد يقوم فالقيام
منفي فاذا قلت كاد زيد الا يقوم فالقيام واجب واقع وتقول كاد النعام
يطير فهذا يقتضي نفي الطيران عنه فاذا قلت كاد النعام ان لا يطير وجب

الطيران له فاما اذا كان حرف النفي مع كاد فالامر محتمل مرة يوجب
الفعل ومرة ينفيه تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا الكلام صحيح يتضمن
نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا الكلام صحيح يتضمن
ايجاب السكون بعد جهد ونادرا ومنه قوله تعالى فذبحوها وما كادوا
يفعلون نفي مع كاد تضمن وجوب الذبح وقوله في هذه الايه لم يكد يراها
نفي مع كاد يقتضي احد التاويلين نفي الرويه ولهذا ونحوه قال سيبويه
رحمه الله ان افعال المقاربه لها نحو اخر يعني انها دقيقه التصرف وقوله
تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قالت فرقة يريد في الدنيا اي من لم
يهده الله لم يهتد وقالت فرقة اراد في الاخرة اي من لم يرحمه الله وينور
حاله بالعفو والرحمة فلا رحمة له قال ابو محمد والاول ابين واليق بلفظ
الايه وايضا فذلك متلازم نور الاخرة انما هو لمن نور قلبه في الدنيا
وهدي وقد قررت الشريعة انه من ترك لا حرية على كفر فانه غير مغفور له
ولا مرحوم **قوله عز وجل** الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله
ملك السموات والارض والى الله المصير ه قوله الم تر تنبيه والرويه رويه
الفكر قال سيبويه كانه قال انتبه الله يسبح له من في السموات والتسبيح
هنا التعظيم والتنزيه فهو من العقلا بالنطق وبالصلاة من كل ذي دين واختلف
في تسبيح الطير وغير ذلك مما قد ورد الكتاب بتسبيحه فالجمهور على انه تسبيح
حقيقي وقال الحسن وغيره هو لفظ تجوز وانما تسبيحه بظهور الحكمة فيه
فهو لذلك يدعو الى التسبيح وقال المفسرون قوله من في السموات والارض
عامه لكل من له عقل وسائر الجمادات لكنه لما اجتمع ذلك عبر عنه بمن تغليبا
لحكم من يعقل وصافات معناه مصطفه في الهوا وقرا الاعرج والطير بنصب
الرا وقرا الحسن والطير صافات برفعهما وقوله كل قد علم صلاته

وتسبيحه قال الحسن المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه فهو
مثابر عليها ويؤديها وقال مجاهد الصلاة للبشر والتسبيح لما عداهم
وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين أمر بهما فهذه
اضافة خلق الى خالق وقال الزجاج وغيره المعنى كل قد علم الله صلاته
وتسبيحه فالضميران للكل وقرأت فرقة قد علم صلاته بالرفع وبنا الفعل للمفعول
الذي لم يسم فاعله ذكرها ابو حاتم وقرأ الجمهور يفعلون بالياء على معنى
المبالغة في وصف قدرة الله وعلمه خلقه وقرأ عيسى والحسن تفعلون
بالتاء من فوق ففيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد والتخويف من الله تعالى
واعلام بعد بكون الملك على الاطلاق له وتذكيره بامر المصير اليه والحشر
يقوي معنى التخويف من الله تعالى وفي مصحف ابي بن كعب وابن مسعود والله
بصير بما تعملون **قوله عز وجل** ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف
بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال
فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه عن من يشا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ۝ الرؤية في هذه
الاية رؤية عين والتقدير ان امر الله وقدرته ويزجي معناه يسوق والازجا
انما يستعمل في سوق كل ثقيل وتدافعه كالسحاب والابل المزاحيف كما قال
الفرزدق ∴ على زواحيف نزجيها محاسير ∴ والبضاعة المزجاة التي
تحتاج من الشفاعة والتحسين الى ما هو كسوق الثقيل ومنه قول جنب في النسب
وحي نزجيه وسوبه انضا تقول في كلامه فانت تزجيه الى كذا اي تسوقه
تعلا متباطيا وقوله يؤلف بينه اي بين مفترق السحاب نفسه لان مفهوم السحاب
يقتضي ان بينه فرجا وهذا كما تقول جلست بين الدور ولو اصبت بين الى
معزد لم يصح الا ان تريد اجزا لا تقول جلست بين الدار الا ان تريد ومن كذا
وورش عن نافع لا يهمز يولف وقالون عن نافع والباقون يهمزون يؤلف وهو

الاصل والركام الذي يركب بعضه بعضا ويتكاثف والعرب تقول ان
الله تعالى اذا جعل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فيخرج منه الودق
ومن ذلك قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ومن ذلك قول حسان
بن ثابت ∴ كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل ∴
ويروى للمفصل بكسر الميم وفتح الصاد فالمفصل واحد المفاصل والمفصل اللسان
ويروى بالقاف اراد حسان الخمر والما الذي مزجت به اي هذه من عصير
العنب وهذه من عصر السحاب فسر هذا التفسير قاضي البصرة عبد الله بن الحسين
العنبري للذي حلف صاحبهم بالطلاق اذ سال القاضي عن تفسير بيت حسان — للذين
والودق المطر ومنه قول الشاعر ∴ فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ∴
وقرأ جمهور الناس من خلاله وهو جمع خلل كجبل وجبال وقرأ ابن عباس والضحاك
من خلله وقرأ عاصم والاعمش وينزل على المبالغة والجمهور على التخفيف وقوله
من جبال فيها من برد قيل لها حقيقة وقد جعل الله تعالى في السماء جبالا من برد
وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف كثرته وهذا كما تقول عند
فلان جبال من المال وجبال من العلم اي في الكثرة مثل الجبال ومن على هذا
تقديره زيادة من في قوله من برد وهو قول ضعيف ومن في قوله من السماء
هي لابتداء الغاية ومن في قوله من جبال هي للتبعيض ومن في قوله من برد هي لبيان
الجنس والسنا مقصور الضوء والسناء ممدود المجد والارتفاع في المنزلة
وقرأ الجمهور سنا بالقصر وقرأ طلحة بن مصرف سناء بالمد والهمز وقرأ طلحة
ايضا برقه بضم الباء وفتح الراء وهي جمع برقة بضم الباء وسكون الراء فعلة وهي
المقدار من البرق كطعمة ولقمة وغرفة وغرف وقرأ الجمهور يذهب بفتح الياء
وقرأ ابو جعفر يذهب بضمها من اذهب كان المعنى يذهب النفوس بالابصار
نحو قوله تنبت بالدهن ويحتمل ان تكون مثل قوله ومن يرد فيه بالحاد فالباء
زايدة والله على كل شي قدير فقصت لفظة الاية الاخبار عن تقليبه الليل والنهار

والاتيان بهذا بعد هذا دون توطية هو الذي يتحرج عنه الفصحا حتى
يتقع منهم الملتوية في الالفاظ والتوطية بالكلام واتى الايه من قوله تعالى
والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا
ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم ويقولون امنا بالله وبالرسول
واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق
ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله بل اولئك هم الظالمون ۵ هذه اية اعتبار وقرا حمزة والكسائي
والله خالق كل على الاضافة وقرا الجمهور والله خلق كل والدابة كل ما دب
من الحيوان اي تحرك متنقلا امامه قدما ويدخل فيه الطير اذ قد يدب ومنه قول
الشاعر ۝ دبيب قطا البطحا في كل منهل ۝ ويدخل فيه الحوت وفي الحديث
دابة من البحر مثل الظرب وقوله من ما قال النقاش اراد المني الذكور وقال
جمهور النظرة اراد ان خلقة كل حيوان فيها ما كما خلق ادم من الما والطين
وعلى هذا يتخرج قول النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذي سال في غزاة بدر ممن انتما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ما الحديث والمشي على البطن للحيات
والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى الرجلين للانسان والطير اذا مشى
والاربع لسائر الحيوان وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه
الزيادة جميع الحيوان ولكنه قران لم تثبته الاجماع قال النقاش انما
اكتفى القول بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان
انما اعتماده على اربع وهي قوام مشيه وكثرة الارجل في بعضه زيادة في الخلقة
لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابو محمد والظاهر
ان تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي

هنا تحرك في تصرفه وقوله ايات مبينات يعم كل ما نصب الله تعالى من ايه
وصنعه للعبرة وكل ما نص في كتابه من اية منبهة وتذكرة واخبر تعالى انه انزل
الايات ثم قيد الهداية اليها لا انها من قبله لبعض دون بعض وقوله
تعالى ويقولون امنا بالله الاية نزلت في المنافقين وسببها فيما روي ان رجلا
من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة فدعاه
اليهودي الى التحاكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا
فابى من ذلك ودعا اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الاية فيه واسند
الزهراوي عن الحسن بن ابي الحسن انه قال من دعاه خصمه الى حكم من حكام
المسلمين فلم يجب فهو ظالم ومذعنين اي طائعين للانقياد والطاعة وفهم انما
فعلوا ذلك حيث ايقنوا بالنجح واما اذا طلبوا الحق فهم عنه معرضون ثم
وقفهم تعالى على اسباب فعلهم توقيف توبيخ اي ليقروا باحد هذه الوجوه
التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم وهذا التوقيف معد في الامور الظاهرة
مما يوبخ به او مما يمدح به فهو بليغ جدا ومنه قول جرير
۝ الستم خير من ركب المطايا ۝ الابيات ثم حكم عليهم بانهم هم الظالمون
وقال ان يحيف الله عليهم ورسوله من حيث الرسول انما يحكم بامر الله
وشرعه والحيف الميل قوله عز وجل انما كان قول المؤمنين اذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم
المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير
بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ۵
قرا الجمهور قول بالنصب وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وابن ابي
اسحق قول بالرفع واختلف عنهما قال ابو الفتح شرط كان ان يكون اسمها اعرف

من حيث هي فقراءة الجمهور أقوى والمعنى إنما كان الواجب أن يقوله المؤمنون
إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله سمعنا وأطعنا فإن هذه ليست أخبارا عن
ماضٍ زمن وإنما هي كقول الصديق ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله
وحمل الدعا إلى الله من حيث هو الشرع ودينه وقرأ الجمهور ليحكم على بناء
الفعل للفاعل وقرأ أبو جعفر والجحدري وخالد بن إلياس والحسن ليُحكم على بناء
الفعل للمفعول والمحلوفون البالغون أبلغ في أيمانهم وأحرجهم وجهد اليمين
بلوغ الغاية في تعقيدها ليخرجن معناه إلى الغزو وهذه في المنافقين الذين تولوا
حين دعوا إلى الله ورسوله وقوله قل لا تقسموا طاعة معروفة يحتمل معاني
أحدها النهي عن القسم الكاذب إذ قد عرف أن طاعتهم دغلة رديئة فكأنه
يقول لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه والثاني أن يكون المعنى لا تتكلفوا
القسم طاعة عرف متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم وفي
هذا الوجه ابقاء عليهم والثالث أن يكون المعنى لا تقسموا فالقسم طاعة تعرف
منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم والرابع أن يكون المعنى لا تقسموا
لا تكفيكم ما رضينا بالقسم طاعة الله معروفة وشرعه وجهاد عدوه مهيع لائح
وقوله إن الله خبير متصل بقوله لا تقسموا وطاعة معروفة اعتراض بليغ
وقوله قل أطيعوا الله الآية مخاطبة لأولئك المنافقين وغيرهم من الكفار وكل من
يتعنت عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تولوا معناه تتولوا محذوف التاء
الواحدة يدل على ذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان تولوا فعلا ماضيا وقلنا
في الكلام خروج من خطاب الحاضر إلى ذكر الغائب لا يقضي الكلام أن يكون بعد
ذلك وعليهم ما حملوا والذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التبليغ ومكافحة
الناس بالرسالة وإعمال الجهد في إنذارهم والذي حمل الناس هو السمع والطاعة
واتباع الحق وباقي الآية بين وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع في رواية
ورش ويتقهي بإشباع الهاء قال أبو علي وهو الوجه وقرأ قالون عن نافع

ويتقهِ بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية
أبي بكر ويتقهْ بجزم الهاء وقرأ حفص عن عاصم ويتقْهِ بسكون القاف وكسر
الهاء **قوله عز وجل** وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر
بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم
النار ولبئس المصير ۵ وقرأ الجمهور استخلف على بناء الفعل للفاعل وقرأ أبو بكر
عن عاصم والأعرج استُخلف على بناء الفعل للمفعول وروي أن سبب هذه الآية أن
بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه
من الخوف على أنفسهم وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزلت هذه الآية عامة لأمة
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله في الأرض يريد في البلاد التي تجاورهم
والأصقاع التي قضى باستيلائهم عليها واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد
ويجعلهم أهلها كالذي جرى في الشام وفي العراق وخراسان والمغرب وقال
الضحاك في كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لأنهم
أهل الإيمان وعمل الصالحات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدي ثلاثون قال أبو محمد والصحيح في الآية أنها في استخلاف الجمهور
واللام في قوله ليستخلفنهم لام القسم وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وليبدلنهم
بفتح الباء وشد الدال وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر والحسن وابن محيصن
بسكون الباء وتخفيف الدال وهي بمعنى بدل خوفهم بالأمن أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قال أصحابه أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح
قال عليه السلام لا تغبرون إلا قليلا حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبيا
ليس فيه حديدة وقوله يعبدونني فعل مستأنف أي هم يعبدونني وقوله ومن

هو يحتمل ان يريد هو تبيح المنع اذا وقعت وكون الفسق على هذا غير
المخرج عن الملة قال بعض الناس في كتاب الطبري ظهر ذلك في قتله عثمان
رضي الله عنه ويحتمل ان يريد الكفر والفسق المخرج عن الملة وهو ظاهر
قول حذيفة بن اليمان فانه قال كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ذهب فلم يبق الا الكفر بعد ايمان ولما قدم تعالى شرط عمل الصالحات
بينها في هذه الاية فنص على عظمها وهي اقام الصلاة وايتا الزكاة وعم بطاعة
الرسول لانها عامة لجميع الطاعات ولعلكم معناه في حقكم ومعتقدكم
ثم اخذ القول على الكفرة بان نبه على انهم ليسوا بمفلتين من عذاب الله
وقرا الجمهور الشيعة لا تحسبن بالتا على المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وقراها
الحسن بن ابي الحسن بفتح السين وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن بالياء قال ابو علي
وذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون التقدير لا يحسبن محمد والاخر ان
يسند الفعل الى الذين كفروا والمفعول الاول نفسهم واعجز الرجل اذا ذهب في الارض
فلم يقدر عليه ثم اخبر ان ماواهم النار وانها بيس الخاتمة والمصير **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم
ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة
العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم
بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ٥ قال ابن
عمر الذين ملكت يراد به الرجال خاصة وقال ابو عبد الرحمن السلمي يراد به النسا
خاصة وسبيل الرجال ان يستاذنوا في كل وقت وحكى الزهراوي عن ابن عمر
وحده وقيل الرجال والنسا هم مراد ورجحه الطبري وقرا جمهور
الناس الحلم بضم اللام وقرا الحسن بن ابي الحسن الحلم بسكون اللام وكان
ابو عمرو يستحسنها وهذه الاية محكمة قال ابن عباس وغيره تركها الناس وذلك
ترك الناس قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فابى الناس الا ان الاكرم

هو الانسب قال ابو محمد وهذه العبارة فيها اغلاظ وتجرا اذ لم تقدم
حق الالزام والاعلام قال الله تعالى في ذلك هو المعتقد عند العلما المحوب
في نو الفهم اعني وان الكرم التقوى واما امر الاستيذان فان تغير
المباني والحجب اغنت عن كثير من الاستيذان وصيرته على حد اخر وان ابواب
المنازل اليوم من مواضع النوم وقد ذكر المهدوي عن ابن عباس انه قال
كان العمل بهذه الاية واجبا اذ كانوا لا غلق ولا باب ولو عادت الحال
لعاد الوجوب قال ابو محمد فهي الان واجبة في كثير من مساكن المسلمين
في البوادي والصحاري ونحوها ومعنى الاية عند جماعة من العلما ان الله تعالى
ادب عباده بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم
الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم في هذه
الاوقات الثلاثة وهي المواضع التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة
التعري في المضاجع وهي عند الصباح لان الناس في ذلك الوقت عراة في مضاجعهم
وقد ينكشف النايم في نومه ودخل وخرج فحكمه ان يستاذن لئلا يطلع على ما
يحب ستره وهذا في وقت القايلة وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا
علا واشتد حره وبعد العشا لانه وقت التعري للنوم والتبذل للفراش واما
في غير هذه الاوقات التي هي عورة اي ذات انكشاف فالعرف من الناس التحرز
والتحفظ فلا حرج في دخول هذه الصنيفة بغير اذن اذ هم طوافون يمضون
ويجيئون ولا تجد الناس بدا من ذلك وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالياء وقال
الحسن اذا ابات الرجل خادمه معه فلا استيذان عليه ولا في هذه الاوقات
الثلاثة وقوله بعضكم على بعض بدل من قوله طوافون وثلاث مرات
نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلاثا انما امروا بالاستيذان
في ثلاثة مواطن فالظرفية في ثلاث بينة وقرا جمهور السبعة ثلاث عورات برفع
ثلاث وهذا على الابتدا وقرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم ثلاث عورات

نصب ثلاث وهذه على البدل من الظرف في قوله ثلاث وهذا البدل انما يصح معناه بتقدير اوقات ثلاث عورات بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات جمع عورة وبابه في التصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات وجوزة وجوزات ونحوه لان فتحه داع الى اعتلاله فلم يفتح لذلك قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ه المعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان في الاوقات الثلاث المذكورة وابيح لهم الامر في غير ذلك من الاوقات ثم امر تعالى في هذه الاية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله عز وجل والقواعد من النسا اللاتي قد اسنن وقعدن عن الولد واحدهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر من كبرها قال غيره وقد تقعد المراة عن الولد وفيها مستمتع فلما كان الغالب على النسا ان ذوات هذا السن لا مذهب للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب اذ علة التحفظ مرتفعة فيهن وقرا ابن مسعود ان يضعن من ثيابهن وهي قراءة ابي وروي عن ابن مسعود ايضا من جلابيبهن والعرب تقول امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى عليهن في وضع الثياب الا يقصدن به التبرج وابدا الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو اقبح الاشيا وابعده عن الحق والتبرج طلب البدو والظهور للعيون ومنه بروج مشيدة ونحو هذا وكذلك بروج السما والاسوار والذي ابيح وضعه لهذه الصنفة الجلباب الذي فوق الخمار والردا قاله ابن مسعود وابن

جبير وغيرهما ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلتزم الشاب من الستر افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود وان يعففن بغير سين ثم ذكر تعالى انه سميع لما يقول كل قايل وقايله عليم بمقصد كل احد في قوله وفي هذا من التوقيف بوعد وتحذير والله الموفق للصواب برحمته قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ه اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الاصناف الثلاثة بظاهر الاية واشار التوبيخ ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضي نيتهم الاتيان فيه بالاكمل ويقتضي العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم في هذا فاما ما قال الناس في هذا الحرج هنا فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو اي لا حرج عليهم في تاخرهم قال وقوله ولا على انفسكم الاية معنى مقطوع من الاول وقالت فرقة الاية كلها في معنى المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الاكل مع اهل الاعذار وبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج ولرائحة المريض وعلاته وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية مودبة وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجا من غش اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجة الاصحا في الاكل لعدم الرؤية في الاعمى وللعجز عن المزاحمة في الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية في اباحة الاكل معهم وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي

ان اهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم
فنزلت الاية مبيحة لهم وقال ابن عباس ايضا الاية من اولها الى اخرها
انما نزلت بسبب ان الناس لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
قالوا الاموال اعز من الطعام وتحرجوا ان ياكل احد مع هؤلاء فيغبنهم
في الاكل فيقع في اكل المال بالباطل وكذلك تحرجوا عن اكل طعام
القرابات لذلك فنزلت الاية مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة ان تلك
انما هي في التعدي والقمار وكل ما ياكله المرء من مال الغير والغير
كاره او بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
بن مسعود فرقوا في الاصناف الثلاثة انما نزل بسبب ان الناس كانوا
اذا انهضوا الى الغزو خلفوا اهل العذر في منازلهم واموالهم فكان
اهل العذر يتجنبون اكل مال الغائب فنزلت الاية مبيحة لهم اكل الحاجة
من طعام الغائب اذا كان الغائب قد بنى على ذلك وقيل كان الرجل
اذا ساق اهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيئا ذهب بهم الى بيوت قرابته
فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت الاية وذكر الله تعالى بيوت القرابات
وسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون ذلك لانها داخلة في قوله من بيوتكم
لان بيت ابن الرجل بيته وقرا طلحة بن مصرف امهاتكم بكسر الهمزة وقوله
او ما ملكتم مفاتحه يعني ما خزنتم وصار في قبضتكم فعظمه ما ملكه الرجل
في بيته وتحت غلقه وذلك هو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين
يدخل في الاية الوكلاء والعبيد والاجراء بالمعروف وقرا جمهور الناس ملكتم
بفتح الميم واللام وقرا سعيد بن جبير ملكتم بضم الميم وكسر اللام وشدها
وقرا جمهور الناس مفاتحه وقرا سعيد بن جبير مفاتيحه بياء بين التاء والحاء
الاولى جمع مفتح والثانية جمع مفتاح وقرا قتادة ملكتم مفتاحه
ومن الله تعالى في هذه الاية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان

قرب المودة لصيق قال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب
قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان قال ابن عباس في كتاب النقاش
الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وقوله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا رد لمذهب
جماعة من العرب كانت لا تاكل افرادا البتة قاله الطبري ومن ذلك قول بعض
الشعرا « اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي »
وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت
هذه الاية مبينة سنة الاكل ومذهبة كل ما خالفها من سيرة العرب ومبيحة
من اكل المنفرد ما كان عند العرب محرما نحت به نحو كرم الخلق فافرطت
في الزامه وان احضار الاكيل لحسن ولكن بان لا تحرم الانفراد وقال
بعض اهل العلم هذه الاية منسوخة بقوله عليه السلام فان دماكم واموالكم
عليكم حرام وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية وبقوله
عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه الحديث
ثم ختم الله تعالى الاية بتبيين سنة السلام في البيوت واختلف المتاولون في اي
البيوت اراد فقال ابرهيم النخعي اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها من
صنفكم فهذا كما قال لقد جاكم رسول من انفسكم فان لم يكن في المساجد
احد فالسلام ان يقول المرء السلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم
يريد الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال جابر بن
عبد الله وابن عباس وعطاء بن ابي رباح المراد البيوت المسكونة اي فسلموا على
صنفكم كما قال رسول من انفسكم وقالوا ادخل في ذلك البيوت غير المسكونة
ويسلم فيها المرء على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله
تحية مصدر ووصفها بالبركة لان فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه والكاف
من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن اي هذا الذي

وصف تطرد تبين الآيات لعلكم تعقلونها وتعملون بها وقال بعض الناس
في هذه الآية انها منسوخة باية الاستئذان الذي امر به الناس وهي
المتقدمة في السورة فاذا كان الاذن محظورا فالطعام احرى وكذلك
ايضا فرضت فرقة نسخها من قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
قال ابو محمد والنسخ لا يتصور في شيء من هذه الآيات بل هي كلها
محكمة اما قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ففي التعدي والخدع
والاغرار واللهو والقمار ونحوه واما هذه الآية ففي اباحة طعام من
هذه الاصناف التي يسرها استباحة طعامها على هذه الصفة واما اية الاذن
فعلة ايجاب الاستئذان خوف الكشفة فاذا استأذن المرء خوف الكشفة
ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك اكل الطعام بهذه الاباحة
وليس يكون في الآية نسخ فتامله **قوله عز وجل** إنما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا
استأذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله
غفور رحيم ٥ انما في هذه الآية للحصر امضى ذلك المعنى لانه لا يتم ايمان
الا بان يؤمن المرء بالله ورسوله وبان يكون من الرسول سامعا غير معنت
في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد هو افساده بزواله في وقت الجمع
ونحو ذلك والامر الجامع يراد به ما للامام حاجة الى جمع الناس فيه
لاذاعة مصلحة فأدب الاسلام اللازم في ذلك اذا كان الامر حاضرا
ان لا يذهب احد لعذر الا باذنه فاذا ذهب باذن ارتفع عنه الظن السيئ
والامام الذي يرتقب اذنه في هذه الآية هو امام الامرة وقال مكحول والزهري
الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستأذن اذا قدمه امام الامرة
اذا كان يرى المستأذن قال ابو محمد ومتى بعض الناس دهرا على استئذان

امام الصلاة وروي ان هرم بن حيان كان يخطب فقام رجل فوضع
يده على انفه واشار الى هرم بالاستئذان فاذن له فلما قضيت الصلاة هيف
له من امره انه انما ذهب لغير ضرورة فقال هرم اللهم اخر رجال السوء
لزمان السوء قال ابو محمد وظاهر الآية انما يقتضي ان يستأذن امير الامرة
الذي هو في مقعد النبوة فانه ربما كان له راي في حبس ذلك الرجل
لامر من امور الدين فاما امام الصلاة فقط فليس ذلك اليه لانه وكيل
على جزء من اجزاء الدين الذي هو في مقعد النبوة ثم امر الله تعالى نبيه ان
ياذن لمن عرف منه صحة العذر وهم الذين يستأذنوا وروي ان هذه الآية نزلت
في وقت حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق المدينة وذلك ان بعض
المؤمنين كان يستأذن لضرورة وكان المنافقون يذهبون دون استئذان
فاخرج الله تعالى الذين لا يستأذنون عن صفة المؤمنين وامر النبي صلى الله عليه
وسلم ان ياذن للمؤمن الذي لا تدعوه ضرورة الحبسة وهو النبي يشاء من امره
بالاستغفار لصنفي المؤمنين من اذن له ومن لم يؤذن له وفي ذلك تانيس للمؤمنين
ورافة بهم **قوله عز وجل** لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض
قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ٥ هذه
الآية مخاطبة لجميع معاصري محمد صلى الله عليه وسلم امرهم الله ان لا يجعلوا
مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النداء كمخاطبة بعضهم لبعض فان
سيرتهم كانت التداعي بالاسماء على غاية البداوة وقلة الاحتفال فامرهم الله
تعالى في هذه الآية وفي غيرها ان يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم باشرف
اسمائه وذلك هو معنى التوقير والتعزير فالمتمني في الدعاء ان يقول يا رسول
الله وان يكون ذلك بتوقير وخفض صوت وبر وان لا يجري ذلك على عادتهم

بعضهم في بعض قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس المعنى في هذه الآية
إنما هو لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم بعضاً أي دعاؤه
عليكم مجاب فاحذروه قال أبو محمد ولفظ الآية يدفع هذا المعنى
والأول أصح ثم أخبرهم تعالى أن المتسللين منهم لواذاً علمهم واللواذ
الروغان والمخالفة وهو مصدر لاوذ وليس بمصدر لاذ لأنه كان
يقال لياذاً ذكره الزجاج وغيره ثم أمرهم بالحذر من عذاب الله ونقمته
إذا خالفوا عن أمره وقوله يخالفون عن أمره معناه يقع خلافهم بعد أمره
وهذا كما تقول كان المطر عن ريح وعن هي لما عدا الشيء والفتنة في هذا
الموضع الاختبار بالرزايا في الدنيا أو بالعذاب الأليم في الآخرة ولا بد للمؤمنين
من أحدهما وقوله تعالى ألا إن لله الآية استفتح الكلام وأخبر بأن
الأشياء على جميع ما تقدم لمن اعتبر أن الله تعالى له ما في السموات والأرض ملكاً
وخلقاً ثم أخبرهم أنه قد علم ما أهل الأرض والسماء عليه وخص منهم بالذكر
المخاطبين لأن ذلك موضع الحجة عليهم وهم به أعنى وقوله ويوم يرجعون
إليه يجوز أن يكون معمولاً لقوله يعلم ويجوز أن يكون التقدير والعلم
الظاهر لكم أو نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف وقرأ الجمهور
يُرجعون بضم الياء وفتح الجيم وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق وأبو عمرو يَرجعون
بفتح الياء وكسر الجيم وقال عقبة بن عامر الجهني رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ هذه الآية خاتمة النور فقال والله بكل شيء بصير وبلى الآية من
كمل تفسير سورة النور بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة الفرقان هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال
الضحاك هي مدنية وفيها آيات مكية قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلهاً
آخر الآية **قوله تعالى** تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له

الدنيا

شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً واتخذوا من دونه آلهة
لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون
موتاً ولا حياة ولا نشوراً ٥ تبارك وزنه تفاعل وهو مطاوع بارك
من البركة وبارك فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله
تعالى لم يستعمل في غيره ولذلك لم يتصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل وهو
صفة فعل أي كثرت بركاته ومن جملتها إنزال كتابه الذي هو الفرقان
بين الحق والباطل وصدر هذه السورة إنما هو رد على مقالات كانت
لقريش فمن جملتها قولهم إن القرآن افتراه محمد وإنه ليس من عند الله
فهو رد على هذه المقالات وقرأ الجمهور على عبده وقرأ عبد الله بن الزبير
على عباده والضمير في قوله ليكون يحتمل أن يكون لمحمد وهو عبده
المذكور وهذا تأويل ابن زيد ويحتمل أن يكون للفرقان وأما على قراءة
ابن الزبير فهو للفرقان لا يحتمل غير ذلك إلا بكره وقوله تعالى للعالمين
عام في كل إنسي وجني عاصره أو جاء بعده وهذا ثابت من غير ما موضع
من الحديث المتواتر وظواهر الآيات والنذير المحذر من الشر والرسول
من عند الله نذير وقد يكون النذير ليس برسول كما روي في ذي القرنين
وكما ورد في رسل رسل الله إلى الجن فإنهم نذر وليسوا برسل الله وقوله
تعالى الذي له ملك السموات الآية هي من الرد على قريش في قولهم إن لله شريكاً
وفي قولهم اتخذ البنات وفي قولهم في التلبية إلا شريكاً هو لك وقوله
تعالى وخلق كل شيء عام في كل مخلوق وتقدير الأشياء هو حدها بالأمكنة
والأزمان والمقادير والإتقان والمصلحة ثم عقب تعالى ذكر هذه الصفات
التي هي الألوهية بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لهم هذه الصفات
فالعقل يعطي أنهم ليسوا بآلهة وقوله تعالى وهم يخلقون يحتمل أن يريد يخلقهم
الله تعالى بالاختراع والإيجاد ويحتمل أن يريد يخلقهم البشر بالنحت

والعبارة وهذا التاويل اشد ابدا لجناسة الاصنام وخلق البشر
يخلون ولكن العرب تستعمله ومنه قول زهير
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ه وهذا
من خلقت الجلد اذا عملت فيه رسوما تقطع عليها والفري هو ان يقطع على
تلك الرسوم وقوله تعالى موتا ولا حياة يريد اماته ولا احيا والنشور
بعث الناس من القبور **قوله عز وجل** وقال الذين كفروا ان هذا الا
افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاوا ظلما وزورا وقالوا ا
اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض انه كان غفورا رحيما ه المراد بالذين كفروا
قريش وذلك ان بعضهم قال هذا افك وكذب افتراه محمد واختلف
المتاولون في القوم المعينين لمحمد على زعم قريش فقال مجاهد اشاروا الى قوم
من اليهود وقال ابن عباس اشاروا الى عبيد كانوا للعرب من الفرس احدهم
ابو فكيهة مولى الحضرمي وجبر ويسار وعداس وغيرهم ثم اخبر
الله تعالى انهم ما جاوا الا ظلما وزورا اي ما قالوا الا باطلا وبهتانا والزور
تحسين الباطل هذا عرفه واصله التحسين مطلقا ومنه قول عمر رضي الله عنه
فاردت ان اقدم بين يدي ابي بكر مقالة كنت زورتها وقوله تعالى اساطير
الاولين قال ابن عباس يعني بذلك قول النضر بن الحرث وذلك ان كل ما في القرآن
من ذكر اساطير الاولين فانما هو بسبب النضر بن الحرث حسب الحديث
المشهور في ذلك ثم رموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اكتتبها وقرا طلحة بن
مصرف اكتتبها بضم التا الاولى وكسر الثانية على معنى اكتتبت له وذكرها
ابو الفتح وقرا طلحة تتلى بتا بدل الميم ثم امره تعالى ان يقول ان الذي انزله
هو الله الذي يعلم سر جميع الاشيا التي في السموات والارض ثم اعلم بانه غفور
رحيم ليرجى كل سامع في عفوه ورحمته مع التوبة والانابة والمعنى ان الله

غفور رحيم في انقابه على اهل هذه المقالات والكفر لعلهم ان يومنوا
قوله عز وجل وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له
جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا
من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ه الضمير في
قوله وقالوا لقريش وذلك انهم كان لهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مجلس مشهور ذكره ابن اسحق في السير وغيره مضمنه ان سادتهم
عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة
وليناك علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجعوا في باب الاحتجاج عليه فقالوا له ما بالك وانت
رسول الله تاكل الطعام وتقف بالاسواق يريد التماس الرزق اي ان
من كان رسول الله مستغن عن جميع ذلك ثم قالوا له سل ربك ان ينزل
معك ملكا ينذر معك او يلقي اليك كنز تنفق منه او يرد لك جبال مكة ذهبا
او تزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه واشاعوا اهذه الحجة
نزلت هذه الآية وكتبت اللام مفردة من قولهم ما لِ هذا اتباعا لثبتها في المصحف
قطع لفظه فاتبعه الكاتب واما لا يهمز راوا ان حروف الجر بابها الانفصال نحو
في ومن وعن وعلى وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر ياكل
منها بالياء وقرا حمزة والكسائي ناكل منها بالنون وهي قراءة ابن وثاب وابن مصرف
وسليمن بن مهران ثم اخبر تعالى عنهم وهم الظالمون الذين اشير اليهم انهم
قالوا اخبر يتبعوا ابن محمد عليه السلام ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي قد سحر
فهو لا يدري ما يقول ويحتمل مسحورا ان يكون من السحر وهي الرية فكانهم ذهبوا
الى تحقيره اي رجلا متلكر في الخلقة ذكره مكي وغيره ثم نبهه الله تعالى

مشتغلا عن تقاتلهم وقال الطبري ضربوا لك الأمثال بالمسحور والكاهن
والشاعر وغيره فضلوا أي أخطؤوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا
يطيقونه لالتباسهم بضلال من الضلال وقوله تعالى تبارك الذي الآية
رجوع بالوعد لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أي هو جاعل لا هولا الضالون
في أمرك والإشارة بذلك قال مجاهد هي إلى ما ذكروه الكفار من الكنز
والجنة في الدنيا وقال ابن عباس هي إلى أكله الطعام ومشيه في الأسواق قال
الطبري والأول أظهر قال أبو محمد لأن هذا التأويل الثاني يوهم أن
الجنات والقصور التي في هذه الآية هي في الدنيا وهو تأويل الثعلبي وغيره ويرد
ذلك قوله بعد ذلك بل كذبوا بالساعة والجمل يحتمل وقرأ عاصم في رواية أبي
بكر وحفص ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويجعل بالجزم على العطف
على موضع الجواب في قوله جعل لأن التقدير تبارك الذي إن يشأ يجعل وقرأ
أبو بكر عن عاصم أيضا وابن كثير وابن عامر ويجعل بالرفع والاستئناف وهي
قراءة مجاهد ووجهه العطف على المعنى في قوله جعل لأن جواب الشرط هو موضع
استئناف ألا ترى أن الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط
وقرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب وهو على تقدير أن
في صدر الكلام قال أبو الفتح هي على جواب الجزاء بالواو وهي قراءة ضعيفة وأدغم
الأعرج ويجعل لك وروي ذلك عن ابن محيصن والقصور البيوت المبنية
بالجدرات قاله مجاهد وغيره وكانت تسمي ما كان من الشعر والصوف والقصب
بيتا وتسمي ما كان بالجدرات قصرا لأنه قصر عن الداخلين والمستأذنين
قوله عز وجل بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا
ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا ۝ المعنى ليس بهم في تكذيبك مشيك في الأسواق بل إنهم كذبوه لأ

يفقهون الحق وقوله بل كذبوا لنقض اللفظ المتقدم لا لمعناه على ما تقتضيه
بل في مشهور معناها وأعتدنا جعلنا معدا والعتاد ما يعد من الأشياء والسعير
طبق من أطباق جهنم وقوله تعالى إذا رأتهم يريد جهنم إذا اقتضاها
لفظ السعير ولفظ رأتهم يحتمل الحقيقة ويحتمل المجاز على معنى صارت منهم على
قدر ما يرى الرائي من البعد إلا أنه ورد حديث يقتضي الحقيقة في هذا ذكره
الطبري وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ
بين عيني جهنم مقعده من النار فقيل يا رسول الله أولها عينان فقال ألم تقرؤوا
إن شئتم إذا رأتهم من مكان بعيد الآية وروي في بعض الآثار أن البعد الذي
تراهم منه مسيرة سنة وروي أنه مسيرة مائة سنة وقوله تعالى سمعوا
لها تغيظا لفظ فيه تجوز وذلك أن التغيظ لا يسمع وإنما المسموع أصوات
دالة على التغيظ وهي لا شك احتدامات في النار كالذي يسمع في نار الدنيا
إذا اضطرمت ونسبة هذا المسموع الذي في الدنيا من ذلك نسبة الاحتراق
من الاحتراق وهي سبعون درجة كما ورد في الصحيح والزفير صوت ممدود
كصوت الحمار المرجع في شهيقه قال النقاش الزفير آخر صوت الحمار
عند نهيقه قال عبيد بن عمير إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر
ترعد فرائصه والمكان الضيق هاهنا هو قصد إلى التضييق عليهم في المكان من النار
وذلك نوع من التعذيب قال عليه السلام إنهم ليكرهون كما يكره الوتد في
الحائط كرا وعنفا وقال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج على الرمح وقرأ
ابن كثير وعبيد عن أبي عمرو ضيقا بتخفيف الياء والباقون يشددون ومقرنين
معناه مربوط بعضهم إلى بعض وروي أن ذلك بسلاسل من النار والقرنان
من البران ما قرن بحبل للحرث ومنه قول الشاعر

۝ إذا لم يزل حبل القرينين يلتوي فلا بد يوما من قوى أن تجذما ۝

وقرأ أبو شيبة المهري صاحب معاذ بن جبل رحمه الله مقرنون بالواو وهي

قراءة شاذة والوجه قراءة الناس وقوله تعالى ثبورا مصدر ويبين
بالمدعو ويعمل دعوا محذوف تقديره دعوا من لاغيتهم او نحو هذا من
المقدرات قال ـــــ ابو محمد ويصح ان يكون الثبور هو المدعو كما تُدعى
الحسرة والويل والثبور قال ابن عباس هو من الويل وقال الضحاك هو
الهلاك ومنه قول ابن الزبعرى

اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وقوله لا تدعوا اليوم ثبورا الآية معناه يقال لهم على معنى التوبيخ والاعلام بانهم مخلدون
اي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا كثيرا لانكم اهل لذلك

قوله عز وجل قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت
لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا ۝
المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين هم يسيرون الى هذه الاحوال من النار
اذلك خير ام جنة الخلد وهذا على جهة التوقيف والتوبيخ ومن حيث كان
الكلام استفهاما جاز فيه مجيء لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير
لان الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما يشاء ليرى هل يجيبه بالصواب
او بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل بين شيئين لا اشتراك بينهما في
المعنى الذي فيه التفضيل اذا كان الكلام خبرا لانه فيه مخالفة واما اذا كان
استفهاما فذلك سائغ وقيل الاشارة بقوله اذلك الى الجنات التي تجري
من تحتها الانهار والى القصور التي في قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك
وهذا على ان يكون الجعل في الدنيا وقيل الاشارة بقوله اذلك خير الى
الكنوز والجنة المتقدم ذكرها قال ـــــ ابو محمد والاصح ان
الاشارة بقوله اذلك الى النار كما شرحناه آنفا والمتقون في هذه
الآية من اتقى الشرك فانه داخل في الوعد ثم تختلف المنازل في الوعد
حسب تقوى المعاصي وقوله تعالى وعدا مسؤولا يحتمل معنيين احدهما

وهو قول ابن عباس وابن زيد انه يُسأل لان المؤمنين سألوه ويسألونه وروي
ان الملائكة سألت الله تعالى تنعيم المتقين ووعدهم بذلك قال محمد بن كعب
هو قول الملائكة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم والمعنى الثاني
ذكره الطبري عن بعض اهل العربية ان يريد وعدا واجبا قد حتمه فهو
لذلك معنى ان يسأل ويقتضى وليس يتضمن هذا التأويل ان احدا سأل
الوعد المذكور **قوله عز وجل** ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون
الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا
ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ۝ المعنى واذكر يوم والضمير
في يحشرهم للكفار وقوله تعالى وما يعبدون يريد به كل شيء عُبد من دون
الله فغلب العبارة عما لا يعقل من الاوثان لانها كانت الاغلب وقت المخاطبة
وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص والاعرج وابو جعفر يحشرهم
فيقول بالياء فيهما وقرأ ابن عامر بالنون فيهما وهي قراءة الحسن وطلحة وعاصم
ايضا وقرأ نافع نحشرهم بالنون فيقول بالياء وفي قراءة عبد الله وما يعبدون
من دوننا وقرأ الاعرج نحشرهم بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية
في القياس لان يفعِل بكسر العين في المتعدي اقيس من يفعُل بضم العين وهذه
الآية تتضمن الخبر عن ان الله تعالى يوبخ الكفار في القيامة بان يوقف المعبودين
على هذا المعنى ليقع الجواب بالتبري من الذنب فيقع الخزي على الكافرين
واختلف الناس في الموقف المجيب في هذه الآية فقال جمهور المفسرين هو
كل من ظلم بانه عُبد ممن يعقل كالملائكة وعزير وعيسى وغيرهم وقال الضحاك
وعكرمة الموقف المجيب الاصنام التي لا تعقل يقدرها الله يوم يبعث على هذه
المقالة ويجيء خزي الكفرة لذلك ابلغ وقرأ جمهور الناس نتخذ بضم النون

وذهبوا الى المعنى الى انه من قول من يعقل وان هذه الايه معنى التي في سورة
سبا ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكه اهولا اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم وهو قول عيسى عليه السلم ما قلت لهم الا
ما امرتني به ومن اوليا على هذه القراه في موضع المفعول به وقرا ابو جعفر
والحسن وابو الدردا وزيد بن ثابت وابو رجا ونصر بن علقمه ومكحول
وزيد بن علي وحفص بن حميد نتخذ بضم النون ومذهب هذه مذهب من يرى
ان الموقف الاوثان ويضعف هذه القراه دخول من في قوله من اوليا
اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره قال ابو الفتح من اوليا في موضع
الحال ودخلت من زايده لمكان النفي المقدم كما تقول ما اتخذت زيدا
من وكيل وقرا علقمه ما ينبغي بسقوط كان وثبوتها امكن في المعنى لانهم
اخبروا عن حال كانت في الدنيا ووقت الاخبار لا عمل فيه وفسر هذا المجيب
حسب الخلاف فيه الوجه وضلال الكفار كيف وقع وانه لما متعهم الله تعالى
بالنعم الدنياويه وادرها لهم ولاسلافهم الاحقاب الطويله نسوا الذكر
اي ما ذكر به الناس على السنة الانبيا ونور اعنا هذا الحي والبوار
الهلاك واختلف في لفظه بور فقالت فرقه هي مصدر يوصف به الجميع
والواحد ومنه قول ابن الزبعرى ... يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور
وقالت فرقه هي جمع باير وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهلاك
باير الهلال بعد او لم يباشره وقال الحسن البور الذي لا خير فيه وقوله
تعالى فقد كذبوكم الايه خطاب من الله تعالى بلا خلاف فمن قال ان
المجيب الاصنام كان معنى هذه اخبار الكفار ان اصنامهم قد كذبوهم وفي
هذا الاخبار خزي وتوبيخ والفرقه التي قالت ان المجيب هو الملايكه
وعزير وعيسى ونحوهم اختلف في المخاطب بهذه الايه فقالت طايفه
المخاطب الكفار على جهة التوبيخ والتقريع وقالت فرقه المخاطب هولا

المعبودون من دون الله تعالى ان الكفار بافعالهم القبيحه قد كذبوا هذه
المقاله وزعموا ان هولاهم الاوليا من دون الله وقالت فرقه خاطب
الله تعالى المومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم اي فقد كذبكم ايها المومنون
الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشرع وقرا ابن كثير وابو بكر
عن عاصم بما يقولون فما يستطيعون بالياء فيهما وقرا حفص عن عاصم بما
تقولون فما تستطيعون بالتاء من فوق فيهما وقرا الباقون وابو رجا ايضا
عن عاصم والناس تقولون بالتاء من فوق فما يستطيعون بالياء من تحت ورجحها
ابو حاتم وقرا ابو حيوه يقولون بالياء من تحت فما تستطيعون بالتاء من
فوق وقال مجاهد الضمير في يستطيعون هو للمشركين قال الطبري
وفي مصحف ابن مسعود فما يستطيعون لك صرفا وفي قراه ابي بن كعب لقد
كذبوك فما يستطيعون لك قال ابو حاتم وفي حرف عبد الله لكم صرفا
على جمع الضمير وصرفا معناه رد التكذيب او العذاب او ما اقتضاه المعنى
حسب الخلاف المتقدم وقوله تعالى ومن يظلم منكم قيل هو خطاب
للكفار وقيل للمومنين والظلم هاهنا الشرك قاله الحسن وابن جريج
وقد يحتمل ان يعم غيره من المعاصي وفي حرف ابي ومن يكذب منكم نذقه
عذابا كبيرا قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملايكه
او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ه هذه الايه الاولى
رد على كفار قريش في استبعادهم ان يكون من البشر رسول وقولهم ما ل
هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فاخبر الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم وامته انه لم يرسل قبل في سالف الدهر نبيا الا بهذه الصفه والمفعول
بارسلنا محذوف يدل عليه الكلام تقديره رجالا او رسلا وعلى هذا المحذوف

المقدر يعود الضمير في قوله تعالى الا انهم وذهبت فرقة الى ان قوله
تعالى ياكلون الطعام كناية عن الحدث وقرا جمهور الناس ويمشون بفتح
الياء وسكون الميم وتخفيف الشين وقرا علي وعبد الرحمن وابن مسعود
ويُمشّون بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة بمعنى يدعون الى المشي
ويحملون عليه وقرا ابو عبد الرحمن بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة وهي
بمعنى يمشون ومنه قول الشاعر

امشي باعطان المباة واتقي قلائص منها صعبة وركوب

ثم اخبر عز وجل ان التسبب في ذلك ان الله تعالى اراد ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على
العموم في جميع الناس مؤمن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير
والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لاشراف
الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الاية
حين راى اشهب والتوقيف باتصبرون خاص للمؤمنين المحققين فهو لامة محمد
صلى الله عليه وسلم كانه جعل امهال الكفار فتنة للمؤمنين اي اختبارا ثم وقفهم
هل تصبرون ام لا ثم اعرب قوله تعالى وكان ربك بصيرا على الوعد الصادق
والوعيد العاصي ثم اخبر عن مقالة الكفار لولا انزل علينا الملائكة الاية
وقوله تعالى يرجون قال ابو عبيدة وقوم معناه يخافون والشاهد لذلك
قول الهذلي   اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل
قال ابو محمد والذي يظهر لي ان الرجا في الاية والبيت على بابه لان
خوف لقاء الله تعالى مقترن ابدا برجائه فاذا نفي الرجا عن احد فانما اخبر عنه
بانه مكذب بالبعث لنفي الخوف والرجا وفي ذكر الكفار بنفي الرجا تنبيه
على غبطة ما فاتهم من رجاء الله واما بيت الشعر المذكور فمعناه عندي لم
يرج دفعها ولا الانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله
ولما تمنت هذه الفرقة رؤية ربهم اخبر تعالى عنهم انهم عظموا انفسهم

وقالوا انا لسنا له باهل وعتوا معناه صعبوا على الحق واشتدوا
ويقال عتو وعتي فعتو على الاصل وعتي معلول باستثقال الضم على الواو
فقلبت ياء ثم كسر ما قبلها طلب التناسب **قوله عز وجل** يوم يرون
الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق وكان
يوما على الكافرين عسيرا   المعنى في هذه الاية ان الكفار لما قالوا لولا انزل
علينا الملائكة اخبر الله تعالى انهم يوم يرون الملائكة انما هو يوم القيامة
وقد كان اول الاية يحتمل ان يريد يوم تقبض ارواحهم لكن اخرها
يقتضي ان الاشارة الى يوم القيمة وامر العوامل في هذه الظروف بين اذا
تامل فاختصرناه لذلك ومعنى هذه الاية ان هولاء الذين تمنوا نزول الملائكة
لا يعرفون ما قدر الله في ذلك فانهم يوم يرون الملائكة هو شر لهم ولا بشرى
لهم بل لهم الخسار ولقاء المكروه ويومئذ خبر لا بشرى لان الظروف تكون
اخبارا عن المصادر والضمير في قوله ويقولون قال الحسن وقتادة
والضحاك ومجاهد هو للملائكة المعنى وتقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم
البشرى اي حراما محرما والحجر الحرام ومنه قول المتلمس جرير بن عبد المسيح

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

وقال مجاهد ايضا وابن جريج ان الضمير في قوله ويقولون هو للكفار المجرمين
قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيئا قالوا حجرا وقال مجاهد حجرا
عوذا يستعيذون من الملائكة قال ابو محمد ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون
حراما محرما علينا العفو وقد ذكر ابو عبيدة ان هاتين اللفظتين عوذة للعرب
يقولها من خاف آخر في الحرم او في شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة قال
ابو محمد وهذا المعنى هو مقصود بيت المتلمس الذي تقدم اي هذا الذي حنت اليه

ممنوع وقرأ الحسن وأبو رجاء حجرا بضم الحاء والناس على كسرها ثم أخبر
تعالى عما يأتي على قضائه وفعله فقال حاكيا عن يوم القيامة وقدمنا أي قصد
حكمنا وإنفاذنا أو نحو هذا من الألفاظ اللائقة وقيل هو قدوم الملائكة
أسنده إليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأن القادم على شيء مكروه
لم يقدره ولا أمر به مغير له ومذهب وأما قول الراجز

وقدم الخوارج الضلال ... إلى عباد ربنا فقالوا ... إن دماءكم لنا حلال

فالقدوم فيه على بابه ومعنى الآية وقصدنا إلى أعمالهم التي هي في الحقيقة لا
تزن شيئا إذ لا نية معها فجعلناها على ما تستحق إذ لا تعدل شيئا وصيرناها
هباء منثورا أي شيئا لا تحصيل له والهباء هي الأجرام المستدقة الشائعة
في الهواء التي لا يدركها حس إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق فيحيط
به الظل كالكوة ونحوها فيظهر حينئذ فيما قابل الشمس أشياء تغيب وتظهر
فذلك هو الهباء ووصفه في هذه الآية بمنثور ووصفه في غيرها بمنبث فقالت
فرقة هما سواء وقالت فرقة المنبث أرق وأدق من المنثور لأن المنثور
يقتضي أن غيره نثره كسنابك الخيل والرياح أو هدم حائط أو نفس أو نحو
ذلك والمنبث كأنه هو انبث من دقته وقال ابن عباس الهباء المنثور ما تسفي به
الرياح وتبثه وروي عنه أنه قال أيضا الهباء الماء المهراق والأول أصح
والعرب تقول أهبات الغبار والتراب ونحوه إذا بثثته ومنه قول الشاعر

فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كأنه أهباء

ومعنى هذه الآية
جعلنا أعمالهم لا حكم لها ولا منزلة ثم أخبر عز وجل بأن مستقر أهل الجنة
خير من مستقر أهل النار وجاءت عبارة خير هاهنا للتفضيل من شيئين لا
شركة بينهما فذكر الزجاج وغيره في ذلك أنه لما اشتركا في أن هذا
مستقر وهذا مستقر ففضل الاستقرار الواحد قال أبو محمد
ويظهر لي أن هذه الألفاظ التي فيها عموم ما وتوجه حكمها من جهات

شيء نحو قولك أحب وأحسن وخير وشر يسوغ أن تجابه بين شيئين لا
شركة بينهما فيقول السعيد في الدنيا أحب إلي من الشقاء إذ يوجد
بوجه ما من يختار الشقاء كالمتعبد والمتقشف ونحوهما وهذا في غيرها
فإذا كانت أفعل في معنى من أن الواحد من الشيئين لا حظ له فيه بوجه
فسد الإخبار بالتفضيل به كقولك الماء أبرد من النار ومن هذا أنك تقول
في ياقوتة ومدرة وتشير إلى المدرة هذا أحب وأحسن وخير وأفضل من هذه
ولو قلت هذه أمنع من هذه وأشد شراقة من هذه لكان فاسدا وقوله
تعالى مقيلا مذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج إلى أن حساب الخلق كمل في
وقت ارتفاع النهار ويقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فالمقيل
من القائلة قال أبو محمد ويحتمل أن اللفظة إنما تضمنت تفضيل الجنة جملة
وحسن هوائها فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل لأن وقت القائلة يبدو فساد
هواء البلاد فإذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسنا حاز الفضل ومن ذلك
قول الأسود بن يعفر الإيادي

أرض تخيرها لحسن مقيلها ... كعب بن مامة وابن أم دؤاد

وقوله تعالى ويوم تشقق يريد يوم القيامة عند انفطار السماء ونزول
الملائكة ووقوع الجزاء بحقيقة الحساب وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر تشقق
بشد الشين والقاف وقرأ الباقون بتخفيف الشين وقوله تعالى بالغمام
أي تشقق عنه والغمام سحاب رقيق أبيض جميل لم يره البشر بعد إلا ما جاء في
تظليل بني إسرائيل وقرأ جمهور القراء ونزل الملائكة بضم النون وشد
الزاي المكسورة ورفع الملائكة على مفعول لم يسم فاعله وقرأ أبو عمرو في رواية
عبد الوهاب ونزل بتخفيف الزاي المكسورة قال أبو الفتح هذا غير معروف
لأن نزل لا يتعدى إلى مفعول فيبنى هنا للملائكة ووجهه أن يكون مثل زكم
الرجل وجن فإنه لا يقال إلا أزكمه الله وأجنه وهذا باب سماع لا قياس
وقرأ أبو رجاء ونزل الملائكة بفتح النون وشد الزاي وقرأ الأعمش وأنزل

الملائكة وكذلك قرأ ابن مسعود وقرأ أبي بن كعب ونزلت الملائكة
وقرأ ابن كثير وحده ونُنزل الملائكة بنونين وهي قراءة أهل مكة وروي
عن أبي عمرو وقرأ هارون عن أبي عمرو وتنزل الملائكة بإسناد الفعل إليها
وقرأت فرقة ونُزِّل الملائكة وقرأ أبي بن كعب أيضا وتنزلت الملائكة ثم قرر
أن الملك الحق هو يومئذ للرحمن إذ قد بطل في ذلك اليوم كل ملك وعسره على
الكافرين يتوجه عليهم دخول النار فيه وما في خلال ذلك من المخاوف
وقوله على الكافرين دليله أن ذلك اليوم سهل على المؤمنين وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون
أخف عليهم من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا **قوله تعالى** ويوم
يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم
أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان
خذولا وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ٥ قوله تعالى
يوم ظرف والعامل فيه فعل مضمر وعض اليدين هو فعل النادم الملهوف
المتفجع وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم في هذه الآية عقبة بن
أبي معيط وذلك أنه أسلم أو جنح إلى الإسلام وكان أبي بن خلف الذي قتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد خليلا لعقبة فنهاه عن الإسلام
فقبل نهيه فنزلت الآية فيهما فالظالم عقبة وفلانا أبي وفي بعض الروايات
عن ابن عباس أن الظالم أبي فإنه كان حضر النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه عقبة فأطاعه
قال أبو محمد ومن أدخل في هذه الآية أمية بن خلف فقد وهم إلا على قول
من يرى الظالم اسم جنس وقال مجاهد وأبو رجا الظالم عام اسم جنس
وفلان الشيطان قال أبو محمد ويظهر لي أن الظالم عام وأن مقصود
الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم يندم فيه الظلمة وتتمنى أنه لو

لم تطع في الدنيا خلانها الذين أمروهم بالظلم فلما كان خليل كل ظالم غير
خليل الآخر وكان كل ظالم يسمي رجلا خاصا به عبر عن ذلك بفلان الذي فيه
الشياع التام ومعناه واحد من الناس وليس من ظالم إلا وله في دنياه خليل
يعينه ويحرضه هذا في الأغلب ويشبه أن سبب هذه الآية ورتب هذا المعنى
كان عقبة وأبيا وقوله تعالى مع الرسول يقوي ذلك أن يجعل تعريف
الرسول للعهد والإشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى التأويل الأول التعريف
للجنس وقرأ الجمهور يا ليتني ساكنة الياء غير أبي عمرو فإنه نصب الياء في ليتني اتخذت
ورواها أبو خليد عن نافع مثل أبي عمرو والسبيل المتمناه هي طريق الآخرة
وفي هذه الآية لكل ذي نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والأحاديث والحكم
في هذا الباب كثيرة مشهورة وقوله تعالى يا ويلتا الألف عوض من الياء
في يا ويلتي والألف هي التي في قولهم يا غلاما وهي لغة وقرأت فرقة بإمالة يا ويلتا
قال أبو علي وترك الإمالة أحسن لأن أصل هذه اللفظة الياء يا ويلتي فبدلت الكسرة
فتحة والياء ألفا فرارا من الياء فمن أمال رجع إلى الذي فر عنه أولا والذكر
هو ما ذكر به الإنسان أمر آخرته من قرآن أو موعظة ونحوه وقوله تعالى
وكان الشيطان للإنسان خذولا يحتمل أن يكون من قول الظالم ويحتمل أن يكون
ابتداء إخبار من الله تعالى على جهة الدلالة على وجه ضلالتهم والتحذير من الشيطان
الذي بلغهم ذلك المبلغ وقوله تعالى وقال الرسول حكاية عن قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وتشكيه مما لقي من قومه هذا قول الجمهور وهو
الظاهر وقالت فرقة هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة وقرأ نافع وابن كثير
وأبو عمرو قومي بتحريك الياء والباقون بسكونها ومهجورا يحتمل أن يريد
مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وهذا قول ابن زيد ويحتمل أن يريد مقولا فيه
الهجر بضم الهاء إشارة إلى قولهم شعر وكهانة وسحر وهذا قول مجاهد وإبراهيم
النخعي قال أبو محمد وقول ابن زيد منبه للمؤمنين على ملازمة المصحف وألا

رواه الثعلبي عن ابي هدبه وهو كذاب ه

جون العباد يعلقونه في البيوت ويشتغل بغيره وروى انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم القيامة متعلقا به يقول هذا
اتخذني مهجورا اقض يا رب بيني وبينه ثم سلاه عن فعل قومه بان اعلمه ان غيره
من الرسل كذلك امتحنوا باعداء في زمنهم اي فاصبر كما صبروا قاله ابن عباس وعدوا
يراد به الجمع تقول هؤلاء عدو لي فيتصف به الجمع والواحد والموث ثم وعده
تعالى بقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا والباء في بربك للتاكيد داله على الافراد
المعنى اكتف بذلك **قوله عز وجل** وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل
الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك
شر مكانا واضل سبيلا ه روي عن ابن عباس وغيره ان كفار قريش قالوا
في بعض معارضاتهم لو كان هذا القران من عند الله تعالى لنزل جملة واحدة
كما نزلت التوراة والانجيل وقوله كذلك يحتمل ان يكون من قول الكفار
اشارة الى التوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من الكلام المستانف وهو
اولى ومعناه كما نزل اردناه فالاشارة الى نزوله متفرقا وجعل الله تعالى
التثبيت في نزوله متفرقا في الزمان تثبيت فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ولحفظه
وقال مكي والرماني من حيث كان اميا لا يكتب ولتطابق الاسباب الموقتة
فنزل في نيف على عشرين سنة وكان غيره من الرسل يكتب فنزل اليه جملة
وقرا عبد الله بن مسعود ليثبت بالياء والترتيل التفريق بين الشي المتتابع ومنه
قولهم ثغر رتل ومنه ترتيل القراءة واراد الله تعالى ان ينزل القران في
النوازل والحوادث التي قدرها وقدر نزوله فيها ثم اخبر تعالى
نبيه ان هؤلاء الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم
كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل الا جا القران بالحق في ذلك اي بالجلية
ثم هو احسن تفسيرا وافصح بيانا وتفصيلا ثم توعد الكفار بما ينزل بهم

يوم القيامة من الحشر على وجوههم الى النار وذهب الجمهور الى ان
هذا المشي على الوجوه حقيقة وروي في ذلك من طريق انس بن مالك حديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله كيف يقدرون على المشي
على وجوههم قال ان الذي اقدرهم على المشي على ارجلهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم وقالت فرقة المشي على الوجوه استعارة للذلة المفرطة
والهوان والخزي وقوله تعالى شر مكانا القول فيه كالقول في خير مستقرا
قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح
لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا
اليما وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له
الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ه هذه الايات التي ذكر فيها الامم هي تمثيل لهم
وتوعد ان يحل بهم ما حل بهؤلاء المعذبين والكتاب التوراة والوزير المعين
وهو من حمل الوزر اي ثقل الحال او من الوزر الذي هو الملجا والقوم الذين
كذبوا هم فرعون وملاه من القبط ثم حذف من الكلام كثير دل عليه ما بقي
وتقدير المحذوف فذهبا فاديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم وقرا علي بن
ابي طالب ومسلمة بن محارب فدمراهم اي كونا سبب ذلك قال ابو الفتح الحق نون
التاكيد الف التثنية كما تقول اضربان زيدا انتهى قال ابو محمد روي عن
علي رضي الله عنه فدمراهم وحكى عنه ابو عمرو الداني فدمرناهم حسب المشهور
حنيفة قال وروي عنه فدمروا بهم على الامر لجماعة وبزيادة باء الذي فسر
ابو الفتح وهو واما القراءة فدمرا بهم بالباء وكذا ذكرها المهدوي ونصب
قوله وقوم نوح بفعل مضمر يدل عليه اغرقناهم وقوله تعالى الرسل وهم
انما كذبوا نوحا فقط معناه ان الامة التي كذبت نبيا واحدا فمن ضمن ذلك
تكذيب لجميع الانبياء وجاءت العبارة بما تتضمنه فعلهم تغليظا في القول عليهم وقوله

تعالى أنه أي علامة على سطوة الله تعالى بكل كافر بآياته وعادا وثمود
يصرف ولا يصرف وجاء هاهنا مصروفا وقرأ ابن مسعود وعمرو بن ميمون والحسن
وعيسى وعادا مصروفا وثمود غير مصروف واختلف الناس في
أصحاب الرس فقال ابن عباس هم قوم من ثمود وقال قتادة هم أهل
قرية يقال لها الرس والفلج وقال مجاهد هم أهل قرية فيها بئر عظيمة
يقال لها الرس والفلج وقال كعب ومقاتل والسدي الرس بئر بانطاكية
الشام قتل بها صاحب ياسين وقال الثعلبي أصحاب الرس قوم بعث إليهم
نبي فأكلوه وقال قتادة أصحاب الرس وأصحاب الأيكة قومان أرسل
إليهما شعيب عليه السلام وقاله وهب بن منبه وقال علي في كتاب الثعلبي أصحاب
الرس قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت رسوا نبيهم في بئر
حفروه له في حديث طويل والرس في اللغة كل محفور من بئر أو قبر أو
معدن ومنه قول الشاعر ** سبقت إلى فرط باهل تنابلة يحفرون الرساسا **
وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل
الرس المشار إليهم في هذه الآية قوم أخذوا نبيهم فرسوه في بئر وأطبقوا
عليه صخرة قال فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى تلك البئر فيعينه
الله تعالى على تلك الصخرة فيقلعها وهو يأتي ذلك النبي فيعطيه ما يغذيه
ثم يرد الصخرة إلى أن ضرب الله تعالى يوما على أذن ذلك الأسود بالنوم
أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل وقال
الطبري فيمكن أنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله تعالى في هذه الآية وقوله
تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى وقد تقدم شرح
القرن وكم هو ومن هذا اللفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى
ويروى أن ابن عباس قال كذب النسابون من فوق عدنان لأن الله تعالى
قد أخبر عن كثير من الخلق والأمم ولم يحدد ثم قال تعالى أن كلا ضرب

له الأمثال فلم يهتد فتبره الله أي أهلكه والتبار الهلاك ومنه التبر الذهب
أي المكسر المفتت وكذلك فتات الزجاج والزجاج تبر وقال
ابن جبير أن أصل الكلمة نبطي ولكن العرب قد استعملته قوله عز وجل
ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا
يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزؤا أهذا الذي بعث الله
رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون
عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام
بل هم أضل سبيلا ۵ قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الإشارة إلى مدينة
قوم لوط وهي سدوم بالشام ومطر السوء حجارة السجيل وقرأ أبو السمال
السُّوء بضم السين المشددة ثم وقفهم على إعراضهم وتعرضهم لسخط الله
بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية ثم حكم عليهم أن كفرهم إنما أوجبه
فساد معتقدهم في أمر الآخرة وأنهم لا يرجون البعث وكذلك لا يخافونه
ثم حكى الله تعالى عليهم أنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا
به واستحقروه وأنكروا أن بعثه الله رسولا فقالوا على جهة الاستهزاء
أهذا الذي بعث الله رسولا وبعث ضمير يعود على الذي حذف اختصارا
وحسن ذلك في الصلة ثم آنس النبي صلى الله عليه وسلم عن كفرهم بقوله تعالى
أرأيت من اتخذ إلهه هواه الآية والمعنى لا تأسف عليهم ودعهم لرأيهم
ولا تحسب أنهم على ما يجب من التحصيل والعقل بل هم كالأنعام في الجهل
بالمنافع وقلة التحسس للعواقب ثم حكم بأنهم أضل سبيلا من حيث لهم
الفهم وتركوه والأنعام لا فهم لها وهي تهتدي إلى المصالح ومن حيث جهلها لا
هولا وضلالهم هو في أمر أخطر من الأمر الذي فيه جهالة الأنعام
وقوله تعالى اتخذ إلهه هواه معناه جعل هواه مطاعا فصار كالإله

والهوى قائد الى كل فساد لان النفس امارة بالسوء وانما الصلاح اذا ائتمرت للعقل وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون الله ذكره الثعلبي وقيل
الاشارة بقوله اتخذ الهه هواه الى ما كانوا عليه من انهم كانوا يعبدون
حجرا فاذا وجدوا احسن منه طرحوا الاول وعبدوا الثاني الذي وقع
هواهم عليه قال ابو حاتم وروي عن رجل من اهل المدينة قال ابن جني
هو الاعرج الهه هواه والمعنى اتخذ شمسا يستضئ بها هواه اذ الشمس
يقال لها الالاهة وتصرف ولا تصرف والرجل القائم على الامر الناهض به
قوله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم
جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ٥ الم تر معناه انتبه والرؤية
هنا رؤية القلب وادعم عيسى بن عمر ربك كيف قال ابو حاتم والبيان
احسن ومد الظل باطلاق وهو ما بين اول الاسفار الى بزوغ الشمس
ومن بعد مغيبها مدة يسيرة فان في هذين الوقتين على الارض ظلا
ممدودا مع انه نهار وفي سائر اوقات النهار ظلال متقطعة والمد
والقبض مطرد فيها وهو عندي المراد في الاية والله اعلم ومن الظل
الممدود ما ذكره الله تعالى في هو الجنة لانها لما كانت لا شمس فيها
كان ظلها ممدودا ابدا وتظاهرت اقوال المفسرين على ان مد الظل
هو من الفجر الى طلوع الشمس وهذا معترض فان ذلك وعيرها بل في
بقايا ليل لا يقال له ظل وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير
متحرك ولا منسوخ لاكنه جعل الشمس ونسخها اياه وطردها له من موضع
الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري انه
لولا الشمس لم يعلم ان الظل شي اذ الاشيا انما تعرف باضدادها وقوله
تعالى قبضا يسيرا يحتمل ان يريد لطيفا اي شيا بعد شي لا في مرة واحدة

ولا بعنف قال مجاهد ويحتمل ان يريد سجلا وهذا قول ابن عباس ويحتمل
ان يريد سهلا قريب المتناول قال الطبري ووصف الليل باللباس تشبيها
من حيث يستر الاشيا ويغشاها والسبات ضرب من الاغما يعتري اليقظان
عرضا مشبه النايم به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكون
ما وثبوت عليه والنشور في هذا الموضع الاحيا شبه اليقظة به ليتطابق
الاحيا مع الامانة والتوفي اللذين يتضمنهما النوم والسبات ويحتمل ان
يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعايش وابتغا فضل الله تعالى
وقوله تعالى النهار نشورا وما قبله من باب ليل نايم ونهار قايم **قوله تعالى**
وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السما ما طهورا
لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم
ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا قرات فرقة الرياح وقرات فرقة
الريح على الجنس وهي بمعنى الرياح وقد بينا القراة في سورة الاعراف
وقراة الجمع اوجه لان عرف الريح متى وردت في القران مفردة فانها
هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب
وتتذاب وتتفرق وتاتي لينة من هاهنا وهاهنا وشيا اثر شي وريح العذاب
حرجف لا تتذاب وانما تاتي جسدا واحدا الا ترى انها تحطم ما تجد وتهدمه
قال الرماني جمعت رياح الرحمة لانها ثلثة لواقح الجنوب والصبا
والشمال وافردت ريح العذاب لانها واحدة لا تلقح وهي الدبور قال
ابو محمد يرد على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا واختلف القرا في النشر في النون والبا وغير ذلك
اختلافا كثيرا قد ذكرناه في سورة الاعراف ونشرا معناه منتشرة متفرقة
والطهور هنا مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت في ما السما وفي كل ما

هو منه وتسبيله ان يكون طاهرا مطهرا فيما حدث فيه التغاير كما الورد
وعصير العنب ان يكون طاهرا لا مطهرا ثم اذا افرط التغير بخلطه الحث
لم يكن الما طاهرا ولا مطهرا ووصف البلده بالميت لانه جعله كالمصدر
الذي يوصف به المذكر والمونث وكان ذلك من حيث البلده بمعنى البلد
وقرا طلحه بن مصرف لننشي به بلده وشعبه بضم النون وهي قراه الجمهور
ومعناه نجعله لهم سقيا هذا قول بعض اللغويين في اسقى قالوا وسقى
معناه للشفه وقال الجمهور سقى واسقى بمعنى واحد وانشد على ذلك بيت
لبيد ؛ سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال ؛ وقرا
ابو عمرو وشعبه بفتح النون وهي قراه بن مسعود وبن ابي عبله وابي
حيوه ورويت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واناسي قيل هو جمع انسان
واليا المشدده بدل من النون في الواحد قاله سيبويه وقال المبرد هو
جمع انسي وكان القياس ان يكون اناسيه كما قالوا في مهلبي مهالبه
وحكى الطبري عن بعض اللغويين في جمع انسان اناسين كسرحان وبستان
وقرا يحيى بن يعمر اناسي بتخفيف اليا والضمير في صرفناه قال بن عباس ومجاهد
هو عايد على الما المنزل من السما المعنى ان الله تعالى جعل انزال الما تذكره
بان يصرفه عن بعض المواضع الى بعض المواضع وهذا كله في كل عام بمقدار
واحد قاله بن مسعود وقوله تعالى على هذا التاويل فابى اكثر الناس
الا كفورا اي في قولهم بالانوا والكواكب قاله عكرمه وقيل هو ردا
على الاطلاق لما تركوا التذكر وقال بن عباس الضمير في صرفناه للقران
وان كان لم يتقدم له ذكر لوضوح الامر ويعضد ذلك قوله تعالى بعد
ذلك وجاهدهم به وعلى التاويل الاول الضمير في به يراد به القران على نحو
ما ذكرناه وقال بن زيد به يراد به الاسلام وقرا عكرمه صرفناه
بتخفيف الرا وقرا حمزه والكساي والكوفيون ليذكروا بسكون الذال

وقرا الباقون ليذكروا بشد الذال والكاف وفي قوله تعالى
ولو شينا الايه اقتضاب يدل عليه ما ذكر تقديره لكنا افردناك بالنذاره
وحملناك فلا تطع الكافرين قوله عز وجل وهو الذي مرج البحرين
هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو
الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من
دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا
وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ٥
اضطرب الناس في تفسير هذه الايه فقال بن عباس اراد بحر السحاب والبحر
الذي في الارض ورتبت الفاظ الايه على ذلك وقال مجاهد البحر العذب
هو مياه الانهار الواقعه في البحر الاجاج ووقوعها فيه هو مرجها قال
والبرزخ والحجر هو حاجز في علم الله تعالى لا يراه البشر قاله الزجاج وقالت
فرقه معنى مرج ادام احدهما في الاخر وقال بن عباس خلى احدهما على الاخر
ونحو هذا من الاقاويل التي تتداعى مع الفاظ الايه والذي اقول في الايه
ان المقصد بها التنبيه على قدره الله تعالى واتقان خلقه للاشيا في ان بث في
الارض مياها عذبه كثيره من انهار وعيون وابار وجعلها خلال الاجاج
وجعل الاجاج خلالها فتلقى البحر قد اكتنفته المياه العذبه في ضفتيه وتلقى
الما العذب في الجزاير ونحوها قد اكتنفها الما الاجاج منها فهكذا في الارض
هو خلطها وهو قوله تعالى مرج ومنه امر مريج اي مختلط مشتبك ومنه
مرجت عهودهم في الحديث المشهور والبحران يريد بهما جميع الما الاجاج
والعذب كانه قال مرج نوعي الما والبرزخ والحجر هو ما بين البحرين من
الارض واليبس قاله الحسن ومنه القدره التي تمسكها مع قرب ما بينهما في
بعض المواضع وحسب الحال قرا الناس كلهم هنا والحسن بضم الحا في ما بر

القران والفرات العذب في اللذيذ الطعم والبرزخ الحاجز بين الشيئين
وقرا الجمهور وهذا ملح وقرا طلحة بن مصرف ملح بكسر اللام وفتح الميم
قال ابو حاتم هذا منكر في القراه قال ابن جني اراد مالحا وحذف الالف
كبرد وبرد والاجاج ابلغ ما يكون من الملوحة وقوله تعالى
وهو الذي خلق من الما بشرا الاية هو تعديد النعمه على الناس في ايجادهم
بعد العدم والتنبيه على العبره في ذلك وتعديد النعمه في التواشج الذي
جعل بينهم من النسب والصهر وقوله تعالى من الما اما ان يريد
اصل الخلقه في ان كل حي مخلوق من الما واما ان يريد نطفة الرجال
وكل ذلك قالته فرقه والاول افصح وابين والنسب والصهر معنيان
يعمان كل قربى تكون بين ادميين فالنسب هو ان يجتمع انسان مع اخر
في اب او ام قرب ذلك او بعد والصهر هو تواشج المناكحه فقرابه
الزوجه هم الاختان وقرابه الزوج هم الاحما والاصهار يقع عاما
لذلك كله وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه النسب ما لا يحل نكاحه
والصهر ما يحل نكاحه وقال الضحاك الصهر قرابه الرضاع قال ابو محمد
وذلك عندي وهم اوجبه ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر
خمس وفي روايه اخرى ومن الصهر سبع يريد قول الله تعالى حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت
فهذا هو النسب ثم يريد بالصهر قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من
اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين ثم ذكر المحصنات ومحمل هذا ان ابن عباس اراد
حرم من الصهر ما ذكر معه فقصد بما ذكر الى عظمه وهو الصهر لا ان الرضاع
صهر وانما الرضاع عديل النسب يحرم منه ما يحرم من النسب بحكم الحديث

المأثور فيه ومن روى وحرم من الصهر خمس اسقط من الاية الجمع بين
الاختين والمحصنات وهن ذوات الازواج وحكى الزهراوي قولا
ان النسب من جهة البنين والصهر من جهة البنات قال ابو محمد وهذا
حسن وهو في درج ما قدمته وقال ابن سيرين نزلت هذه الاية في النبي صلى
الله عليه وسلم وعلي لانه جمعه معه نسب وصهر قال ابو محمد فاجتماعهما
وكادة حرمة الى يوم القيامة وقوله تعالى وكان ربك قديرا هي كان
التي للدوام قبل وبعد لا انها تعطي مضيا فقط ثم ذكر تعالى خطاهم في
عبادتهم اصناما لهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله تعالى وكان الكافر
على ربه ظهيرا فيه تاويلان احدهما ان الظهير المعين فتكون الاية بمعنى
توبيخهم على ذلك بان الكفار يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة
والشيطان بان يطيعوه ويظاهروه وهذا هو تاويل مجاهد والحسن وابن
زيد والثاني ذكره الطبري ان يكون الظهير فعيلا من قولك ظهرت الشي
اذا اطرحته وراء ظهرك واتخذته ظهريا فيكون معنى الاية على هذا التاويل
احتقار الكفرة والكافر في هذه الاية اسم الجنس وقال ابن عباس هو
يعني اراد به ابا جهل بن هشام قال ابو محمد ويشبه ان ابا جهل
سبب الاية ولكن اللفظ عام للجنس كله وقوله تعالى انا ارسلناك
الاية تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك حسرات
حرصا عليهم فانما انت رسول مبشر المومنين بالجنة ونذير الكفار بالنار ولست
مطلوبا بايمانهم اجمعين ثم امره تعالى ان يحتج عليهم مزيلا لوجوه
التهم بقوله ما اسلكم عليه من اجر اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص بي
وقوله تعالى الا من شا الظاهر فيه انه استثنا منقطع والمعنى لكن سؤلي
ومطلوبي من شا ان يهتدي ويومن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة قال
الطبري المعنى لا اسلكم اجرا الا الانفاق المال في سبيل الله فهذا هو المسؤل

وهو التسبيل الى الرب والاستفنا على هذا بالتقل دانه فقال الا اخبر من بنا والتاويل الاول اظهر قوله عز وجل وتوكل على الحى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا ٥ المعنى قل لهم يا محمد هذه المقالة التي لا طن يتطرق اليك بعدها ولا تهتم بهم وبشر وانذر وتوكل على المتكفل بنصرك وتفضل في كل امرك ثم وصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل في قوله الحي الذي لا يموت اذ هذا المعنى يختص الله تعالى دون كل ما لدينا مما يقع عليه اسم حي وقوله تعالى وسبح بحمده قل سبحان الله وبحمده اي تنزيهه واجب وبحمده اقول قال ابو محمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فهذا معنى وسبح بحمده وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين في الميزان الحديث وقوله تعالى وكفى به الاية توعد وازالة الثقل عن محمد صلى الله عليه وسلم في همه بهم وقوله تعالى وما بينهما مع جمعه السموات من قبل انه عادل لفظ الارض لفظ السموات ونحوه قول عمرو بن شييم

المحرزل ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا ... من حيث عادلت حبالا حبالا ومنه قول الاخر

ان المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرقبان سوادي ...

وقوله تعالى في ستة ايام اختلفت الروايات في اليوم الذي ابتدا الله تعالى فيه الخلق فالرت الروايات على يوم الاحد وفي مسلم وكتاب الدلايل يوم السبت ومن كون ذلك في ستة ايام ووضع الاناة والتمهل في الامور

لان قدرته تقتضي ان يخلقها في طرفة عين لو شاء لا اله الا هو وقد تقدم القول في الاستواء وقوله تعالى الرحمن يحتمل ان يكون رفعه باضمار مبتدا اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون بدلا من الضمير في قوله استوى وقرا زيد بن علي بن الحسين الرحمن بالخفض وقوله تعالى فاسال به خبيرا فيه تاويلان احدهما فسل عنه خبيرا على هذا منصوب بوقوع السؤال عليه والمعنى اسال جبريل والعلماء واهل الكتب المنزلة والثاني ان يكون المعنى كما تقول لو لقيت فلانا لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فسل الله عن كل امر خبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا وليست هذه حال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير ولما ذكر في هذه الاية الرحمن كانت قريش لا تعرف هذا في اسماء الله وكان مسيلمة الكذاب اليمامة تسمى بالرحمن فغالطت قريش بذلك وقالت ان محمدا يامر بعبادة رحمان اليمامة فنزلت قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية وقولهم وما الرحمن استفهام عن مجهول عندهم فهما على بابها المشهور وقرا جمهور القراء لما تامرنا اي انت يا محمد وقرا حمزة والكسائي والاسود بن يزيد وابن مسعود يامرنا بالياء من تحت اما على ارادة محمد والكناية عنه بالغيبة واما على ارادة رحمان اليمامة وقوله تعالى وزادهم اي اضلهم هذا اللفظ فلا الحيض به حاشى ما تقدم منهم قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ٥ لما جعلت قريش تتجاهل عن الله تعالى وعن اسمه الذي هو الرحمن سوالا عن مجهول نزلت هذه الاية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بالوهيته والبروج هي التي علمتها العرب بالتجربة وكل امة متحضرة وهي المشهورة عند اللغويين واهل

تعديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التي
ذكرها الله تعالى بقوله والقمر قدرناه منازل والعرب تسمي البنا
المرتفع المستغني بنفسه برجا تشبيها ببرج السما ومنه قوله تعالى ولو كنتم
في بروج مشيدة وقال الشاعر وهو الاخطل

:: كانها برج رومي يشيده لز بجص واجر واحجار :: وقال بعض الناس
في هذه الاية التي تحت منها البروج والقصور في الجنة وقال الاعمش كان
اصحاب عبد الله يقرونها في السما قصورا وقيل البروج الكواكب العظام
حكاه الثعلبي عن ابي صالح وهذا نحو ما بيناه الا انه غير ملخص واما القول
بانها قصور في الجنة فقول يحط غرض هذه الاية في التنبيه على اشيا مدركات
تقوم بها الحجة على كل منكر لله تعالى او جاهل به وقرا الجمهور سراجا وهي
الشمس وقرا حمزة والكسائي وعبد الله بن مسعود وعلقمة والاعمش سرجا
وهو اسم جميع الانوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا وقرا النخعي وثابت والاعمش
ايضا سرجا بسكون الرا قال ابو حاتم روى عصمة عن الحسن وقمرا
بضم القاف ساكنة الميم ولا ادري ما اراد الا ان يكون جمع قمرا وثمر قال
ابو عمرو وهي قراءة الاعمش والنخعي وقوله تعالى خلفة اي هذا يخلف
هذا وهذا يخلف هذا ومن هذا المعنى قول زهير

:: بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها ينهضن من كل مجثم :: ومنه قول
الاخر يصف امراة تنتقل من منزل في الشتا الى منزل في الصيف دابا

:: ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا :: خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا ::
في بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا :: وقال مجاهد خلفة من
الخلاف هذا ابيض وهذا اسود وما قدمناه اقوى قال مجاهد وعمر بن
الخطاب لمن اراد ان يذكر اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على نعمه
عليه في العقل والفكر والفهم وقال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس

معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في احدهما
فيستدركه في الذي يليه وقرا حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف
وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والنخعي وقرا الباقون يذكر بشد الذال وفي
مصحف ابي بن كعب يتذكر بزيادة تا ثم لما قال تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد
شكورا جا بصفات عباده الذين هم اهل للتذكر والشكور والعباد
والعبيد بمعنى الا ان العباد يستعمل في مواضع التنويه وسمى قوم من عبد قيس
العباد لان كسرى ملكهم دون العرب وقيل لانهم تالهوا مع نصارى الحيرة
فصاروا عباد الله واليهم ينسب عدي بن زيد العبادي وقرا الحسن بن ابي
الحسن وعبيد الرحمن ذكره الثعلبي وقوله تعالى الذين يمشون خبر ابتدا
والمعنى وعباده حق عباده هم الذين وقوله يمشون على الارض هو عبارة
عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك العظم لا سيما وفي
الانتقال في الارض معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال هونا بمعنى امره كله هون
اي لين حسن قال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف
والتواضع وقال الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وذهبت فرقة الى ان
هونا مرتبط بقوله تعالى يمشون على الارض ايها ان المشي هو هون ويشبه
ان يتاول هذا على ان يكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع
القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لانه
رب ماش هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتكفا في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الاية
وقوله عليه السلام من مشى منكم الى طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه ولم
يرد المشي وحده الا ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي
فقط حتى قال فيهم الشاعر ذاما لهم

:: كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيد ::

وقال الزهري سرعة المشي تذهب بهاء الرجل قال ابو محمد يريد الاسراع

الحثيث لانه تخل بالوقار والخير في التوسط وقال زيد بن اسلم كنت اسل عن
تفسير قوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا فما وجدت في ذلك شفا فرايت
في النوم من جاءني فقال لي هم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض قال
ابو محمد فهذا تفسير في الخلق وهونا معناه رفقا وقصدا ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما الحديث وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اختلف في تاويل ذلك فقالت فرقة ينبغي للمخاطب ان يقول للجاهل
سلاما بهذا اللفظ اي سلمنا سلاما او تسلما ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من
لفظه على طريقة النحويين والذي اقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لان المعنى
قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما قولا سدادا اي يقول للجاهل كلاما
يدفعه به برفق ولين فقالوا على هذا التاويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين
وذلك انه معنى قولا وهذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها ما يخص
الكفرة وبقي ادبها في المسلمين الى يوم القيامه وذكر سيبويه النسخ في هذه
الايه في كتابه وما تكلم فيه على نسخ سواه ورجح بان المراد به السلامة لا التسليم
لان المومنين لم يومروا اذ ذاك بالسلام على الكفار والايه مكيه فنسختها اية
السيف قال ابو محمد ورايت في بعض التواريخ ان ابرهيم بن المهدي وكان
من المائلين على علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يوما بحضرة المامون وعنده
جماعة كنت ارى علي بن ابي طالب في النوم فكنت اقول له من انت فكان يقول علي
بن ابي طالب فكنت اجي معه الى قنطرة فيذهب يتقدمني في عبورها فكنت اقول له
انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن احق به منك فما رايت له في الجواب بلاغة
كما يذكر عنه قال له المامون وبماذا اجابك قال فكان يقول لي سلاما سلاما
وكان ابرهيم بن المهدي لا يحفظ الايه او ذهبت عنه في ذلك الوقت
فنبه المامون على الاية من حضر وقال هو والله يا عم علي بن ابي طالب وقد
جاوبك بابلغ جواب فخزي ابرهيم واستحيى وكانت رؤياه لا محالة صحيحه

قوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت
مستقرا ومقاما ه هذه اية فيها حض على قيام الليل بالصلاة قال الحسن
لما ذكر وصف نهارهم وصف في هذا ليلهم وقال بعض الناس من صلى العشا
الاخرة وشفع واوتر فهو داخل في هذه الاية قال ابو محمد الا انه داخل
غير مستوفي وقرا ابو البرهسم سجودا وقياما ومدحهم تعالى بدعائهم وصرف
عذاب جهنم من حيث ذلك دليل على صحة عقدهم وايمانهم ومن خوف اعمالهم
لحسنه وغراما معناه ملازما ثقيلا مجحفا ومنه غرام الحب ومنه الغريم ومنه
قول الاعشى ** ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي **
وقرا جمهور الناس مقاما بضم الميم من الاقامة ومنه قول الشاعر
** حيوا المقام وحيوا ساكن الدار ** وقرات فرقة مقاما بفتح الميم من قام
يقوم نحو هم عند مقام كريم والاول افصح واشهر **قوله تعالى** والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله
الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك
يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما ه اختلف المفسرون في هذه الاية التي في الانفاق فعبارة الزهراوي ان
الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وان افرط والمسرف هو المنفق في
المعصية وان قل اسافه وان المقتر هو الذي يمنع حقا عليه وهذا قول ابن عباس
ومجاهد وابن زيد وقال عون بن عبد الله بن عتبة الاسراف ان تنفق مال غيرك
ونحو هذه الاقوال التي هي غير مرتبطة بلفظ الاية وخلط الطاعة والمعصية بالاسراف
والتقتير فيه نظر والوجه ان يقال ان النفقة في معصية امر قد حظرت الشريعة
قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهولاء الموصوفون منزهون عن

وقال الحسن ... ويوم السادس ويوم الجفا ركانا عنا وكانا عزاما اهد

ذلك وإنما التأديب بهذه الآية فهو في نفقة الطاعات وفي المباحات فأدب
الشرع فيها أن لا يفرط الإنسان حتى يضيع حقا آخر أو عيالا أو نحو هذا
وأن لا يضيق أيضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذا هو
القوام أي المعتدل والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة
ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوسطها
ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق يتصدق بجميع ماله لأن ذلك
وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال إبراهيم
النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف وقال
يزيد بن أبي حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا يأكلون طعاما للذة
وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك
فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كفى بالمرء سرفا أن لا يشتهي شيئا إلا اشتراه فأكله وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر
عن عاصم يقتروا بضم الياء وكسر التاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومجاهد وحفص
عن عاصم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم التاء
وهي قراءة الحسن وطلحة والأعمش وعاصم بخلاف وقرأ أبو عبد الرحمن بضم الياء
وفتح التاء وقرأ أبو عمرو والناس قواما بفتح القاف أي معتدلا وقرأ حسان بن اي
عبد الرحمن بكسر القاف مبلغا وسدادا وملاك حال وقواما خبر كان واسمها
مقدر أي الإنفاق وجوز الفراء أن يكون اسمها بين ذلك وقوله تعالى
والذين لا يدعون الآية إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم
الأوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيالات والغارات
وبالزنا الذي كان عندهم مباحا وفي نحو هذه الآية قال عبد الله بن مسعود
قلت يوما يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن

تزاني حليلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قال
أبو محمد والقتل والزنا يدخل في هذه الآية العصاة من المؤمنين ولهم من
الوعيد بقدر ذلك والحق الذي تقتل به النفس هو قتل النفس والكفر
بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان والكفر الذي لم يتقدمه إيمان في الحربيين
والأثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الآية ومنه قول
الشاعر ٭ جزى الله ابن عروة حيث أمسى ٭ عقوقا والعقوق له أثام ٭
أي جزاء وعقوبة وقال عكرمة وعبد الله بن عمرو ومجاهد أن أثاما واد في
جهنم هذا اسمه وقد جعله الله تعالى عقابا للكفرة وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرأ ابن كثير وأبو جعفر والحسن يضعف
بشد العين وطرح الألف وبالجزم في يضعف ويخلد وقرأ طلحة بن سليمان
نضعف بضم النون وكسر العين المشددة والعذاب نصب ويخلد جزم وهي
قراءة أبي جعفر وشيبة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر يضاعف ويخلد بالرفع
فيهما وقرأ طلحة بن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة الكافر بذلك وروي
عن أبي عمرو ويخلد بضم الياء من تحت وفتح اللام قال أبو علي وهي غلطة من جهة
الرواية ويضاعف بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب
لقي الأثام قال الشاعر ٭ متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ٭
وقوله تعالى إلا من تاب الآية لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر
والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين فقال جمهور العلماء له التوبة وجعلت
هذه الفرقة عمدتها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحمل القاتل
في المشيئة حساب التائبين من ذنوبه ويتأولون الخلود الذي في آية القتل في
سورة النساء بمعنى الدوام إلى مدة لا خلود الأبد ونحوه وروى أبو هريرة
وأن التوبة لمن قتل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن هذه الآية نزلت في
وحشي قاتل حمزة وقاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس وغيره لا توبة للقاتل قال

بن عباس وهذه الآيه إنما أريد بالتوبة فيها المشركون وذلك انها لما نزلت
قال طوايف من المشركين كيف لنا بالدخول في الاسلام ونحن قد فعلنا جميع هذا
فنزلت الا من تاب الآيه ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الآيه فما رايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشي فرحه
لها وبسورة الفتح وقال غير ابن عباس ممن قال ان لا توبه للقاتل ان هذه الآيه
منسوخه بايه سورة النسا قاله زيد بن ثابت ورواه ايضا سعيد بن جبير عن ابن
عباس وقال ابو الجوزا صحبت ابن عباس بضع عشر سنة فما شي من القران
الا سالته عنه فما سمعته يقول ان الله تعالى يقول لذنب لا اغفره وقوله
عز وجل يبدل الله سيئاتهم حسنات معناه يجعل اعمالهم بدل معاصيهم
الاولى طاعه فيكون ذلك سببا لرحمة الله اياهم قاله ابن عباس وابن
جبير وابن زيد والحسن ورد على من قال هو في يوم القيامة وقد ورد حديث
في كتاب مسلم من طريق ابي ذر يقتضي ان الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن
يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات وذكره الترمذي والطبري
وهذا تاويل ابن المسيب في هذه الآيه قال ابو محمد وهو معنى كرم العفو
وقرا ابن ابي عبله يبدل بسكون البا وتخفيف الدال **قوله عز وجل**
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور
واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا
عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
اعين واجعلنا للمتقين اماما ٥ اكد هذه اللفظة امر التوبة والمعنى
ومن تاب فانه قد تمسك بامر وثيق وهذا كما تقول لمن تستحسن قوله في امر
لقد قلت يا فلان قولا وكذلك الآيه معناها مدح المتاب كانه قال
فانه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الآيه في صفه عباد الله
المومنين بان نفى عنهم شهادة الزور ويشهدون في هذا الموضع ظاهر

معناها يشاهدون ويحضرون والزور كل باطل زور وزخرف
فاعظمه الشرك وبه فسر الضحاك وابن زيد ومنه الغنا وبه فسر مجاهد
ومنه الكذب وبه فسر ابن جريج وقال علي بن ابي طالب ومحمد بن علي المعنى لا
يشهدون بالزور فهي من الشهادة لا من المشاهدة والزور الكذب قال
ابو محمد والشاهد بالزور حاضره ومؤديه حجه فالمعنى الاول
اعم لكن المعنى الثاني اغرق في المعاصي والنهي واللغو كل سقط من فعل
او قول يدخل فيه الغنا واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل في ذلك سفه
المشركين واذاهم للمومنين وذكر النسا وغير ذلك من المنكر وكراما
معناه معرضين مستحيين يتجاوزون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه وروي
ان عبد الله بن مسعود سمع غنا فاسرع في مشيه وذهب فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لقد اصبح ابن ام عبد كريما وقرا الآيه قال ابو محمد وانما
اذا مر المسلم بمنكر فكرمه ان يغير وحدود التغيير معروفه وقوله تعالى
والذين اذا ذكروا بايات ربهم يريد ذكروا بالقران اخرتهم ومعادهم
وقوله عز وجل لم يخروا عليها صما وعميانا يحتمل تاويلين احدهما ان يكون
المعنى لم يكن خرورهم بهذه الصفه بل خروا سجدا وبكيا وهذا كما تقول
لم يخرج زيد الى الحرب جزعا اي انما خرج جريا مقدما وكان الذي يخر
اصم اعمى هو المنافق او الشاك والتاويل الثاني ذهب اليه الطبري وهو ان
يخروا صما وعميانا هي صفة الكفار فهي عبارة عن اعراضهم وجهدهم في
ذلك وقرن ذلك بقولك قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وانت لم تقصد
الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطئات في الكلام والعبارة قال ابو
محمد وكان المستمع للذكر قائم القناة قويم الامر فاذا اعرض وضل كان
ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد شبه به الذي
يخر ساجدا ولكن اصله انه على غير ترتيب ثم مدح المومنين بحال الدعاء

إليهم في أن تقروا العيون بالأهل والذرية وقرة العين يحتمل أن
يكون من القرار ويحتمل أن يكون من القر وهو الأشهر لأن دمع
السرور بارد ودمع الحزن حار ومن هذا يقال أقر الله عينك وأسخن
الله عين العدو وقرة العين في الأزواج والذرية أن يراهم الإنسان
مطيعين لله تعالى قاله ابن عباس والحسن وحضرمي وبين المقداد بن الأسود
الوجه في ذلك بأنه كان في أول الإسلام يهتدي الأب والابن كافر
والزوج والزوجة كافرة فكانت قرة عيونهم في إيمان أحبابهم وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر والحسن وذرياتنا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي
وطلحة وعيسى ذريتنا بالإفراد وقوله تعالى للمتقين إماما قيل هو
جمع آم مثل قائم وقيام وقيل هو مفرد اسم جنس أي اجعلنا يأتم بنا المتقون
وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي
قال إبراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة بل أن يكونوا قدوة في الدين وهذا
حسن أن يطلب ويسعى له قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ٥ قرأ
أبي بن كعب يجازون بالف والغرفة منازل الجنة وهي الغرف فوق الغرف
وهو اسم الجنس كما قال ٥ ولولا الحبة السمرا لم تحلل بواديكم ٥
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو يلقون بضم الياء وفتح اللام وشد القاف وهي
قراءة أبي جعفر وشيبة والحسن وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم وطلحة
ومحمد بن اليماني ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويلقون بفتح الياء وسكون
اللام وتخفيف القاف واختلف عن عاصم وقوله تعالى حسنت مستقرا
ومقاما معادل لقوله في جهنم ساءت وقوله تعالى قل ما يعبؤا بكم الآية أمر لمحمد
صلى الله عليه وسلم أن يخاطب بذلك وما يحتمل النفي ويحتمل التقرير والكلام

في نفسه يحتمل تأويلات أحدها أن تكون الآية إلى قوله تعالى لولا دعاؤكم
خطابا لجميع الناس فكأنه قال لقريش منهم أي ما يبالي الله بكم ولا ينظر إليكم لولا
عبادتكم إياه أي لو كانت إذ ذلك الذي يعبؤ بالبشر من أجله قال تعالى
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقال النقاش وغيره المعنى لولا
استغاثتكم إليه في الشدائد ونحو ذلك فهذا هو عرف الناس المرعي منهم
وقرأ ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون وهذا يؤيد أن الخطاب بما
بعده هو لجميع الناس ثم يقول لقريش فأنتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف
يكون العذاب أو التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما والثاني أن
يكون الخطاب بالآيتين لقريش خاصة أي ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤه لكم
إلى الإسلام والهدى دونه فإن ذلك يوجب نفعكم والثالث وهو قول مجاهد أي ما يعبؤا
بكم لولا دعاؤكم إلى شرعه فوقع منكم الكفر والإعراض قال أبو محمد والمصدر
في هذا التأويل مضاف إلى المفعول وفي الأول ولكن مضاف إلى الفاعل ويعبؤا مشتق
من العبء وهو الثقل الذي يعبأ ويرتب كما يعبأ الجيش وقرأ ابن الزبير وقد
كذبت الكافرون فسوف قال ابن جني وقرأ ابن الزبير وابن عباس فقد
كذب الكافرون قال الزهراوي وهي قراءة ابن مسعود قال وهي على التفسير وأكثر
الناس على أن اللزام المشار إليه في هذا الموضع هو يوم بدر وهو قول أبي بن كعب
وابن مسعود والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب وقالت فرقة هو توعد بعذاب
الآخرة وقال ابن مسعود اللزام التكذيب نفسه أي لا يعطون توبة ذكره
الزهراوي وقال ابن عباس أيضا اللزام الموت وهذا نحو القول ببدر وإن
أراد به الموت المعتاد في الناس عرفا فهو ضعيف وقرأ جمهور الناس
لزاما بكسر اللام من لزم وأنشد أبو عبيدة لصخر الغي
٥ فإما ينجوا من حتف أرض فقد لقيا حتوفهما لزاما ٥ وقرأ أبو السمال
لزاما بفتح اللام من لزم والله تعالى المعين لا رب سواه انتهى تفسير سورة الفرقان

والحمد لله رب العالمين ؛؛ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة الشعراء

هى مكية فيما قال جمهور الناس وقال مقاتل منها مدني الآية التي يذكر فيها الشعراء وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل **قوله عز وجل** طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ؛؛ تقدم القول في الحروف التي في أوائل السور مستوعبا وتلك مرتفع بالابتداء وهو وخبره سادّ مسدّ الخبر عن طسم في بعض التأويلات والاشارة بتلك هي بحسب الخلاف في طسم وعلى بعض الأقوال تكون لما شارة إلى حاضر وذلك موجود في الكلام كما ان هذه قد تكون الاشارة بها إلى غائب معهود لانه حاضر والكتاب المبين القرآن وقرا حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم طسم بكسر الطاء وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بفتحها وبادغام النون من سين في الميم وقرأ حمزة وحده باظهارها وهي قراءة أبي جعفر ورويت عن نافع وروى يعقوب عن أبي جعفر ونافع قطع كل حرف منها على حدة قال أبو حاتم الاختيار فتح الطاء وادغام آخر سين في الميم بتصيير الميم مثقلة وقوله تعالى لعلك الآية تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لما كان فيه من القلق والحرص على ايمانهم فكان من شغل البال في حيز الخوف على نفسه والباخع معناه القاتل والمهلك بالهم قاله ابن عباس والناس ومن ذلك قول ذي الرمة

؛؛ الا ايها ذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر ؛؛ وخوطب بلعل على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال ومعنى الآية لا تهتم يا محمد

بهم وبلغ رسالتك وما عليك من ايمانهم فإن ذلك بيد الله تعالى لو شاء لآمنوا وقوله تعالى ألا معمول من أجله وقوله تعالى ان نشأ شرط وما في الشرط من الابهام هو في هذه الآية وجبريا وأما الله تعالى فقد علم انه لا ينزل عليهم آية اضطرار وانما جعل الله تعالى آيات الأنبياء والآيات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه هداه ويضل من سبق ضلاله وليكون للنظرة تكسّب به يتعلق الثواب والعقاب وآية الاضطرار تدفع جميع هذا ان لو كانت وقرأ ننزل بفتح النون وشد الزاي أبو جعفر ونافع وشيبة والأعرج وعاصم والحسن وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة بسكون النون وتخفيف الزاي وروى هارون عن أبي عمرو يشأ ينزل بالياء فيهما والخضوع للآية المنزلة كان يترتب لأحد وجهين اما لخوف هلاك في مخالفة الأمر المقترن بها كنتق الجبل على بني اسرائيل واما ان تكون من الوضوح وبهر العقول بحيث يقع الاذعان لها وانقياد النفوس وكل هذين لم يأت به نبي ووجه ذلك ما ذكرناه وهو توجيه منصوص للعلماء وقرأ طلحة فتظل أعناقهم وهو المراد في قراءة الجمهور وجعل الماضي موضع المستقبل اشارة إلى تقويه وقوع الفعل وقوله تعالى أعناقهم يحتمل تأويلين أحدهما وهو قول مجاهد وابن زيد والأخفش أن يريد جماعاتهم يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة ومنه قول الشاعر

؛؛ إن العراق وأهله عنق اليك فهيت هيتا ؛؛ وعليه حمل قول أبي محجن ؛؛ وأكتم السر فيه ضربة العنق ؛؛ ولهذا قيل عتق رقبة ولم يقل عتق عنق فرارا من الاستثقال قاله الزهراوي فعلى هذا التأويل ليس في قوله خاضعين موضع قول والتأويل الآخر أن يريد الأعناق الجارحة المعلومة وذلك ان خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد ومنه قول الشاعر ؛؛ وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار ؛؛

فعلى هذا التأويل يتكلم على قوله تعالى خاضعين بهذه جمع من يعقل وذلك متخرج

على ضربين من كلام العرب احدهما ان الاضافة الى من يعقل افادت حكم من
يعقل كما تفيد الاضافة الى المؤنث تانيث علامة المذكر ومنه قول الاعشى
" كما شرقت صدر القناة من الدم " وهذا اشهر والنحو الاخر ان
تكون الاعناق لما وصفت بفعل لا يكون الا مقصودا للبشر وهو الخضوع
اذ هو فعل تبع اثرا في العين جمعها فيه جمع من يعقل وهذا نظير قوله تعالى
اتينا طائعين وقوله رايتهم لي ساجدين وقرا ابن ابي عبلة لها خاضعة ثم عنف
الكفار ونبه على سوء فعلهم بقوله تعالى وما ياتيهم الاية وقوله تعالى
محدث يريد محدث الاتيان اي مجيء القران للبشر كان شيا بعد شي وقالت
فرقة يحتمل ان يريد بالذكر محمدا عليه السلام كما قال تعالى في اية اخرى قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا فيكون وصفه بالمحدث متمكنا قال ابو محمد
والقول الاول اصح وقوله تعالى فقد كذبوا فسياتيهم الاية وعيد
بعذاب الاخرة ويقوى انه وعيد بعذاب الدنيا لان ذلك قد نزل بهم كبدر
وغيرها ولما كان اعراضهم عن النظر في الصانع والاله من اعظم كفرهم
وكانوا يجعلون الاصنام الهة ويعرضون عن الذكر نبه على قدرة
الله وانه الخالق المنشئ الذي يستحق العبادة بقوله اولم يروا الى الارض الاية
والزوج النوع والصنف والكريم الحسن المتقن قاله مجاهد وقتادة ويراد
الاشيا التي بها قوام الامور والاغذية والنباتات ويدخل في ذلك الحيوان
لانه عن انبات ومنه قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا قال الشعبي
الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فضد
ذلك وقوله تعالى وما كان اكثرهم مومنين حتم على اكثرهم بالكفر
ثم توعد تعالى بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يريد عزيز في نقمته من الكفار
رحيم بمومني كل امة وقال نحو هذا ابن جريج وفي لفظة الرحيم وعد
قوله عز وجل وإذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم

اصح

فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا
فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ٥ التقدير واذكر اذ نادى
ربك موسى وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش لتكذيبهم محمدا صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى ان ائت يجوز ان تكون مفسرة لا موضع لها
من الاعراب بمنزلة اي ويجوز ان تكون غيرها وهي في موضع نصب تقديره
بان ائت وقوله تعالى الا يتقون معناه قل لهم فجمع في هذه العبارة من المعاني
نفي التقوى عنهم وامرهم بالتقوى وقرا الجمهور يتقون بالياء من تحت وقرا
عبد الله بن مسلم وحماد بن سلمة وابو قلابة تتقون بالتاء من فوق على معنى قل لهم
ولعظيم تجبر فرعون وتمادي لججه وطول مدته وبما اشربت القلوب من مهابته قال
موسى عليه السلام رب اني اخاف ان يكذبون وقرا جمهور الناس ويضيق بالرفع
ولا ينطلق كذلك وقرا الاعرج وطلحة وعيسى ذلك بالنصب فيهما فقراة الرفع
اخبار من موسى عليه السلام بوقوع ضيق صدره وعدم انطلاق لسانه وبهذا رجح
ابو حاتم هذه القراة وقراة النصب تقتضي ان ذلك داخل تحت خوفه وهو
عطف على يكذبون وكان في خلق موسى عليه السلام حدة وكان في لسانه حبسة
بسبب الجمرة في طفوليته وحكى ابو عمرو عن الاعرج انه قرا بنصب يضيق
ورفع ينطلق وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب
لها الفاظ محررة فاذا كان هذا في وقت ضيق صدر لم ينطلق اللسان وقد قال
موسى عليه السلام واحلل عقدة من لساني فالراجح قراة الرفع وقوله تعالى
فارسل الى هرون معناه يعينني ويؤازرني وكان هرون عليه السلام فصيحا
واسع الصدر فحذف بعض المراد من القول اذ باقيه دال عليه ثم ذكر موسى

خوفه القبطي من أجل قتله وهو قتله الرجل الذي وكزه قاله قتادة ومجاهد
والناس يخشى أن يستقاد منه لذلك فقال الله عز وجل له كلا أي ردع له
الى أخاف أي لا تخف ذلك فإني لم أحملك ما حملتك الا وقد قضيت بنصرك
وظهورك وأمر تعالى موسى وهرون خطابا لموسى فقط لأن هرون ليس بمكلم
بإجماع ولكن قال لموسى اذهبا أي أنت وأخوك والآيات تعم جميع ما نعته الله
تعالى به وعظم ذلك العصا واليد ومع العجز والابيض تحدى موسى عليه السلام ولا
خلاف أن موسى عليه السلام هو الذي حمله الله تعالى أمور النبوة كلها وأن هرون كان
نبيا رسولا معينا له ووزيرا وقوله تعالى إنا معكم إنما على أن تجعل الاثنين جماعة
وأما أن يريد بها المبعوث إليهم وبني إسرائيل وقوله تعالى مستمعون على نحو التعظيم
والجبروت التي لله تعالى وصيغة قوله تعالى مستمعون تعطي اهتبالا بالأمر ليس في
صيغة قوله سامعين والأقلس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع وإنما القصد
إظهار التهمم ليعظم أنس موسى وتكون الملائكة بأمر الله إياها تسمع وقوله
تعالى إنا رسول رب العالمين هو على أن العرب أجرت الرسول مجرى المصدر
في أن وصفت به الجميع والواحد والمؤنث ومن ذلك قول الهذلي
ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر ومنه قول الشاعر
وإن كان تولا إن التي أبصرتها سحرا تخلي رسولا وقوله أن
أرسل معنا بني إسرائيل معناه سرح فهو من الإرسال الذي هو بمعنى الإطلاق
كما تقول أرسلت الحجر من يدي وكان موسى عليه السلام مبعوثا الى فرعون
في أمرين أحدهما أن يرسل بني إسرائيل ويزيل عنهم ذل العبودية والغلبة
والثاني أن يؤمن ويهتدي وأمر بمكافحته ومقاومته في الأول ولم يؤمر
بذلك في الثاني على ما بلغ من أمره وبعث بالعبادات والشرائع الى بني إسرائيل
فقط فهذا قول بعض العلماء وقول فرعون لموسى ألم نربك فينا هو على جهة
المن عليه والاحتقار أي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت

فينا من عمرك سنين متى كان هذا الذي تدعيه وقرأ جمهور الناس من
عمرك بضم الميم وقرأ أبو عمرو عمرك بسكونها ثم قرره على قتل القبطي بقوله
وفعلت فعلتك والفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل وقرأ الشعبي فعلتك بكسر الفاء
وهي هيئة الفعل وقوله وأنت من الكافرين يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يريد
وقتلت القبطي وأنت في قتلك إياه من الكافرين إذ هو نفس لا يحل قتلها قاله
الضحاك أو يريد وأنت من الكافرين بنعمتي في قتلك إياه قاله ابن زيد وهذان
بمعنى واحد في حق اللفظ وإنما اختلفا باشتراك لفظ الكفر والثاني أن
تكون بمعنى الهزء أي وأنت على هذا الدين فأنت من الكافرين بزعمك قاله
السدي والثالث وهو قول الحسن أن يريد وأنت من الكافرين الآن
يعني فرعون بالعقيدة التي كان يبثها فيكون الكلام مقطوعا من قوله وفعلت
فعلتك وإنما هو إخبار مبتدأ أنه كان من الكافرين وهذا التأويل أيضا يحتمل أن يريد
به هذه النعمة قال أبو محمد وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل
القبطي وبين رجوعه نبيا الى فرعون أحد عشر عاما غير أشهر قوله عز وجل
قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن
حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل
إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ۵
القائل هنا هو موسى عليه السلام والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي وقوله
إذا صلة في الكلام وكأنها بمعنى حينئذ وقوله وأنا من الضالين قال ابن زيد معناه
من الجاهلين بأن وكزتي إياه تأتي على نفسه وقال أبو عبيدة معناه وأنا من الناسين
لذلك ونزع بقوله تعالى أن تضل إحداهما وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأنا
من الجاهلين ويشبه أن تكون هذه القراءة على جهة التفسير وقوله حكما يريد

بالحكم النبوة وحكمتها وقرأ عيسى حُكُما بضم الحاء والكاف وقوله وجعلني
من المرسلين درجة ثانية للنبوة فربّ نبي ليس برسول ثم حاجّه عليه السلام في
منّه عليه بالتربية وترك القتل بقوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
واختلف الناس في تأويل الكلام فقال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه
ان تكون نعمة كانه قال أوَيصح ان تعدّ علي نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بني
اسرائيل وقتلتهم اي ليست نعمة لان الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا
تستعبدني ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك وقرأ الضحاك وتلك
نعمة مالك ان تمنها وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل وقال الاخفش قبل الف
الاستفهام محذوفة والمعنى أوتلك وهذا لا يجوز الا اذا عاد لفظها ام كما قال
«تروح من الحي ام تبتكر» قال ابو محمد وفي هذا القول تكلف
وقول موسى عليه السلام تقرير بغير الف وهو صحيح كما قال قتادة والله المعين
قال السدي والطبري فانه يقول وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري
وتركتني ولكن ذلك لا يدفع رسالتي قال ابو محمد ولكل وجه ناحية من
من الاحتجاج فالاول ماض في طريق المخالفة لفرعون ونقض كلامه كله والثاني
مبدٍ من موسى عليه السلام انه منصف من نفسه معترف بالحق ومتى حصل احد
المتجادلين في هذه الرتبة وكان خصمه في ضدها غلب المتصف بذلك وصار
قوله اوقع في النفوس ولما لم يجد فرعون في هذا الطريق من مرية على التربية
وغير ذلك حجة رجع الى معارضة موسى في قوله رسول رب العالمين فاستفهمه
استفهاما عن مجهول من الاشياء قال مكي كما يستفهم عن الاجناس فلذلك
استفهم بما وقد ورد له استفهام بمن في موضع آخر ويشبه انها مواطن
فاتى موسى عليه السلام بالصفات التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها
وهي ربوبية السموات والارض وهذه المجادلة من فرعون تدل على ان موسى
عليه السلام دعاه الى التوحيد فقال فرعون عند ذلك الا تستمعون على معنى

الاغراء والتعجيب من شنعة المقالة إذ كانت عقيدة القوم ان فرعون
ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها في مصر
وديارها الى اليوم بقية فزاده موسى في البيان بقوله ربكم ورب آبائكم
الاولين فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف إن رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وقرأ جمهور الناس أُرسِل على بناء الفعل للمفعول وقرأ حميد
الاعرج ومجاهد أَرسل على بناء الفعل للفاعل فزاد موسى عليه السلام في بيان الصفات
التي تظهر نقص فرعون وتبين انه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية
المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الا ملك مصر من البحر الى اسوان وارض
الاسكندرية وفي قراءة ابن مسعود واصحابه رب المشارق والمغارب وما
بينهما **قوله عز وجل** قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله إن هذا لسا
حر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه
وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ٥ لما انقطع فرعون لعنه الله
في باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب وهذه ابين علامات الانقطاع فتوعد
موسى عليه السلام بالسجن حين اعياه خطابه وفي توعده بالسجن ضعف لانه خارت
طباعه معه وكان فيما روي يفزع منه فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله
وروي ان سجنه كان اشد من القتل في مطبق لا ينطلق منه ابدا فكان مخوفا
قال ابو محمد وهذه نزعة دار اليهود الى اليوم وكان عند موسى عليه السلام
من امر الله تعالى ما لا يرعه توعد فرعون فقال له موسى على جهة التلطف
به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشيء مبين يتضح لك معه صدقي افكنت تسجنني
فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة فقال له فأت به ان
كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه من يده وكانت من عصي الجنة وكانت عصى

آدم عليه السلام ويروى أنها كانت من عير ورق الريحان وكانت عند شعيب
وحمله عصي الأنبيا فأعطاها موسى عند رعايته له الغنم على صورة ما تقدم
ذكرها دلت على نبوة موسى وكان لها في رأسها شعبتان فثم كان فم الحية
والثعبان أعظم ما يكون من الحيات وقد ذكرنا فيما تقدم ما روي في عظم
الحية وغير ذلك من بعض هذه الآية ونزع موسى يده من جيبه فإذا هي بيضا
تتلألا كأنها قطعة من الشمس فلما رأى فرعون ذلك هاله ولم يجد له فيه مدفع
غير أنه فزع إلى رميه بالسحر وطمع في علو علم السحر في ذلك الوقت وكثرته أن
يكون فيه سبب لمقاومة موسى فأوهم قومه وأتباعه أن موسى عليه السلم
ساحر ثم استشارهم في أمره وأغراهم به في قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم
بسحره فأشاروا عليه بتأخير أمره وأمر أخيه وجمع السحرة لمقاومته وروي
أنهم أشاروا بسجنه وهو كان الأرجا عندهم والإرجا التأخير ولم
يشيروا بقتله لأن حجته نيرة وخللهم في ربوبية فرعون بينة فخشوا
الفتنة وطمعوا أن يغلبوا حجته بسحر العوام والحاشر الجامع وقرأنا فع
وأبو عمرو وعاصم بكل سحار وهو بنا المبالغة وقرأ عاصم أيضا والأعمش
بكل ساحر **قوله عز وجل** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس
هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين فلما جا السحرة قالوا
لفرعون أين لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قال
لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
إنا لنحن الغالبون ۵ اليوم هو يوم الزينة ويقال كان يوم كسر خليج النيل
وهو كان يوم الزينة على وجه الدهر بمصر وقال ابن زيد إن هذا الجمع
كان بالإسكندرية وقوله لعلنا نتبع السحرة ليس معناه نتبعهم في السحر إنما
أراد نتبعهم في نصرة ديننا وملتنا والإبطال على معارضيها وقرأ الأعرج وأبو عمرو
أين لنا على الاستفهام وقرأ نافع وأبو عمرو وشيبة إن لنا على الإيجاب وقرأ

أذا

عيسى بن عمر حسن العين والمقربون الذين وعدهم بهم فرعون هو الجاه
الزايد على العطا الذي طلبوه والقرب من الملك الذي كان عندهم الأهم
وأحلف الناس في عدد السحرة وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم نحو عشر من آلاف
مصر ريف النيل وهي كانت بلاد السحرة الفرما وأنصنا وغير ذلك ومعظمهم
كان من الفرما والحبال والعصي كانت أوقار إبل وقولهم بعزة فرعون
يحتمل وجهين أحدهما القسم كأنهم أقسموا بعزة فرعون كما تقول بالله إني
لأفعل كذا وكذا ويكون قسمهم بعزة فرعون غير مبرور والآخر أن يكون
على جهة التعظيم لفرعون إذ كانوا يعبدونه والتبرك باسمه كما تقول إذا
ابتدأت بعمل شي باسم الله وعلى بركة الله ونحو هذا **قوله عز وجل** فألقى
موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم
أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا
أول المؤمنين ۵ تقدم في غير هذه السورة ما ذكر الناس في عظم الحية حين ألقى
موسى عصاه وفي هذه الآيات متروك كثير يدل عليه الظاهر وقد ذكر في مواضع
أخر وهو خوف موسى من ظهور سحرهم واستر هالهم للناس وتخييلهم في حبالهم
وعصيهم أنها تسعى تقصد ثم إن الحية التي خلق الله من العصى التقمت تلك الحبال
والعصي عن آخرها فأعدمها الله تعالى في جوفها وعادت العصى كحالها فأخذ
موسى بالفرجة التي كانت في رأسها فأدخل يده في فيها فعادت عصا بإذن الله تعالى
وقرأ جمهور القرا تلقف بفتح التا خفيفة وفتح اللام وشد القاف وقرأ حفص
عن عاصم تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف وروى البزي وفليح عن ابن كثير
شد التا وفتح اللام وشد القاف ويلزم على هذه القراءة إذا ابتدأ أن يجلب همزة
الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الأفعال المضارعة كما لا تدخل على أسماء الفاعلين

وكانوا

وقوله تعالى ما يأفكون أي ما يكذبون معه ويشبهه في قولهم انها
تعارضه لموسى ووقع من فعله والافك الكذب ثم ان السحرة لما راوا العصا
خالية من صناعة السحر وراوا فيها تعدّ من امر الله تعالى ما ايقنوا انه ليس في
قوة بشر اذعنوا وراوا ان الغنيمة هي الايمان والتمسك بامر الله عز وجل
فسجدوا لله مقرين بوحدانيته وقدرته ووصلوا ايمانهم بنسب موسى
وهرون وصرحوا بان ذلك على ايديهم لان قولهم رب العالمين تغن فلم يجردوا
البيان في قولهم رب موسى وهرون الا لما ذكرناه فلما راى فرعون وملاه
ايمان السحرة وقامت الحجة بايمان اهل علمهم وفطنة بصرتهم وقع فرعون
في الورطة العظمى فرجع الى السحرة بهذه الحجة الاخرى فوبخهم على ايمانهم
بموسى قبل اذنه وفي هذه اللفظة تقاربه عظيمه وبعض اذعان لان اخذ
محلانها انهم لو طلبوا اذنه وفي ذلك اذن ثم توعدهم بقطع الايدي والارجل
من خلاف والقتل وجذوع النخل فقالوا اله لا ضير اي لا يضرنا ذلك
مع انقلابنا الى معجزة الله ورضوانه وروي انه انفذ فيهم ذلك الوعيد
وصلبهم على النيل قال ابن عباس اصبحوا سحرة وامسوا شهدا وقولهم ان كنا
اول المؤمنين يريدون من القبط وصنفهم والاقطارات بنو اسرائيل امنت
وقرا الناس ان كنا بفتح الالف وقرا ابان بن تغلب ان بكسر الالف بمعنى ان طمعهم
انما هو بهذا الشرط قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
انكم متبعون فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هولا لشرذمه قليلون
وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ثم ان الله تعالى
لما اراد اظهار امره في نجاة بني اسرائيل وغرق فرعون وقومه امر تعالى
موسى ان يخرج بني اسرائيل ليلا من مصر واخبره انهم سيتبعون وامره بالسير

تجاه البحر وامره بان يستعير بنو اسرائيل حلي القبط واموالهم وان يتبدروا
من اخذ اموالهم كيف ما استطاعوا هذا كما روي بعض المفسرين وامره
بالخاذ خبز الزاد وروي انه امر باتخاذه فطيرا لانه ابقى واثبت وروي ان
الحركة اعجلتهم عن اختمار خبز الزاد وخرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل
سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني
اسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول له موسى هكذا امرت فلما اصبح فرعون
وعلم بسرى موسى ببني اسرائيل خرج في اثرهم وبعث الى المداين من يلحقه العساكر
فروي انه لحقه ومعه ستمائة الف ادهم من الخيل حاشا سائر الالوان وروي
ان بني اسرائيل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا قاله ابن عباس والله اعلم بصحته
واما القدر من الايه الذي يقطع به ان موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني
اسرائيل وان فرعون تبعه باضعاف ذلك العدد قال ابن عباس كان مع فرعون
الف جبار كلهم عليه تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر
وشرذمة كل شي بقيته الخسيسة وانشد ابو عبيدة :: يحذين في شراذم النعال
وقال الاخر :: جا الشتا وقميصي اخلاق شراذم يضحك منها التواق ::
وقوله لغائظون يريد بخلافهم الامر واخذهم الاموال عارية وقتلهم منهم
تلك الليلة على ما روي قال ابو حاتم وقرا من لا يوخذ عنه لشرذمة قليلون
وليست هذه موثوقة وقرا ابن كثير وابو عمرو حذرون وهو جمع حذر
وهو المطبوع على الحذر وهو هاهنا غير عامل وكذلك هو في قول ابن احمر
:: هل انسئن يومي الى غيره اني حوالي والى حذر :: واحلف في علل فعل
فقال سيبويه انه عامل وانشد حذر امورا لا تضير وامن ما ليس منجيه من الاقدار
وادعى اللاحق تدليس هذا البيت على سيبويه وقرا عاصم وابن عامر وحمزه والكسائي
حاذرون وهو الذي اخذ حذره وقال عباس بن مرداس
:: واني حاذر انمي سلاحي الى اوصال ذيال منيع :: وقرا ابن ابي عماره وسميط بن

حادرون بالدال غير منقوطه من قولهم عين حدره اي معينه فالمعنى
ممتلئون غيظا وانفة والضمير في قوله فاخرجناهم عايد على القبط والجنات
والعيون بحافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والكنوز قيل
هي اشاره الى الاموال التي اعتجنوها قاله مجاهد لانهم لم ينفقوها قط في
طاعه وقيل هي اشاره الى كنوز المعظم ومطالبه وهي باقيه الى اليوم والمقام
الكريم قال ابن لهيعه هو الفيوم وقيل يعني به المنابر وقيل مجالس الامرا والحكام
وقال النقاش المساكن الحسان وقرا الاعرج وقتاده بضم الميم من مقام وتوريث
بني اسرايل يحتمل معنيين احدهما انه تعالى ورثهم هذه الصفه من ارض الشام
والاخرى انه ورثهم مصر ولكن بعد مده طويله من الدهر قاله الحسن على ان
التواريخ لم تتضمن ملك بني اسرايل في مصر ومشرقين معناه عند شروق الشمس
اي حين خرجوا فيه وقيل معناه نحو المشرق وقرا الحسن فاتبعوهم بصلة الالف
وشد التا والجمهور على قطع الالف وسكون التا فلما لحق فرعون بجمعه جمع
موسى وقرب منهم ورات بنو اسرايل العدو القوي وراهم والبحر
امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى عليه السلم على جهة التوبيخ والجفا انا
لمدركون اي هذا رايك فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكر وعد الله تعالى
له بالهداية والظفر وقرا الجمهور انا لمدركون وقرا الاعرج وعبيد بن
عمير انا لمدركون بفتح الدال وشد الراي ومعناه يتتابع علينا حتى نفنى وقرا
حمزه ترى الجمعان بكسر الرا ثم يمد ويهمز وروي مثله عن عاصم وروي
ايضا عنه مفتوحا ممدودا والجمهور يقرونه مثل تداعى وهذا هو الصواب
لانه تفاعل قال ابو حاتم وقراة حمزه وهذا الحرف محال وحمل عليه قال وما
روي عن ابن وثاب والاعمش خطا **قوله عز وجل** فاوحينا الى موسى ان
اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين
وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لايه وما كان

اعتجنوها

أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ه لما عظم البلاء على بني
اسرايل امر الله تعالى موسى ان يضرب البحر بعصاه وذلك لانه عز وجل
اراد ان تكون الايه متصله بموسى ومتعلقه بفعل فعله والا فضرب العصى
ليس بفالق البحر ولا معين على ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة الله تعالى
واختراعه ولما انفلق البحر صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد اسباط بني اسرايل
ووقف الما بينها كالجبل العظيم والطود الجبل وروي عن ابن جريج والسدي
وغيرهما ان بني اسرايل لما دخل فريق منهم ان الباقي قد غرق فامر الله تعالى
الما فصار كالشراجب والطيقان وراى بعضهم بعضا فانسوا وازلفنا معناه
قربنا وقرا ابن عباس عن ابي بن كعب ازلقنا بالقاف ونسبها ابو الفتح الى عبد الله
بن الحرث وقرا الحسن وابو حيوه زلفنا بغير الف وذلك ان فرعون لما وصل
الى البحر وقد دخله بنو اسرايل قيل انه صمم وتحرق بان قال لي انفرق فدخل
على ذلك وقيل بل هو وهم بتدبير الانصراف فعرض جبريل على فرس وديق بمعنى
وراه حصان فرعون فدخل على نحو هذا وتبعه الناس وروي ان الله تعالى اخط
ملايكه تسوق قومه حتى حصلهم في البحر ثم ان موسى وقومه خرجوا الى البر
من تلك الطرق ولما احسوا باتباع فرعون وقومه فزعوا من ان يخرج
وراهم فهم موسى بخلط البحر بعصاه فقيل له اترك البحر رهوا فلما تكامل جند
فرعون وهمت مقدمتهم بالخروج انطبق عليهم البحر وغرقوا ودخل موسى عليه السلم
البحر بالطول وخرج بالصفه التي دخل منها بعد مسافه وكان بين موضع دخوله
وموضع خروجه اوعار وجبال لا تسلك الا على طريق الايام وكان ذلك في يوم
عاشورا وقال النقاش البحر الذي انفلق لموسى بحر النيل من ايله ومصر قال
ابو محمد وهذا مردود ان شا الله تعالى وقوله عز وجل ان في ذلك لايه تنبيه
على موضع العبره وقوله تعالى وان ربك لهو العزيز الرحيم اي عزيز بنقمته
من الكفار ورحيم المؤمنين من كل امه وقد مضى تفسير ما لم نورد ذكره من قصة موسى

فرقنا

نهر

قوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين ٥ هذه القصة
تضمنت الاعلام بغيب والاتيان بما يقطع ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن
يعرفه ثم ظهر على لسانه وفي ذلك تمام في الكتب المتقدمة وليست هذه الاية
مثالا لقريش الا في امر الاصنام فقط لانه ليس فيها حدث وعذاب وقول
ابرهيم عليه السلم ما تعبدون استفهام بمعنى التقرير والصنم ما كان من الاوثان
على صورة ابن ادم كان من حجر او عود او غير ذلك ونظل عاكفين معناه نفعل الشي
نهارا وبات يفعلها في ليله لليل وطبق عامة للوجهين ولكن قد تجوز بمعنى
العموم وهذا الموضع من ذلك والعكوف اللزوم ومنه المعتكف ومنه قول
الراجز ٥ عكف النبيط يلعبون الفنزجا ثم احتج ابرهيم عليه السلم بوقفهم
على اشيا يشهد العقل بما تعطيه من صفة الاله وقرا الجمهور بفتح اليا من يسمعونكم
وقرا قتادة بضمها من اسمع وكسر الميم والمفعول على هذه القراءة محذوف
وقرات جماعة من القرا اذ تدعون باظهار الذال والتا وقرا الجمهور اذ
تدعون بادغام الذال في التا بعد القلب وجوز فيه قياس مذكر ولم يقرا
به وطرد القياس ان يكون اللفظ به اددعون والذي منع من هذا اللفظ
اتصال الدال الاصلية في الفعل وكثرت المتماثلات وقولهم بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اقبح وجوه التقليد لانه على ضلاله وهو امر بين خلافه
وعظيم قدره فلما صرحوا لابرهيم عليه السلم عن عدم نظرهم وانهم لا حجة
لهم خاطبهم ببراته من جميع ما عبد من دون الله تعالى وعداوته له وعبر عن
بغضته واطراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة اذ هي منتهى التعبير
ونحو التسمي وقيل في الكلام قلب لان الاصنام لا تعادي وانما هو عاداها

وقوله الا رب العالمين قالت فرقة هو استثناء متصل لان في الاباء الاقدمين
من قد عبد الله تعالى وقالت فرقة هو استثناء منقطع لانه انما اراد عباد
الاوثان من كل قرن منهم ولفظة عدو تقع للجميع والمفرد والمؤنث والمذكر
قوله عز وجل الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان
صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين
ولا تخزني يوم يبعثون ٥ اتى ابرهيم بهذه الاوصاف التي وصف الله تعالى
بها مستحق الالوهية وهي الاوصاف الفعلية التي تخص البشر ومنها يجب ان يفهم
ربه عز وجل وقوله يطعمني ويسقين تعديد للنعمة في الرزق وقال ابو بكر
الوراق في كتاب الثعلبي المعنى يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني واسند ابرهيم المرض الى نفسه والشفا
الى الله عز وجل وهذا احسن الادب في العبارة والكل من عند الله تعالى وهذا
نحو قول الخضر فاردت ان اعيبها وقال جعفر الصادق اذا مرضت بالذنوب شفاني
بالتوبة وقرا الجمهور هذه الافعال يهدين بغير يا وقرا نافع وابن ابي اسحق بيا وكذلك
ما بعده واوقف عليه السلم نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه
مع منزلته وخلته وقوله خطيئتي ذهب فيه اكثر المفسرين الى انه اراد
كذباته الثلاث قوله هي اختي في شان سارة وقوله اني سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا في كل امره من غير تعيين
قال ابو محمد وهذا اظهر عندي لان تلك الثلاث قد خرجها كثير من العلماء
على المعاريض وهي وان كانت ذنوبا بحكم قول النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وبحكم ما في حديث الشفاعة من قوله في شان
ابرهيم نفسي نفسي وذكر كذباته فهي في مصالح وعن شرع وحق وقرا

الجمهور خطيئتي بالافراد وقرا الحسن خطاياي بالجمع والحكم الذي دعا
فيه ابرهيم عليه السلم هو الحكمة والنبوه ودعا ابرهيم في مثل هذا هو في
معنى التثبت والدوام ولسان الصدق في الاخرين هو الثنا وخلد
المكانه باجماع من المفسرين وكذلك اجاب الله تعالى دعوته فكل مله
تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جا بها محمد عليه السلم قال مكي
وقيل معنى سواله ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت
الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد وهذا معنى حسن الا ان
لفظ الايه لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ واستغفاره لابيه في هذه الايه هو
قبل ان يتبين له موته على الكفر انه عدو لله اي محتوم عليه وهو عن
الموعدة المذكوره في غير هذه الايه وفي قراه ابي بن كعب واغفر لابوي
انهما كانا من الضالين **قوله عز وجل** يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا
فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفي ضلال مبين ٥ يوم بدل من الاول وفي قوله يوم يبعثون والمعنى يوم لا
تنفع علائق الدنيا ومحاسنها وقصد من ذلك لذكر العظم والاثر لان المال
والبنين هي زينة الحياة الدنيا وقوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك
والمعاصي وعلق الدنيا التي وله وان كانت مباحه كالمال والبنين قال
سفين هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شي غيره قال ابو محمد وهذا يقتضي
عموم اللفظه ولكن السليم من الشرك هو الاهم وقال الجنيد بقلب لديغ
من خشية الله تعالى والسليم اللديغ وازلفت معناه قربت والغاوون الذين
برزت لهم الجحيم هم المشركون بدلالة انهم خوطبوا في امر الاصنام والقول
لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هو على وجه التقريع والتوبيخ والتوقيف

على عدم نصرتهم ونحوه وقرا الاعمش فبرزت بالفا والجمهور بالواو وقرا
مالك بن دينار وبرزت بفتح البا والزاي ورفع الجحيم ثم اخبر تعالى عن حال
يوم القيامة من ان الاصنام تكبكب في النار اي تلقى كبة واحدة ووصل بها
ضميرهم من يعقل من حيث ذكرت بعباده وكانت تسند اليها فعل من يعقل وقيل
الضمير في قوله هم للكفار والغاوون الشياطين وكبكب مضاعف من كب
هذا قول الجمهور وهو الصحيح لان معناها واحد والتضعيف في الفعل بين
مثل صر وصرصر ونحو ذلك والغاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية
وجنود ابليس نسله وكل من تبعه لانهم جند له واعوان **قوله عز وجل** قالوا
وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من
المومنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم ٥ ثم وصف الله تعالى ان اهل النار يختصمون فيها ويتلاومون
ويتجاذبون في شانهم جدال ومن جملة قولهم لاصنامهم على جهة الاقرار وقول
الحق تالله ان كنا الا في ضلال مبين في ان نعبدكم ونجعلكم سوا مع الله تعالى
الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم ثم عطفوا يردون الملامه على غيرهم
اي ما اضلنا الا كبراونا واهل الجرم والجراة والمجانة ثم قالوا على جهة
التلهف والتاسف حين راوا شفاعة الملايكه والانبيا والعلما نافعة اهل الايمان
عموما وشفاعة الصديق في صديقه خاصة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وهذه اللفظه منبهة على محل الصديق من المرء قال ابن جريج شافعين من الملايكه
وصديق من الناس قال ابو محمد ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانه ولفظة
الصديق تقتضي شدة مساهمته ونصره وهو فعيل من صدق الود والحميم الولي
والقريب الذي يحفك امره وتخصه اذيتك وخاصة الرجل خاصته واتى
الايه تقتضي ذلك قال ابو محمد وهذه الايات يوم لا ينفع مال ولا بنون هي

فكبكبوا

عندي منقطعة من كلام ابرهيم عليه السلم وهي اخبار من الله تعالى تتعلق من
صفة اليوم الذي وقف ابرهيم عليه السلم عنده ودعا به ان لا يخزى فيه **قوله
عز وجل** كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون إني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسلكم عليه من أجر إن اجري
إلا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انومن لك واتبعك الارذلون
قال وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما انا
بطارد المومنين إن انا إلا نذير مبين قالوا لين لم تنته يا نوح لتكونن
من المرجومين قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن
معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين
إن في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ٥
اسند كذبت الى القوم وفيه علامة التانيث من حيث القوم في معنى الامة
والجماعة وقوله تعالى المرسلين من حيث من كذب نبيا واحدا فقد كذب
جميع الانبيا اذ قولهم واحد ودعوتهم سوا وقوله تعالى اخوهم يريد
في النسب والمنزلة لا في الدين وامين معناه على وحي الله تعالى ورسالاته
وقرا ابن كثير وعاصم اجري ساكنة اليا وقرا نافع وابو جعفر وشيبة بفتح
اليا في كل القران ثم ردد عليهم الامر بالتقوى والدعا الى طاعته تحذيرا
ونذارة وحرصا عليهم فذهب اشرافهم الى استنقاص اتباعه بسبب ضعاف
الناس الذين اتبعوه وضعفا بهم وهذا القول قريش في عمار بن ياسر
وصهيب وغيرهما وقال بعض الناس الارذلون الحاكة والحجامون والاساكفة
قال ابو محمد وهذا عندي على جهة التمثيل اي اهل الصنايع الخسيسة
لا ان هذه الصنايع المذكورة خصت بهذا والارذلون جمع الارذل ولا
يستعمل الا معرفا او مضافا او بمن قال ابو محمد ويظهر من الاية ان مراد
قوم نوح بنسبة الرذيلة الى المومنين تهجين افعالهم لا النظر في صنايعهم يدل

على ذلك قول نوح وما علمي بما كانوا يعملون لان معنى كلامه ليس في نظري وعلمي
باعمالهم ومعتقداتهم فايدة انما اقنع بظاهرهم واجتزي به ثم حسابهم
على الله تعالى وهذا نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس الحديث بجملته وقرا جمهور الناس واتبعك على الفعل الماضي وقرا
ابو التميمي اليماني وسعيد بن سعد الانصاري واتباعك على الجمع ونسبها
ابو الفتح الى ابن مسعود والضحاك وطلحة قال ابو عمرو وهي قراة ابن عباس
والاعمش وابي حيوة وقرا عيسى بن عمر الهمداني لو يشعرون باليا من تحت
واعراب قوله واتباعك اما جمله في موضع الحال واما عطف على الضمير
المرفوع وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقولهم من المرجومين يحتمل
ان يريدوا بالحجارة ويحتمل ان يريدوا بالقول والشتم ونحوه وهو شبيه
برجم الحجارة وهو من الرجم بالغيب والظن ونحو ذلك وقوله افتح معناه
احكم والفتاح القاضي بلغة يمنية والفلك السفينة وجمعها فلك ايضا
وقد تقدم بسط القول في هذا الجمع في سورة الاعراف والمشحون المملو
بما ينبغي له من قدر ما يحمل وما في الاية بين **قوله عز وجل** كذبت عاد
المرسلين إذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسلكم عليه من أجر إن اجري إلا على رب العالمين
اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا
بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الاولين
وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم إن في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ٥ عاد قبيلة والصرف للحي وقيل
هو اسم ابيهم وخاطبهم هود عليه السلم بمثل مخاطبة ساير الرسل قبلهم

فيما انفرد وابو من الافعال التي اقتصها احوالهم فقال اتبنون على
جهة التوبيخ والريع المرتفع من الارض ومنه قول بن المسيب بن علس
نيف طعنا ‹‹ في الال يرفعها وخفضها ريع يلوح كانه سحل ››
والسحل الثوب الابيض ومنه قول ذي الرمه
‹‹ طراق الخوافي مشرف فوق ريعه ندى ليله في ريشه يترقرق ›› ومنه
قول الاعشى ‹‹ وبهما قفر تجاوزتها اذا خب في ريعها آلها ›› ويقال
ريع بكسر الرا ويقال ريع بفتحها وبها قرا ابن ابي عبلة وعبر بعض المفسرين
عن الريع بالطريق وبعضهم بالفج وبعضهم بالثنية الصغيرة قال ابو
محمد وجملة ذلك انه المكان المشرف وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه والايه
البنيان قال بن عباس ايه علما وقال ابن مجاهد ابراج الحمام وقال النقاش
وغيره القصور الطوال والمصانع جمع مصنع وهو ما صنع واتقن في بنايه
من قصر مشيد ونحوه قال قتادة هي ماخذ الما وقوله لعلكم تخلدون اما
ان يريد على املكم ورجائكم واما ان يريد الاستفهام على معنى التوبيخ والهزء
بهم وقرا الجمهور تخلدون بفتح التا وضم اللام وقرا قتادة تخلدون
بضم التا وفتح اللام يقال خلد الشي واخلده غيره وقرا ابي وعلقمة تخلدون
بضم التا وفتح الخا وفتح اللام وشدها وروي عن ابي كانكم تخلدون
وروي عن بن مسعود كي تخلدوا والبطش الاخذ بعنف وسرعه والجبار
المتكبر ومنه قولهم نخلة جبارة اذا كانت لا تدرك علوا ومنه قوله عليه
السلم في المراة التي ابت ان تتنحى عن طريقه انها جبارة ومنه الجبروت فالمعنى
انكم كفار الغضب لكم السطوات المفرطة والبوادر من غير تثبت ثم
ذكرهم عليه السلم بايادي الله تعالى قبلهم فيما منحهم من الانعام والذرية
والجنات والمياه المطرده فخوفهم عذاب الله تعالى في الدنيا فكانت
مراجعتهم ان سوى بين وعظه وتركه الوعظ وقرا ابن محيصن اوعظت

بادعام الطا في التا ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين واختلف القراة
في ذلك فقرا نافع وعاصم وحمزة وابن عامر خلق بضم اللام والاشارة بها
الى دينهم وعبادتهم وتخرقهم في المصانع اي هذا الذي نحن عليه خلق
الناس وعادتهم وما بعد ذلك بعث ولا تعذيب كما تزعم انت وقرا ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو قلابه خلق بضم الخا وسكون اللام
ورواها الاصمعي عن نافع وقرا ابو جعفر وابو عمرو وخلق الاولين بفتح الخا
وسكون اللام وهي قراءة بن مسعود وعلقمة والحسن وهذا يحتمل وجهين
احدهما وما هذا الذي نزعمه الا اختلاق الاولين من الكذبة قبلك ودابهم
فانت على منهاجهم والثاني ان يريدوا وما هذه البنية التي نحن عليها الا البنية
التي عليها الاولون حياة وموت وما ثم بعث ولا تعذيب وكل معنى مما ذكرته
يحتمله كل قراءة وروى علقمة عن بن مسعود الا اختلاق الاولين وباقي الايه
بين وقد مضى تفسيره **قوله عز وجل** كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما هاهنا
امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال
بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون
في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية
ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسو فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ه
ثمود قبيلة عربيه وتصرف ولا تصرف على معتقد الحي والقبيله وقرى بالوجهين
الجمهور بغير صرف ويحيى بن وثاب وغيره بالصرف وصالح اخوهم في النسب
والانبيا من العرب اربعه هود وصالح ثمود وشعيب ومحمد عليهم السلم

واسماعيل عليه السلام عربي اللسان من زمان النبي وهو ابو العرب الموجودين
اليوم وقوله اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا
في النعم على معاصيكم والهضيم معناه اللين الرطب والطلع الكفرى وهو
عنقود النخل قبل ان يخرج من الكم في اول نباته فكان الاشارة الى طلعها بتم
ورطب قال ابن عباس اينع وبلغ فهو هضيم وقال الزهري الهضيم الرخص اللطيف
اول ما يخرج وقال الزجاج هو فعيل الذي رطبه بغير نوى وقال الضحاك الهضيم
معناه المنضد بعضه على بعض ق ل ابو محمد وهذا ضعيف وقرا الجمهور ينحتون
بكسر الحاء وقرا عيسى بفتحها وذكر انها لغة قال ابو عمرو وهي قراءة الحسن وابي
حيوة وقرا حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر فارهين وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وقرا مجاهد متفرهين بميم على وزن متفعلين
والفراهة ماخوذة من الفراهة وهي جودة منظر الشيء وخبرته وقوته وجماله ونوعه
معنى الاية بيسر متهممين قاله ابن عباس وقال مجاهد شرهين وقال ابن زيد اقوياء — متفقهين
وقال ابو عمرو بن العلاء اشرين بطرين وذهب عبد الله بن شداد الى انه معنى مستفرهين
اي متبالغين في استجادة العمارة من كل ما يصنعونه وينتهونه وقوله تعالى
ولا تطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه وعنى بالمسرفين كبراءهم واعلامهم
في الكفر والضلال فيهم وقوله تعالى من المسحرين قيل ان احدهما ماخوذ
من السحر كمثل التبير اي قد سحرت فانت بذلك مخبول لا ينطق بقويم والثاني
انه ماخوذ من السحر بفتح السين وهي الرئة ويشبهها يقال انتفخ سحره وقيل السحر
قصبة الرئة بما يتعلق بها من كبد وغيره اي انت ابن ادم لا يصح ان تكون رسولا
عن الله تعالى وما بعده في الاية يقوي هذا التاويل ومن اللفظة قول لبيد
" فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر " ويقال للاغتذاء
التسحير ومنه قول امرئ القيس " ونسحر بالطعام وبالشراب " ثم اقترحوا
عليه اية وروي انهم اقترحوا خروج ناقة من جبل من جبالهم وقصتها في هذه الاية

وتخبره وقد مضت مستوعبة فلما خرجت الناقة قال لهم هذه ناقة لها شرب
وهو الحظ من الماء وقرا ابن ابي عبلة لها شرب ولكم شرب بضم الشين وقد تقدم
قصص ثمود والناقة وانهم عقروها وتوعدهم عليه بعذاب وظاهر امره انفراد
في الدنيا وكذلك استمر الوجود ونسب عقرها الى جميعهم مع اختصاص قدار
الاحمر بعقرها من حيث اتفقوا على ذلك رأيا وتدبيرا وقوله تعالى فاصبحوا
نادمين لما ظهر لهم تغير الوانهم حسب ما كان صالح قد اخبرهم ندموا وراوا
ان الامر على ما اخبر به حتى نزل بهم العذاب وكانت صيحة خمدت لها ابدانهم وانشقت
قلوبهم وماتوا عن اخرهم وصبت عليهم حجارة خلال ذلك **قوله تعالى**
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون
الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم
عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين
رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا
الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ قال النقاش ان في مصحف ابن مسعود
وابي وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم واحتجت الباقي الخط واللفظ
من قوله واطيعون مراعاة لرؤوس الاي ان تناسب ثم وقفهم على معصيتهم الشنيعة
في اتيان الذكران وترك فروج الازواج والمعنى ويدع ذلك العاصي وحسب معصيته
لان معناه انهم تركوا الساحلة وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم وعادون
معناه ظالمون مرتكبون للخطر فتوعدوه بالاخراج من ارضه وداره فلم ينههم
عند ذلك واقتصر على الاخبار بانه قال لعملهم والقلى بغض الشيء وتركه ثم دعا
في النجاة فنجاه الله تعالى بان امره بالرحلة ليلا وكانت امراته كافرة تعين عليه قومه
فاصابها حجر فهلكت فيمن هلك وقوله تعالى في الغابرين معناه في الباقين فاما ان يريد

خ بان قال اني لعملكم

في الباقين من لداتها واهلينها وهو تاويل ابي عبيده واما ان يريد في الباقين
في العذاب النازل بهم فهو تاويل قتاده والمشهور في غبر انها بمعنى بقي وغابر
الزمان مستقبله ولكن الاعشى قد استعمل غابر الزمان بمعنى ماضيه في شعره المانوه
المشهور وقال الزهراوي يقال للذاهب غابر وللباقي غابر والتدمير الاهلاك
باسطار الحجاره وبذلك جرت السنة في رجم اللوطي والي الايبين **قوله تعالى**
كذب اصحاب الايكه المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا
انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا
كسفا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظله انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ۵ قال النقاش في مصحف ابن مسعود وابي
وحفصه اذ قال لهم اخوهم شعيب وقالوا الا وجه لمراعاة النسب وانما هو اخوهم
من حيث هو رسولهم وادمي مثلهم وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكه على وزن
فعلة هنا وفي صاد وقرا الباقون الايكه وهي الدوحه الملتفه من الشجر
وقيل هي شجر معروف له غضاره تالفه الحمام والقماري ونحوها وقال قتاده
كان شجرهم هذا دوما وليكه اسم البلد في قراه من قرا ذلك قاله بعض المفسرين
ذكره ابو عبيد القاسم بن سلام وذهب قوم الى انها مسهله من الايكه وانها وقعت
في المصحف هنا وفي سوره ص بغير الف وقال ابو علي سقوط ذلك من المصحف
لا يرجح النطق بها هكذا لان خط المصحف اتبع فيه تسهيل اللفظ فما سقطت
الالف من اللفظ سقطت من الخط نحو سقوط الواو من قوله سندع الزبانيه
لما سقطت من اللفظ وانما ترجيح القراه ولكيه بفتح التا في موضع الجر فلا تقتضيه

ما في المصحف وهي قراه ضعيفه ويدل على ضعفها ان سائر ما في القران غير هذين
الموضعين مجمع فيه على الايكه بالهمز والالف والخفض وكانت مدن القوم
سبعة فيما روي ولم يكن شعيب منهم فلذلك لم يذكر هاهنا بانه اخ لهم
وانما كان من بني مدين وذلك ذكر باخوتهم وحات الالفاظ في دعا كل
واحد من هولاء الانبيا واحدة بعينها اذ كان الايمان المدعو اليه معنى واحدا
بعينه وفي قوله عليهم السلام الا تتقون تعرض رفق ولطف كما قال الله تعالى
فقل هل لك الى ان تزكى وكانت معصيتهم المضافه الى كفرهم بخس الموازين
ونقص اموال الناس بذلك والقسطاس المعتدل من الموازين وهو مبالغة
من القسط وذهب ابن عباس ومجاهد الى ان معنى قوله وزنوا بالقسطاس المستقيم
عدلوا اموركم كلها بميزان العدل الذي جعله الله تعالى لعباده وقرا الجمهور
بضم القاف من القسطاس وقرا عيسى واهل الكوفه بكسرها وتعثوا معناه تفسدوا
يقال عثا اذا افسد والجبلة القرون والخليقه الماضيه وقال الشاعر
والموت اعظم حادث مما يمر على الجبله ؛؛ وقرا جمهور الناس والجبله
بكسر الجيم والبا وقرا ابن محيصن والحسن بخلاف والجبله بضمهما والكسف
القطع واحدها كسفه كتمرة وتمر ويوم الظله هو يوم عذابهم وصورته فيما
ذكر ان الله تعالى امتحنهم بحر شديد بدت فلما كان في ذلك اليوم غشي بعض
قطرهم سحابة فجا بعضهم الى ظله فاحس منه بردا وروحا فتداعوا اليه حتى كملوا
فيه فاضطرمت عليهم تلك السحابه نارا فاحرقتهم عن اخرهم وللناس في حديث
يوم الظله تطويلات لا تثبت والحق انه عذاب جعله الله تعالى ظله عليهم وذكر
الطبري عن ابن عباس انه قال من حدثك ما عذاب يوم الظله فقد كذب وباقي الايه
بين **قوله عز وجل** وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على
قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن
لهم ايه ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا

بمؤمنين ٥ الضمير في انه للقرآن أي ليس بكهانة ولا شعر وانما هو من
عند الله والروح الامين جبريل عليه السلام باجماع ونزل باللفظ العربي
والمعاني الثابتة في الصدور والمصاحف وعلى ذلك كله يعود الضمير في به
واللسان عبارة عن اللغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص
نزل خفيفة الزاي الروح رفع وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي
بشد الزاي الروح نصبا ورجحها ابو حاتم بقوله تعالى فانه نزله على قلبك
وبقوله لتنزيل رب العالمين وقوله به في موضع الحال كقوله تعالى وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به وقوله تعالى على قلبك اشارة الى حفظه اياه وعلل
النزول على قلبه بكونه من المنذرين لانه لا يمكن ان ينذر به الا بعد حفظه
وقوله بلسان يمكن ان تعلق الباء بنزل به وهذا على ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما كان يسمع من جبريل عليه السلام حروفا عربية وهذا القول الصحيح
وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده
واغلاظه ويمكن ان تعلق بقوله لتكون ويمسك بهذا من راى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسمع احيانا مثل صلصلة الجرس يفهم منه القرآن
من لدن النبي عليه السلام وهذا مردود وقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
اي في كتبهم يريد القرآن انه مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبه عليه
مشار اليه وقرأ الجمهور زبر بضم الباء وقرأ الاعمش بسكونها ثم احتج
عليهم بانه كان ينبغي ان يصح عندهم امره دون علماء بني اسرائيل يعلمونه
كعبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد وقال ابن عباس ايضا فيما حكى
عنه الثعلبي ان اهل مكة بعثوا الى الاحبار بيثرب يسألونهم عن النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا هذا زمانه ووصفوا نعته ثم خلطوا في امر محمد صلى الله
عليه وسلم فنزلت الاية في ذلك قال ـــــــ ابو محمد ويؤيد هذا ان الاية
مكية وقال مقاتل هذه الاية مدنية ومن قال انها مكية ذهب الى ان علماء بني

قال في عقد الدرر فيه نقض لانه تقدم انه في عصمته الفاظ القرآن

اسرائيل ذكروا ان في التوراة صفة النبي الامي وهذه الاشارة الى ذلك
وهم وقرأ تكن بالياء اية نصبا غير ابن عامر فانه قرأ تكن بالتاء من فوق اية
رفعا وهي قراءة عاصم الجحدري وقرأ جمهور الناس ان يعلمه بالياء من تحت
وقرأ الجحدري ان تعلمه بالتاء من فوق ثم نعى محمدا صلى الله عليه وسلم عن
صدود قومه عن الشرع بان اخبر ان هذا القرآن العربي لو سمعوه من اعجم
اي من حيوان غير ناطق او من جماد والاعجم كل ما لا يفصح لما كانوا يؤمنون
اي قد حتم الكفر عليهم فلا سبيل الى ايمانهم والاعجمون جمع اعجم وهو الذي
لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وكذلك يقال للحيوانات والجمادات
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله
بن مطيع انه قال حين قرأ هذه الاية وهو واقف بعرفة جملي هذا اعجم فلو
انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي هو الذي نسبه في العجم وان كان افصح
الناس وقرأ الحسن الاعجميين فقال ابو حاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب وقال
بعض النحويين الاعجمون جمع اعجمي وهو اعجم اضيف فقويت الاضافة رتبته
في الاسماء فجمع وليس باعجمي المنسوب الى العجم وقرأ جمهور الناس او لم يكن
بالياء لهم اية بالنصب وقرأ او ليس لهم اية ابن مسعود والاعمش وفي مصحف
ابي اليس بعزو واو وقرأت فرقة تكن بالتاء من فوق اية رفعا وقرأ بعض القراء
اية بالنصب وسائرهم بالرفع وقد تقدم ذكر ما في الشعر وذكر الطبري
ان الضمير في قوله وانه لتنزيل عائد على الذكر في قوله ما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث قوله عز وجل كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا
يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا
هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما
كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين ٥ الاشارة بذلك الى ما تحصل للنبي

النسب اراد لا اضافة واعجمي من العجم كاحمري واحمر ودواري ودوار

الآية المتقدمة من الختم عليهم بأنهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى ولو نزلناه
على بعض الأعجمين وسلكناه معناه أدخلناه والضمير فيه للكفر الذي تضمنه
قوله ما كانوا به مؤمنين قاله الحسن قال الرماني لا وجه لهذا لأنه
لم يجر ذكره وإنما الضمير للقرآن وإحضاره بالبال وعلى الزهراوي أن الضمير
للتكذيب المفهوم وحكاه الثعلبي وقرأ ابن مسعود كذلك جعلناه في قلوب وروي وروي
عنه جعله والمجرمون أراد به مجرمي كل أمة أي أن هذه عادة الله تعالى
فيهم أي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم فلا ينفعهم الإيمان بعد تلبس
العذاب بهم وهذا على جهة المثال لقريش أي هؤلاء كذلك وكشف الغيب
ما تضمنته هذه الآية يوم بدر وقرأ الجمهور فيأتيهم بالياء أي العذاب وقرأ
الحسن بن أبي الحسن فتأتيهم بالتاء من فوق يعني الساعة وفي قراءة أبي بن كعب
فيروه بغتة ومن قول كل أمة معذبة هل نحن منظرون أي مؤخرون وهذا
على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة ثم رجع لفظ الآية إلى
توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في سقوط السماء كسفا وغير ذلك وقولهم طلبهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم ائتنا بما تعدنا أي أنهم لا ينبغي لهم ذلك لأن عذابنا بالمرصاد
إذا حان أجله ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بإقامة الحجة عليهم في أن مدة
الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها ووقوع النقمة
وذلك في قوله أفرأيت الآية قال عكرمة سنين يريد عمر الدنيا ولأبي جعفر
المنصور قصة في هذه الآية ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية من القرى إلا بعد إرسال
من ينذرهم بعذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة وإقامة حجة لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وذكرى عند الكسائي نصب على الحال ويصح أن
تكون في موضع نصب على المصدر وهذا قول الزجاج ويصح أن تكون في موضع
رفع على خبر الابتداء وتقديره ذلك ذكرى ثم نفى عن جهته عز وجل الظلم إذ هو
مما لا يليق به **قوله عز وجل** وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما

يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون
من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ٥ لما كان في بعض ما قال الكفار إن هذا
القرآن كهانة نزلت هذه الآية مكذبة لذلك أي ما تنزلت به الشياطين لأنها
قد عزلت عن السمع الذي كانت تأخذ له مقاعدها وقوله تعالى وما ينبغي
لهم أي ما يمكنهم وقد تجيء هذه اللفظة عبارة عما لا يمكن وعبارة عما لا يليق
وإن كان ممكنا ولما جاء الله تعالى بالإسلام حرس السماء بالشهب الجارية إثر
الشياطين فلم يخلص شيطان بشيء يلقيه كما كان يتفق لهم في الجاهلية وقرأ
الجمهور الشياطين وروي عن الحسن أنه قرأ الشياطون وهي قراءة مردودة
قال أبو حاتم هي غلط منه أو عليه وحكاها الثعلبي أيضا عن ابن السميفع وذكر
فعلت عن يونس بن حبيب أنه قال سمعت أعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها
بساتون قال يونس ما أشبه هذا بقراءة الحسن ثم وصى عز وجل نبيه عليه السلام
بالثبوت على توحيد الله تعالى وأمره بنذارة عشيرته تخصيصا لهم إذ العشيرة
مظنة المقاربة والطواعية وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمل
غيرهم فإن البر بهم ومثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته
فكان هذا التخصيص مع الأمر العام بنذارة العالم وروي عن ابن جريج
أن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم هم من هذا التخصيص
وخوفهم منه فنزلت واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ولما أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النذارة عظم موقع الأمر عليه وصعب لكنه
جلده تلقاه بالجلد وصنع أشياء مختلفة كلها بحسب الأمر فمن ذلك أنه أمر عليا رضي
الله عنه بأن يصنع طعاما وجمع عليه بني عبد المطلب وأراد نذارتهم ودعوتهم
في ذلك الجمع وظهر منه عليه السلام بركة في الطعام قال علي وهم يومئذ أربعون
رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ورماه أبو لهب بالسحر فوجم رسول الله صلى

الله عليه وسلم وافترق جميعهم من غير شيء ثم جمعهم ثانية كذلك وانذرهم
ووعظهم فتضاحكوا ولم يخشوا ومن ذلك انه نادى عمه العباس وصفية
عمته وفاطمة ابنته وقال لهم لا اغني عنكم من الله شيئا اني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد في حديث مشهور ومن ذلك انه صعد على الصفا او
ابي قبيس ونادى باعلى صوته واصباحاه فاجتمع الناس اليه من اهل مكة فقال
يا بني فلان يا بني فلان حتى اتى على بطون قريش جميعا فلما تكامل خلق كثير من
كل بطن قال لهم ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد الغارة
عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم فانا لم نجرب عليك كذبا فقال لهم فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد فقال له ابو لهب الهذا جمعتنا تبا لك سائر اليوم
فنزلت تبت يدا ابي لهب السورة والعشيرة قرابة الرجل وهي في الرتبة تحت
الفخذ وفوق الفصيلة وخفض الجناح استعارة معناه لين الكلمة وبسط الوجه
والبر والضمير في عصوك عائد على عشيرته من حيث جمعت رجالا فامره الله تعالى
بالتبري منهم وهذه الاية موادعة نسختها اية السيف **قوله عز وجل** وتوكل
على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم
كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون
ما لا يفعلون ٥ قرا نافع وابن عامر وابو جعفر وشيبة فتوكل بالفاء وكذلك في
مصاحف اهل المدينة والشام وقرا الجمهور بالواو وكذلك في سائر المصاحف وامره
تعالى بالتوكل عليه في كل امره ثم جاء بالصفات التي تونس المتوكل وهي العزة والرحمة
المذكورتان في اواخر قصص الامم المذكورة وهذه السورة وصفها نصر كل نبي
على الكفرة والنقم بامره والظالمين وقوله تعالى الذي يراك عبارة عن الادراك
وظاهر الاية انه اراد قيام الصلاة ويحتمل ان يريد سائر التصرفات وهو تاويل
مجاهد وقتادة وقوله تعالى في الساجدين قيل يريد اهل الصلاة اي صلاتك

مع المصلين قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال مجاهد ايضا يريد تقلبك
عينك وابصارك الساجدين حين تراهم من وراء ظهرك قال ابو محمد
وهذا معنى اجنبي هنا وقال ابن عباس ايضا وقتادة اراد تقلبك في المومنين فعبر
عنهم بالساجدين وقال ابن جبير اراد الانبياء اي تقلبك كما تقلب غيرك من الانبياء
وقوله تعالى قل هل انبئكم معناه قل لهم يا محمد هل اخبركم على من تنزل الشياطين
وهذا استفهام توقيف وتقرير والافاك الكذاب والاثيم الاثم ويريد الكهنة
لانهم كانوا يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التي سمعت من السماء فيخلطون
معها مائة كذبة فاذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالة لمن سمعها وقوله
يلقون يعني الشياطين ومعنى ذلك ان الشيطان المسترق ايضا كان يلقي
الى سامع وهذا في الاكثر ويحتمل الضمير في يلقون ان يكون للكهنة ولما ذكر
الكهنة بافكهم وحالهم التي تنفي عن كلامهم ان يكون كلام الله عقب ذلك بذكر
الشعراء وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام القران اذ قال في القران بعض الكفرة
انه شعر وهذه الكناية هي عن شعراء الجاهلية حكى النقاش عن السدي انها
في ابن الزبعري وابي سفيان بن الحرث وهبيرة بن ابي وهب ومسافع الجمحي وابي
عزة وامية بن ابي الصلت قال ابو محمد الاولان ثم تابا وامنا رضي
الله عنهما ويدخل في الاية كل شاعر مخلط يهجو او يمدح شهوة ويقذف المحصنات
ويقول الزور وقرا نافع وحده يتبعهم بسكون التاء وفتح الباء وهي قراءة ابي عبد الرحمن
والحسن بخلاف عنه وقرا الباقون بشد التاء وكسر الباء واختلف الناس في
قوله الغاوون فقال ابن عباس هم الرواة وقال ابن عباس ايضا هم المستحسنون
لاشعارهم وهم المصاحبون لهم وقال عكرمة هم الرعاع الذين يتبعون
الشاعر ويغنون بانشاده وهذا ارجح الاقوال وقال مجاهد وقتادة الغاوون
الشياطين وقوله تعالى في كل واد يهيمون عبارة عن تخليطهم وخوضهم
في كل فن من غث الكلام وباطله وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن قال ابن

عباس وغيره وقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون ذكر لتعاطيهم
وتعمقهم في مجاز الكلام حتى يؤول الى الكذب ولكن في هذا اللفظ عذر
لبعضهم احيانا فانه يروى ان النعمان بن عدي لما ولاه عمر بن الخطاب ميسان
وقال لزوجته الشعر المشهور عزله عمر فاحتج عليه بقوله تعالى وانهم
يقولون ما لا يفعلون فدرأ عنه عمر الحد في الخمر وروى جابر بن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين
ذكره اسد بن موسى وذكره النقاش **قوله عز وجل** الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون ۝ هذا الاستثناء هو في شعراء الاسلام كحسان بن
ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكل من اتصف بهذه الصفة
وروي عن عطاء بن يسار وغيره ان هؤلاء شق عليهم ما ذكر قبل في الشعراء
وذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الاستثناء بالمدينة وقوله
تعالى وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد في اشعارهم وهو تأويل ابن زيد
ويحتمل ان يريد ان ذلك خلق لهم وعادة قاله ابن عباس وهذا كما قال
لبيد حين طلب منه شعر ان الله ابدلني بالشعر القرآن خيرا منه وكل شاعر
في الاسلام يهجو او يمدح من غير حق ويقذف ولا يرتدع عن قول دنيء فهم داخلون
في هذه الاية وكل تقي منهم يكثر من الزهد ويمسك عن كل ما يعاب فهو
داخل في الاستثناء وقوله تعالى وانتصروا اشارة الى ما قاله الشعراء على
وغيره في قريش قال قتادة وفي بعض القراءة وانتصروا بمثل ما ظلموا وباقي
الاية وعيد للظلمة كفار مكة وتهديد لهم وعما ينقلبون وإلى ما حره
انتهى تفسير سورة الشعرا والحمد لله رب العالمين ۝
بسم الله الرحمن الرحيم **تفسير سورة النمل**
هذه السورة مكية **قوله عز وجل** طس تلك ايات القرآن

وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة
هم الاخسرون ۝ تقدم القول في الحروف المقطعة في اوائل السور وكل
الاقوال مرتبة هاهنا وعلى القول بانها حروف من اسماء الله تعالى فالاسماء
هنا لطيف وسميع وكونها اشارة الى نوع حروف المعجم ابين الاقوال
وعطف الكتاب على القرآن وهما لمسمى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين
فالقرآن لانه اجتمع والكتاب لانه يكتب وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين
بالرفع وقوله هدى وبشرى يحتمل ان يكون في موضع نصب على المصدر
ويحتمل ان يكون في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره ذلك هدى
وبشرى ثم وصف تعالى المؤمنين بالاوصاف اللائقة بهم واقامة الصلاة
ادامتها واداؤها على وجهها والزكاة هنا يحتمل ان تكون غير المفروضة
لان السورة مكية قديمة ويحتمل ان تكون المفروضة من غير تفسير وقيل
الزكاة هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الاخلاق وتكرار
الضمير في قوله وهم بالآخرة هم يوقنون للتأكيد ثم ذكر تعالى الكفرة الذين
لا يؤمنون بالبعث والاشارة الى قريش وقوله زينا لهم اعمالهم يحتمل ان
يريد ان الله تعالى جعل عقابهم على كفرهم ان حتم عليهم الكفر وحبب اليهم
الشرك وزينه بان خلقه واخترعه في نفوسهم ومع ذلك اكتسابهم وحرصهم
وهذا على ان تكون الاعمال المزينة كفرهم وطغيانهم ويحتمل ان الاعمال
المزينة هي الشريعة التي كان الواجب ان تكون اعمالهم فاخبر الله تعالى على جهة
الذكر لنقصهم انه بفضله ونعمته زين الدين وبينه ورسم الاعمال والتوحيد
لكن هؤلاء يعمهون ويفرطون والعمه الحيرة والتردد في الضلال ثم توعدهم
تعالى بسوء العذاب فمن ناله منه شيء في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ومن لم يناله

عذابُ الدنيا كان سُوءُ عذابهم في موته وفيما بعده والاخسرون جمع
أخسر لان افعل صفة لا تجمع إلا ان تضاف فتقوى رتبته في الاسماء وفي هذا
نظر **قوله عز وجل** وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم إذ قال
موسى لاهله إني انست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى
انه انا الله العزيز الحكيم ۵ تلقى تفعل مضاعف لقي يلقى ومعناه تعطي كما قال
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال الحسن المعنى انك لتعقل القران قال ابو محمد
ولا شك انه يعقل عليه بفضل الله ويعلمه ويقبله صلى الله عليه وسلم وهذه الاية
رد على كفار قريش في قولهم ان القران من تلقاء محمد بن عبد الله ومن لدن معناه
من عنده ومن جهته والحكيم ذو الحكمة في معرفته حيث جعل رسالاته وفي غير
ذلك لا اله الا هو ثم قص تعالى خبر موسى والتقدير اذكر إذ قال موسى وكان
من امر موسى عليه السلام انه حين خرج بزوجته بنت شعيب عليه السلام يريد مصر
وقد ضربه بنوءه مستوا في ليلة ظلماء ذات برد ومطر ففقدوا النار ومسهم البرد
واستدت عليهم الظلمة وظلوا الطريق واصلد زناد موسى عليه السلام فبينا
هو في هذه الحاله إذ راى على بعد واسنت معناه رايت ومنه قول بن نابت
:: انظر خليلي بباب جلق هل تونس دون البلقاء من أحد :: فلما راى
موسى ذلك قال لاهله ما في الاية ومشى نحوها فلما دنا راى النار في شجرة سمر
خضراء وهي لا تحرقها وكلما قرب هو منها بعدت هي منه وكان ذلك نورا من نور الله
عز وجل ولم يكن نارا في نفسه لكن ظنه موسى نارا فناداه الله عز وجل عند
ذلك وسمع موسى عليه السلام النداء من جهة الشجرة واسمعه الله تعالى كلامه والخبر
الذي رجاه موسى هو الاعلام بالطريق وقوله شهاب قبس شبه النار التي
توجد في طرف عود او غيره بالشهاب ثم خصصه بانه مما اقتبس اذ الشهب
قد تكون من غير اقتباس والقبس اسم لقطعة النار تقتبس في عود او غيره

كما القبض اسم ما يقبض ومنه قول ابي زبيد
:: في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس :: ومنه قول الاخر
:: من شاء من نار الجحيم اقتبسا :: واصل الشهاب الكوكب المنقض
في اثر مسترق السمع وكل ما يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه وقال
الزجاج كل ابيض ذي نور فهو شهاب وكلامه معترض والقبس يحتمل ان يكون
اسما غير صفة ويحتمل ان يكون صفة فعلى كونه اسما غير صفة اضاف اليه
بمعنى شهاب اقتبسته او اقتبسه وعلى كونه صفة يكون ذلك كاضافة الدار الى
الاخرة والصلاة الى الاولى وغير ذلك وقرا الجمهور باضافة شهاب الى قبس وهي
قراءة الحسن واهل المدينة ومكة والشام وقرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب
قبس بتنوين شهاب فهذا على الصفة ويجوز ان يكون القبس مصدر قبس يقبس
كما الحلب مصدر حلب يحلب وقال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في
القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب حكاه ابو علي وتصطلون معناه
تستدفئون من البرد والضمير في جاءها للنار التي رآها موسى وقوله
ان بورك يحتمل ان تكون ان مفسرة ويحتمل ان تكون في موضع نصب على تقدير
بان بورك ويحتمل ان تكون في موضع رفع على تقدير نودي انه قاله الزجاج
وقوله بورك معناه قدس وضوعف خيره ونمي والبركة مختصة بالخير ومن
هذا قول ابي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بورك الميت الغريب كما بورك
نبع الرمان والزيتون وبارك متعد بغير حرف تقول العرب باركك الله وقوله
من في النار اضطرب المتاولون فيه فقال بن عباس وبن جبير والحسن وغيرهم
اراد عز وجل نفسه وعبر بعضهم في هذا القول عبارات مردودة شنيعة
وقال بن عباس اراد النور وقال الحسن وبن عباس اراد من حولها الملائكة
وموسى قال ابو محمد فاما قول الحسن وغيره فانما يتخرج على حذف
مضاف بمعنى بورك من قدرته وسلطانه في النار والمعنى في النار على ذلك وما

حيث وأما القول بان من للنور فهذا على ان يعبر عن النور بمن من حيث
كان من نور الله ويحتمل ان تكون من للملائكة لان ذلك النور الذي حسبه
موسى نارا لم تخل من ملائكة ومن حولها تكون لموسى وللملائكة المطيفين
بها وقرأ ابي بن كعب ان بوركت النار ومن حولها هذا حكى ابو حاتم وحكى ابن
جني انه قرأ بوركت النار ومن حولها وحكى ابو عمرو الداني انه قرأ ومن حولها
من الملائكة قال وكذلك قرا ابن عباس ومجاهد وعكرمه وقوله تعالى
وسبحان الله رب العالمين يحتمل ان يكون مما قيل في النداء لموسى ويحتمل
ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اعتراضا من الكلامين والمقصد به
على كلا الوجهين تنزيه الله تعالى مما عسى ان يخطر ببال في معنى النداء من التحيز
وكون قدرته وسلطانه في النار وعوذ من عليه اي هو منزه في جميع هذه
الحالات عن التشبيه والتكييف قال الثعلبي واما الامر كما روي ان في التوراة
جاء الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من فاران المعنى ظهرت اوامره
بانبيائه في هذه الجهات وفاران جبال مكة وباقي الايه ظاهر انه الله تعالى
والضمير في انه للامر والشان قال الطبري وبينهما اهل الكوفة المجهول له
والنسبة لصفاته من العزة اي لا خوف معي والحكمة اي لا نقص في افعالي
قوله عز وجل والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا
ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في
تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ه امر الله عز وجل
هذين الامرين تدريبا له في استعمالها وفي الكلام حذف تقديره فالقى العصى فلما
راها تهتز واما ل راها بعض القراء والجان الحيات لانها تجن نفسها اي
تسترها وقالت فرقة الجان صغار الحيات وعصى موسى صارت حية ثعبانا
وهو العظيم فانما شبهت بالجان في سرعة الاضطراب لان الصغار اكثر

حركة من الكبار وعلى كل قول فان الله تعالى خلق في العصا حياة وغير
اوصافها واعراضها فصارت حية وقرا الحسن والزهري وعمرو بن عبيد
جان بالهمز فلما ابصر موسى عليه السلام هول ذلك المنظر ولى فارا قال
مجاهد ولم يرجع وقال قتادة ولم يلتفت قال ابو محمد وعقب الرجل
اذا ولى عن امر ثم صرف بدنه او وجهه اليه كانه انصرف على عقبه وناداه
الله تعالى مؤنسا ومقويا على الامر يا موسى لا تخف فاني رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة
لا يخافون عندي ومعي فاخذها موسى الحية ورجعت عصى ثم صارت له عادة
واختلف الناس في الاستثناء في قوله تعالى الا من ظلم فقال مقاتل وغيره الاستثناء
متصل وهو من الانبياء وروي الحسن ان الله تعالى قال لموسى اخفتك بقتلك
النفس وقال الحسن ايضا كانت الانبياء تذنب فتعاقب ثم تذنب والله فتعاقب
وكيف بنا وقال ابن جريج لا تخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه
اخافه حتى ياخذه منه قال جماعة من العلماء لم يعر احد من البشر من ذنب الا
ما روي عن يحيى بن زكريا عليه السلام قال ابو محمد واجمع العلماء ان الانبياء
عليهم السلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل واختلف
فيما عدا هذا فعسى ان يشير الحسن وابن جريج الى ما عدا ذلك وفي الاية على هذا
التاويل حذف اقتضى الايجاز والفصاحة ترك نصه تقديره فمن ظلم ثم بدل
وقال الفراء وجماعة الاستثناء منقطع وهو اخبار عن غير الانبياء كانه قال لكن
من ظلم من الناس ثم تاب فاني غفور رحيم وقالت فرقة الا بمعنى الواو قال
ابو محمد وهذا قول لا وجه له وقرا ابو جعفر بن القعقاع وزيد بن اسلم الا من
ظلم على الاستفتاح وقوله ثم بدل حسنا معناه عملا صالحا مقترنا بتوبة وهذه
الاية تقتضي حتم المغفرة للتائب واجمع الناس على ذلك في التوبة من الشرك واهل
السنة في التائب من المعاصي على انه في المشيئة كالمصر لكن يغلب الرجاء على
التائب والخوف على المصر وقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه

[illegible]

للقائلين قال أبو محمد وذلك مردود من لفظ الآية لأن بعضها من
البرص وغيره كان تذهب فائدته إذ البرص يعتري الناس وما دونه
كذلك على ما ذكرناه فما فائدة التفصيل في الآية وهذا احتجاج لازم فتأمله
وروي عن أبي عمرو أنه قرأ حسنا بعد سوء بفتح الحاء والسين وهي قراءة مجاهد
وابن أبي ليلى وقرأ محمد بن عيسى الأصبهاني حسنى مثل فعلى ثم أمر تعالى موسى أن
يدخل يده في جيب جبته لأنها لم تكن لها كم فيما قال ابن عباس وقال مجاهد
كانت مدرعة صوف إلى بعض يده والجيب الفتح في الثوب لرأس الإنسان وروي
أن يد موسى عليه السلام كانت تخرج تتلألأ كأنها قطعة نور ومعنى إدخال اليد
في الجيب ضم الآية إلى موسى وإظهار تلبسها به لأن المعجزات من شروطها
أن يكون لها اتصال بالآتي بها وقوله من غير سوء أي من غير برص ولا علة وإنما
هي آية تجيء وتذهب وقوله في تسع آيات متصل بقوله ألق وأدخل وفيه اقتضاب
وحذف تقديره نمهد ونيسر ذلك لك في جملة تسع آيات وهي العصا واليد
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب وفي هذين
الأخيرين اختلاف والمعنى تجيء بهن إلى فرعون وقومه **قوله عز وجل** فلما
جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ه الضمير في قوله جاءتهم لفرعون
وقومه ومبصرة معناه معها الإبصار والوضوح وهذا على حد قولهم نهار
صائم وليل قائم وقرأ قتادة وعلي بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد
وظاهر قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم حصول الكفر عنادا
وهي مسألة قولين هل يجوز أن يقع أم لا فجوزت ذلك فرقة وقالت يجوز
أن يكون الرجل عارفا إلا أنه يجحد عنادا ويموت على معرفته وجحوده فهو
بذلك في حكم الكافر المخلد قالوا وهذا حكم إبليس وحكم حيي بن أخطب
وأخيه حسب ما روي عنهما قال أبو محمد وإن عورض هذا المثال فرض

إنسان ويجوز ذلك فيه وقالت فرقة لا يصح لوجهين أحدهما أن هذا
لا يجوز وقوعه من عاقل والوجه الآخر أن المعرفة تقتضي أن تحل في
القلب وذلك إيمان وحكم الكفر لا يلحقه إلا بأن يحل في القلب فهو لا
يصح اجتماع الضدين في محل قالوا ويشبه في هذا العارف الجاحد أن يسلب
عند الموافاة تلك المعرفة ويحل بدلها الكذب قال أبو محمد والذي
تظهر عندي في هذه الآية وكل ما جرى مجراها أن هؤلاء الكفرة كانوا إذا
نظروا في آيات موسى عليه السلام أعطتهم عقولهم أنها ليست تحت قدرة
البشر وحصل لهم اليقين أنها من عند الله فيغلبهم أثناء ذلك الحسد ويتمسكون
بالظنون في أنه سحر وغير ذلك مما يختلج في الظن بحسب كل آية ويلجون
في عماههم فيضطرب ذلك اليقين ويدفعونه بكل حيلة من التخييل لربوبية
فرعون وغير ذلك حتى سلب ذلك اليقين أو بقي وهم كذلك مضطرب حكمه
حكم المسلوب في وجوب عذابهم وظلما معناه على غير استحقاق للجحد والعلو
في الأرض أعظم آفة على طالبه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ثم عجبه تعالى من عاقبة المفسدين قوم فرعون
وسوء منقلبهم حين غرقوا وفي هذا تمثيل لقريش إذ كانوا مفسدين
مستعلين وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش ظلما وعليا وحكى أبو عمرو الداني عنهم
وعن أبان بن تغلب أنهم كسروا العين من عليا **قوله عز وجل** ولقد آتينا
داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء
إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون ه هذا ابتداء قصص فيه غيوب وعبر وليس بمثال لقريش
وداود من بني إسرائيل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة
بمعنى صار إليه بعد موت أبيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلماء ورثة

الأنبيا وحقيقة الميراث في المال والانبيا لا تورث أموالهم لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انا معشر الانبيا لا نورث ما تركنا فهو صدقة ويحتمل قوله
عليه السلام إنا معشر الانبيا لا نورث ان يريد به ان ذلك من فعل الانبيا وسيرتهم
وان فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه وهذا كما تقول انا
معشر المسلمين انما شغلنا العبادة فالمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكى
سيبويه انا معشر العرب أقرى الناس لضيف وقوله علمنا منطق الطير اخبار
بنعمة الله تعالى عليهما في ان فهمهما من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها وهذا
نحو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصوات الحجارة بالسلام وسليمان عليه
السلام حكى عن البلبل انه قال اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا لاكثر من
هذا النوع وقال قتادة والشعبي وغيره انما كان هذا الامر في الطير خاصة
والنملة طاير إذ توجد له الاجنحة قال الشعبي وكذلك كانت هذه النملة
ذات جناحين وقالت فرقة بل كان في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان
جندا من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث في الامور فخص
لكثرة مداخلته ولان امر ساير الحيوان نادر وغير متردد ترداد امر الطير
والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين
لئلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت إذا قسمت بقطعتين وياكل في عامه
نصف ما جمع ويستبقي ساير عدته وقوله واوتينا من كل شي معناه يصلح
لنا ونتمناه وليست على العموم ثم ردد شكر فضل الله تعالى ثم قص تعالى حال
سليمان فقال وحشر لسليمان اي جمع واختلف الناس في مقدار جند سليمان
عليه السلام اختلافا شديدا لم ار ذكره لعدم صحة التحديد غير ان الصحيح
ان ملكه كان عظيما ملا الارض وانقادت له المعمورة كلها وكان كرسيه
يحمل اجناده من الانس والجن وكانت الطير تظله من الشمس في الاجواد وكان
له في الكرسي الاعظم موضع يخصه ويوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم

ويكفون قال قتادة كان لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم من
الكرسي ومن الارض إذا مشوا فيها ورب وقت كان يسير فيه في الارض
ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضا البصرة لابد للحاكم من وزعة ومنه
قول ابي قحافة حين وصفت له الجارية في يوم الفتح الهازي سوادا امامه
فارس قد تقدم من الصف فقال لها ذلك الوازع ومنه قول الشاعر
على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع

قوله تعالى حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم
ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ٥
ظاهر هذه الاية ان سليمان وجنوده كانوا مشاة في ذلك ولذلك يتفق
حطم النمل ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح واحست النمل بنزولهم
في وادي النمل وامال ابو عمرو الواو من وادي والجمهور فخموا وبالامالة قرا
ابن ابي اسحق وقرا المعتمر بن سليمان عن ابيه النمل بضم الميم كالسمر وقالت
نملة بالضم ايضا كسمرة وروي عنه ضم النون والميم من النمل وقال نوف
البكالي كانت نمل النمل على قدر الذباب وقالت فرقة بل كانت صغارا قال ابو
محمد والذي يقال في هذا النمل ان النمل كانت يشبهها من ذلك الخلق بسبب هذا
النمل شيا فيحتمل ان كان الخلق كله اجمل وهذه النملة قالت هذا المعنى الذكي
تصلح له الا هذه العبارة قولا فهمه عنها النمل فسمعها سليمان على بعد وجاءت
المخاطبة كمن يعقل لانها امرتهم بما يومر به من يعقل وروي انه كان على ثلاثة
اميال فتبسم من قولها والتبسم ضحك الانبيا وغالب امرهم لا يليق بهم سواه
وكان تبسمه سرورا واختلف بم كان فقالت فرقة بنعمة الله في اسماعه
وتفهيمه ونحو ذلك وقالت فرقة بثنا النملة عليه وعلى جنوده في انه نفى عنهم

تحطم القسي من العقل فجعلت الحطم وهم لا يشعرون وقرا شهر بن حوشب
مسكنكم بسكون السين على الافراد وفي مصحف ابي مساكنكن وضاحكا
نصب على الحال وقرا محمد بن السميفع ضحكا وهو نصب على المصدر اما تبسم
على مذهب المبرد إذ هو في معنى ضحك واما بتقدير ضحك على مذهب سيبويه
وقرا جمهور القرا لا يحطمنكم بشد النون وسكون الحا وقرا ابو عمرو في
روايه عبيد لا يحطمنكم بسكون النون وهي قراة ابن ابي اسحق وقرا الحسن
وابو رجا لا يحطمنكم بضم اليا وفتح الحا وكسر الطا وشدها وشد النون وعنه
ايضا يحطمنكم بفتح اليا وكسر الحا والطا وشدها وقرا الاعمش وطلحة لا يحطمكم
مخففه بغير نون وفي مصحف ابي بن كعب لا يحطمنكن مخففه النون التي قبل
الكاف ثم دعا سليمان عليه السلام الى ربه في ان يعينه الله تعالى ويغريه لشكر
نعمته وهذا هو معنى ايزاع الشكر وباقي الايه بين قوله عز وجل وتفقد
الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا
او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به
وجيتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها
عرش عظيم ۝ اختلف الناس في معنى تفقده الطير فقالت فرقة ذلك بحسب
ما تقتضيه العنايه بامور الملك والتهمم بكل جزء منها قال ابو محمد
وهذا ظاهر الايه في انه تفقد جميع الطير وقالت فرقه تفقد الطير لان الشمس
دخلت من موضع الهدهد فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من اين
دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام إنما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة
الما على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازه عدم فيها الما وان
الهدهد كان يرى باطن الارض وظاهرها كانت تنشف له فيخبر سليمان
بموضع الما ثم كانت الجن تخرجه في ساعه يسيره تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ
شاه قاله ابن عباس فيما روي عن ابن سلام وغيره وقال في كتاب النقاش كان

الهدهد مهندسا وروي ان نافع بن الازرق سمع ابن عباس يقول هذا
فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض وهو لا يرى الفخ حين يقع
فيه فقال له ابن عباس اذا جا القدر عمي البصر وقال وهب بن منبه كان الطير
ينتاب سليمان كل يوم من كل نوع واحد نوبه معهوده ففقد الهدهد وقوله
ما لي لا ارى إنما مقصد الكلام الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو
ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز
والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام ثم توعده
عليه السلام بالعذاب وروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه للطير
كان بان ينتف قال ابن جريج ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه وروي
ابن وهب انه بان ينتف اجمع ويبقى بنصفه تمرو والسلطان الحجه حيث وقع
في القران قاله عكرمه عن ابن عباس وقرا ابن كثير وحده ليأتينني بنونين وفعل
سليمان عليه السلام هذا بالهدهد اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته
ورتبته وقرا جمهور القرا فمكث بضم الكاف وقرا عاصم وحده فمكث بفتحها
ومعناه في القراتين اقام والفصيح في الكاف الضم لانها لغة القران في قوله ماكثين
إذ هو من مكث بفتح الكاف ولو كان من مكث بضم الكاف لكان جمعه مكيث والضمير
في مكث يحتمل ان يكون لسليمان او للهدهد وفي قراة ابن مسعود فتمكث ثم جا
فقال وفي قراة ابي بن كعب فتمكث ثم قال احطت وقوله غير بعيد [illegible]
الجمهور يريد به في الزمن والمدة وقوله احطت اي علمت علما ليس في
علمك واختلف القرا في سبا فقرا جمهور القرا سبا بالصرف وقرا ابن كثير وابو
عمرو سبا بفتح الهمزة وترك الصرف وقرا الاعمش من سبا بالكسر وترك الصرف
وروي ابن حبيب عن اليزيدي سبا بالف ساكنه وقرا قنبل عن النبال بسكون
الهمزة فالاول على انه اسم رجل وعليه قول الشاعر
۝ الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ۝ وقول

الاخر من سبا الحاضرين بمارب وهذا على انها قبله والثانيه على انه اسم
بلد قاله الحسن وقتاده وعلى القولين قد قيل ولكن روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حديث فروه بن مسيك وغيره انه اسم رجل ولد
عشره من الولد تيامن منهم سته وتشام اربعه وخفي هذا الحديث على
الزجاج فخبط عشوا والثالثه على البنا والرابعه والخامسه لتوالي الحركات
السبع فسكن تخفيفا للتثقيل في توالي الحركات وهذه القراه لا تنبني على
الاول بل هي اما على الثانيه او الثالثه وقرات فرقه بنبا وقرات فرقه دون
تنوين على الاضافه وقرات فرقه بسبا بالالف مقصوره وقوله اوتيت من كل
شي العزاي مما تحتاجه المملكه قال الحسن من كل امر الدنيا ووصف عرشها
بالعظم في الهيئه ورتبه السلطان وروي عن نافع الوقف على عرش فعظيم على هذا
متعلق بما بعده وهذه المراه هي بلقيس بنت شراحيل فيما قال بعضهم وقيل بنت
الشرح وقيل كانت امها جنيه واكثر بعض الناس في قصصها بما رايت اختصاره
لعدم صحته وانما اللازم من الايه انها امراه ملكه على مدائن اليمن ذات ملك
عظيم وكانت كافره من قوم كفار **قوله عز وجل** وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر
اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما
ذا يرجعون ٥ كانت هذه الامه امه تعبد الشمس لانهم كانوا زنادقه فيما روي
وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وقوله الا يسجدوا الى قوله العظيم
ظاهره انه من قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن اسحق ويعترض بانه غير
مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى اعتراضا بين
الكلامين وهو الثابت مع التامل وقراءة التشديد في الا تعطي ان الكلام للهدهد

وقراءة التخفيف تمنعه وتقوي الآخر حتى تامل ان شا الله وقرا الجمهور
الا يسجدوا فان في موضع نصب على البدل من اعمالهم او في موضع خفض على
البدل من السبيل او يكون الكلام بتقدير لان لا يسجدوا فان متعلقه اما بزين
واما بصدهم واللام الداخله على ان داخله على مفعول له وقرا ابن عباس وابو
جعفر والزهري وابو عبد الرحمن والحسن والكسائي وحميد الا على جهة
الاستفتاح ووقف الكسائي من هذه الفرقه على يا ثم يبتدي اسجدوا واحتج الكسائي
بقراءة هي بانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه موضع سجده وكذلك ابو
محمد وهذه القراه تقدر فيها الندا والمنادي محذوف تقديره ان حملناه
اعتراضا يا هولا وعلى موضع سجده وان حملناه من كلام الهدهد يا قوم
الا اعقلا ونحو هذا ومنه قول الشاعر
الا يا اسلمي يا دارمي على البلا ولا زال منهلا بجرعائك القطر ونحوه قول
الاخطل الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وان كان حيانا عدا آخر الدهر
ومنه قول الآخر فقالت الا يا اسمع اعظك بخطه فقلت سمعنا فانطقي واصيبي
ويحتمل قراءه من شدد الا ان يجعلها بمعنى التحضيض ويقدر بعدها الندا بعدها
وتجي في الكلام اضمار كثير ولكنه متوجه وسقطت الالف كما هنت بعسى
ويعوم وقرا الاعمش هلا تسجدون وفي حرف عبد الله الا هل تسجدون بالنا
وفي قراءه ابي الا تسجدوا بالنا ايضا والخب الخفي من الامور وهو من خبات
الشي وخب السما مطرها وخب الارض كنوزها ونباتها واللفظ بعد هذا
تعم كل خفي من الامور وبه فسر ابن عباس وقرا جمهور الناس الخب بسكون
الخا والهمز وقرا ابي بن كعب الخب بفتح البا وترك الهمز وقرا عكرمه الخبا
بالف مقصوره وحكى سيبويه ان بعض العرب يقلب الهمزه اذا كانت
مفتوحه وقبلها ساكن يقلبها الفا واذا كانت مضمومه وقبلها ساكن قلبها
واوا واذا كانت مكسوره قلبها يا ومثل سيبويه في ذلك الوثي والوثو والوثا

وكذلك في الخبء وحال النصب وتقول اطلعت على الخبي وقرأ ابي الخبو
وقرا جمهور القرا يخفون وتعلنون بالتا قال ابو محمد وهذه
القراه تعطي ان الاية من كلام الهدهد وقرا الكسائي وعاصم في رواية حفص
تخفون وما تعلنون بتا الخطاب وهذه القراه تعطي ان الاية من خطاب
الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم وفي مصحف ابي بن كعب الا تسجدوا
لله الذي يخرج الخبء من السموات والارض ويعلم سركم وما تعلنون
وخص العرش بالذكر في قوله رب العرش لانه اعظم المخلوقات وما عداه
في ضمنه وقصته ثم ان سليمان عليه السلام اخر امر الهدهد الى ان يتبين له حقه
من باطله فتوقفه بالنظر في ذلك وامر بكتاب فكتب وحمله اياه وامره بالقايه
الى القوم والتولي بعد ذلك وقال وهب بن منبه امره بالتولي حسن ادب
ليتنحى حسب ما يتادب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم
وقال ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه اي القه وارجع قال وقوله
فانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على قوله ثم تول قال ابو محمد
واستاق رتبة الكلام اظهر اي القه ثم تول وفي خلال ذلك فانظر وانما
اراد ان يكل الامر الى حكم ما في الكتاب دون ان تكون للرسول ملازمة
ولا الحاح وقرا نافع فالقه بكسر الها وفرقه فالقه بضمها وقرا ابن كثير وابن
عامر والكسائي باشباع ياء بعد الكسرة في الهاء وروي عنه ورش ياء بعدها
في الوصل وقرا قوم باشباع واو بعد الضمة وقرا اليزيدي عن ابي عمرو وعاصم
وحمزة فالقه بسكون الهاء وروي عن وهب بن منبه في قصص هذه الاية
ان الهدهد وصل فالقى دون هذه الملكة حجب جدرات فعمد الى كوة كانت
بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها
ورمى الكتاب على بلقيس وهي فيما يروى نائمة فلما انتبهت وجدته فراعها
وظنت انه قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت الى
الكوة تهمما بامر الشمس فرات الهدهد فعلمت امره ثم جمعت اهل ملكها

قال يا ايها الملاء **قوله عز وجل** وعليه قومها فخاطبتهم بما ياتي بعد
اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا
علي واتوني مسلمين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين قالت ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول تقديره فالقى الكتاب وقراته
وجمعت له اهل ملكها والملا اشراف الناس الذين يتولون اسباب الجمع ووصفت
الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا
لسليمان وهذا قول ابن زيد واما انها اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كرم الكتاب ختمه واما ان ارادت
انه بدا باسم الله تعالى وكريم ضد اجذم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل كلام لم يبدا ببسم الله فهو اجذم ثم احدث نصف لهم ما في الكتاب فيحتمل
اللفظ انه نص الكتاب بوجيز البلغا وكذلك كتب الانبيا قدم فيه العنوان
وهي عادة الناس على وجه الدهر ثم سمى الله تعالى ثم امرهم بان لا يعلوا عليه طغيانا
وهذا وان يابوه مسلمين ويحتمل انها قصدت الى اقتضاب معانيه دون ان تنبئ علمهم
انه من سليمان وان معنى ما فيه كذا وكذا وقرا ابي وانه بسم الله بفتح الهمزة وتخفيف
النون وحذف الهاء وقرا ابن ابي عبلة انه من وانه بفتح الهمزة فيهما وفي قراءة عبد
الله وانه من سليمان بزيادة واو وبسم الله الرحمن الرحيم استفتاح شريف بارع
المعنى معبر عنه بكل لغة وفي كل شرع وان في قوله ان لا تعلوا يحتمل ان تكون رفعا
على البدل من كتاب او نصبا على معنى بان لا تعلوا او مفسرة بمنزلة اي قاله سيبويه
وقرا وهب بن منبه ان تغلوا بالغين منقوطة قال ابو الفتح رواها وهب عن ابن
عباس وهي قراءة الاشهب العقيلي ذكرها الثعلبي ثم احدث في حسن الادب مع رجالها
ومشاورتهم في امرها واعلمتهم ان ذلك عندها في كل امر يعرض بقولها وهذه النازلة

الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والباس والراي وذلك
مبذول لك فقالتى ان شيت ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من
الجميع وفي قراءة عبد الله بالكاف فاقضيه امرا الضاد من القضا وذكر مجاهد في
عدد اجنادها انها كان لها اثنا عشر الف قيل تحت يد كل واحد منهم مائة الف
قال ابو محمد وهذا ضعيف وذكر غيره نحوه فاختصرته لبعد الصحة عنه ثم اخبرت
بلقيس عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي الكلام خوف على قومها
وحيطة لهم واستعظام لامر سليمان عليه السلام وقالت فرقة ان وكذلك يفعلون
هو من قول بلقيس تاكيدا منها للمعنى الذي ارادته وقال ابن عباس هو من قول الله
تعالى معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به **قوله عز وجل** واني
مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جا سليمان قال اتمدونني
بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ٥ روي ان بلقيس
قالت لقومها اني اجرب هذا الرجل بهدية اعطيه فيها نفائس الاموال واغرب
عليه بامور المملكة فان كان ملكا دنيا ويا ارضاه المال فعملنا معه بحسب
ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين فينبغي ان نؤمن به
ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة اكثر بعض الناس في تفصيلها فرات اختصار
ذلك لعدم صحته واختصرت منه مما روي انها بعثت قدحا فقالت املاه لي ماء ليس
من الارض ولا من السما وبعثت درة مثقوبة ثقبا محلزنا وقالت يدخل سلكها دون
ان يقربها انس ولا جان وبعثت اخرى غير مثقوبة وقالت تثقب هذه غير الانس
والجن فملا سليمان عليه السلام القدح من عرق الخيل وادخل السلك دودة وثقبت
الارضة ثانيا وراجع سليمان مع رد الهدية بما في الاية وعبر عن المرسل نحا
بقوله ارجع لما اراد به الرسول الذي يقع على الجمع والافراد والتانيث والتذكير
وقرا ابن مسعود فلما جاوا سليمان وقرا ارجعوا وتوعد سليمان لهم يقترن بدوام هم

على الكفر وذكر مجاهد انها بعثت وهديتها بعدد كثير من العبيد من غلام وجارية
وجعلت زيهم واحدا وجربته في التفريق بينهم قال ابو محمد وهذا ليس
بتجربة في مثل الامر الخطير وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو اتمدونني بنونين ويا
في الوصل وقرا ابن عامر وعاصم والكسائي اتمدونن بغير يا في وقف ووصل وقرا
حمزة اتمدوني بشد النون واثبات اليا وقرا عاصم فما اتان بكسر النون دون
يا وقرات فرقة اتاني بيا ساكنة وقرا ابو عمرو ونافع اتاني بيا مفتوحة وتوعدهم
بالجنود والغلبة والاخراج اذلا والمعنى ان لم يسلموا وقرا عبد الله لا قبل لهم
بهم على جمع ضمير الجنود ولا قبل معناه لا طاقة ولا مقاومة **قوله عز وجل**
قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا
اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلوني اشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم
٥ القايل سليمن عليه السلام والملا المنادى جمعه من الانس والجن واختلف
المتاولون في غرضه في استدعا عرشها فقال قتادة ذكر له بعظم وجودة فاراد
اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي اموالهم والاسلام على هذا التاويل
الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند
الله وليغرب عليها ومسلمين في هذا التاويل بمعنى مستسلمين وذكره مكي في العبارة
لا تاتي لاستسلامهم في غرض سليمن ويحتمل ان يكون بمعنى الاستسلام وظاهر
الايات ان هذه المقالة من سليمن عليه السلم هي بعد مجي هديتها وردها اياها وقد
بعث الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المفسرين وحكى الطبري عن ابن عباس
انه قال هذه المقالة هي ابتدا النظر وصدق الهدهد من كذبه لما قال له ولها عرش
عظيم قال سليمن ايكم ياتيني بعرشها ثم وقع في ترتيب القصص تقديم وتاخير
قال ابو محمد والقول الاول اصح وروي ان عرشها كان من فضة وذهب

مرصعا باليواقيت والجوهر وانه كان في جوفه سبعة ابيات عليه سبعة
اغلاق وقرا الجمهور قال عفريت وقرا ابو رجاء وعيسى الثقفي قال عفرية
ورويت عن ابي بكر الصديق وقرات فرقة قال عِفرٌ بكسر العين وكل
ذلك لغات فيه وهو من الشياطين القوي المارد والتاء في عفريت زائدة
وقد قالوا تعفرت الرجل اذا تخلق بخلق الاذاية قال وهب بن منبه اسم
هذا العفريت كوذي وروي عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول
ذي الرمة ٭ كانه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب ٭
وقوله قبل ان تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة ووهب بن منبه معناه قبل
قيامك من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى وقت الظهر في كل يوم وقيل
معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما وقوله الذي عنده علم من الكتاب قبل
ان يرتد اليك طرفك قال ابن جريج وقتادة معناه قبل ان يصل اليك من يقع
طرفك عليه في ابعد ما ترى وقال مجاهد معناه قبل ان تحتاج الى التغميض اي
مدة ما يمكنك ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال ابو محمد
وهذان القولان يقابلان قول من قال ان القيام هو من مجلس الحكم ومن
قال ان القيام هو من الجلوس فيقول في ارتداد الطرف هو ان يطرف اي قبل
ان تغمض عينيك وتفتحهما وذلك ان الثاني يتعاطى الاقصر في المدة ولا بد وقوله
لقوي امين معناه قوي على حمله امين على ما فيه ويروى ان بلقيس لما فصلت من
بلدها متوجهة الى سليمان تركت العرش تحت اقفال وثقات حصن فلما علم
سليمان اقبالها اراد ان يغرب عليها بان يحضر عرشها عنده ليستدل بها ان
ملكه لا يضاهيها فاستدعا سوقه فدعا الذي عنده علم من التوراة وهو الكتاب
المشار اليه باسم الله الاعظم الذي كانت في ذلك الزمان ان لا يدعو به احد
الا اجيب فشقت الارض بذلك العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام
وقيل بل جيء به في الهواء قاله مجاهد وكان بين سليمان وبين العرش كما بين

الكوفة والحيرة وحكى الرماني ان العرش حمل من مارب الى الشام في قدر
رجع البصر قال ابو محمد وهي مسيرة شهرين للمجد وقول مجاهد اشهر
وروي ان الجن كانت تخبر سليمان بمناقل سيرها فلما قربت قال ايكم يأتيني
بعرشها واختلف المفسرون في الذي عنده علم من الكتاب من هو فجمهور
الناس على انه رجل صالح من بني اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى
ركعتين ثم قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك فمد بصره نحو اليمن فاذا
بالعرش فما رد سليمان بصره الا وهو عنده وقال قتادة اسمه بليخا وقال
ابرهيم النخعي هو جبريل عليه السلام وقال ابن لهيعة هو الخضر وحكى النقاش
عن جماعة انهم سمعوا انه ضبة ابو حي بني ضبة من العرب قالوا وكان
رجلا فاضلا يخدم سليمان كان على قطعة من خيله قال ابو محمد وهذا قول
ضعيف وقالت فرقة بل هو سليمان عليه السلام والمخاطبة في هذا التاويل للعفريت
لما قال انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك كان سليمان استبطأ ذلك فقال له
على جهة تحقيره انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واستدل قائل هذا القول
بقول سليمان هذا من فضل ربي واستدل ايضا بهذا اللفظ مناقضة اذ في كلا
الامرين على سليمان فضل من الله تعالى وعلى الاقوال الاول المخاطبة لسليمان آتيك
يحتمل ان يكون فعلا مستقبلا ويحتمل ان يكون اسم فاعل وفي الكلام حذف تقديره
فدعا باسم الله فجاء العرش بقدرة الله فلما رآه سليمان عليه السلام مستقرا عنده جعل
يشكر نعمة ربه بعبارة فيها تعليم الناس وهي عرضة للاقتداء بها والاقتباس منها
وقال ابن عباس المعنى اشكر على السرير وسوقه ام اكفر اذ رأيت من هو دوني
في الدنيا اعلم مني وظهر العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر
ابدا في كل ظرف جاء هنا ظاهرا وليس في كتاب الله مثله وباقي الآية بين
قوله عز وجل قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا
يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها

وكذا سليمن وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين
قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه
صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين ٥ اراد سليمن عليه السلام في هذا التنكير تجربة تمييزها ونظرها
وليزيد في الاعراب عليها وروت فرقة ان الجن احست من سليمان او ظنت به
انه ربما تزوج بلقيس فكرهوا ذلك وطلبوها عنده بانها غير عاقلة ولا مميزة وان
رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير العرش وجرب امر رجلها بامر
الصرح لتكشف عن ساقيها عنده وقرا ابو حيوة ننظر بضم الراء وتنكير العرش
تغييره ووضعه وستر بعضه ونحو هذا وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك
تنكيره بان زيد فيه ونقص منه ويعترض هذا بان من حقها على هذا ان تقول ليس
به وتكون صادقة وقولها كانه هو تحرز فصيح ونحوه قوله عز وجل كانه ولي
حميم وقال الحسن بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو قالوا هذا عرشك
لقالت نعم وفي الكلام حذف تقديره كانه هو وقال سليمن عند ذلك اوتينا العلم
من قبلها الاية وهذا منه على جهة تعديد نعم الله تعالى وانما قال ذلك لما علمت
هي وفهمت ذلك هو نعمة الله عليه وعلى ابائه وقوله تعالى وصدها الاية
يحتمل ان يكون من قول سليمن والصاد ما كانت تعبد ويحتمل ان يكون من قول
الله تعالى اخبارا لمحمد صلى الله عليه وسلم والصاد ما كانت تعبد اي عن الايمان ونحوه
قال الرماني عن التفطن للعرش لان المؤمن يقظ والكافر خبيث او يكون
الصاد سليمان عليه السلام قاله الطبري او يكون الصاد الله عز وجل ولما كان
صدها بمعنى منعها خف وزعلى هذا التاويل بغير حرف جر والاصابة ان لا يتعدى
الا بحرف وقرا جمهور الناس انها كانت بكسر الهمزة وقرا سعيد بن جبير وابن
ابي عبلة انها بفتح الهمزة وهو على تقدير ذلك انها او على البدل من ما قال محمد
بن كعب القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمن الجن فصنعت له صرحا

وهو السطح في الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئ ماء وبث
فيه السمك والضفادع وطبق بالزجاج الابيض الشفاف وبهذا جاء صرحا
والصرح ايضا كل بناء عال وكل هذا من التصريح وهو الاعلان البالغ وجعل لسليمن
في وسطه كرسي فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي الى النبي عليه السلام فرات اللجة
وفزعت وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورات
ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فراى سليمن ساقيها سليمة
مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمن انه صرح
ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد والشجرة المرداء التي لا
ورق عليها والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد وعند ذلك استسلمت
بلقيس واذعنت واسلمت واقرت على نفسها بالظلم فيروى ان سليمن تزوجها
عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب
النقاش تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح في كل شهر مرة
فولدت له غلاما سماه داود مات في حياته وسع طرف وقيل حرف بني على الفتح
واما اذا اسكنت العين فلا خلاف انه حرف جا لمعنى وقرا ابن كثير وحده في رواية
ابي الاخريط عن ساقيها بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة وكذلك يضعف الهمز في قراءة
قنبل كشف عن ساق واما همز السوق وعلى سوقه فلغة مشهورة في همز الواو
التي قبلها ضمة حكى ابو علي ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة وينشد
حب المؤقدان الى مؤسي ووجههما ان الضمة تقدر على الواو
اذ لا حائل بينهما وقرا ابن مسعود عن رجليها وروي ان سليمن لما اراد زوال
شعر ساقيها اشفق من حمل الموسى عليها وقيل انها قالت ما مسني حديد قط فامر الجن
بالتلطف في زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وهذه الامور التي فعلها سليمن
عليه السلام من سوق العرش وعمل الصرح وغير ذلك قصد بها اسعابا تها
والاعراب عليها كما سلكت هي قبل سبيل تلول الدنيا وذلك بان ارسلت

الحواري والغلمان وامرحت في امر الفتح والاذى قوله تعالى
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم
ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون
ه هذه الاية على جهة التمثيل لقريش وان من قوله ان اعبدوا الله يحتمل
ان تكون مفسرة ويحتمل ان تكون في موضع نصب تقديره بان اعبدوا الله
وفريقان يريد بهما من آمن بصالح ومن كفر به واختصامهم تنازعهم وجدالهم
وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الاعراف ثم ان صالحا عليه السلام تلطف
لقومه وترفق بهم في الخطاب فوقفهم على خطائهم في استعجالهم العذاب
قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة وفي ان يكون افراحهم وطلبتهم
بمعصى هلاكهم ثم حضضهم على ما هو ايسر من ذلك واعود بالخير وهو
الايمان وطلب المغفرة ورجاء الرحمة فخاطبوه عند ذلك بقول سفساف
معناه تشاءمنا بك قال المفسرون وكانوا في قحط فجعلوه لذات صالح
واصل الطيرة ما تعارفه اهل الجهل من زجر الطير وتشبث العرب بما
عن بما طار حتى سمي ما يحصل للانسان في ورعه وحظوظه طائرا ومنه قوله
تعالى الزمناه طائره في عنقه وخاطبهم صالح ببيان الحق اي طائركم على
زعمكم وتسميتكم وهو حظكم في الحقيقة من تعذيب او اعفا
هو عند الله وبقضائه وقدرته وانما انتم قوم تختبرون وهذا احد
وجوه الفتنة وقد يمكن ان يريد بل انتم قوم تولعون بشهواتكم وهذا
معنى قد تعورف استعمال لفظ الفتنة فيه ومنه قولك فتن فلان بفلان
وشاهد ذلك كثير قوله تعالى وكان في المدينة تسعة
رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله
ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا

ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين ه ذكر الله تعالى في هذه الاية تسعة رجال كانوا من اوجه
القوم وافتاهم واغناهم وكانوا اهل كفر ومعاصي جملة امرهم انهم
يفسدون ولا يصلحون قال عطاء بن ابي رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدنانير
والدراهم قال ابو محمد وهذا نحو الاثر المروي قطع الدنانير والدراهم
من الفساد في الارض والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم والرهط من اسماء الجمع القليل
العشرة فما دونها فتسعة رهط كما تقول تسعة رجال وهؤلاء المذكورون
كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة وقد تقدم في غير هذا الموضع ما ذكر من اسمائهم
وقوله تقاسموا حكى الطبري انه يجوز ان يكون فعلا ماضيا في موضع الحال كانه
قال متقاسمين اي متحالفين بالله ويكون قولهم لنبيتنه ويؤيد هذا التاويل
ان في قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا بسقوط قالوا ويحتمل وهو تاويل
الجمهور ان يكون تقاسموا فعل امر اشار بعضهم على بعض بان يتحالفوا على هذا
الفعل بصالح فتقاسموا هو قولهم على هذا التاويل وهذه الالفاظ الدالة على قسم
او حلف تجاوب باللام وان لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في لنبيتنه جواب
ذلك وقرأ جمهور القراء لنبيتنه بالنون ثم لنقولن بنون وفتح اللام وقرأ
الاعمش وطلحة وابن وثاب لتبيتنه بالتاء المضمومة فيهما ثم لتقولن بالتاء وضم
اللام وفي قراءة عبد الله لنقسمن ما شهدنا وقرأ حمزة والكسائي ليبيتنه بالياء
ثم ليقولن بالياء وضم اللام وهي قراءة الحسن وحميد فهذا اذكر الله فيه المعنى
الذي ارادوه لا بحسب لفظهم وروي في قصص هذه الاية ان هؤلاء التسعة
لما كان في صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيء العذاب
اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله
المختصين به قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان
صادقا فاذا عجلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا قال فجاؤوا واختفوا

لذلك في غار قريب من داره فروي انه انحدرت عليهم صخرة فشدختهم
جميعا وروي انها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل
فريق لا يعلم بما جرى على الاخر وكانوا قد بنوا على جحود الامر من قرابة صالح
الذين مكروا ان يعضبوا له فهذا كان مكرهم والمكر هو الخديعة وسمى
الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم وهذا اهيع ومنه قوله تعالى يستهزئ بهم
وغير ذلك وقرا الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام وقرا عاصم في رواية
ابي بكر بفتحهما وروي عنه فتح الميم وكسر اللام والعاقبة حال بعضها
الباه وتودي اليها بواجب ونعني بالاهل كل من امن معه قاله الحسن
وقرا جمهور القرا انا دمرناهم بكسر الالف وقرا عاصم وحمزة والكسائي
انا دمرناهم وهي قراه الحسن وابن ابي اسحق فكان على قراة الكسر والالف
تامة وان قدرت ناقصة فخبرها محذوف او يكون الخبر كيف مقدما لان
صدر الكلام لها ولا يعمل بها هنا انظر فيه كيف لكن يعمل في موضع الجمله
كلها وهي على قراه فتح الالف ناقصة وخبرها انا ويجوز ان يكون الخبر كيف
ويكون انا بدلا من العاقبة ويرتفع بتقدير السؤال كيف عن جملة قوله كان
عاقبة امرهم انا دمرناهم وليس بمحض سؤال ولكنه حقه ان يسل عنه
والتدمير الهلاك ويحتمل ان تقدر كان تامة على قراة الفتح وغيره اظهر
وقرا ابي بن كعب ان دمرناهم فهذه تويد قراه الفتح في انا قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاويه بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم
تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين ٥ اقوا البيوت وخرابها مما

أخبر الله تعالى في كل الشرايع انه مما يعاقب به الظلمة وفي التوراة ابن
ادم لا تظلم يخرب بيتك وخاويه نصب على الحال التي فيها الفايدة ومعناه
خالية قفرا قال الزجاج وقرى خاوية بالرفع وذلك على الابتدا المضمر
هي خاويه او على الخبر عن تلك وبيوتهم بدل او على خبر ثان وهذه البيوت
المشار اليها هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك لا تدخلوا على
هولا المعذبين الا ان تكونوا باكين الحديث ثم قال تعالى ولوطا تقديره واذكر
لوطا والفاحشة اتيان الرجال في الادبار وتبصرون معناه تعلمون انها
خطيه وفاحشة وقالت فرقة تبصرون بالابصار لانهم كانوا يكشفون
بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض واختلف القرا في قوله ائنكم وقد تقدم
وقرا جمهور الناس جواب نصبا وقرا الحسن وابن ابي اسحق جواب بالرفع
وينسب ابن جني قراه النصب الى الحسن وفسرها في الشاذ واخبر الله تعالى عن
قوم لوط انهم لما ردوا وحجوا بهم طريق الحجة واخذوا بالمغالبة فتمالوا باخراجه
واخراج من امن معه ثم ذنبوهم بمدحة وهي التطهر من هذه الدناة التي اصفقوا
هم عليها قال قتادة عابوهم والله بغير عيب وقرا عاصم في رواية ابي بكر
قدرناها بتخفيف الدال وقرا جمهور القرا قدرناها بشد الدال والاولى
بمعنى جعلناها وحصلناها والثانيه بمعنى قدرنا عليها من القدر والقضاء
والغابرين الباقين في العذاب وغبر بمعنى بقي وقد يجي احيانا في بعض كلام
العرب يوهم انه بمعنى مضى واذا تامل توجه حمله على معنى البقا والمطر
الذي امطر عليهم هو حجارة السجيل اهلكت جميعهم وهذه الاية اصل لمن جعل
من الفقها الرجم في اللواطه وبها تانس لان الله عذبهم على كفرهم به وارسل
عليهم الحجاره لمعصيتهم ولم يقس هذا القول على الزنا فيعتبر الاحصان بل قال
ملك رحمه الله وغيره يرجمان في اللوطه احصنا او لم يحصنا وايما ورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به فذهب من ذهب الى رجمهما بذلك

هذه الآيه **قوله تعالى** قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
الله خير اما تشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما
فانبتنا به حدايق ذات بهجه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم
قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ قرا ابو السمال
قل الحمد لله بفتح اللام وكذلك في اخر السوره وهذا ابتدا تقرير وتنبيه لقريش وهو
بعد يعم كل مكلف من الناس جميعا وافتتح ذلك بالقول بحمده وتمجيده وبالسلام
على عباده الذين اصطفاهم للنبوه والايمان فهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد
ادم وكان هذا صدر خطبه للتقرير المذكور قال ابن عباس العباد المسلم
عليهم هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واصطفاهم لنبيه قال
ابو محمد وفي هذا الاختصاص توبيخ للعاصرين من الكتاب وقال الفرا الامر
بالقول في هذه الايه هو للوط عليه السلم قال ابو محمد وهذه عجمه من الفرا
رحمه الله ثم وقف قريشا والعرب على جهة التوبيخ على موضع التباين بين الله
عز وجل وبين الاوثان والانصاب وقرا الجمهور الناس تشركون بالتا من فوق
وحكى المهدوي عن ابي عمرو وعاصم يشركون بالياء من تحت وفي هذا التفضيل
بلفظة خير اقوال احدها ان التفضيل وقع بحسب معتقد المشركين اذ كانت
تعتقد ان في الهتها خيرا بوجه ما وقالت فرقه في الكلام حذف مضاف
في موضعين التقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما على هذا
التاويل بمعنى الذي وقالت فرقه ما مصدريه وحذف المضاف انما هو اولا
تقديره اتوحيد الله خير ام شرككم وقيل خير هنا ليست بافعل انما هي فعل
كما تقول الصلاه خير من النوم دون قصد تفضيل قال ابو محمد
وقد تقدم ان هذه الالفاظ التي تعم معاني كثيره خير وشر واحب ونحو
ذلك قد يقع التفضيل بها بين اشيا متباينه لان المتباينات قد ثما اشتركت

فيها ولو بوجه ضعيف وايضا فهذا تقرير والمجادل يقرر خصمه على
قسمين احدهما فاسد ليريه موقعه وقد استوعبنا هذا فيما مضى وقالت فرقه
تقدير هذه الايه الله ذو خير امما تشركون قال ابو محمد وهذا النوع
من الحذف يضعف تاوله وقرا الحسن وقتاده وعاصم يشركون بالياء من تحت وقرا
اهل المدينه ومكه والكوفه بالتاء من فوق وقوله امن خلق وما بعدها
من التوقيفات توبيخ لهم وتقرير على ما لا سند لهم عن الاقرار به وقرا
الجمهور امن بشد الميم وهي ام دخلت على من وقرا الاعمش امن بفتح الميم
سهله ويحتمل على هذه القراه ان تكون امن استفهاما فتكون في معنى امن
المتقدمه ويحتمل ان تكون الالف للاستفهام ومن ابتدا وتقدير الخبر يكفر
نعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى والحدايق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل
وغير ذلك قال قوم لا يقال حديقه الا لما عليه جدار قد احدق به وقال قوم لا
يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض محدق بالاشجار والبهجه الجمال
والنضره وقرا ابن ابي عبله ذوات بهجه بجمع ذات وقوله ما كان لكم خبر
على جهة التوقيف انه ما كان للبشر اي ما يتهيا لهم ولا يقع تحت قدرهم ان
ينبتوا شجرها لان ذلك باخراج شي من العدم الى الوجود وقد تقدم ترتيب
القراه في الهمزتين من قوله االه واذا واينا لا بيوسف قال ابو حاتم
القراه باجتماع الهمزتين محدثه لا توجد في كلام العرب ولا قرا بها قاري عتيق
ويعدلون يجوز ان يراد به يعدلون عن طريق الحق اي يجورون في فعلهم
ويجوز ان يراد به يعدلون بالله غيره اي يجعلون له عديلا ومثيلا
وخلالها معناه بينها واثناها والرواسي الجبال رسا الشي يرسو اذا ثبت
وتاصل والبحران الما العذب والما الاجاج فجملته والحاجز ما جعل الله
بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها في بعض المواضع ولطافتها لولا
قدرة الله لغلب الملح العذب وكل ما مضى من القول في تاويل قوله مرج البحرين

الآية فهو مترتب هنا فتأمله وباقي الآية بين قوله تعالى أمن يجيب المضطر
إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون
أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله
تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض
أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والأرض
الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في
شك منها بل هم منها عمون ۝ وقفهم في هذه الآيات على المعاني التي تبين لكل
عاقل أنه لا مدخل لصنم ولا لوثن فيها وهي عبر ونعم فالحجة قائمة بها من الوجهين
وقوله يجيب المضطر معناه بشرط إن شاء على المعتقد في الإجابة لكن المضطر لا يجيبه
متى أجيب إلا الله عز وجهه والسوء عام في كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده
وقرأ الحسن ونجعلكم بالنون على صيغة المستقبل وورثت عنه بنون وكل قرن
خليف للذي قبله وقرأ جمهور القراء تذكرون بالتاء على المخاطبة وقرأ أبو عمرو
وحده والحسن والأعمش بالياء على الغيبة والظلمات عام لظلمة الليل التي
هي الحقيقة في اللغة ولظلمة الجهل والضلال والخوف التي هي مجازات وتشبهات
وهذا كقول الشاعر تجلت غيابات الرجال وذا تقول أظلم الأمر وأنار
وقد تقدم اختلاف القراء في قوله بشرا وقرأ الحسن وعيسى يشركون بالياء على الغيبة
وقرأ الجمهور تشركون على المخاطبة وبدء الخلق اختراعه وإعادته والخلق
هنا المخلوق من جميع الأشياء لكن المقصود بنو آدم من حيث ذكر الإعادة
والإعادة البعث من القبور ويحتمل أن يريد بالخلق مصدر خلق يخلق ويكون
يبدؤه ويعيده استعارة للإنعام والإحسان كما تقول فلان يبدئ ويعيد في أمر
كذا إذا كان يتقنه والرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات هذا هو
مشهور ما أحسه البشر وكم لله سبحانه بعد من لطف خفي ثم أمر تعالى نبيه
أن يوقفهم على أن الغيب مما انفرد الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبه عن المخلوقين

ويروى أن هذه الآية من قوله قل لا يعلم إنما نزلت لأن الكفار سألوا
والحوا عن وقت القيامة التي يعدهم محمد فنزلت هذه الآية وفيها التسليم لله
وترك التحديد فأعلم عز وجهه أنه لا يعلم وقت الساعة سواه فجاء بلفظ يعم
الساعة وغيرها وأخبر عن البشر أنهم لا يشعرون أيان يبعثون وبهذه الآية
احتجت عائشة رضي الله عنها على قولها ومن زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد أعظم
على الله الفرية والمكتوبة من قوله إلا الله بدل من من وقرأ جمهور الناس أيان
بفتح الهمزة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي إيان بكسرها وهما لغتان وقرأ جمهور القراء
بل ادارك أصله تدارك أدغمت التاء في الدال بعد أن أبدلت ثم احتيج إلى ألف
الوصل وقرأ أبي بن كعب فيما روي عنه تدارك وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بل ادرك
على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرأ أسلم بن يسار وعطاء بن يسار بل ادرك بفتح اللام
ولا همز وتشديد الدال دون ألف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأهل مكة
بل أدرك وقرأ مجاهد أم أدرك بدل بل وفي مصحف أبي أم تدارك علمهم وقرأ ابن
عباس بل أدرك وقرأ ابن عباس أيضا بل آدارك بهمزة ومدة على جهة الاستفهام وقرأ
ابن محيصن بل أأدرك بمدة على الاستفهام ونسبها أبو عمرو الداني إلى ابن عباس والحسن
فأما قراءة الاستفهام فهي على معنى الهزء بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية
البعد عنهم أي أعلموا أمر الآخرة وأدركها علمهم وأما القراءات المتقدمة فتحتمل
معنيين أحدهما بل أدرك علمهم أي تناهى كما تقول أدرك النبات وغيره وكما
تقول هذا ما أدرك علمي من كذا وكذا فمعناه قد تتابع وتناهى علمهم بالآخرة إلى أن
لا يعرفوا لها مقدارا فيؤمنوا وإنما لهم ظنون كاذبة أو إلى أن لا يعرفوا لها وقتا
وكذلك ادارك وتدارك وسواها وإن خلت هذه القراءة من معنى التوقيف
والاستفهام ساغ وجاء إنكارا لأن أدركوا أشياء نافعة والمعنى الثاني بل أدرك
بمعنى يدرك أي إنهم في الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة ويرون العذاب
والحقائق التي كذبوا بها وأما في الدنيا فلا وهذا هو تأويل ابن عباس ونحا إليه

الزجاج قوله في الآخرة على هذا التأويل ظرف وعلى التأويل الأول في معنى
الباء والعلم قد يتعدى بحرف الجر تقول علي بزيد كذا ومنه قول الشاعر
،، وعلي بأسدام المياه ،، البيت ثم وصفهم عز وجل بأنهم في شك منها
ثم أردف بصفة هي أبلغ من الشك وهي العمى الجملة عن أمر الآخرة وعمون أصله
عميون **قوله عز وجل** وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في
الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما
يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف
لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا
يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ه استبعد الكفار
أن تبعث الأجساد والرمم من القبور واستحالوا ذلك فذكر ذلك عنهم على
جهة الرد عليهم وقرأ أبو عمرو ومن تبعه أإذا أئنا بهمز غير أن أبا عمرو يمد
ومن تبعه لا يمد وقرأ عاصم وحمزة أإذا أإنا بهمزتين فيهما وقرأ نافع إذا مكسورة
الألف آينا ممدودة الألف وقرأ الباقون أيذا ممدودة إننا بنونين وكسر
الألف ثم ذكر الكفار أن هذه المقالة قديما وعد بها قبل وردوا على جميع الأنبياء
وجعلوها من الأساطير ثم وعظهم الله تعالى بحال من عذب من الأمم فأمر نبيه
أن يأمرهم بالسير والنظر على حال مجرمي الأمم وليحذروا أن يصيبهم ما أصاب
أولئك وهذا التحذير بعضه المعنى ثم سلى نبيه عليه السلام عنهم وهذا بحسب ما
كان عنده من الحرص عليهم والاهتمام بأمرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد
وروي عن نافع وقرأ الباقون بفتحها والضيق والضيق مصدران بمعنى واحد
وكره أبو علي أن يكون ضيق كهين ولين مخففة من ضيق قال لأن ذلك يقتضي أن
تقام الصفة مقام الموصوف ثم ذكر استعجال قريش بأمر الساعة بقولهم
متى هذا الوعد على معنى التعجيز للوعد به فأمر الله تعالى نبيه أن يتوعدهم بأنه

عسى أن يأذن الله في أن يقرب منهم بعض ما استعجلوه من الساعة والعذاب
وردف معناه قرب وأزف قاله ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عما يجيء بعد الشيء
قريبا منه ولكونه بمعنى هذه الأفعال الواقعة تعدى بحرف وإلا فبابه أن يتعدى
بنفسه وقرأ الجمهور بكسر الدال وقرأ الأعرج ردف بفتح الدال وقرأ الجمهور ت
الناس تكن من أكن وقرأ ابن محيصن وابن السميفع تكن من كن وهما بمعنى
قوله عز وجل وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين إن هذا
القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة
للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك
على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما
أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا
وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون ه الهاء في غائبة للمبالغة أي ما من شيء في غاية الغيب والخفاء إلا في كتاب
عند الله وفي مكنون علمه ثم نبه تعالى على أن هذا القرآن أخبر بني إسرائيل بأكثر الأشياء
التي كان بينهم اختلاف في صفتها فجاءت في القرآن على وجهها ثم وصفه تعالى بأنه هدى
ورحمة للمؤمنين كما أنه عمى على الكافرين المحتوم عليهم ومعنى ذلك أن كفرهم
استتب مع قيام الحجة ووضوح الطريق فكثر عماهم بهذه الجهة ثم أخبر أن ذلك
كله بقضاء من الله وحكم قضاه فيهم وبينهم ثم أمره بالتوكل عليه والثقة بالله
وبأنه على الحق أي إنك الجدير بالنصرة والظهور ثم سلاه عنهم وشبههم بالموتى
وبالصم قال العلماء الميت من الأحياء هو الذي يلقى الله بكفره قال
أبو محمد واحتجت عائشة رضي الله عنها في إنكارها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أسمع موتى بدر بهذه الآية ونظرت هي في الأمر بقياس عقلي ووقفت مع هذه
الآية وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنتم بأسمع منهم فيشبه أن قصة
بدر هي خرق عادة لمحمد صلى الله عليه وسلم في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به

تعالى له ولولا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماعهم لحملنا نداءه اياهم
على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المسلمين وقد عورضت
هذه الآية بالسلام على القبور وبما روي في ذلك من ان الارواح تكون على شفير
القبور في اوقات قالوا فلولا يسمع الميت لم يسلم عليه قال ابو محمد وهذا كله
غير معارض للآية لان السلام على القبور هو عبادة وعند الله الثواب عليها وهو
تذكير للنفس بحالة الموت وحالة الموتى وان جوزنا مع هذا ان الارواح في وقت على
القبور فان سمع فليس بالروح بميت وانما المراد بقوله انك لا تسمع الموتى الاشخاص
الموجودة مفارقة لارواحها وفيها تقول خرق العادة لمحمد في اهل القليب وذلك
نحو قوله صلى الله عليه وسلم في الموتى اذا دخل عليهم الملكان انهم يسمعون
خفق النعال وقرأ ابن كثير ولا يسمع بالياء من تحت الصم رفعا ومثله في الروم وقرأ
الباقون تسمع بالتاء من فوق الصم نصبا وقرأ جمهور القراء وما انت بهادي العمي
بالاضافة وقرأ يحيى بن الحارث وابو حيوة بهادٍ العمي بتنوين الدال ونصب
العمي وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي بفعل مستقبل وهي قراءة طلحة وابن
وثاب وابن يعمر وفي مصحف عبد الله وما ان تهدي العمي ومعنى قوله تعالى واذا
وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله تعالى
في ذلك اي حتمه عليهم وقضاؤه وهذا بمنزلة قوله تعالى حقت كلمة العذاب
معنى الآية واذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم اخرجنا لهم دابة
من الارض وروي ان ذلك حين ينقطع الخير ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر
ولا يبقى منيب ولا تائب كما اوحى الله تعالى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا
من قد آمن ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث ان الدابة وطلوع
الشمس من المغرب من اول الاشراط ولم يعين الاول وكذلك الدجال قال
ابو محمد وظاهر الاحاديث والروايات ان الشمس آخرها لان التوبة
تنقطع معها وتقتضي الحال ان الايمان لا يبقى الا في افراد وعليهم تهب الريح التي لا

تبقي ايمانا وحينئذ ينفخ في الصور ونحن نروي ان الدابة تسم قوما بالايمان
ونجد ان عيسى بن مريم بعد ذلك بعد الدجال ويؤمن الناس به وهذه الدابة روي
انها تخرج من جبل الصفا بمكة قاله عبد الله بن عمر وقال عبد الله بن عمرو
ونحوه قال لو شئت ان اضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي عن قتادة
انها تخرج في تهامة وروي انها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح
عليه السلام وروى بعضهم عن حذيفة بن اليمان انها تخرج ثلاث خرجات
وروي انها دابة مزغبة شعرا وروي عن ابن عمر انها على خلقة الآدميين وهي في
السحاب وقوائمها في الارض وروي انها جمعت من خلق كل حيوان وذكر الثعلبي
عن ابن الزبير نحوه وروي انها دابة مبثوث نوعها في الارض فهي تخرج في كل بلد
وفي كل قوم فقوله على هذا التأويل دابة انما هو اسم جنس وحكى النقاش عن
ابن عباس انها الثعبان المشرف على جدار الكعبة الذي اقتلعتها العقاب حين
ارادت قريش بناء الكعبة وقرأ جمهور الناس تكلمهم من الكلام وفي مصحف
ابي تنبئهم وفسرها عكرمة تسمهم قال قتادة وفي بعض القراءات تحدثهم
وقرأ ابو زرعة بن عمرو بن جرير تَكلِمهم بفتح التاء من الكلم وهو الجرح قال ابو
الفتح وهي قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري وقال ابن عباس كلا والله
تفعل كلمهم وتكلمهم قال ابو محمد وروي في هذا انها تمر على الناس تسم
الكافر في جبهته وتربده وتشتمه وربما خطمته وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه
ويعرف بعد ذلك الايمان والكفر من اثرها وقرأ جمهور القراء ان الناس
بكسر انّ وقرأ حمزة والكسائي وعاصم أن بفتح الالف وفي قراءة عبد الله تكلمهم
بأن وهذا تصديق للفتح وعلى هذه القراءة يكون قوله ان الناس الى آخرها من
كلام الدابة وروي ذلك عن ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى
قوله عز وجل ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم
يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون

ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ
في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه
داخرين ۞ المعنى واذكر يوم وهذا تذكير بيوم القيامة والحشر جمع
ومن كل أمة يريد من قرن من الناس متقدم لأن كل عصر لم يخل من كفرة
بالله من لدن تفرق بني آدم والفوج الجماعة الكثيرة من الناس والمعنى
ممن حاله أنه مكذب بآياتنا ويوزعون معناه يكفون في السوق أي
يحبس أولهم على آخرهم قاله قتادة وغيره ومنه وازع الجيش ومنه قول
عبد الشارق بن عبد العزى

۞ فجاؤوا عارضا بردا وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا ۞ ثم أخبر تعالى عن
توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم على جهة التوبيخ أكذبتم الآية قال
أم ماذا كنتم تعملون على معنى استيفاء الحجة أي إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها
وقرأ أبو حيوة أماذا كنتم تعملون بتخفيف الميم ثم أخبر عن وقوع القول
عليهم أي نفوذ العذاب وحتم القضاء وأنهم لا ينطقون بحجة لأنها ليست
لهم وهذا في موطن من مواطن القيامة وفي فريق من الناس لأن القرآن يقتضي
أنهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن ثم ذكر تعالى الآية في الليل وكونه وقت
سكون وانتفاع لجميع الحيوان والمهم من ذلك بنو آدم وكون النهار
مبصرا أي ذا إبصار وهذا كما تقول ليل نائم ونهار صائم ومعنى ذلك
ينام فيه ويصام وكذلك هذا معناه يبصر فيه فهو لذلك ذو إبصار ثم
حكى ربان قيل مبصرا فهو على النسب كعيشة راضية والآيات في ذلك هي
للمؤمنين والكافرين هي آية لجميعهم في نفسها لكن من حيث الانتفاع
بها والنظر النافع إنما هو للمؤمنين فلذلك خصوا بالذكر ثم ذكر
تعالى يوم ينفخ في الصور وهو القرن في قول جمهور الأمة وهو مقتضى

الأحاديث وقال مجاهد هو كهيئة البوق وقالت فرقة الصور جمع
صورة كتمرة وتمر وجمرة وجمر والأول أشهر وفي الأحاديث المتداولة
أن إسرافيل عليه السلام هو صاحب الصور وأنه قد حنى على ركبته الواحدة
وأقام الأخرى وأمال حنكه والتقم القرن ينتظر متى يؤذن له في النفخ
وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي نفخة الفزع وروى أبو هريرة أن
الملك له في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس
بالفزع الأكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة إنما هي
نفختان كأنهم جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة واستدلوا على ذلك بقوله
تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وقالوا أخرى لا يقال إلا في
الثانية قال ـــ أبو محمد والقول الأول أصح وأخرى يقال في الثالثة ومنه
قول ربيعة بن مكدم ۞ ولقد شفعتهما بآخر ثالث ۞ ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة
الأخرى وأما قول الشاعر ۞ جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه ۞
فهو محتمل أن يريد به ثانيا أو ثالثا فلا حجة فيه وقال تعالى ففزع وهو أمر
لم يقع بعد إشعارا بصحة وقوعه وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل
وقوله إلا من شاء الله استثناء فيمن قضى من الملائكة والأنبياء والشهداء [illegible]
أن لا ينالهم فزع النفخ في الصور قال أبو هريرة هي في الشهداء وذكر
الرماني أنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل هي في جبريل وميكائيل
وإسرافيل وملك الموت وإذا كان الفزع الأكبر لا ينالهم فهم
حريون أن لا ينالهم هذا قال ـــ أبو محمد على أن هذا في وقت ثم قبـ
وذلك في وقت أمن إذ هو إطباق جهنم على أهلها وقرأ جمهور القراء وكل
أتوه على وزن فاعلوه وقرأ حمزة وحفص عن عاصم أتوه على صيغة الفعل
الماضي وهي قراءة ابن مسعود وأهل الكوفة وقرأ قتادة أتاه على الإفراد
اتباعا للفظ كل وإلى هذه القراءة أشار الزجاج ولم يذكرها والداخر

المتذلل الخاضع قال ابن عباس وابن زيد الداخر الصاغر وقرأ الحسن
داخرين بغير الف وتظاهرت الروايات بان الاستثناء في هذه الاية انما
أريد به الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون وهم اهل للفزع لانهم
بشر لكن فضلوا بالامن في ذلك اليوم قوله عز وجل وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما
تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان
اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل فصل
الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ٥ هذا
وصف حال الاشياء يوم القيامة عقيب النفخ في الصور والرؤية هي بالعين
وهذه الحال للجبال هي في اول الامر تسير وتموج وامر الله ينسفها ويعفها
خلال ذلك فتصير كالعهن ثم حتى تصير في آخر الامر هباء منبثا والجامد
التضام والتلزز في الجوهر قال ابن عباس جامدة قائمة ونظيره قول الشاعر
بأرعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج
وصنع الله مصدر معرف والعامل فيه فعل مضمر من لفظه وقيل هو نصب
على الاغراء بمعنى انظروا صنع الله والاتقان الاحسان في المعمولات وان
تكون حسنا وثيقة القوة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يفعلون بالياء
وقرأ الباقون تفعلون بالتاء على الخطاب والحسنة الايمان وقال ابن عباس
والنخعي وقتادة هي لا اله الا الله وروي عن علي بن الحسين انه قال كنت
في بعض خلواتي فرفعت صوتي بلا اله الا الله فسمعت قائلا يقول انها الكلمة
التي قال الله فيها من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله خير منها يحتمل ان يكون
للتفضيل ويكون في قوله منها حذف مضاف تقديره خير من قدرها

واستحقاقها بمعنى ان الله تعالى يتفضل عليه فوق ما يستحق حسنته قال ابن
زيد يعطي بالواحدة عشرا والداعية الى هذا التأويل ان الحسنة لا يتصور
بينها وبين الثواب تفضيل ويحتمل ان يكون خير ليس للتفضيل بل اسم للثواب
والنعمة ويكون قوله منها لابتداء الغاية اي هذا الخير الذي يكون له هو
من حسنته وبسببها وهذا قول الحسن وابن جريج وقال عكرمة ليس شيء
خيرا من لا اله الا الله وانما له الخير منها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر من فزع بالاضافة ثم اختلفوا في فتح الميم وكسرها من يومئذ فقرأ الزهري
بفتح الميم على بناء الظرف لما اضيف الى غير متمكن جاز بناؤها واعمال الاضافة
فيها ومن ذلك قول الشاعر ٭ على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع ٭
فانه يروى على حين بفتح النون وعلى حين بكسرها وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
من فزع بالتنوين وترك الاضافة ولا يجوز مع هذه القراءة الا فتح الميم من
يومئذ والسيئة التي هي في هذه الاية هي الكفر والمعاصي فيمن حتم الله عليه
من اهل المشيئة بدخول النار وكبت معناه جعلت على النار وكأنها من حيث
حملتها في الدنيا يعطي ارتفاعها واذا كبت الوجوه فسائر الابدان ادخل في النار
اذ الوجه موضع الشرف والحواس وقوله هل تجزون بمعنى يقال لهم ذلك
وهذا على جهة التوبيخ وقوله انما امرت بمعنى قل يا محمد لقومك انما امرت
والبلدة المشار اليها مكة وقرأ جمهور الناس الذي حرمها وقرأ ابن عباس وابن
مسعود التي حرمها واضاف هذه الاية التحريم الى الله من حيث ذلك قضاء به
وسابق علمه واضافه النبي صلى الله عليه وسلم الى ابراهيم عليه السلام في قوله ان
ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة من حيث كان ظهور ذلك باعلامه ورغبته
لامته وليس بين الاية والحديث تعارض وفي قوله حرمها تعديد نعمته على قريش
في رفع الله عن بلدهم الغارات والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب وقوله
وله كل شيء معناه بالملك والعبودية وقرأ جمهور الناس ان اتلوا عطفا على

قوله إن أكون وقرأ ابن مسعود وأن أتل القرآن بغير واو وقيل في أتل القرآن
قائل معناه تابع بقراءتك من آياته واسرد وتلاوة القرآن سبب الاهتداء إلى
كل خير وقوله فمن اهتدى معناه من حسب الهدى والإيمان ونظر نظرا ينجيه
فلنفسه سعيه قال أبو محمد فنسبة الهدى والضلال إلى البشر في هذه الآية
إنما هي بالتكسب والحرص والحال التي عليها يقع الثواب والعقاب والكل
اختراع من الله تعالى بالاختراع وقوله سيريكم آياته توعد بعذاب الدنيا كبدر
والفتح ونحوه وبعذاب الآخرة وقرأ جمهور القراء عما يعملون بالياء وقرأ نافع وابن
عامر وحفص عن عاصم عما تعملون بالتاء من فوق على مخاطبتهم كمل تفسير السورة
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة القصص

هذه السورة مكية إلا قوله عز وجل إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد نزلت هذه بالجحفة في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
قاله ابن سلام وغيره وقال مقاتل فيها من المدني الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله
لا نبتغي الجاهلين **قوله تعالى** طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ
موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها
شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين
٥ تقدم القول في الحروف التي في أوائل السور بما أغنى عن الإعادة ومن قال إن
هذه الحروف من أسماء الله تعالى قال إن الطاء من الطول الذي لله تعالى
والسين من السلام والميم من المنعم أو من الرحيم ونحو هذا وقوله تلك يتقدر
موضعها بحسب كل قول من الأقوال في الحروف فمن جعل طسم اسما للحروف
جاءت الإشارة بتلك إلى الحروف المعجم ومن قطعها قال تلك في موضع هذه
وساغ هذا من حيث لم تكن حاضرة عتيدة بل هي أقوال يتقضى بعضها شيئا
فشيئا فساغ أن يقال فيها الإشارة البعيدة قال أبو محمد والأصل
أن تلك إشارة إلى ما غاب وهذه إشارة إلى ما حضر وقد تتداخل متى كان

في الغيبة حصول وثقة به تقوم مقام الحضور ومتى كان في الحضور
بعد ما تقوم مقام الغيبة فمن ذلك قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
لما كان موسى لا يرى ربه تعالى فهو وعصاه في منزل غيب فساغ ذلك ومن
النقيض قول المؤلف لكتاب ونحوه هذا الكتاب وما جرى هذا المجرى فتتبعه
فهو كثير فتشبه في آياتنا هذه أن تكون تلك بمنزلة هذه آيات الكتاب
المبين وتشبه أن تكون متمكنة من حيث الآيات كلها وقت هذه المخاطبة
لم تكن عتيدة ونتلوا معناه نقص ونتابع القصص وخص تعالى بقوله لقوم
يؤمنون من حيث هم المنتفعون بذلك دون غيرهم فخصوا تشريفا وعلا
في الأرض من علو الطغيان والتغلب وقوله في الأرض يريد في أرض مصر وموضع
ملكه ومتى جاءت الأرض هكذا عامة فإنما يراد بها الأرض التي تشبه قصة
القول المسوق لأن الأشياء التي تعم الأرض كلها قليلة والأكثر ما ذكرناه
والشيع الفرق وكان هذا الفعل من فرعون بأن جعل القبط ملوكا مستخدمين
وجعل بني إسرائيل عبيدا مستخدمين وهم كانوا الطائفة المستضعفة ويذبح
تضعيف للمبالغة والعبارة عن تكرار الفعل وقال قتادة كان هذا الفعل من
فرعون بأنه قال له كهنته وعلماؤه إن غلاما لبني إسرائيل يفسد ملكك وقال
السدي رأى في ذلك رؤيا فأخذ بني إسرائيل بذبح الأطفال سنين فرأى أنه
يقطع نسلهم فعاد يذبح عاما ويستحيي عاما فولد هارون في عام الاستحياء وولد
موسى في عام الذبح وقرأ جمهور الناس يذبح بضم الياء وكسر الباء على التكثير
وقرأ أبو حيوة وابن محيصن بفتح الياء والباء وسكون الذال قال وهب بن منبه
بلغني أن فرعون ذبح في هذه المحاولة سبعين ألفا من الأطفال وقال النقاش
جميع ما قتل ستة عشر طفلا قال أبو محمد طمع بجهله أن يرد القدر وأين
هذا المنزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر إن يكنه فلن تقدر عليه
يعني ابن صياد وباقي الآية بين **قوله تعالى** ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا إلى أم
موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه
إليك وجاعلوه من المرسلين ۝ المعنى يستضعف فرعون ونحن نريد أن ننعم
ونعظم المنة على أولئك المستضعفين والأئمة ولاة الأمور قاله قتادة
ونجعلهم الوارثين يريد أرض مصر والشام وقرأ الأعمش ولنمكن بلام وقرأ
الجمهور ونري فرعون بضم النون وكسر الراء وفتح الياء ونصب فرعون
وقرأ حمزة والكسائي وابن مسعود ويرى بالياء وفتح الراء وسكون الياء على الفعل
الماضي وإسناد الفعل إلى فرعون ومن بعده والمعنى ويقع فرعون وقومه وجنده
فيما خافوه وحذروه من جهة بني إسرائيل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون
وأكبر رجاله فذكر لمحله من الكفر ونباهته وقومه فله في هذا الموضع صغار ولعنة
لا شرف وهذا الوحي إلى أم موسى قالت فرقة كان قولا في منامها وقال قتادة كان
إلهاما وقالت فرقة كان بملك تمثل لها وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية وإنما إرسال
الملك لها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص في الحديث المشهور وغير ذلك
مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة وجملة أمر أم موسى أنها علمت أن
هذا الذي وقع في نفسها هو من عند الله ووعد منه يقتضي ذلك قوله بعد فرددناه
إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق وهذا معنى قوله لتكون
من المؤمنين أي بالوعد وقال السدي وغيره أمرت أن ترضعه عقب الولادة
وتصنع به ما في الآية لأن الخوف كان عقب ولادة وقال ابن جريج أمرت برضاعه
أربعة أشهر في بستان فإذا خافت أن يصيح لأن لبنها لا يكفيه صنعت به هذا
قال أبو محمد والأول أظهر إلا أن الآخر يعضده أمران أحدهما قوله
فإذا خفت عليه وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان والآخر أنه لم يقبل المراضع
والطفل إثر ولادته لا يفعل ذلك اللهم إلا أن يكون هذا منه أن الله حرمها

عليه وجعله يأباها خلاف سائر الأطفال وقرأ عمرو بن عبد الواحد أن
ارضعيه بكسر النون وذلك على حذف الهمزة عبطا لا تخفيفا والتخفيف
القياسي فتح النون قاله ابن جني ونسب المهدوي هذه القراءة إلى عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه واليم معظم الماء والمراد نيل مصر وروي في قصص
هذه الآية أن أم موسى واسمها يوحانه لفته في ثيابه وجعلت له
تابوتا صغيرا وسدته عليه بقفل وعلقت مفاتحه عليه وأسلمته ثقة بالله
وانتظارا لوعده فلما غاب عنها عاودها بثها وأسفت عليه وأقنطها الشيطان
فاهتمت به وكادت تفتضح وجعلت الأخت تقصه أي تطلب أثره **قوله تعالى**
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه
عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن
كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته
قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ۝ الالتقاط اللقاء عن غير قصد
وروية ومنه قول الشاعر ** ومنهل وردته التقاطا ** لم ألق إذ وردته فراطا
** إلا الحمام الورق والغطاطا ** ومنه اللقطة وآل فرعون أهله وجملته
ويروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في اليم فأمرت بسوقه
وفتحه فرأت فيه صبيا صغيرا فرحمته وأحبته وقال السدي إن جواريها كان
لهن في القصر على النيل فرضة يدخل الماء فيها إلى القصر حتى يبلغه في المرافق فبينا
هن يغتسلن في تلك الفرضة إذ جاء التابوت فحملته إلى سيدتهن وقال ابن إسحق
رآه فرعون يعوم فأمر بسوقه وآسية جالسة معه فكان ما تقدم وقوله
ليكون لهم عدوا هي لام العاقبة لأن القصد بالالتقاط لم يكن لأن يكون عدوا
وقرأ الجمهور وحزنا بفتح الحاء والزاي وقرأ حمزة والكسائي وابن وثاب
وطلحة والأعمش وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والخاطئ متعمد الخطأ

والمخطى الذي لا يتعمده واختلف الناس في الوقت الذي قالت فيه امراة
فرعون قرة عين لي ولك فقالت فرقة كان ذلك عند التقاط التابوت
لما اشعرت فرعون بوشك الى وهمه انه من بني اسرائيل وان ذلك قصد به
التخلص من الذبح فقال علي بالذباحين فقالت امراته ما ذكر فقال فرعون اما لي
فلا قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون نعم لامن بموسى ولكان قرة عين له وقال
السدي بل ربته حتى درج فراى فيه فرعون شهامه وظنه من بني اسرائيل واخذه
في يده فمد موسى يده ونتف لحية فرعون فهم حينئذ بذبحه وحينئذ خاطبته
بها وجربته بالجمرة والياقوتة فاحترق لسانه وعلق العقدة وقوله لا يشعرون
اي بانه يفسد الملك على يديه قاله قتادة وغيره وقرا ابن مسعود لا تقتلوه قرة
عين لي ولك قدم واخر وقوله اصبح عبارة عن دوام الحال واستقرارها
وهي كظل ومنه قول ابي سفيان للعباس يوم الفتح لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم
عظيما يريد استقرت حاله عظيما وقرا جمهور الناس فارغا من الفراغ واختلف
في معنى ذلك فقال ابن عباس فارغا من كل شي الا من ذكر موسى وقال مالك هو
ذهاب العقل قال ابو محمد نحو قوله وافئدتهم هوا وقالت فرقة فارغا
من الصبر وقال ابن زيد فارغا من وعد الله تعالى ووحيه اليها اي تناسته بالهم
وفترات في بعضها وقال لها ابليس فررت به من قتل لك فيه اجر وقتلته
بيدك وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن ان لم يغرق وقرا فضالة بن عبد الله ويقال
ابن عبيد والحسن فزعا من الفزع بالفاء والزاي وقرا ابن عباس قرعا بالقاف والراي
من القراع وهي الهمة العظيم وقرا بعض الصحابة رضي الله عنه فرغا بالفاء
المكسورة والراء الساكنة والغين المنقوطة ومعناه ذاهبا هدرا
تالفا من الهم والحزن ومنه قول طليحة الاسدي في حبال اخيه
«فإن يك قتلى قد اصيبت نفوسهم فلن تذهبوا فرغا بقتل حبال» اي هدرا
تالفا لا يتبع وقرا الخليل بن احمد بضم الفاء والراء وقوله ان كادت لتبدي به

اي امر ابنها وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كادت ام موسى
ان تقول وا ابناه وتخرج صائحة على وجهها والرابط على القلب تانيسه وتقويته
ومنه قولهم للشجاع والصابر في المضايق رابط الجاش قال قتادة وربط على
قلبها بالايمان وقوله لتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد الله
وما اوحي اليها به ثم قالت لاخت موسى قصيه منها وطلبا تقصه والقص طلب الاثر
فروي ان اخته خرجت في سكك المدينة مختفية بذلك فراته عند قوم من
حاشية امراة فرعون يطلبون به امراة ترضعه حين لم يقبل المراضع وعن
جنب اي ناحية من غير قصد ولا قرب يشعر لها به يقال فيه جنب وجنابة وجنابة
ومن جنابة قول الشاعر «لقد ذادني عن جنابة حمامة تعبقان اهلي فالفؤاد حزين»
ومن الجنابة قول الاعشى «اتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامدا»
قال ابو محمد وكان معنى هذه الالفاظ عن مكان جنب او عن بعد ومعنى الاية
عن بعد لم تدن منه فيشعر لها وانشد ابو عبيدة لعلقمة بن عبدة
«فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب» وقرا قتادة
عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وهي قراءة الحسن والاعرج وقرا عن جانب النعمان
بن سالم وقرا الجمهور عن جنب بضم الجيم والنون وقوله وهم لا يشعرون معناه
انها اخته وانها من جملة لطائف الله تعالى له ولامه حسب الوعد الذي اوحي
اليها ويقال بصرت بالشيء وابصرته بمعنى واحد متقارب قال المهدوي وقيل
عن جنب معناه عن شوق وهي لغة جذام يقولون جنبت الى لقائك اي اشتقت
اليه وقال قتادة معنى عن جنب انها تنظر اليه كانها لا تريده **قوله تعالى**
وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد
الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين

يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل
مبين ٥ قوله وحرمنا معناه ان الله تعالى خصه من الامتناع من ثدي النسا
بما يبتديه عن عرف الاطفال وهو تحريم تنقيص والمراضع جمع مرضع واستعمل
دون ها التانيث لانه لا يلتبس بالرجال وقوله من قبل معناه في اول امره
وقبل مبني والضمير وقالت لاخت موسى قال النقاش اسمها مريم ويكفلونه معناه
يحسنون تربيته وارضاعه وعلم القوم ان مكلمهم من بني اسرايل وكان ذلك
عرف بني اسرايل ان يكونوا مراضع وخدمه وقوله وهم له ناصحون يحتمل ان الضمير
يعود على الطفل ويحتمل ان يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر امره من جملته
وقال ابن جريج ان القوم تاولوا انها اعادت الضمير على الطفل فقالوا لها انك قد عرفته
فاخبرينا من هو فقالت ما اردت الا انهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التاويل
قال ابو محمد ويحتمل ان يعود الضمير على الطفل ولكن يكون النصح بسبب الملك
وحرصا على التزلف اليه والقرب منه وفي الكلام هنا حذف يقتضيه الظاهر وهو
انها حملتهم الى ام موسى فكلموها في ذلك فدرت عليه وقبلها وحظيت بذلك
واحسن اليها والى اهل بيتها وقرت عينها اي سرت بذلك وروي ان فرعون
قال لها ما سبب قبول هذا الطفل فقالت اني طيبة الرائحة طيبة اللبن ودمع
الفرح بارد وعين المهموم حرى سخنه من هذا المعنى قيل قرت العين وسخنت وقرا
يعقوب نقر بنون مضمومه وكسر القاف ووعد الله المشار اليه هو الذي جاءها
الهاما او لا اما بملك واما بمنامة واما بالهام حسب اختلاف المفسرين وذلك
والقول بالالهام ضعيف ان يقال فيه وعد وقوله اشده [illegible]
والاشد جمع شدة كنعمة وانعم هذا قول سيبويه وقال غيره الاشد جمع شد
وقالت فرقة الاشد اسم مفرد وليس بجمع واختلف في قدر الاشد من السنين
فقالت فرقة بلوغ الحلم وهي نحو خمسة عشر عاما وقالت فرقة ثمانية عشر عاما

وقال السدي عشرين وقالت فرقة خمسة وعشرون وقالت فرقة ثلاثون
وقال مجاهد وابن عباس ثلاثة وثلاثون وقالت فرقة عظيمة ستة وثلاثون
وقال مجاهد وقتادة الاستوا اربعون سنة وقال مكي وقيل هو ستون سنة
وهذا ضعيف والاشد شدة البدن واستحكام اسره وقوته والاستوى تناهيه
وتكامل عقله وحزمه وذلك عند الجمهور مع الاربعين والحكم الحكمة
والعلم المعرفة بشرع ابرهيم عليه السلام وهي مقدمات لنبوته عليه السلام واختلف
المتاولون في قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فقال السدي كان
موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى انه كان
يدعى موسى بن فرعون قالوا فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر يقال
لها منف ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق تلك المدينة في وقت القايلة
وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشا والعتمة وقال ابن اسحق
بل المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد بدت منه مجاهرة لفرعون
وقومه بما يكرهون وكان مختفيا بنفسه متخوفا منهم فدخل متنكرا حذرا
مغتفلا للناس وقال ابن زيد بل كان فرعون قد نابذه واخرجه من المدينة وغاب
عنها سنين فجا والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وقيل
كان يوم عيد وقوله يقتتلان في موضع الحال اي مقتتلين وشيعته بنو اسرايل
وعدوه القبط وذكر الاخفش سعيد استعانه بالعين غير معجمه وبالنون وهي تصحيف
لا قراه وذكر الثعلبي ان الذي من شيعته هو السامري وان الاخر طباخ فرعون
وقوله هذا وهذا حكاية حال قد كانت حاضرة ولذلك عبر بهذا عن غايب ماض
والوكز الضرب باليد مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين وقرا ابن مسعود فلكزه والمعنى
واحد الا ان اللكز في اللحي والوكز على القلب وحكى الثعلبي ان في مصحف ابن مسعود
فنكزه بالنون والمعنى واحد وقضى عليه معناه قتله مجهزا وكان موسى عليه السلام لم يرد
قتل القبطي لكن وافقت وكزته الاجل وكان عنها فندم وراي ان ذلك نزغ الشيطا
ن

في يده وان الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه
ونص هو عليه السلام على ذلك وبهذا الوجه جعله من عمله وكان فضل قوة
موسى عليه السلام ربما افرط في وقت غضبه بالاكثر مما يقصد **قوله عز وجل** قال
رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ۝ ثم ان ندامة موسى عليه السلام حملته على
الخضوع لربه والاستغفار عن ذنب تاب عنه تعالى فغفر الله له حظا ذلك قال
فتادة عرف والله المخرج فاستغفر قال ابو محمد ولم يزل عليه السلام يعتمد
ذلك على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه في القيامة يقول وقتلت نفسا لم اومر
بقتلها حسب ما صح في حديث الشفاعة ثم قال عليه السلام معاهدا لربه رب بنعمتك
علي وبسبب احسانك وغفرانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا
احسن ما تاول وقال الطبري انه قسم اقسم بنعمة الله عنده ويضعفه صورة جواب
القسم فانه غير متمكن في قوله فلن اكون والقسم لا تتلقى بلن والفاء تمنع ان تنزل
لن منزلة لا او ما فتامله واحتج الطبري بان في قراءة عبد الله فلا تجعلني ظهيرا
قال ابو محمد واحتج اهل الفضل والعلم بهذه الاية في خدمة اهل الجور ومعونتهم
في شي من امورهم وراوا انها تتناول ذلك نص عليه عطاء بن ابي رباح وغيره وقوله
تعالى فاصبح عبارة عن كونه دايم الخوف في كل اوقاته كما تقول اصبح زيد
عالما وترقب معناه عليه رقبه من فعله في القتل فهو متحسس قال ابن عباس فمر وهو
حالة الترقب واذا ذلك الاسرائيلي الذي كان قاتل القبطي بالامس يقاتل آخر من القبط
وكان قتل القبطي قد خفي على الناس واكتتم فلما راى الاسرائيلي موسى استصرخه معنى
صاح به مستغيثا ومنه قول الشاعر
«كنا إذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب» فلما راى
موسى قتاله الاخر اعظم ذلك وقال له معاتبا وموبخا إنك لغوي مبين وكانت

ارادة موسى مع ذلك ان ينصر الاسرائيلي فلما دنا منهما وخشي الاسرائيلي وفزع
منه وظن انه ربما ضربه وفزع من قوته التي راى بالامس فناداه بالفضيحة
وشهر امر المقتول **قوله تعالى** فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال
يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد إلا ان تكون جبارا
في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا
موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا
يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ۝ قرا جمهور الناس يبطش بكسر الطاء وقرا
الحسن وابو جعفر بضم الطاء وهما لغتان وقال الاسرائيلي لموسى معنى الاية لما نبه
وفزع منه فشهر امر القتل والجبار شانهم قتل الناس بغير حق فلذلك جعله
الاسرائيلي كذلك ونفى عنه الاصلاح قال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار ولما اشتهر
ان موسى قتل القتيل وكان قول الاسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما
كان لموسى من المقدمات اثار راي فرعون وملائه على قتل موسى وذبحه وغلب
على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفذ فيه من يطلبه من جنده
وبابه للقتل فخرج على الطريق الاعظم واخذ رجل يقال انه مؤمن آل فرعون
ويقال انه غيره في بنيات الطريق فقصد الموضع موسى فبلغه قبلهم وقال له إن
الملأ الاية ويسعى معناه يسرع في مشيه قاله الزجاج وغيره وهو دون الجري
وقال ابن جريج معناه يعمل وليس بالشد قال ابو محمد وهذه نزعة مالك رحمه
الله في سعي الجمعة والاول عندي اظهر في هذه الاية ويأتمرون وزنه يفتعلون
ويفتعلون يأتي كثيرا بمعنى يتفاعلون ومنه ازدوج بمعنى تزاوج وذهب ابن قتيبة
الى انه بمعنى يامر بعضهم بعضا وقال لو كان ذلك لكان يتامرون قال ابو محمد
وذهب عنه ان يفتعل بمعنى يتفاعل وفي القران وأتمروا بينكم بمعروف وقد قال
النمر بن تولب «أرى الناس قد احدثوا شيمة وفي كل حادثة يؤتمر» وانشد
الطبري «ما تأتمر فينا فامرك في يمينك او شمالك» ومنه قول ربيعة بن

قيل ان موسى ... الاسرائيلي ... الذي ... [illegible]

جئتم اجار ابن كعب كاني خير ويعد واعلي المراتب بأمر فخرج موسى
عليه السلام واقلت القوم فلم يلحقه احد منهم وخرج حكم وعه وبادرته
الى الطريق المودية الى مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام وكان موسى لا يعرف تلك
الطريق ولم يصحب احدا ولا دابة يركبها واثقا بالله تعالى ومتوكلا عليه قال السدي
ومقاتل فروي ان الله تعالى بعث اليه جبريل وقيل ملكا غيره فسدده الى طريق
مدين واعطاه عصا فقيل هي كانت عصاه ويروي ان عصاه انما اخذها
لرعيه الغنم في مدين وهو اصح واكثر وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن
جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون وحكى الطبري عن ابن جريج او ابن ابي
نجيح شك الطبري ان الذي اراد ان يبطش هو الاسرائيلي فنهاه موسى عليه السلام
عن ذلك بعد ان قال له انك لغوي مبين ففزع الاسرائيلي عند ذلك من موسى
وخاطبه بالفضح وكان موسى من الندامة والتوبة وحيرة لا يتصور معه ان يريد
البطش بهذا الفرعوني الاخر وروي ابن جريج ان اسم الرجل الساعي من اقصى المدينة
شمعون وقال ابن اسحق سمعان قال ابو محمد والثبت وهذا ونحوه بعيد قوله
تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى
الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ه ولما خرج عليه السلام فارا بنفسه
منفردا خائفا لا شيء معه راى حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد وغيره
فاسند الى الله تعالى وقال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وهذه الاقوال منه تقتضي
انه كان عارفا بالله تعالى عالما بالحكمة والعلم الذي اتاه الله تعالى ووجه
رد وجهه اليها وتلقاء معناه الناحية اي الى الجهة التي يلقى فيها الشيء المذكور وسواء
السبيل معناه وسطه وقويمه وفي هذا الوقت بعث الله تعالى الملك المسدد حسب ما
ذكرناه قبل وقال مجاهد اراد بسواء السبيل طريق مدين وقال الحسن اراد

سبيل الهدى قال ابو محمد وهذا ابدع ونظيره قول الصديق عن النبي صلى
الله عليه وسلم هذا الذي يهديني السبيل الحديث فمشى عليه السلام حتى ورد
مدين اي بلغها وورود الماء معناه بلغه لا انه دخل فيه ولفظة الورود
قد تكون بمعنى الدخول في المورود وقد تكون بمعنى الاطلال عليه والبلوغ
اليه وان لم يدخل فورود موسى هذا الماء كان بالوصول اليه وهذه الوجوه
في اللفظة تتاول في قوله تعالى وان منكم الا واردها ومدين لا تنصرف
اذ هي بلدة معرفة والامة الجمع الكثير ويسقون معناه ماشيتهم ومن
دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جاء منها فوصل الى المراتين قبل وصوله الى الامة
وهكذا هما من دونهم بالاضافة اليه وتذودان معناه تمنعان وتحبسان ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم فلا يذادن رجال عن حوضي الحديث وشاهد الشعر في ذلك
كثير وفي بعض المصاحف امراتين تذودان واختلف في المذود فقال ابن عباس وغيره
تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وقال قتادة تذودان الناس عن
غنمهما فلما راى موسى عليه السلام امر المراتين قال ما خطبكما اي ما امركما
وشانكما وكان استعمال السؤال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق
عليه او يأتي بمنكر من الامر فكانه بالجملة في شر فاخبرتاه خبرهما وان
اباهما شيخ كبير فالمعنى انه لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وانهما لضعفهما
وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الاقوياء وان عادتهما التاني حتى يصدر الناس
ويخلو وحينئذ تردان وقالت فرقة كانت الابار مكشوفة وكان زحم الناس
يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى فعن
هذا الغلب الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت فرقة بل كانت
ابارهم على افواهها حجارة كبار وكان ورود المراتين تتبع ما في صهاريج
الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة وان موسى عمد الى بئر كانت مغطاة والناس
يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قاله ابن زيد وقال ابن جريج

عشر وقال ابن عباس ثلاثون وقال الزجاج اربعون فرقة وسقى للمراتين
فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل ان بير هو دلات واحد وانه رفع
عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة المراتين تترقب الفضلات وقرا
الجمهور نسقي بفتح النون وقرا طلحة نُسقي بضمها وقرا ابو عمرو وابن عامر حتى
يَصدُر بفتح اليا وضم الدال وهي قراءة الحسن وابي جعفر وقتادة وقرا الباقون
يُصدِر بضم اليا وكسر الدال على حذف المفعول تقديره مواشيهم وحذف
المفعول كثير في القران والكلام وهي قراءة الاعرج وطلحة والاعمش وابن ابي
اسحق وعيسى والرعاء جمع راع وتولى موسى عليه السلم الى الظل ثمره قاله ابن مسعود
وتعرض لسوال ما يطعمه بقوله رب اني لما انزلت الي من خير فقير ولم يصرح
بسوال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله قال ابن
عباس وكان قد بلغه الجوع واخضر لونه من اكل البقل وضعف حتى لصق
بطنه بظهره ورئيت خضرة البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق يومئذ على الله
تعالى ويروى انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدمه وفي هذا معتبر وحاكم
بهوان الدنيا على الله تعالى قوله عز وجل فجاءته احداهما تمشي على استحياء
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من
استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك
ستجدني ان شاء الله من الصالحين ۵ في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر
قدره ابن اسحق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطاء في السقي
فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل
الصغرى ان تدعوه له فجاءت على ما في هذه الاية وروي ان اسم احداهما ليّا
والاخرى شرفا وروي اسم زوجة موسى منهما صفوره وقيل اسمها

صوريا وقال وهب زوجته الكبرى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه زوجه الصغرى ذكره الثعلبي ومكي من طريق ابي ذر وقال النقاش
ويقال كانتا توامين وولدت الاولى قبل الاخرى بنصف نهار وقوله تمشي حال من
احداهما وقوله على استحياء اي خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عمرو بن ميمون لم تكن سلفعا من النساء
خراجة ولاجة واختلف الناس في الرجل الداعي لموسى من هو فقال الجمهور
هو شعيب عليه السلم وهما ابنتاه وقال الحسن هو ابن اخي شعيب واسمه ثروان
وقال ابو عبيدة يثرون وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب وقيل ان
المراتين انما كان ابوهما عمهما وهو كان صاحب الغنم وهو المزوج لكن
عبر عن العم بالاب في جميع الامر اذ هو بمثابته وروي ان موسى عليه السلم
لما جاءته بالرسالة اجاب فقام يتبعها الى ابيها فهبت ريح ضمت قميصها الى بدنها
فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال لها ارجعي خلفي وارشديني الى
الطريق ففهمت عنه فذلك سبب وصفها بالامانة قاله ابن عباس فوصل
موسى عليه السلم الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فانسه بقوله لا
تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون فلما
فرغ كلامهما قالت الابنة التي ذهبت عنه يا ابت استاجره الاية فلما وصفته
بالقوة والامانة قال لها ابوها ومن اين عرفت هذا منه فقالت اما قوته
ففي رفع الصخرة واما امانته فمن تحرجه عن النظر الي وقت هبوب الريح قاله ابن
عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم فقال له عند ذلك الاب اني اريد ان
انكحك الاية قال ابن عباس فزوجه التي دعته وتاجرني معناه تثيب وقال مكي
في هذه الاية خصائص في النكاح منها انه لم يعين الزوجة ولا حد اول الامد
وجعل المهر اجارة ودخل ولم ينقد شيا قال ابو محمد اما التعيين فيشبه
انه كان في اثناء حال المراوضة وانما عرض الامر مجملا وعين بعد ذلك

فأما ذكر أول المدة فليس في الآية ما يقتضي إسقاطه بل هو مسكوت عنه
فإما رسماه وإلا فهو من وقت العقد وأما النكاح بالإجارة فظاهر من
الآية وهو أمر قد قرره شرعنا وجرى به حديث الذي لم يكن عنده إلا
شيء من القرآن وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك خاص وبعضهم إلى أنه منسوخ
ولم يجوز مالك رحمه الله النكاح بالإجارة وجوزها ابن حبيب وغيره إذا كانت
الأجرة تصل إلى الزوجة وقيل ومن لفظ شعيب عليه السلام حسن في لفظ العقود في
النكاح أنكحه إياها أحسن من أنكحها إياه وهذا معترض وجعل شعيب الثمانية
الأعوام شرطا ووكل العامين إلى المروءة قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك
أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى
الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي
من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله
رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير
سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون
وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين ٥ لما فرغ كلام شعيب قرره موسى وكرر معناه
على جهة التوثق في أن الشرط إنما وقع في ثمان حجج وأيما استفهام نصبه بقضيت
وما صلة للتأكيد وقرأ الحسن أيما بسكون الياء وقرأ ابن مسعود أي الأجلين
ما قضيت وقرأ الجمهور فلا عدوان بضم العين وقرأ أبو حيوة فلا عدوان
بكسر العين والمعنى لا تبعة علي من قول ولا فعل والوكيل الشاهد القائم بالأمر
قال ابن زيد ولما كمل هذا النكاح بينهما أمر شعيب موسى أن يسير إلى بيت له
فيه عصي وفيه هذه العصا وروي أن العصا وثبت إلى موسى فأخذها وكانت عصى
آدم وكانت من عير ورقة الريحان وروي أن شعيبا أمره بردها ففعل وذهب

بأخذ غيرها فوثبت إليه وفعل ذلك ثلاثة فلما رأى شعيب ذلك علم أنه يرشح
للنبوة فتركها له وقيل إنما تركها له لأنه أمر موسى بتركها فأبى موسى ذلك فقال له
شعيب نمد إليها جميعا فمن طاوعت فهي له فمد إليها شعيب يده فثقلت ومد موسى
فخفت ووثبت إليه فعلما أن هذا من الترشيح وقال عكرمة إن عصى موسى إنما
دفعها إليه جبريل ليلا عند توجهه إلى مدين وقوله تعالى فلما قضى موسى
الأجل قال سعيد بن جبير سألني رجل من النصارى أي الأجلين قضى موسى فقلت
لا أدري حتى أقدم على حبر العرب يعني ابن عباس فقدمت عليه فسألته فقال قضى
أكملهما وأوفاهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال وفى فعدت
فأعلمت النصراني فقال صدق هذا والله العالم وروي عن ابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سأل في ذلك جبريل فأخبره أنه قضى عشر سنين وحكى
الطبري عن مجاهد أنه قضى عشرا وعشرا بعدها قال أبو محمد وهذا
ضعيف وفي قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما قضى الأجل أراد أن يسير
بأهله إلى مصر بلده وقومه وقد كان لا محالة أحس بالترشيح للنبوة فسار وكان
رجلا غيورا لا يصحب الرفاق فلما كان في بعض طريقه في ليلة مظلمة مردة قرة قال
النقاش كانت ليلة جمعة فقدوا النار وأصلد الزند وضلوا الطريق واشتد
عليهم الخصر فبينما هو كذلك إذ رأى نارا وكان ذلك نورا من نور الله تعالى
قد التبس بشجرة قال وهب كانت عليقا وقال فتادة عوسجا وقيل زعرورا وقيل
سمرة قال ابن مسعود وآنس معناه أحس والإحساس هاهنا بالبصر ومن هذه
اللفظة قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا ومنه قول حسان
انظر خليلي بباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد وكان هذا الأمر
كله في جانب الطور وهو جبل معروف بالشام والطور كل جبل وخصصه قوم بأنه
الذي لا ينبت فلما رأى موسى النار سر وقال لأهله امكثوا فقد آنست نارا لعلي
آتيكم منها بخبر عن الطريق أين هو أو جذوة وهي القطعة من النار في قطعة

عودٍ دُبِّن لا لهب لها إنما هي جمرة ومن ذلك قول الشاعر

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذا غير خوّار ولا دعر

قال أبو محمد وأحسب أن أصل الجذوة أصول الشجر وأهل البوادي أبداً يوقدونها فلا هي الجذوة حقيقة وسمعت قول السلمي يصف الفلى

حمى حب هذا النار حب خليلتي وحب الغواني وهو دون الحبائب

وبدلت بعد المسك والبان شقوة دخان الجذا في رأس أشمط شاحب

وقرأ الجمهور جِذوة بكسر الجيم وقرأ حمزة والأعمش جُذوة بضمها وقرأ عاصم جَذوة بفتحها وهي لغات والصلي حر النار وتصطلون منه أبدلت التاء طاء فلما أتى موسى عليه السلام ذلك الضوء الذي رآه وهو في تلك الليلة ابن أربعين سنة نُبّئ عليه السلام فروي أنه كان يمشي إلى ذلك النور فكان يبعد منه تمشي به الشجرة وهي خضراء غضة حتى نودي والشاطئ الشط صفة الوادي وقوله الأيمن يحتمل أن يكون من اليمن صفة للوادي أو للشاطئ ويحتمل أن يكون المعادل لليسار فذلك لا يوصف به الشاطئ إلا بالإضافة إلى موسى في استقباله مهبط الوادي أو بعكس ذلك وكل هذا قد قيل وقرئت البقعة فهي ما حفت به من آيات الله وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام والناس على ضم الباء من بقعة وقرأ بفتحها أبو الأشهب قال أبو زيد سمعت من العرب هذه بقعة طيبة بفتح الباء وقوله من الشجرة يقتضي أن موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة وسمع وأدرك غير مكيف ولا محدد وقوله أن يا موسى يحتمل أن تكون مفسرة ويحتمل أن تكون في موضع نصب بإسقاط حرف الجر وقرأه فرقة أني أنا الله بفتح أني ثم أمره تعالى بإلقاء العصى فألقاها فانقلبت حية عظيمة ولها اضطراب الجان وهو صغير الحيات فجمعت هول الثعبان ونشاط الجان هذا قول بعضهم وقالت فرقة بل الجان يعم الصغير والكبير وإنما شبه بالجان جملة العصى لاضطرابها فقط وولى موسى عليه السلام فزعاً منها ولم يعقب معناه لم

يرجع على عقبه من توليته فقال الله له يا موسى أقبل فأقبل وعداً من تأمين الله تعالى إياه ثم أمره بأن يدخل يده في جيبه وهو فتح الجبة من حيث يخرج رأس الإنسان وروي أن كم الجبة كان في غاية الضيق فلم يكن له جيب يدخل يده إلا في جيبه واسلك معناه أدخل ومنه قول الشاعر

حتى سلكن الشوى منهن في مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج

وقوله من غير سوء أي من غير مرض ولا مثلة وروي أن يده كانت تضيء كأنها قطعة شمس وقوله واضمم إليك جناحك من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد إلى أن ذلك حقيقة أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك في أوقات فزعه أن يقوى قلبه وذهبت فرقة إلى أن ذلك على المجاز والاستعارة وأنه أمره بالعزم على ما أمر به وأنه كما تقول العرب اشدد حيازيمك واربط جأشك أي شمر في أمرك ودع الرهب وذلك لما كثر تخوفه وفزعه في ما موطن قاله أبو علي وقوله فذانك برهانان قال مجاهد والسدي هي إشارة إلى العصى واليد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والناس الرَّهَب بفتح الراء والهاء وقرأ عاصم وقتادة الرهب بسكون الهاء وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم أيضاً الرُّهب بضم الراء وسكون الهاء وقرأ الجحدري الرُّهُب بضم الراء والهاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فذانّك بشد النون وقرأ الباقون فذانك بتخفيف النون وقرأ شبل عن ابن كثير فذانيك بياء بعد النون المخففة أبدل أحد النونين ياء كراهة التضعيف وقرأ ابن مسعود فذانيك بالياء أيضاً مع شد النون وهي لغة هذيل وحكى المهدوي أن لغتهم تخفيف النون وبرهانان حجتان ومعجزتان وباقي الآية بين

قوله عز وجل قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى

بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال
موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح
الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا
هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون ٥
كان موسى عليه السلام قد احس بالمخاوف فطلب شد العضد باخيه هرون لانه كان
فصيح اللسان صحيح الخلق وقرا الجمهور ردا بالهمز وقرا نافع وحده بتنوين الدال
دون همز وهي قراءة ابي جعفر والمدنيين وذلك على التخفيف من ردا والردء
الوزر المعين والذي يسند اليه في الامر وذهبت فرقة الى انها من معنى الزيادة
كما قال الشاعر   واسمر خطي كان كعوبه نوى القسب قد اردى ذراعا على العشر
وهذا على ترك الهمز وان يكون وزنه فعلا وقرا جمهور القرا يصدقني بالجزم
وذلك على جواب ارسله وقرا عاصم وحمزة يصدقني اي مصدقا فهو صفة للردء
او حال وشد العضد استعارة في المعونة والانهاض وقرا الحسن بضم العين من
عضد وقرا عيسى بن عمر بفتح العين والضاد والسلطان الحجة وقوله باياتنا يحتمل
ان يتعلق بالغالبون ويحتمل او يصلون ويكون بالسبب ويحتمل ان يتعلق بقوله
الغالبون اي يغلبون باياتنا والايات هي معجزاته عليه السلام ولما كذبوه ورموه
بالسحر قارب موسى عليه السلام في احتجاجه وراعه تكذيبهم فرد الامر الى الله عز
وجل وعول على ما يظهره تعالى في شانهم وتوعدهم بنقمة الله تعالى منهم وقرا
ابن كثير قال موسى بغير واو وقرا غيره وجميع السبعة وقال بالواو وقرا الجمهور
وتكون له بالتا وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء على التذكير اذ هي بمنزلة
العاقب فهو كالصوت والصيحة والوعظ والموعظة ثم استمر فرعون في طريق
مخرقته على قومه وامر هامان بان يطبخ له الاجر وان يبني له صرحا اي سطحا في
اعلى الهوا وليس الصرح الا ماله سطح ويحتمل ان يكون الايقاد على الطين للترابي

ويرجي بذلك بزعمه ان يطلع في السما فروى عن السدي انه بناه اعلى ما يمكن
ثم صعد فيه ورمي بالنبل فردها الله اليه مخضوبة بالدم ليزيدهم عمى وفتنة
فقال فرعون حينئذ اني قد قتلت اله موسى ثم قال واني لاظنه من الكاذبين يريد
في ان موسى ارسله مرسل فالظن على بابه وهو في معنى ايجاب الكفر له بمنزلة
التصميم على التكذيب وقرا حمزة والكسائي ونافع لا يرجعون وقرا الباقون
والحسن وخالد لا يرجعون بضم اليا وفتح الجيم **قوله عز وجل** فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ايمة يدعون
الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
هم من المقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون   نبذناهم معناه طرحناهم
ومنه نبذ النواة ومنه قول الشاعر
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا من نعالك باليا ** وقوله
فرعون وان كانوا اسارهم الى البحر ودخلوا باختيارهم فان ما ضمهم من
القدر السابق هو نبذ الله تعالى اياهم فيه واليم البحر القلزم في قول
اكثر الناس وقالت فرقة كان غرقهم في نيل مصر والاول اشهر وقوله وجعلنا
ايمة يدعون عبارة عن حالهم وافعالهم وخاتمتهم اي هم بذلك كالداعين
الى النار وهم فيه ايمة من حيث اشتهروا وبقي حديثهم فهم قدوة لكل كافر
وعتات الى يوم القيامة والمقبوحين الذين يقبح كل امرهم قولا لهم وفعلا بهم
قال ابن عباس هم الذين يحشرون بسواد الوجوه وزرق العيون ويوم ظرف مقدم
وقوله تعالى من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اخبار عن انه انزل التوراة
على موسى بعد هلاك فرعون وقومه وبعد هذه الامم التي قد تقدم ذكرها
من عاد وثمود وقرية لوط وغيرها والقصد بهذا الاخبار التمثيل لقريش بما تقدم
في غيرها من الامم وقالت فرقة ان الاية تضمنت ان انزال التوراة على موسى

هو بعد أن رفع الله عذاب الأمم فلم يعذب أمة بعد نزول التوراة إلا القرية
التي مسخت قردة فيما روي وقوله بصائر نصب على الحال أي طرائق هادية
وقوله لعلهم يتذكرون أي على رجاء البشر وما يعطيه تأمل من أمل الأمر
وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال ما أهلك الله أمة بعذاب منذ أنزل
التوراة إلى الأرض غير القرية التي مسخت قردة وهم الذين تعدوا في السبت
وهذا التعرض من سبب شرع موسى جملة لا يقتضي فضيلة التوراة برفع العذاب
عن الأرض **قوله تعالى** وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر
وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور
إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يتذكرون ۵ المعنى ولم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي تخبر بها ولكنها صارت
إليك بوحينا أي فكان الواجب أن يسارعوا إلى الإيمان بك ولكن تطاول
الأمر على القرون التي أنشأناها زمنا زمنا فعزبت حلومهم واستحكمت جهالتهم
وضلالتهم وقضينا معناه أنفذنا وصيرنا والأمر يعني التوراة وقالت فرقة يعني
به ما أعلمه به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم قال ـــــ أبو محمد وهذا تأويل حسن
يلتئم معه ما بعده من قوله ولكنا أنشأنا قرونا والثاوي المقيم وقوله وما كنت
بجانب الطور يريد وقت إنزال التوراة إلى موسى وقوله إذ نادينا روي عن
أبي هريرة أنه نودي يومئذ من السماء يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني وغفرت
قبل أن تسألوني فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلني من أمة محمد فالمعنى إذ نادينا
بأمرك وأخبرنا بنبوتك وقوله رحمة نصب على المصدر أو مفعول من أجله وقوله
ولكن مرتبط بقوله وما كنت أي ولكن جعلناك وأنفذنا أمرك ودعا رحمة من ربك
أو يكون المعنى ولكن أعلمناك ونبأناك رحمة منا لك وإفضالا وقرأ الباقون رحمة
بالنصب وقرأ عيسى رحمة بالرفع وقوله بالقوم الذين لم يأتهم نذير تعاصره يعني

العرب وباقي الآيتين وقال الطبري معنى قوله إذ نادينا بأن سأكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية **قوله
تعالى** ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا
رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران
تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما
أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۵ المصيبة
عذاب في الدنيا على كفرهم وجواب لولا محذوف يقتضيه الكلام تقديره لعاجلناهم
بما يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما أرسلنا الرسل وقوله فلما جاءهم الحق يريد
القرآن ومحمدا صلى الله عليه وسلم والمقالة التي قالتها قريش لولا أوتي مثل ما أوتي
موسى كانت من تعليم اليهود لهم قالوا لهم لم لا يأتي بآية باهرة كالعصا واليد
ونتق الجبل وغير ذلك فعكس الله عليهم قولهم ووقفهم على أنهم قد وقع
منهم في تلك الآيات ما وقع من هؤلاء وهذه فالضمير في قوله يكفروا لليهود وقرأ
الجمهور ساحران والمراد بهما موسى وهارون قاله مجاهد وقال الحسن موسى
وعيسى وقال ابن عباس موسى ومحمد وقال الحسن أيضا عيسى ومحمد عليهما السلام
والأول أظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائي سحران والمراد بهما التوراة
والإنجيل قاله عكرمة وقال ابن عباس التوراة والقرآن وقرأ ابن مسعود سحران
اظاهرا وهي قراءة طلحة والضحاك قال ـــــ أبو محمد ويحتمل أن يريد بما أوتي
موسى أمر محمد الذي هو في التوراة كأنه يقول وما يطلبون من أن يأتي مثل ما
أوتي موسى وهم قد كفروا في التكذيب لك بما أوتيه موسى من الإخبار بك
وقالوا إنا بكل كافرون يؤيد هذا التأويل وتظاهرا معناه تعاونا وقوله تعالى

قل فأتوا بكتاب من عند الله الآية هذه حجة أمر الله تعالى أن يصدع بها
أي ائتوا أيها المكذبون بهذه الكتب التي قد تضمنت الأمر بالعبادات ومكارم
الأخلاق ونهت عن الكفر والنقائص ووعد الله تعالى مع ذلك عليها
الثواب الجزيل إن كان تكذيبهم لمعنى وخال صحته فأتوا بكتاب من عند الله كذلك
أكثر من هدى هذه أتبعه معكم ثم قال تعالى فإن لم يستجيبوا لك وهو قد
علم أنهم لا يستجيبون على معنى الإيضاح لفساد حالهم وسياق العبارة المبين لأنهم
يتبعون لأهوائهم ثم نفى تعالى من ضلال لمن يتبع هواه بغير هدى من الله وتعبير مقصد
غيرهم على ذلك على جهة التبيان أي لا أحد أضل منه **قوله عز وجل** ولقد
وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك
يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم
ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ٥ الذين وصل لهم القول هم قريش قاله مجاهد
وغيره وقال رفاعة القرظي نزلت في اليهود وعشرة أنا أحدهم ذكره الطبري
وقال الجمهور معناه واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولا بعضه ببعض في
المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام قال الحسن وفي ذكر الأمم المهلكة
وصلت لهم قصة بقصة حسب مرور الأيام وذهب مجاهد أن معنى وصلنا
أي جعلناه أوصالا من حيث كان أنواعا من القول ومعان من القول في معان
مختلفة ومعنى اتصال بعضه ببعض حاصل من جهة أخرى لكن إنما عدد عليهم
هاهنا تقسيمه في أنواع من القول وذهب الجمهور إلى أن هذا التوصيل الذي
وصل لهم القول معناه وصل المعاني من الوعظ والزجر وذكر الآخرة وغير
ذلك وذهبت فرقة إلى أن الإشارة بتوصيل القول إنما هي إلى الألفاظ أي إلى
الإعجاز فالمعنى ولقد وصلنا لهم قولا معجزا دالا على نبوتك قال أبو محمد

والمعنى الأول تقريره ولقد وصلنا لهم قولا يتضمن معاني من تدبرها اهتدى
وقرأ الحسن بن أبي الحسن ولقد وصلنا بتخفيف الصاد وقوله لعلهم أي في طمع
البشر وظاهر الأمر عندهم وحسبهم ثم ذكر تعالى القوم الذين آمنوا
من أهل الكتاب مباهيا بهم قريشا واختلف في المراد بالإشارة فقيل إلى جماعة
من اليهود أسلمت وكانت تلقى من الكفار أذى وقيل إلى بحيرا الراهب وقال
الزهري إلى النجاشي وقيل إلى سلمان وابن سلام وأسند الطبري عن علي بن أبي رفاعة
قال خرج عشرة رهط من أهل الكتاب فيهم أبو رفاعة يعني أباه فآمنوا
فأوذوا فنزلت فيهم هذه الآية والضمير في قبله يحتمل أن يعود على النبي صلى
الله عليه وسلم ويحتمل أن يعود على القرآن وما بعد يؤيد هذا قوله وإذا
يتلى عليهم وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين يريدون الإسلام المتحصل لهم من
شريعة موسى وعيسى عليهما السلام وأجرهم مرتين معناه على ملتين وحظوة
شريعتين وهذا المعنى هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتيهم
الله أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي والعبد الناصح
في عبادة ربه وخدمة سيده ورجل كانت له أمة فأدبها وعلمها ثم أعتقها
وتزوجها وقوله تعالى بما صبروا عام في صبرهم على ملتهم ثم على هذه وعلى
الأذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك من أنواع الصبر وقوله ويدرءون
معناه يدفعون وهذا وصف لمكارم الأخلاق أي يتغابون ومن قال لهم
سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه آية مهادنة وهي في صدر
الإسلام وهي مما نسخته آية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاها
أمة محمد إلى يوم القيامة وقوله ومما رزقناهم ينفقون مدح لهم بالنفقة
في الطاعات وعلى رسم الشرع وذلك حض على الصدقات ونحوها واللغو
سقط القول والقول يسقط لوجوه يعز حصرها فالفحش لغو والسب لغو واليمين
لغو حسب الخلاف فيها وكلام مستمع الخطبة لغو والمراد من هذا في هذه الآية ما

كان سبا وأذى ونحوه فأدب الإسلام الإعراض عنه والقول على جهة
التبري لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقال ابن زيد اللغو هاهنا ما كان
بنو إسرائيل كتبوه في التوراة مما ليس من عند الله قال القاضي ابو محمد وهذه
المهادنة هي لبني إسرائيل الكفار منهم وسلام عليكم في هذا الموضع ليس المقصود
بها التحية لكنه لفظ التحية قصد به المتاركة وهو لفظ مؤنس مستنزل
لسامعه إذ هو في عرف استعماله تحية قال الزجاج وهذا قبل الأمر بالقتال
ولا نبتغي الجاهلين معناه لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة **قوله تعالى**
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا
إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات
كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت
معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ه
أجمع جل المفسرين على أن قوله إنك لا تهدي من أحببت إنما نزلت في شأن أبي طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة وابن المسيب وغيرهما أن النبي صلى
الله عليه وسلم دخل عليه وهو يجود بنفسه فقال له أي عم قل لا إله إلا الله كلمة
أشهد لك بها عند الله وكان بحضرته عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام
فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب يا أبا طالب فقال أبو طالب يا محمد لولا
أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدي لأقررت بها عينك ثم قال أبو طالب أنا على
ملة عبد المطلب والأشياخ فتفجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عنه
فمات أبو طالب على هذه فنزلت هذه الآية قال أبو روق قوله ولكن الله
يهدي من يشاء إشارة إلى العباس والضمير في قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم
بذلك منهم الحرث بن نوفل وقصد الإخبار بأن العرب تنكر عليهم رفض الأوثان
وفراق حكم الجاهلية فتتخطفهم من أرضهم وقوله الهدى معناه على
زعمك وحكى الثعلبي أنه قال له إنا لنعلم أن الذي تقول حق ولكن إن اتبعناك

نتخطفنا العرب فقطعهم الله تعالى بالحجة أي أليس كون الحرم لهم مما ثبتناه
وهذا حكم الأبدي فيه ولحقه بحلول الحرمة واتفقت ديني وشرعي وروى
عن أبي عمرو نتخطف بضم الفاء وأمن الحرم هو أن لا يغزى ولا يؤذى فيه أحد
وقوله يجبى إليه أي يجمع ويجلب وقرأ نافع وحده تجبى بالتاء من فوق وقرأ
الباقون يجبى بالياء من تحت وروي التاء من فوق عن أبي عمرو وأبي جعفر وشيبة
بن نصاح وقوله كل شيء يريد مما به صلاح حالهم وقوام أمرهم وليس العموم
فيه على الإطلاق وقرأ أبان بن تغلب ثمرات بضم الثاء والميم ثم توعد تعالى قريشا
بضرب المثل بالقرى المهلكة أي فلا تغتروا بالحرم والأمن والثمرات التي
تجبى فإن الله مهلك الكفرة على ما سلف في الأمم وبطرت معناه سفهت وأشرت
وطغت قاله ابن زيد وغيره ومعيشتها نصب على التفسير مثل قوله إلا من سفه نفسه
وقال الأخفش هو على إسقاط حرف الجر أي بطرت في معيشتها ثم أحالهم على
الاعتبار في خراب ديار الأمم المهلكة كخراب ديار ثمود وغيرها وباقي الآية
بين **قوله عز وجل** وما كان ربك مهلك القرى إلى وأهلها ظالمون وما
أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون
أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم
القيامة من المحضرين ه إن كانت الإرادة بالقرى المدن التي في عصر النبي صلى
الله عليه وسلم فأم القرى مكة وإن كانت الإرادة القرى بالإطلاق في كل
زمن فأمها في هذا الموضع عظمها وأفضلها التي هي بمثابة مكة في عصر محمد صلى الله
عليه وسلم وإن كانت مكة أم القرى لها أيضا من حيث هي أول ما خلق من الأرض
ومن حيث فيها البيت ومعنى الآية أن الله تعالى يقيم الحجة على عباده بالرسل فلا
يعذب إلا بعد نذارة وبعد أن يتمادى أهل القرى في ظلم وطغيان والظلم هنا يجمع
الكفر والمعاصي والتقصير في الجهاد وبالجملة وضع الباطل موضع الحق ثم خاطب
تعالى قريشا محقرا لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك من قوة لم تكن

عند محمد صلى الله عليه وسلم ولا عند من آمن به فأخبر تعالى مؤمنا أن ذلك
متاع الدنيا الفاني وأن الآخرة وما فيها من النعيم الذي أعد الله لهؤلاء المؤمنين
خير وأبقى ثم وبخهم بقوله أفلا تعقلون وقرأ الجمهور أفلا تعقلون بالتاء
وقرأ أبو عمرو وحده بالتاء من فوق وروي عنه بالياء هذا قال أبو علي في الحجة
وذلك خلاف ما حكى أبو حاتم والناس فإن نافعا يقرأ بالتاء من فوق وهي قراءة
الأعرج والحسن وعيسى ثم زادهم توبيخا بقوله أفمن وعدناه وعدا حسنا الآية
وقوله أفمن وعدناه الآية يعم معناها جميع العالم لكن اختلف الناس فيمن نزلت فقال
مجاهد الذي وعد الوعد الحسن هو محمد صلى الله عليه وسلم وضده أبو جهل وقال
مجاهد أيضا نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في علي وأبي جهل وقال قتادة نزلت عامة
في المؤمن والكافر كما معناها عام قال أبو محمد ونزولها عام من
الاتساق بما قبله من توبيخ قريش ومن المحضرين معناه في عذاب الله قاله مجاهد
وقتادة ولفظة محضرين مشيرة إلى سوق بجبر وقرأ طلحة أفمن وعدناه بغير فاء وقرأ
مسروق أفمن وعدناه نعمة شيا مهولا فيها **قوله عز وجل** ويوم يناديهم
فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء
الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون
۝ التقدير واذكر يوم وهذا النداء يحتمل أن يكون بواسطة ويحتمل
غير ذلك والضمير المتصل بيناديهم لعبدة الأوثان والإشارة إلى قريش وكفار
العرب وقوله أين على جهة التوبيخ والتقريع وقوله شركائي أي على قولكم
وزعمكم قال أبو محمد ولما كان هذا السؤال مسكتا لهم وقد تبينوا
وكأنه لا تعلق لجمهور الكفرة إلا بالمغوين لهم والأعيان الرؤوس منهم
والشياطين المغوين وكان هذه الصنيعة المغوية إنما أتت الكفر على علم فالعقوبة
عليها متحققة ولهم العذاب ماضية لكنهم طمعوا في التبري من ضلال أولئك

الكفرة الأتباع فقالوا ربنا هؤلاء إنما أضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد
لنا ولهم وأرادوا اتباعنا وأحبوا الكفر كما أحببناه نحن تبرأنا
إليك منهم وهم لم يعبدونا إنما عبدوا غيرنا قال أبو محمد فهذا
التوقيف يعم جميع الكفرة والمغوون هم كل مغو داع إلى الكفر من الشياطين
ومن الإنس الرؤساء والعرفاء والسادة في الكفر وقرأ الجمهور غوينا بفتح
الواو ويقال غوى الرجل يغوي بكسر الواو وروي عن ابن عامر وعاصم
غوينا بكسر الواو ثم أخبر تعالى أنه يقال للكفرة العابدين للأصنام الذين
اعتقدوهم آلهة ادعوا شركاءكم أي الأصنام التي كنتم تزعمون أنهم شركاء
لله وأضاف الشركاء إليهم لما كان الاسم بزعمهم ودعواهم فهذا القول
من الاختصاص أضاف الشركاء إليهم ثم أخبر أنهم دعوهم فلم يكن في الجمادات
ما يجيب ورأى الكفار العذاب وقوله تعالى لو أنهم كانوا يهتدون
ذهب الزجاج وغيره من المفسرين إلى أن جواب لو محذوف تقديره لما نالهم
العذاب أو لما كانوا في الدنيا عابدين للأصنام فالكلام على هذا التأويل
متأسف عليهم وذلك يحتمل مع تقديرنا الجواب لما كانوا عابدين للأصنام
وفيه مع تقديرنا الجواب لما نالهم العذاب تمنيا وقالت فرقة لو متعلقة بما
قبلها تقديره ودوا لو أنهم كانوا يهتدون **قوله عز وجل** ويوم
يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ۝ هذا
النداء أيضا كالأول في احتماله الواسطة من الملائكة وهذا النداء أيضا للكفار
توبيخهم على ما أجابوا به المرسلين الذين دعوهم إلى الله ومعنى عميت عليهم الأنباء أي أظلمت
لهم الأمور فلم يجدوا خبرا يحتجون به مما فيه لهم نجاة وساق الفعل في صيغة
الماضي لتحقق وقوعه وأنه يقين والماضي من الأفعال متيقن فلذلك توضع صيغته

بدل المستقبل المتيقن لقوته ووقوعه وصحته وعميت معناه أظلمت جهاتها
وقرأ الأعمش فعميت بضم العين وشد الميم وروي في بعض الحديث كان الله
في عماء وذلك قبل أن يخلق الأنوار وسائر المخلوقات والأنباء جمع نبأ وقوله
فهم لا يتساءلون معناه فيما قال مجاهد وغيره بالأرحام والنسب الذي عرفه
في الدنيا أن يتساءل به لأنهم قد أيقنوا أنهم لا حيلة لهم ولا مكانة ويحتمل
أن يريد أنهم لا يتساءلون عن الأنباء لتيقن جميعهم أنه لا حجة لهم ثم انتزع
تعالى من الكفرة من تاب من كفره وآمن بالله ورسله وعمل بالتقوى
ورجى عز وجل فيهم أنهم يفوزون ببغيتهم ويبقون في النعيم الدائم
وقال كثير من العلماء عسى من الله واجبة قال القاضي أبو محمد وهذا ظن حسن
بالله تعالى يشبه فضله وكرمه واللازم من عسى أنها ترجية لا واجبة وفي كتاب
الله تعالى عسى ربه إن طلقكن وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية
قيل سببها ما تكلمت به قريش من استغراب أمر النبي صلى الله عليه وسلم
وقول بعضهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فنزلت هذه
الآية بسبب تلك المنازع رد الله تعالى عليهم وأخبر أنه يخلق من عباده
وسائر مخلوقاته ما يشاء وأنه يختار لرسالته من يريد ويعلم فيه المصلحة ثم
نفى أن يكون الاختيار للناس في هذا ونحوه هذا قول جماعة من المفسرين
أن ما نافية أي ليس لهم تخير على الله تعالى فتجيء الآية كقوله تعالى وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله الآية قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يريد ويختار
الله تعالى الأديان والشرائع وليس الخيرة في أن يميلوا إلى الأصنام ونحوها
في العبادة ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى سبحان الله وتعالى عما يشركون وذهب
الطبري إلى أن ما في قوله ويختار ما كان مفعوله بيختار قال والمعنى أن الكفار
كانوا يختارون من أموالهم لأصنامهم أشياء فأخبر الله أن الاختيار إنما
هو له وحده يخلق ويختار من الرسل والشرائع ما كان خيرة للناس لا كما

يختارون هؤلاء ما ليس إليهم ويفعلون ما لم يؤمروا به قال القاضي أبو محمد
واعتذر الطبري عن الرفع الذي أجمع القراء عليه في قوله الخيرة بأقوال
تحتمل وقد رد الناس عليه في ذلك وذكر عن الفراء أن القاسم بن معن أنشده
بيت عنترة أمن سمية دمع العين مذروف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف
وقرن الآية بهذا البيت والرواية في البيت لو أن ذا ولكن على ما رواه القاسم
تجيء في بيت عنترة أن يكون الأمر والشأن مضمرا في كان وذلك في الآية ضعيف
لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها مجرور وفي هذا كله نظر والوقف
على ما ذهب إليه جمهور الناس في قوله ويختار وعلى ما ذهب إليه الطبري لا
يوقف على ذلك ويجيء عندي أن يكون ما مفعوله إذا قدرنا كان تامة أي أن
الله تعالى يختار كل كائن ولا يكون شيء إلا بإذنه وقوله لهم الخيرة جملة
مستأنفة معناها تعديد النعمة عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا قوله تعالى
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد
في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم إن جعل الله الليل
سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم
إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل
تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ه ذكر تعالى في هذه الآيات أمورا
تشهد عقل كل معروط أن الأصنام لا شركة لها فيها فمنها علمه ما في النفوس وما
يختص بالخواطر وتكن معناه تستره وقرأ ابن محيصن تكن بفتح التاء وضم
الكاف وعبر عن القلب بالصدر من حيث كان محتويا عليه ومعنى الآية
أن الله تعالى يعلم السر والإعلان ثم أفرد نفسه بالألوهية ونفاها عما سواه وأخبر
أن الحمد له في الدنيا والآخرة إذ له الصفات التي تقتضي ذلك والحكم في
هذا الموضع القضاء والفصل في الأمور ثم أخبر بالرجعة إليه والحشر ثم أمر

عليكم

لعله منظور

تعالى بنبّه أن يوقفهم على آية الليل والنهار وما منح الله فيهما من المصالح والمرافق
أن يوقفهم على العادة تعالى بتقليب الليل والنهار وانه لو مد أحدهما سرمدا
لما وجد من يأتي بالآخر والسرمد من الأشياء الدائم الذي لا ينقطع وقرأت
فرقة هي الجمهور بضياء بالياء وقرأ ابن كثير في رواية قنبل بضئاء بهمزتين وضعفه
أبو علي ثم ذكر عز وجل اتساق الليل والنهار على السكون تعدد النعمة
بالأغلب وان وجد من يسكن النهار ويبتغي فضل الله تعالى بالليل فالشاذ النادر
لا يعتد به وقال بعض الناس من قوله تعالى جعل لكم الليل والنهار إنما عبر به
عن الزمن كأنه لم يقصد لتقسيم اي في هذا الوقت الذي هو ليل ونهار تقع السكون
وابتغاء الفضل وقوله ولعلكم اي على نظر البشر من يرى هذا التلطف والرفق
يرى ان ذلك يستدعي الشكر ولا بد **قوله عز وجل** ويوم يناديهم
فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا
برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ۵ التقدير واذكر
يوم يناديهم وكرر هذا المعنى إبلاغا وتحذيرا وهذا النزع هو عند ظهور كل
ما وعد الرحمن على ألسنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم والعذاب لآخرين
ومن خضوع كل جبار وذله الكل لعزة رب العالمين فيتوجه حينئذ توبيخ
الكفار فيقول الله لهم اين شركاي على معنى التقريع ثم أخبر تعالى انه يخرج
في ذلك اليوم من كل امة شهيدا بيّنة من الناس وهذا هو النزع ان يميز
من شيئين فينتزع أحدهما من الآخر وقال مجاهد اراد بالشهيد النبي الذي
يشهد على امته وقال الرماني وقيل اراد عدولا من الامم وخيارا قال ابو
محمد وهم حملة الحجة الذين لا يخلوا منهم زمان والشهيد على هذا التأويل اسم
الجنس وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر تقديره تشهد الشهيد على
الامة خيرها وشرها فيحق العذاب على من شهد عليه بالكفر ويقال لهم على
جهة استبراء الحجة والاعذار والمحاورة هاتوا برهانكم على ما كنتم

إن كان لكم فيسقط حينئذ في أيديهم ويعلمون ان الحق متوجه لله عليهم
في تعذيبهم ويتلف لهم ما كانوا سبيله في الدنيا من كذب مختلق وزور
في قولهم هذه الهنا للاصنام وفي تكذيبهم الرسل وغير ذلك ومن هذه الآية
انتزع قول القاضي عند ارادة الحكم اما بقيت لك حجة **قوله عز وجل**
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن
الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ۵ قارون
اسم أعجمي فلذلك لم ينصرف واختلف الناس في قرابة قارون من موسى عليه
السلام فقال ابن اسحق هو عمه وقال ابن جريج وابراهيم النخعي ابن عمه لحا وهذا اشهر
وقيل ابن خالته وهو باجماع رجل من بني اسرائيل كان ممن آمن بموسى وحفظ
التوراة وكان من اقرإ الناس لها وكان عند موسى من عباد المؤمنين ثم انه
لحقه الزهو والاعجاب فبغى على قومه بانواع من البغي من ذلك كفره بموسى
واستخفافه به ومطالبته له بما قال ابن عباس فانه عمد الى امرأة مومسة ذات
جمال وقال لها انا احسن اليك واخلطك باهلي على ان تجيئي في ملأ بني اسرائيل
عندي فتقولين يا قارون انهني امر موسى فانه يتعرضني في نفسي فجاءت المرأة فلما
وقفت على الملأ احدث الله لها توبة فقالت يا بني اسرائيل إن قارون قال لي كذا
وكذا فقصته في جميع القصة وبرأ الله موسى من مطالبته وقيل قالت المرأة
عن موسى فلما بلغه الخبر وقف المرأة بمحضر ملأ من بني اسرائيل فقالت يا نبي الله
كذبت عليك وانما دخلني قارون الى هذه المقالة وكان من بغيه انه
زاد في ثيابه شبرا على ثياب الناس قاله شهر بن حوشب الى غير ذلك مما يصدر عن
من فسد اعتقاده وكان من اعظم الناس مالا وسميت اموال الله كنوزا اذ كان
ممتنعا من اداء الزكاة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام اول عداوته

وَالمفاتح ظاهرها أنها التي يفتح بها ويحتمل أن يريد بها الخزائن والأوعية
الكبار قاله الضحاك لأن المفتح في كلام العرب الخزانة قال أبو محمد وأكثر
المفسرين في شأن قارون ويروى عن خيثمة أنه قال نجد في الإنجيل مكتوبا
أن مفاتح قارون كانت من جلود الإبل وكان المفتاح من نصف شبر وكانت
وقر ستين بغلا أو بغلا لكل مفتاح كنز قال أبو محمد وروي غير هذا مما يقرب
منه وذلك كله ضعيف والنظر يشهد بفساد هذا ومن كان الذي يميز بعضها
عن بعض وما الداعي إلى هذا وفي الممكن أن ترجع كلها إلى ما يحصى ويقتدر
على حصره بسهولة وكان يلزم على هذا المعنى أن تكون مفاتيح بيا وهي قراءة الأعمش
والذي يشبه إنما هو أن تكون المفاتح من الحديد ونحوه وعلى هذا تنوء بالعصبة
إذا كانت من ذلك لكثرة مخازنه وافتراقها في المواضع أو تكون المفاتح الخزائن
قال أبو صالح كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا وأما قوله تعالى تنوء فمعناه
تنهض بتحامل واشتداد ومن ذلك قول الشاعر
ينوء ولم يكسين إلا قنازعا من الريش تنواء الفصال الهزائل ومنه قول
الآخر نصيف رأسا حتى إذا ما اعتدلت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله
والوجه أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها وكذلك قال كثير
من المتأولين إن المراد هذا لكنه قلب كما تفعل العرب كثيرا ومن ذلك قول
الشاعر فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك إلا ما أطيق ومن ذلك قول
الآخر ونركب خيلا لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر وهذا
القلب لا حجة فيه إذ يتجه على وجهه فتأمله ومن ذلك قول الآخر
ما كنت في الحرب العوان مغمرا إذ شب حر وقودها أجذالها وقال سيبويه
والخليل النوء للعصبة جعل ذلك تعديه الفعل بحرف الجر
كما تقول ناء الحمل وأنأته ونؤت به بمعنى جعلته ينوء والعرب تقول ناء الحمل
بالبعير إذا أثقله قال أبو محمد ويحتمل أن يسند تنوء إلى المفاتح مجازا

لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذي ينهض بها وهذا مطرد في قولهم
ناء الحمل بالبعير ونحوه فتأمله واختلف الناس في العصبة كم هي فقال ابن عباس
ثلاثة وقال قتادة العصبة من العشرة إلى الأربعين وقال مجاهد خمسة عشر وقيل
أحد عشر وحلا على أخوة وقيل أربعون وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهها
أبو الفتح على أنه يعني المفاتحة جمعا وذكر أبو عمرو الداني أن بديل بن ميسرة قرأ
ما إن مفتاحه على الإفراد ويستغنى على هذا عن توجيه أبي الفتح وقوله تعالى
إذ قال له قومه متعلق بقوله فبغى وقوله لا تفرح المعنى الذي هو انهماك
وانحلال نفس وأشر وإعجاب والفرح هو الذي خلق دائما بالفرح ولا الحب في
هذا الموضع صفة فعل لأنه أمر قد وقع فمحال أن يرجع إلى الإرادة وإنما هو لا
تظهر عليهم بركته ولا تبيحهم رحمته ثم وعظوه بأن يطلب بماله رضى الله تعالى ويقدم
لآخرته وقولهم ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف المتأولون فيه فقال ابن عباس والجمهور
معناه لا تضيع عمرك في أن لا تعمل عملا صالحا في دنياك إذ الآخرة إنما يعمل لها في
الدنيا فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغي أن لا يهمله قال أبو
محمد فالكلام كله على هذا التأويل شدة في الموعظة وقال الحسن وقتادة معناه
لا تضيع أيضا حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة
دنياك قال أبو محمد فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح
الأمر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من
الشدة وقال الحسن معناه قدم الفضل وأمسك ما يبلغ وقال مالك هو الأكل
والشرب بلا سرف وحكى الثعلبي أنه قيل أراد بنصيبه الكفن قال أبو محمد
فهذا وعظ متصل كأنهم قالوا لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي
هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط
وقوله وأحسن كما أحسن الله إليك أمر بصلة المساكين وذوي الحاجة وباقي
الآية بين قوله عز وجل قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك

من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون إنه لذو حظ عظيم ۝ القائل لقارون لما وعظه قومه وندبوه إلى إنفا
الله في المال الذي أعطاه تفضلا منه عليه أخذته العزة بالإثم فأجاب بمقالته
وقال لهم على جهة الرد عليهم والروغان عما ألزموه إنما أوتيته على علم عندي
ولكلامه هذا وجهان يحتملهما كل واحد منهما قالت فرقة من المفسرين فقال
الجمهور منهم إنه ادعى أن عنده علما استوجب به أن يكون صاحب ذلك المال
وتلك النعمة ثم اختلفوا في العلم الذي أشار إليه ما هو فقال بعضهم علم التوراة وحفظها
قالوا وكانت هذه مغالطة منه ورياء وقال أبو سليمان الداراني أراد العلم
بالتجارب ووجوه تثمير المال فكأنه قال أوتيته بإدراكي وسعيي وقال ابن المسيب
أراد علم الكيمياء وقال ابن زيد وغيره إنما أراد أوتيته على علم من الله وتخصيص
من لدنه قصدني به أي فلا يلزمني فيه شيء مما قلتم ثم جعل قوله عندي كما تقول
في معتقدي وعلى ما أراه قال أبو محمد وعلى الاحتمالين معا فقد نبه القرآن
على خطائه في اغتراره وعارض منزعه بأن معلومات الناس المتحققة عندهم أن
الله تعالى قد أهلك من الأمم والقرون والملوك من هو أشد من قارون قوة
وأكثر جمعا إما للمال وإما من الحاشية والغاشية وقوله تعالى أولم يعلم أن
قارون تشبع بعلم نفسه على زعمه وقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
قال محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير في ذنوبهم عائد على من أهلك
من القرون أي أهلكوا ولم يسأل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم أي كل أحد إنما يكلم
ويعاقب بحسب ما يخصه وقالت فرقة هو إخبار مستأنف عن حال يوم القيامة
أن المجرمين لا يسألون عن ذنوبهم قال قتادة ذلك لأنهم يدخلون النار بغير
حساب وقال قتادة أيضا ومجاهد معناه أن الملائكة لا تسأل عن ذنوبهم لأنهم
يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه ونحو ذلك كقوله تعالى يعرف المجرمون

بسيماهم قال أبو محمد وفي كتاب الله تعالى آيات تقتضي أن الناس يوم
القيامة يسألون كقوله تعالى وقفوهم إنهم مسؤولون وغير ذلك وفيه آيات تقتضي
أنه لا يسأل أحد كقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وغير ذلك
فقال الناس في هذا إنها مواطن وطوائف وذلك بين فيه لهم متحمل ويشبه عندي
أن تكون الآيات التي توجب السؤال إنما يراد بها أسولة التوبيخ والتقرير والتي
تنفي السؤال يراد بها أسولة الاستفهام والاستخبار على جهة الحاجة إلى علم ذلك
من المسؤولين أي أن ذلك لا يقع لأن العلم بهم محيط وسؤال التوبيخ غير معتد به
ثم أخبر تعالى عن أن قارون خرج على قومه وقد أظهر قدرته من الملابس والمراكب
وزينة الدنيا قال جابر ومجاهد خرج في ثياب حمر وقال ابن زيد خرج هو وحشمه
في ثياب معصفرة وقيل في ثياب الأرجوان وقيل غير هذا وأكثر المفسرون في تقليل
زينة قارون وتعيينها بما لا صحة له فاختصرته وباقي الآية في اغترار الجهلة والأغمار
من الناس بمن **قوله عز وجل** وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض فما
كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا
مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ۝ أخبر الله تعالى عن الذين
أوتوا العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته والإيمان به أنهم زجروا الأغمار الذين
تمنوا حال قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من أن النظر والتمني إنما ينبغي أن
يكون في أمور الآخرة وأن حالة المؤمن العامل الذي ينتظر ثواب الله تعالى خير
من حال كل ذي دنيا ثم أخبر تعالى عن هذه النزعة وهذه القوة في الخير والدين أنها
لا يلقاها أي يمكن فيها ويخولها إلا الصابر على طاعة الله وعن شهوات نفسه وهذا
هو جماع الخير كله والضمير في يلقاها عائد على ما لم يتقدم له ذكر من حيث الكلام
دال عليه وذلك يجري مجرى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقال الطبري

الضمير عائد على الكلمة قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي لا يلقى
هذه الكلمة إلا الصابرون وعنهم يتلقاها وروي في الخسف بقارون
وداره أن موسى عليه السلام لما أمضه فعل قارون به وتعديه عليه ورميه
بأمر المرأة وغير ذلك من فعله به استخار الله تعالى في الدعاء عليه وطلب النصرة
فأوحى الله إليه لا تهتم فإني قد أمرت الأرض أن تطيعك في قارون وأهله
وحاشيته وأتباعه فقال موسى عليه السلام يا أرض خذيهم فأخذت منهم إلى الركب
فاستغاثوا يا موسى يا موسى فقال خذيهم فأخذتهم شيئا شيئا وهم يستغيثون
به في كل مرة وهو يلج إلى أن تم الخسف بهم فأوحى الله إليه يا موسى استغاثوا بك
فلم ترحمهم لو بي استغاثوا وإلي تابوا لرحمتهم وكشفت ما بهم وقال قتادة
ومالك بن دينار روي لنا أنه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل إلى يوم القيامة
والفئة الجماعة الناصرة التي يفيء إليها الإنسان الطالب للنصرة وقصة
قارون هي بعد جواز البحر لأن الرواة ذكروا أنه كان ممن حفظ التوراة
وكان يقرؤها ثم أخبر تعالى عن حال الذين تمنوا مكانه بالأمس وندمهم واستشعارهم
أن الحول والقوة لله تعالى وقوله ويكأن مذهب سيبويه والخليل أن وي حرف
تنبيه وهي منفصلة من كأن لكن أضيفت في الكتاب لكثرة الاستعمال والمعنى
أنهم نبهوا من خاطبوه ثم قالوا على الإخبار وعلى جهة التعجب والتثبت كأن
الله يبسط وقال أبو حاتم وجماعة من النحويين ويك هي ويلك حذفت اللام
منها لكثرة الاستعمال وجرت في الكلام كذلك ومنه قول عنترة
ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم ◌ فكأن
المعنى ويلك اعلم أن الله وكذا هذا من الأصناف للفعل وقالت فرقة من النحويين
ويكأن جملتها دون تقدير انفصال كلمة بمنزلة قولك ألم تر أن قال أبو محمد
ويقوي الانفصال فيها على ما قاله سيبويه لأنها تجيء مع أن ومع إن وأنشد سيبويه
وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ◌ وهذا

البيت لزيد بن عمرو بن نفيل وقرأ الأعمش لولا من الله بحذف أن وروي عنه
لولا منّ برفع النون وبالإضافة إلى الله وقرأ الجمهور لخسف بضم الخاء وكسر
السين وقرأ عاصم بفتح الخاء والسين وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف لانخسف
كأنه فعل مطاوع أراد بها أن الأرض كانت تنفعل وروي عن الكسائي أنه كان
يقف على وي ويبتدي كأن وروي عنه الوصل كالجماعة وروي عن أبي
عمرو أنه كان يقف على ويك ويبتدي أن الله وعلى هذا المعنى قال الحسن إن
شئت ويك أن أو ويكأن بفتح الهمزة وكسرها وكذلك ويكأنه
قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين
عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ◌ هذا إخبار مستأنف
من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يراد به جميع العالم وحضهم على التقى
حسب ما تضمنته الآية وهذا الحض يتضمن الإخبار على حال قارون ونظرائه
والمعنى أن الآخرة ليست في شيء من أمر قارون إنما هي لمن صفته كذا وكذا
والعلو المذموم هو بالظلم والانتخاء والتجبر قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
أن تريد أن يكون شراك نعلك أفضل من شراك نعل أخيك والفساد يعم
وجوه الشر ومما قال العلماء هو أخذ المال بغير حق وقوله والعاقبة للمتقين
خبر يتضمن حزم معناه أما في الدنيا والآخرة وإما في الآخرة ولا بد ثم وصف تعالى أمر
جزاء الآخرة أنه من جاء بعمل صالح فله خير من القدر الذي يقتضي النظر أنه ثواب
لذلك العمل هذا على أن نجعل الحسنة للتفضيل وفي القول حذف مضاف أي
من ثوابها الموازي لها ويحتمل أن تكون من لابتداء الغاية أي له خير بسبب
حسنته ومن أجلها وأخبر تعالى أن السيئة لا تضاعف جزاؤها فضلا منه ورحمة
وقوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن معناه أنزله عليك وأثبته والفرض

أصله عمل فرضه في عوده ونحوه فكأن الاشيا التي تثبت وتمكن وتبقى
تشبه ذلك الفرض وقال مجاهد معناه أعطاك القرآن وقالت فرقة
في هذا القول حذف مضاف والمعنى فرض عليك احكام القرآن واختلف
المتاولون في معنى قوله لرادك الى معاد فقال جمهور المتاولين اراد الى
الآخرة اي باعثك بعد الموت فالآية على هذا مقصدها اثبات الحشر والاعلام
بوقوعه وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري وغيرهما المعاد الجنة
وقال ابن عباس ايضا وجماعة المعاد الموت قال ابو محمد فكان الآية
على هذا واعظه ومذكره وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة وهذه
الآية نزلت بالجحفة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته الى المدينه
قال ابو محمد فالآية على هذا معلمة بغيب قد ظهر للامة ومونسه بفتح
والمعاد الموضع الذي يعاد اليه وقد اشتهر به يوم القيامه لانه معاد الكل
وقوله تعالى قل ربي اعلم الآية آية متاركه للكفار وتوبيخ واسند الطبري
في تفسير قوله لرادك الى معاد قال الى الجنة قال وتمامها معادا من حيث
قد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم في الاسراء وغيره واما من حيث قد كان
فيها آدم عليه السلام فهي معاد لذريته قال ابو محمد واما قال هذا من
حيث تعطي لفظة المعاد ان المخاطب قد كان يعود اليها وهذا وان كان
مما يظهر في اللفظ فيتوجه ان يسمى معادا ما لم يكن المرء قط فيه لجواز ولانها
احوال تابعه للمعاد الذي هو النشور من القبور **قوله عز وجل** وما
كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا
تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شي هالك
الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ٥ قال بعض المفسرين قوله تعالى
وما كنت ترجو الآية ابتدا كلام مضمنه تعديد النعمه على محمد صلى الله عليه وسلم

وان الله تعالى رحمه رحمة لم يحتسبها ولا بلغها امله وقال بعضهم بل هو
متعلق بقوله إن الذي فرض عليك القرآن اي وانت بحال من لا يرجو ذلك
وقوله يلقى اليك عبارة عن تطليه النبوه وتبليغ القرآن كما تقول القى
فلان الى فلان بالرياسة ونحو هذا وقوله الا رحمة نصب على استثنا منقطع
والظهير المعين اي اشتد يا محمد في تبليغك ولا تلن ولا تفشل فتكون معونة
للكافرين بهذا الوجه اي بالفتور عنهم وقوله تعالى ولا يصدنك اي
أقوالهم وكذبهم واذاهم ولا تلتفت وامض لشانك وقرا يعقوب يصدنك
مجزوم النون وقوله وادع الى ربك وجميع الآيات تتضمن المهادنة والموادعه
وهذا كله منسوخ باية السيف وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو
رسول الله اليه من تعظيم اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر
الغرانيق وقوله ولا تدع مع الله الها آخر نهي عن عبادتهم بسبيله منهم المراد
وان عري اللفظ من ذكرهم وقوله الا وجهه قالت فرقة هي عبارة عن
الذات المعنى هالك الا هو قاله الطبري وجماعة ومنهم ابو العالية رحمه
الله وقال الزجاج الا اياه وقال سفيان الثوري الا ذا وجهه اي ما عمل
لذاته ومن طاعته وتوجه به نحوه ومن هذا قول الشاعر
رب العباد اليه الوجه والعمل ٥ ومنه قول القايل اردت بفعلي وجه
الله تعالى ومنه قوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقوله تعالى له الحكم اي فصل القضا وانفاذ المقدرة في
الدنيا والآخرة وقوله واليه ترجعون اخبار بالحشر والعودة من القبور
وقرا الجمهور ترجعون بضم التا وفتح الجيم وقرا عيسى ترجعون بفتح التاء
وكسر الجيم وقرا ابو عمرو يرجعون ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة العنكبوت

هذه السورة مكية الا
الصدر منها العشر الآيات فانها مدنية نزلت في شان من كان من المسلمين بمكة

وفي هذا الفصل اختلاف وهذا أصح ما قيل فيه **قوله تعالى** الم
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ۝ تقدم القول في الحروف
المقطعة في أوائل السور وقرأ ورش الم أحسب بفتح الميم من غير همز بعدها
وذلك على تخفيف الهمزة وإلقاء حركتها على الميم وهذه الآية نزلت في قوم من
المؤمنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على
الإسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر أن يمكن الله
الكفرة من المؤمنين قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآية مسلية ومعلمة
أن هذه هي سيرة الله في عباده اختبارا للمؤمنين وفتنة ليعلم الصادق
ويرى ثواب الله له ويعلم الكاذب ويرى عقاب الله إياه قال أبو محمد وهذه
الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب وفي هذه الجماعة فهي بمعناها باقية
في أمة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك أن الفتنة
من الله تعالى والاختبار باق في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير
ذلك وإذا اعتبر أيضا كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن
ولكن التي تشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في
كل ثغر وقال عبد الله بن عبيد بن عمير نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر
إذ كان يعذب في الله تعالى ونظرائه وقال الشعبي سبب الآية ما لقيه المؤمنون
من الهجرة وهي الفتنة التي لم يردوا دونها لا سيما وقد لحقهم بسببها
أن اتبعهم الكفار وردوهم وقاتلوهم فقتل من قتل ونجا من نجا وقال
السدي نزلت في مسلمين كانوا بمكة وكرهوا الجهاد والقتال حين فرض على
النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وحسب معناه ظن وأن نصب بحسب
وهي والجملة التي بعدها تسد مسد مفعولي حسب وأن الثانية في موضع نصب
على تقدير إسقاط حرف الخفض تقديره بأن يقولوا ويحتمل أن يقدر لأن

يقولوا والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك أنه في الباء كما تقول تركت
زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من أجل أي حسبوا أن إيمانهم علة للترك
والذين من قبلهم يريد بهم المؤمنين مع الأنبياء في سالف الدهر وقرأ الجمهور
فليعلمن بفتح الياء واللام الثانية ومعنى ذلك ليظهرن علمه ويوجد منهم
ما علمه أزلا وذلك أن علمه بذلك قديم وإنما هذه عبارة عن الإيجاد بالحالة
التي تضمنها العلم القديم والصدق والكذب على بابهما أي من صدق فعله
قوله ومن كذبه ونظير هذا قول زهير
ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا ۝ قال
النقاش قيل إن الإشارة بصدقوا هي إلى مهجع مولى عمر بن الخطاب لأنه أول
قتيل قتل من المؤمنين يوم بدر وقالت فرقة إنما هي استعارة وإنما أراد بهما
الصلابة في الدين أو الاضطراب فيه وفي جهاد العدو ونحو هذا وقرأ علي بن
أبي طالب رضي الله عنه فليعلمن بضم الياء وكسر اللام وهذه القراءة تحتمل ثلاثة
معان أحدها أن يعلم في الآخرة هؤلاء الصادقين والكاذبين بمنازلهم
من ثوابه وعقابه وبأعمالهم في الدنيا بمعنى يوقفهم على ما كان منهم والثاني
أن يكون المفعول الأول محذوفا تقديره ليعلمن الناس أو العالم هؤلاء الصاد من
والكاذبين أي يفضحهم ويشهرهم هؤلاء في الخير وهؤلاء في الشر وذلك في الدنيا
والآخرة والثالث أن يكون ذلك من العلامة أي يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها
فالآية على هذا تنظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله
رداءها وعلى كل معنى منها ففيها وعد للمؤمنين الصادقين ووعيد للكافرين
وقرأ الزهري الأولى كقراءة الجمهور والثانية كقراءة علي رضي الله عنه **قوله**
تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد
فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات

لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ۝ ام
معادلة للالف في قوله احسب وكانه تعالى قرر الفريقين قرر المؤمنين على
ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب
المؤمنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه
وقوله الذين يعملون السيئات وان كان الكفار المراد الاول بحسب
النازلة التي الكلام فيها فان لفظ الاية يعم كل عاص وعامل سيئة من المسلمين
وغيرهم وقوله ساء ما يحكمون يجوز ان تكون ما بمعنى الذي فهي في موضع
رفع ويجوز ان تكون في موضع نصب على تقدير ساء حكما يحكمونه وقال
ابن كيسان ما مع يحكمون في موضع المصدر كانه قال ساء حكمهم وفي هذه
الاية وعيد للكفرة الفاتنين وتانيس وعدة بالنصر للمؤمنين المفتونين
المغلوبين ثم اخبر تعالى عن الحشر والرجوع الى الله في القيامة بانه ات فقد اجله
الله تعالى واخبر به وفي قوله من كان يرجو لقاء الله تثبيت اي من كان على هذا
الحق فليوقن بانه ات وليتزيد بصيرة وقال ابو عبيدة يرجو هنا بمعنى
يخاف والصحيح ان الرجاء هنا على بابه متمكنا قال الزجاج المعنى لقاء ثواب
الله وقوله تعالى وهو السميع العليم معناه لاقوال كل فرقة والعليم
معناه بالمعتقدات التي لهم وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
اعلام بان كل واحد مجازى بفعله الحسن فهو اذا له وهو حظه الذي
ينبغي ان لا يفرط فيه فان الله غني عن جهاده وغني عن العالمين باسرهم
وهاتان الايتان كلتاهما تقتضي تنبيها الى الطائفة المرتابة المترددة في فتنة
الكفار التي كانت تنكر ان ينال الكفار المؤمنين بمكروه وترتاب من اجل
ذلك فكانهم قيل لهم من كان يؤمن بالبعث فان الامر حق في نفسه والله
بالمرصاد اي هذه نصيحة لا ينبغي لاحد ان يعتقدها لوجه احد وكذلك من
جاهد فنفع جهاده له ولا يمن ذلك على احد وهذا كما يقول المناظر

عند سوق حجته من اراد ان يترك الحق فان الامر كذا وهذا وهو
هذا فتامله وقيل معنى الاية ومن جاهد المؤمنين ودفع في صدر الدين
فانما جهاده لنفسه لا لله فالله غني قال ابو محمد وهذا قول ذكره
المفسرون وهو ضعيف وقوله والذين امنوا الاية اخبار عن المؤمنين
المهاجرين الذين هم في اعلى رتبة من البدار الى الله تعالى رفع بهم عز
وجل وخاطبهم لتعم نفوس المتخلفين عن الهجرة وهم الذين فتنهم الكفار الى
الحصول في هذه المرتبة والسيئات الكفر وما اشتمل عليه ويدخل في ذلك
المعاصي من المؤمنين مع الاعمال الصالحة واجتناب الكبائر وفي قوله
عز وجل ولنجزينهم احسن حذف مضاف تقديره ثواب احسن الذي كانوا
يعملون **قوله عز وجل** ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين
امنوا وليعلمن المنافقين ۝ قوله تعالى ووصينا الانسان الاية روي عن قتادة وغيره
انها نزلت في شان سعد بن ابي وقاص وذلك انه هاجر فحلفت امه ان لا
تستظل بظل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فلج هو في هجرته
ونزلت الاية وقيل بل نزلت في عياش بن ابي ربيعة وذلك انه اعتراه في
دينه نحو من هذا بعد ان خدعه ابو جهل ورده الى امه الحديث في كتاب
السير ولا مرية انها نزلت فيمن كان من المؤمنين بمكة يشقى بجهاد ابويه في شان
الاسلام او الهجرة وكان القصد بهذه الاية النهي عن طاعة الابوين في مثل هذا
لعظم الامر وكثرة الخطر فيه مع الله تعالى ثم انه لما كان بر الوالدين وطاعتهما
من الامر الذي قررته الشريعة واكدت فيه وكان من القوي عندهم الملتزم

تقدّم تعالى للنهي عن طاعتهما قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا على معنى انا
لا نخل ببر الوالدين لكنه لا تسلطه على طاعة الله لا سيما في معنى الايمان والكفر
وقوله حسنا يحتمل ان ينتصب على المفعول وفي ذلك تجوّز ويسهله كونه عاما
لمعان كما تقول وصيتك خيرا واوصيتك شرا عبر بذلك عن جملة ما قلته
وحسّن ذلك دون حرف جر كون حرف الجر في قوله بوالديه لان المعنى ووصينا
الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر
عجبت من دهماء اذ تشكونا ومن ابي دهماء اذ يوصينا خيرا بها كأننا جافونا
ويحتمل ان يكون المفعول الثاني في قوله بوالديه وينتصب حسنا بفعل مضمر
تقديره نحسن حسنا وينتصب انتصاب المصدر والجمهور على ضم الحاء
وسكون السين وقرا عيسى حسنا بفتحهما وقال الجحدري في الامام مكتوب
بوالديه احسانا قال ابو حاتم يعني في الاحقاف وقال الثعلبي في مصحف ابي بن كعب
احسانا ونحوه اعرابه الذي تقدم في قراءة من قرا حسنا وقوله الي مرجعكم
وعيد في طاعة الوالدين في معنى الكفر ثم قوله تعالى التمثيل بحالة المومنين
العاملين ليحرك النفوس الي نيل مراتبهم وقوله لندخلنهم في الصالحين مبالغة
على معنى في الذين هم في نهاية الصلاح وابعد غاياته واذا تحصل للمومنين هذا
الحكم تحصل ثمره وجزاؤه وهو الجنة وقوله تعالى ومن الناس الايه
الي قوله المنافقين نزلت في قوم من المسلمين كانوا بمكة مختفين باسلامهم
قال ابن عباس فلما خرج كفار قريش الي بدر اخرجوا معهم طائفة
من هولاء فاصيب بعضهم فقال المسلمون كانوا اصحابنا واكرهوا فاستغفروا
لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الايه قال فكتب الى من
بقي بمكه بهذه الايه اي لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فاعطوهم
الفتنه وردوهم الي مكة فنزلت فيهم هذه الايه ومن الناس من يقول
امنا بالله الايه وكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا ويئسوا من كل خير

ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتب لهم بذلك ان الله قد جعل
لكم مخرجا فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم فنجا من نجا وقتل من قتل
وقال ابن زيد قوله جعل فتنة الناس الايه في منافقين كفروا لما اوذوا
وقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله اي صعب عليه اذى الناس حتى صده
وكان حقه ان لا يلتفت اليه وان يصبر له في جنب نجاته من عذاب الله ثم
اخبر تعالى بوضع تملقهم ومغالطتهم ان جاء نصر ثم قررهم على علم الله بما في
صدورهم اي لو كان يقينا تاما واسلاما خالصا لما توقفوا ساعة ولركبوا
كل هول الي هجرتهم ودار نبيهم وقوله وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين
تفسيره على حد ما تقدم في نظيره وهذا نعي المدني من السورة **قوله عز وجل**
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وليسألن يوم القيمه عما كانوا يفترون ولقد ارسلنا نوحا الي قومه فلبث فيهم
الف سنه الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب
السفينه وجعلناها اية للعالمين ٥ روي ان قائل هذه المقاله الوليد بن المغيرة
وقيل بل كانت جماعه من كفار قريش قالوا لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم
ادخلوا في امرنا واقروا بالهتنا واعبدوها معنا ونحن لتيقننا انه لا بعث بعد
الموت ولا رجوع نضمن لكم حمل خطاياكم فما دعوناكم اليه ان كان في ذلك
درك كما تزعمون اثم وقولهم ولنحمل اخبار انهم يحملون خطاياهم
على جهة التشبيه بالثقل ولكنهم اخرجوه في صيغة الامر لانها اوجب واشد
تاكيدا في نفس السامع من المجازاة وهذا نحو قول الشاعر
فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان ينادي داعيان ولانه
خبر احسن تخرسهم فيه فاخبر الله عز وجل ان جميع ذلك باطل وانهم لو فعلوه

لم يحمل عن أحد من هؤلاء المغترين بهم شيء من خطاياه التي تخصه وقرأ
الجمهور ولنحمل بجزم اللام وقرأ عيسى ونوح القارئ ولنحمل بكسر اللام
وقرأ داود بن أبي هند من خطيئاتهم بفتح الطاء وكسر الياء وحكى عنه أبو عمرو أنه
قرأ من خطيئاتهم بكسر الطاء وهمزة وتاء بعد الألف وقال مجاهد الحمل هنا من
الحمالة لا من الحمل على الظهر ثم أخبر تعالى عن أولئك الكفرة أنهم يحملون
أثقالهم من كفرهم الذي يجترحونه ويتلبسون به وأثقالا مع أثقالهم يريد
ما يلحقهم من إغوائهم لعامتهم وأتباعهم فإنه يلحق كل داع إلى ضلالة
كفل منها حسب الحديث المشهور أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه فله مثل
أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا وأيما داع دعا إلى ضلالة الحديث
قال أبو محمد وهي وإن كانت من أثقالهم ولكونها بسبب غيرهم وعن غيرهم
تلبسوه فرق بينها وبين أثقالهم ولم ينسبها إلى غيرهم بل جعلها في رتبة أخرى فقط
فهم فيها إنما يزرون وزر أنفسهم وقد تبرئت حمل أثقال الغير وورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقتص للمظلوم بأن يعطى من حسنات ظالمه فإن لم يبق للظالم
حسنة أخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه وقوله وليسئلن يريد على جهة التوبيخ
والتقريع لا على جهة الاستفهام والاستعلام ويفترون معناه يختلقون الكفر
ودعوى الصاحبة والولد لله تعالى وغير ذلك وقوله ولقد أرسلنا نوحا إلى
قومه الآيـــة قصة فيها تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم عما تضمنته الآيات
قبلها من تعنت قومه وفتنتهم المؤمنين وغير ذلك وفيها وعيد لهم بتمثيل
أمرهم بأمر قوم نوح والواو في قوله ولقد عاطفة جملة كلام على جملة والقسم
فيها بعيد وقوله أرسلنا قلت هذا العطف بالفاء يقتضي ظاهره أنه لبث
هذه المدة رسولا يدعو ويحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته في
قومه من لدن مولده إلى غرق قومه وأما على التأويل الأول فاختلف في سنه
التي بعث عندها فقيل أربعون وقيل ثمانون وقال عون بن أبي شداد كانت

مائة وخمسون وكذلك يحتمل أن تكون وفاته عليه السلام عند غرق قومه
بعد ذلك بيسير وروي أنه عمر بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين عاما وأنه
عاش ألف سنة وستمائة وخمسين سنة وقوله فأخذهم الطوفان يقتضي
أنه أخذ قومه فقط وقد اختلف في ذلك فقالت فرقة إنما غرق في الطوفان
طائفة من الأرض وهي المختصة بقوم نوح وقالت فرقة هي الجمهور إنما غرقت
المعمورة كلها قال أبو محمد وهذا هو ظاهر الأمر لاتخاذه السفينة
ولبعثه الطير يرتاد زوال الماء ولغير ذلك من الدلائل ويبقى أن يعترض
هذا بأن يقال كيف غرق الجميع والرسالة إلى البعض فالوجه في ذلك أن يقال
إن اختصاص نبي بأمة ليس هو بأن لا يهدي غيرها ولا يدعوها إلى توحيد الله
تعالى وإنما هو بأن لا يأخذ بقتال غيرها ولا ببث العبادات فيهم لكن
إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة والناس حولها يعبدون الأوثان
ولم يكن للناس توحيد فهذا حكم القرب من آدم عليه السلام فلا محالة أن
دعاءه إلى توحيد الله قد كان بلغ الكل فعمهم الغرق لإعراضهم وتماديهم
والطوفان العظيم الطامي ويقال ذلك لكل طام خرج عن العادة من ماء أو
نار أو موت ومنه قول الشاعر :: أفناهم طوفان موت جارف ::
والطوفان وزنه فعلان بناء مبالغة من طاف يطوف إذا عم من كل جهة وأكثر
ما استعمل في الماء خاصة وقوله وهم ظالمون يريد بالشرك وأصحاب
السفينة قد تقدم في غير هذه السورة الخلاف في عددهم ومن هم وقوم آمنوا
معه والضمير في قوله وجعلناها يحتمل أن يعود على السفينة ويحتمل أن يعود
على العقوبة ويحتمل أن يعود على النجاة والآية هنا العبرة والعلامة على قدرة
الله تعالى في بطشته قال قتادة أبقاها الله على الجودي قوله عز وجل
وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
إنما تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه

إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله

واشكروا له اليه ترجعون ٥ يجوز ان يكون ابرهيم معطوفا على نوح
ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير في انجيناه ويجوز ان ينصبه فعل تقديره
واذكر ابرهيم وهذه القصة ايضا تمثيل لقريش وكان نمرود واهل مدينته
عبدة اصنام فدعاهم ابرهيم عليه السلام الى توحيد الله وعبادته ثم قرر لهم ما
هم عليه من الضلال وقرا جمهور الناس تخلقون افكا وقرا ابن الزبير وفضيل
أفكا على وزن فعل وهو مصدر كالكذب والضحك ونحوه واختلف
في معنى تخلقون قال ابن عباس هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا
من حيث يفترون بها الافك في انها الهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر
الاوثان وغير ذلك وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وعون العقيلي وقتادة وابن
ابي ليلى وتخلقون افكا بفتح الخاء وشد اللام وفتحها والافك على هذه
القراءة الكذب ثم وقفهم على جهة الاحتجاج عليهم بامر تفهمه عامتهم وخاصتهم
وهو امر الرزق فقرر ان الاصنام لا ترزق وامر بابتغاء الرزق عند الله
وخصص الرزق لحاجة الخلق فهو جزء يدل على جنسه كله ويقال شكرت
لك وشكرتك بمعنى واحد ثم اخبرهم بالمعاد والحشر اليه قوله عز وجل
وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شيء قدير
٥ من قوله وان تكذبوا الاية وعيد اي فالتكذيب عبرتكم وعليكم وانما
على الرسول البلاغ وكل احد بعد ذلك ماخوذ بعمله وقرا حمزة والكسائي وعاصم
بخلاف عنه اولم تروا بالتاء وقرا الباقون اولم يروا بالياء الاولى على المخاطبة
والثانية على الحكاية عن الغائب وقرا الجمهور يبدئ وقرا عيسى وابو عمرو
بخلاف والزهري يبدا وهذه الاحالة هي على ما يظهر مع الاحيان من احياء
الارض والنبات واعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور

والحشر ويحتمل ان يريد اولم يروا بالادلة والنظر كيف يجوز ان يعيد
الاجساد بعد الموت وهو تاويل قتادة وقال الربيع بن انس المعنى كيف يبدا
خلق الانسان ثم يعيده الى احوال اخر حتى الى التراب وقال مقاتل الخلق
في هذه الاية الليل والنهار ثم امر تعالى نبيه ويحتمل ان يكون ابرهيم ويحتمل
ان يكون محمدا اذ كان في قصة ابراهيم اعتراض بين كلامين بان يامرهم
على جهة الاحتجاج بالسير في الارض والنظر في كلامه قديما وحديثا
فان ذلك يوجد ان لا خالق الا الله ولا مبدئ للخلق سواه ثم ساق على
جهة الخبر ان الله تعالى يعيد وينشئ نشاة القيامة من القبور وقرات
فرقة النشاة وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة على وزن الفعالة وهي قراءة
الاعرج وهذا كما تقول رافة ورآفة وقرا الباقون النشاة على وزن الفعلة
وقرا الزهري النشة بشين مشددة في جميع القران والبعث من القبور
يقوم دليل العقل على جوازه واخبرت الشرائع بوقوعه ووجوده قوله تعالى
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقائه
اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ٥ المعنى يعذب من يشاء الاعمال
من حق عليه العذاب ويرحم من يشاء الاعمال من سبقت له الرحمة فيتعلق
العقاب والثواب بالاكتساب المقترن بالاختراع الذي لله تعالى في اعمال
العبد ثم اخبر انه اليه المنقلب وان البشر ليس بمعجز ولا مفلت في الارض ولا
في السماء ويحتمل ان يريد بالسماء الهواء علوا اي ليس للانسان حيلة صعدا او نزلا
حكى هذا الزهراوي ويحتمل ان يريد السماء المعروفة اي لستم معجزين في الارض
ولا لو كنتم في السماء وقال ابن زيد معناه ولا من في السماء معجز ان عصى
ونظيره قول حسان بن ثابت ؏ امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ؏
والتاويل الاول اوسط احسنها ونحو قول الاعشى

ولو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السما بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني لست عنك بمحرم
والولي احفش بن النصير وقرا يحيى بن الحرث وبن القعقاع ييسوا بغير همز ون
قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اوليك يئسوا من رحمتي قال
ابو محمد وما تقدم من قوله تعالى اولم يروا كيف الى هذه الايه المستانفه
يحتمل ان يكون خطابا لمحمد ويكون اعتراضا في قصة ابرهيم ويحتمل ان يكون
خطابا لابرهيم ومحاورة لقومه وعند اخر ذلك ذكر جواب قومه قوله
تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه
الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ٥ قرا الجمهور
جواب بالنصب وقرا الحسن جواب بالرفع وكذلك قرا سالم الافطس اخبر
الله تعالى عنهم انهم لما بين ابرهيم الحجج واوضح امر الدين رجعوا معه الى الغلبه
والغشم وعدلوا عن طريق الاحتجاج حين لم يكن لهم قبل فتوامروا في قتله
وتحريقه بالنار وانفذوا امر تحريقه حسب ما قد اقتص في غير هذا الموضع فانجاه
الله تعالى من نارهم بان جعلها عليه بردا وسلاما قال كعب الاحبار ولم تحرق
النار الا الحبل الذي اوثقوه به وجعل ذلك اية وعبرة ودليلا على وحدانيته
لمن شرح صدره ويسره للايمان اي هذا الصنف ينتفع بالايمان والكفار هي
عليهم عمى وان كانت في نفسها اية للكل ثم ذكر تعالى ان ابرهيم عليه السلم
قررهم على اتخاذهم الاوثان والانصاب انما كان اتباعا من بعضهم
لبعض وحفظا لمودتهم ومحابهم الدنياويه وانهم يوم القيامه يجحد
بعضهم بعضا ويتلاعنون لان توادهم كان على غير تقوى والاخلا يوميذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقرا عاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر

عنه مودة بالرفع بينكم بالنصب وهي قراة الحسن وابي حيوة وقرا ابو عمرو
وابن كثير والكساي وعاصم في رواية المفضل مودة بترك التنوين والرفع
بينكم بالخفض وقرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر وابو عمرو
في رواية ابي زيد مودة بالتنوين والنصب ونصب بين وقرا حمزة مودة
بالنصب وترك التنوين والاضافه الى بين فلمن قرا بالرفع في مودة فوجهها
ان يكون ما بمعنى الذي وفي قوله اتخذتم ضمير عايد على الذي وهذا الضمير
هو مفعول اول لاتخذتم واوثانا مفعول ثان ومودة خبر ان في قراة من
نونها وفي قراة من لم ينونها ويجوز ان تكون ما كافة ولا يكون في قوله اتخذتم
ضمير ويكون قوله اوثانا مفعولا لقوله اتخذتم ثم يقتصر عليه ويقدر
الثاني الهه او نحوه كما يقدر قوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
ويكون قوله مودة خبر ابتدا تقديره هي مودة وفي هذه التاويلات مجاز
واتساع في تسمية الاوثان مودة او يكون ذلك على حذف مضاف واما من نصب
مودة فعلى ان ما كافه وعلى طرح اتخذتم من الضمير والاقتصار على المفعول
الواحد كما تقدم ويكون نصب المودة على المفعول ومن اضاف المودة
الى البين في القراتين النصب والرفع تجوز في ذلك واجري الظرف مجرى
الاسما ومن نصب بينكم في القراتين النصب والرفع في مودة وكذلك الحكم
ان ينتصب انتصاب الظروف ويكون متعلقا بمودة وكذلك في الحياة الدنيا
ظرف ايضا متعلق بمودة وهو مصدر عمل في ظرفين من حيث افترقا بالمكان
والزمان ولو كانا لواحد منهما لم يجز ذلك تقول رايت زيدا امس وفي السوق
ولا تقول رايت زيدا امس البارحه اللهم الا ان يكون احد الظرفين جزا
الاخر تقول رايت زيدا امس عشية ويجوز ان ينتصب بينكم على انه صفة
لمودة ههنا محذوف متعلق تقديره مودة ثابته بينكم وفي الظرف ضمير
عايد على مودة لما حذفت ثابته استقر الضمير في الظرف نفسه وقوله في الحياة

الدنيا ظرف في موضع الحال من الضمير الكاين في بينكم بعد حذف
ثابته فهذه الحال متعلقة بمودة وجاز تعلقها بها وهي قد وصفت لان معنى
الفعل فيها وان وصفت فلا يمتنع ان يعمل معنى الفعل الا في المفعول فاما في
الظرف والحال فيعمل قال مكي ويجوز ان يكون في الحياة صفة ثابته
لموده ويكون فيها تقدير مستقر وفيها ضمير عايد الى الموده فالعامل على
هذا موده ثابته بينكم مستقره في الحياة الدنيا قال ابو محمد ويصح ان
يكون قوله مودة في قراه من نصب مفعولا ثانيا لقوله اتخذتم ويكون في
ذلك اتساع فتامله وفي مصحف ابي بن كعب مودة بينكم الها وفي مصحف ابن
مسعود انما مودة بينكم **قوله عز وجل** فامن له لوط وقال اني مهاجر
الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ولوطا
اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝
امن معناه صدق وهو فعل يتعدى بالباء وباللام والقايل اني مهاجر ابرهيم
عليه السلام قاله قتاده والنخعي وقالت فرقة هو لوط عليه السلام وبحسب من
القصص ان ابرهيم ولوطا هاجرا من منزلهما كوثا وهي في سواد الكوفه من ارض
بابل الى بلاد الشام فلسطين وغيرها قال ابن جريج هاجر الى حران ثم امر بعد الى
الشام وفي هذه الهجره كانت سارة في صحبة ابراهيم واعترضهما امر الملك والمهاجر
التارك عن الامر وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضى الله تعالى
وقد ذهب بهذا الاسم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وقوله
العزيز الحكيم مع الهجرة اليه صفتان لمعنيان يقتضي استحقاق التوكل عليه
وفي قوله الى ربي حذف مضاف لانه يقول الى رضى ربي ونحو هذا واعلم
ان ابرهيم بشر به في شيخه وبشر بيعقوب من ورايه فهو ولد اسحق والكتاب
اسم جنس اي جعل الله تعالى في ذريه ابرهيم جميع الكتب المنزله التوراة

والانجيل والزبور والقران وعيسى عليه السلام من ذريته وقوله اجره
في الدنيا يريد في حياته وحيث ادرك ذلك ومن ذريته والاجر الذي اتاه الله
العافية من النار ومن الملك الجاير والعمل الصالح والثنا الحسن قاله مجاهد
وان كل امة تتولاه قاله ابن جريج والولد الذي قرت به العين حسب طاعة
الله قاله الحسن ثم اخبر عنه انه في الاخرة في عداد الصالحين الذين نالوا رضى
الله وفازوا برحمته وكرامته العليا وقوله ولوطا نصب بفعل مضمر تقديره
واذكر لوطا والفاحشه اتيان الرجال في الادبار وهي معصيه ابتدعها قوم لوط
قوله عز وجل ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في
ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان
كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القريه ان اهلها كانوا ظالمين ۝
تقدم ذكر القراات في ائنكم واختلف الناس في قطع السبيل المشار اليه هنا
فقالت فرقه كان قطع الطريق بالسلب فاشيا فيهم وقال ابن زيد كانوا يقطعون
الطريق على الناس لطلب الفاحشه فكانوا يخيفون وقالت فرقه بل اراد قطع
سبيل النسل في ترك النسا واتيان الرجال وقالت فرقه اراد انهم لقبح
الاحدوثه عنهم يقطعون سبيل الناس عن قصدهم في التجارات وغيرها
والنادي المجلس الذي يجتمع الناس فيه وهو اسم جنس لان الاندية في المدن
كثيره فكانه قال وتاتون في اجتماعكم حيث اجتمعتم واختلف الناس في المنكر
فقالت فرقه كانوا يخذفون الناس بالحصا ويستخفون بالغريب والخاطر
عليهم ورونه ام هانى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت خلقهم مهمله لا يربطهم دين
ولا مروه وقال مجاهد ومنصور كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم
يرى بعضا وقال القاسم بن محمد انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ذكره
الزهراوي وقال ابن عباس كانوا يتضارطون ويتصافعون في مجالسهم وقال

مجاهد أنها كان من أمرهم لعب الحمام وتطريف الأصابع بالحنا والصفير
والحذف ونبذ الحيا في جميع أمرهم وقد توجد هذه الأمور في بعض عصاة
أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالتناهي واجب فلما وعظهم لوط عليه السلام على
هذه القبائح رجعوا إلى التكذيب واللجاج فقالوا ائتنا بالعذاب أي إن ذلك
لا يكون ولا تقدر عليه وهم لم يقولوا هذا إلا وهم مصممون على اعتقاد كذبه
وليس يصح في الفطرة أن يكون معاند يقول هذا حتى استنصر لوط عليه السلام
ربه عليهم فبعث ملائكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب فجاؤوا إبراهيم أولا مبشرين
بإسحق ومستنزين بنصرة لوط على قومه وكان لقاؤهم لإبراهيم على الصورة التي بينت
في غير هذه الآية ملفظة البشرى وفي هذه الآية تضمن أمر إسحق ونصر لوط ولما
أخبروه بإهلاك القرية على ظلمهم أشفق إبراهيم على لوط فعارضهم بأمر حسب ما
يأتي **قوله عز وجل** قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه
وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق
بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من
الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد
تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ٥ روي عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام
لما علم من قبل الملائكة أن قرية لوط تعذب أشفق على المؤمنين فجادل الملائكة
وقال لهم أرأيتم إن كان فيهم مائة بيت من المؤمنين أتتركونهم قالوا ليس
فيهم ذلك فجعل حتى انتهى إلى عشرة أبيات فقالت له الملائكة ليس فيها
عشرة ولا خمسة ولا ثلاثة ولا اثنان فحينئذ قال إبراهيم إن فيها لوطا فراجعوه
حينئذ بأنا نحن أعلم بمن فيها أي لا تخف أن يقع حيف على مؤمن وقرأ نافع
وأبو عمرو وابن عامر لننجينه بفتح النون الوسطى وشد الجيم ومنجوك بفتح
النون وشد الجيم وقرأ حمزة والكسائي لننجينه بسكون النون وتخفيف
الجيم ومنجوك بسكون النون وتخفيف الجيم وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر

لننجينه بالتشديد ومنجوك بالتخفيف وقرأت فرقة لننجينه بسكون النون
الأخيرة من الكلمة وهذا إنما يجيء على أنه حذف النون المشددة وهو
يريدها وامرأة لوط هذه كانت كافرة تعين عليه وتنبه على أضيافه والغابر
الباقي ومعناه من الغابرين في العذاب وقالت فرقة من الغابرين أي ممن عمر
وبقي من الناس وعسا وفنيت هي والضمير في بهم في الموضعين عائد على الأضياف
الرسل وذلك لخوفه من قومه عليهم فلما أخبروه بما هم فرج عنه
وقرأ عامة القراء سيء بكسر السين وقرأ عيسى وطلحة بضمها والرجز العذاب
وقوله بما كانوا يفسقون أي عذابهم بسبب فسقهم وهذا كل أمة
عذبها الله فإنما عذبها على الفسق والمعصية لكن بأن يقترن ذلك بالكفر
الذي يوجب عذاب الآخرة وقرأ أبو حيوة والأعمش يفسقون بكسر السين وقوله
ولقد تركنا منها أي من خبرها وما بقي من آثارها فمن لابتداء الغاية ويصح
أن تكون للتبعيض على أن يريد ما ترك من بقايا بناء القرية ومطرها والآية
موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط الله تعالى
وقرأ جمهور القراء منزلون بتخفيف الزاي وقرأ ابن عامر منزلون بشد الزاي وهي
قراءة الحسن وعاصم بخلاف عنهما وقرأ الأعمش إنا مرسلون بدل منزلون وقرأ
ابن محيصن رجزا بضم الراء **قوله عز وجل** وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من
مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
٥ نصب شعيبا بفعل مضمر حسن مع إلى تقديره وبعثنا أو أرسلنا فأمر شعيب عليه
السلام بعبادة الله والإيمان بالبعث واليوم الآخر ومع الإيمان به يصح رجاؤه
وذهب أبو عبيدة إلى أن المعنى وخافوا وتعثوا معناه تفسدون يقال عثا يعثو
وعثي يعثى وعاث يعيث وعثى يعثي إذا أفسد وأهل مدين قوم شعيب

مدينة التي انها اسم البلده وقيل مدين اسم القبيله واصحاب غيرهم وقيل هم
بعضهم ومنهم وذلك ان معصيتهم في ابرا الموازين والمكاييل كانت واخذه
والرجفه سيد الارض بهم وزلزلتها عليهم وتداعيها بهم وهذا نحو من
الخسف ومنه الارجاف بالاخبار والجثوم في هذا الموضع تشبيه اي كان
همودهم على الارض كالجثوم الذي هو للطاير والحيوان ومنه قول لبيد
، فغدوت في غلس الظلام وطيره غلب على خضل العضاه جثوم ، وقوله
وعادا منصوب بفعل مضمر تقديره واذكر عادا وقيل هو معطوف على الضمير
في قوله فاخذتهم وقال الكسائي معطوف على قوله ولقد فتنا الذين من وقرا
وثمودا عاصم وابو عمرو وابن وثاب وقرا وثمود بغير تنوين ابو جعفر وشيبة
والحسن وقرا الحسن وثاب وعاد وثمود بالخفض فيهما والتنوين ثم دل
عز وجل على ما تعطيه العبره في بقايا مساكنهم ورسوم منازلهم ودثور
آثارهم وقرا الاعمش تبين لكم مساكنهم دون من وقوله وزين لهم
الشيطان عطف جملة من الكلام على جملة والسبيل هي طريق الايمان بالله
ورسله ومنهج النجاة من النار وقوله مستبصرين قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك معناه لهم بصيرة في كفرهم واعجاب به واصرار عليه فذمهم بذلك
وقيل بصيرة في ان الرسالة والآيات حق لكنهم كانوا مع ذلك يجحدون
عنادا ويرده قول الضلال الى مجاهله ومتالفه يجري هذا المجرى قوله تعالى
في غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وتزيين الشيطان هو بالوسواس
ومناجاة ضماير الناس وتزيين الله تعالى الذي هو الاختراع وخلق محبته
والتلبس به في نفس العبد **قوله عز وجل** وقارون وفرعون وهامان
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن

كانوا انفسهم يظلمون ٥ نصب قارون بفعل تقديره اذكر واما بالعطف
على ما تقدم وقارون من بني اسرائيل وهو الذي تقدمت قصته في الكنز وفي
البغي على موسى عليه السلام وفرعون مشهور وهامان وزيره وهو
من القبط والبينات المعجزات والآيات الواضحة وسابقين معناه مفلتين
اخذنا وعقابنا وقيل معناه سابقين اولياءنا وقيل معناه ما كانوا سابقين
الامم الى الكفر اي قد كانت تلك عادة امم مع رسل والذين ارسل عليهم
الحاصب قال ابن عباس هم قوم لوط عليه السلام قال ابو محمد ويشبه
ان يدخل قوم عاد في الحاصب لان تلك الريح لابد انها كانت تحصبهم بامور
مؤذية والحاصب هو العارض من ريح او سحاب اذا رمى بشي ومنه قول
الفرزدق ، مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور ،
ومنه قول الاخطل ، ترمي العضاه بحاصب من ثلجها حتى يبيت على العضاه جفالا ،
والذين اخذتهم الصيحة قوم ثمود قاله ابن عباس وقال قتاده هم قوم شعيب
والخسف كان بقارون قاله ابن عباس قال ابو محمد ويشبه ان يكون
اصحاب الرجفه في هذا النوع من العذاب والغرق كان في قوم نوح وبه
فسر ابن عباس وفي فرعون وجنده وبه فسر قتاده وظلمهم انفسهم كان
بالكفر ووضع العبادة غير موضعها وقدم المفعول على يظلمون للاهتمام به
وهذا نحو اياك نعبد وحكى الطبري عن قتاده ان رجفة قوم شعيب كانت
صيحة ارجفتهم فهم على هذا مع ثمود **قوله عز وجل** مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي وهو العزيز الحكيم
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ٥ شبه تعالى الكفار
في عبادتهم الاصنام وبنائهم جميع امورهم على ذلك بالعنكبوت التي تبني وتجتهد
وامرها كله ضعيف متى مسته ادنى هامة او دابة فكذلك امر اولئك

وسعيهم ضعيف لا قوة له ولا معتمد ومن حديث ذكره النقاش العنكبوت
شيطان مسخه الله فاقتلوه وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر وقوله لو
كانوا يعلمون اي يعلمون ان هذا مثلهم وان حالهم ونسبتهم من الحق
هذه الحال وقوله ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شي قرا ابو عمرو
وسلام يعلم بالادغام وقرا عامة القرا بالفك وقرا الجمهور تدعون بالتا
من فوق وقرا ابو عمرو وعاصم بخلاف بالياء من تحت على الغيبة فاما موضع
ما من الاعراب فقيل معناه ان الله يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الاشيا
ان حالهم هذه وانهم اشيا لا قدر لها وقيل قوله ان الله يعلم اخبار تام
وقوله وهو العزيز الحكيم متصل به واعترض بين الكلامين ما تدعون من دونه
من شي وذلك على هذا النحو من النظر يحتمل معنيين احدهما ان يكون ما نافية
اي لستم تدعون شيا له بال ولا قدر ولا خلاق فيصلح ان يسمى شيا وفي هذا
تعليق يعلم وفيه نظر والثاني ان يكون ما استفهاما كانه قرر على
جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الاشيا ما هو اذ لم يكن لله تعالى اي
ليس لهم على هذا التقرير جواب مقنع البتة ومن على القول الاول والثالث
للتبعيض المجرد وعلى القول الوسط هي زائدة في الجحد ومعناها التاكيد
وقال ابو علي ما استفهام نصب بتدعون ولا يجوز نصبها بيعلم والجملة
التي هي منها في موضع نصب بيعلم والتقدير ان الله يعلم اوثانا تدعون من
دونه او غيره لا يخفى ذلك عليه وقوله وتلك الامثال اشارة الى هذا
المثل ونحوه ونضربها ماخوذ من الضرب اي النوع كما تقول هذان
من ضرب واحد وهذا ضرب هذا اي قرينه وشبهه فكان ضرب المثل هو ان
تجعل للامر المثل ضريبا وباقي الاية بين وقرات فرقة يدعون بالياء من تحت
وقرات فرقة تدعون بالتاء على المخاطبة وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم

في قوله الا العالمون العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته
قوله عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون **ه** نبه في ذكر خلق السموات والارض
على امر يوقع الاذهان على صغر قدر الاوثان وكل معبود من دون الله وقوله
بالحق اي بالواجب النير لا للعبث واللعب بل ليدل على سلطانه وتثبت
شرايعه ويضع الدلالات لاهلها ويعم المنافع الى غير ذلك مما لا يحصى
عدا ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لامره وتلاوة القران الذي
اوحي اليه واقامة الصلاة اي ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر حكما
منه ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر قال ابو محمد وذلك عندي بان
المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات وتذكر الله تعالى وتوهم
الوقوف بين يدي العظمة وان قلبه واخلاصه مطلع عليه مرقوب صلحت
لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك في اقواله واعماله
وانتهى عن الفحشا والمنكر ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة اخرى
يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذه الاخبار لان صلاة المومن هكذا
ينبغي ان تكون وقد روي عن بعض السلف انه كان اذا اقام الصلاة ارتعد
واصفر لونه فكلم في ذلك فقال اني اقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا
مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك قال ابو محمد فهذه صلاة تنهى
ولا بد عن الفحشا والمنكر ومن كانت صلاته دايرة حول الاجزا لا خشوع
فيها ولا تذكر ولا فضايل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فان
كان على طريقة معاص تبعده من الله تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا
يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والاعمش قولهم
من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقد روي ان

الحسن أرسله عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند حملت إلى بقوله
فإذا قررناه ونظرنا معناه فغير جائز أن نقول إن نفس صلاة العاصي بفعله
الله حتى كانها معصيته وانما يخرج ذلك على انها لا تؤثر في تقربه من الله تعالى
بل تركه في حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة إلا تقرير
ذلك البعد الذي كان سبيله فكانها بعدته حين لم تكف بعده من الله وقيل
لابن مسعود إن فلانا كثير الصلاة فقال إنها لا تنفع إلا من أطاعها وقرأ
الربيع بن أنس أن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وقال
ابن عمر الصلاة هنا القرآن وقال حماد بن أبي سليمان وابن جريج والكلبي
إن الصلاة تنهى ما دمت فيها قال — أبو محمد وهذه عجمة وابن هذا ما
رواه أنس بن مالك قال كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ألم أقل لكم وقوله ولذكر الله أكبر قال ابن عباس وأبو الدرداء
وسلمان وابن مسعود وأبو قرة معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم
إياه وقيل معناه ولذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء
والمنكر قال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء وقيل
لسلمان أي الأعمال أفضل فقال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر ومنه حديث
الموطأ عن أبي الدرداء ألا أخبركم بخير أعمالكم الحديث وقيل معناه ولذكر
الله كبير كانه حض عليه في هذين التأويلين الأخيرين قال — أبو محمد وعندي
أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر
فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لأن
الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر لله مراقب له وثواب ذلك الذاكر أن
يذكره الله تعالى كما في الحديث ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والحركات

التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي والذكر النافع هو العلم وإقبال القلب
وتفرغه إلا من الله وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى وذكر
الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد
ربه قال الله عز وجل فاذكروني أذكركم وباقي الآية ضرب من التوعد
والحث على المراقبة **قوله عز وجل** ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل
إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ٥ قرأ الجمهور إلا
على الاستثناء وقرأ ابن عباس ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام واختلف المفسرون
في المراد بهذه الآية فقال ابن زيد معناها لا تجادلوا من آمن بمحمد من أهل
الكتاب فكأنه قال أهل الكتاب المؤمنين إلا بالتي هي أحسن أي بالموافقة
فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله على هذا التأويل
إلا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير
وغيرهم والآية على هذا محكمة غير منسوخة وقال مجاهد المراد بأهل
الكتاب اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين
أن لا يجادلوهم إلا بالأحسن من الدعاء إلى الله والتنبيه على آياته وإن زال
معهم على طريق الإغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا التأويل إلا الذين ظلموا
معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظالم على الإطلاق فالمراد من لم يؤد جزية ونصب
الحرب ومن قال وصرح بأن الله ولدا أو له شريك أو يده مغلولة فالآية على
هذا منسوخة في مهادنة من لم يحارب قال قتادة هي منسوخة بقول الله
تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية قال — أبو محمد والذي يتوجه
في معنى الآية إنما يتضح مع معرفة الحال في وقت نزول الآية وذلك أن السورة
مكية من بعد الآيات العشر الأول ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض
ولا طلب جزية ولا غير ذلك وكانت اليهود بمكة وفيما جاورها فربما وقع

بينهم ومن بعض المؤمنين جدال واحتجاج في أمر الدين وتكذيبه فأمر الله
المؤمنين أن لا يجادلوهم بالمحاجة إلا بالحسنى دعا إلى الله وملاينة ثم استثنى
من ظلم منهم المؤمنين إما بفعل وإما بقول وإما بأذية محمد صلى الله عليه وسلم
وإما بإعلان كفر فاحش كقول بعضهم عزير ابن الله ونحو هذا فإن هذه الصنيفة
استثني لأهل الإسلام معارضتها بالتغيير عليها والخروج معها عن التي هي أحسن
ثم نسخ هذا بعد بآية القتال والجزية وهذا قول قتادة وقوله تعالى
وقولوا آمنا الآية قال أبو هريرة كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل
إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وروى عبد الله بن مسعود
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم
وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق وإما أن تصدقوا بباطل قوله تعالى
وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين
أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ۝ تقدم في هذه الآية قبل هذه ما يقتضي
نزول شرع وكتاب من عند الله على أنبياء قبل محمد فحسن لذلك عطف كذلك
أنزلنا إليك على ما في المعنى أي وكما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا إليك والكتاب
القرآن وقوله فالذين آتيناهم الكتاب يريد التوراة والإنجيل أي فالذين
كانوا في عصر نزول الكتاب وأوتوه حينئذ يؤمنون به أي كانوا
يصدقون بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك والضمير في به عائد على القرآن
ثم أخبر عن معاصري محمد صلى الله عليه وسلم أن منهم أيضا من يؤمن به ولم
يكونوا أسلموا بعد ففي هذا إخبار بغيب تبينه الوجود بعد ذلك ثم إني

على الجاحدين من أمة فقد أمن سلفها في القديم وبعضها في الحديث وحصل
الجاحدون منهم في آخر رتبة من الضلال ويشبه أن يراد أيضا بهذا
الإخبار قريش مع هذا ذمي أسرائيلهم ثم بين تعالى الحجة على المبطلين المرتابين
فأوضح أن مما يقوي نزول هذا القرآن من عند الله أن محمدا صلى الله عليه وسلم
جاء به في غاية الإعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو أمي
لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حرفا ولا سبيل له إلى التعلم فلو
كان ممن يقرأ لارتاب المبطلون وكان لهم في ارتيابهم تعلق وأما ارتيابهم
مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده قال مجاهد كان أهل الكتاب
يجدون في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه
الآية وذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أنه قال ما مات النبي صلى الله
عليه وسلم حتى كتب وأسند أيضا حديثا إلى أبي كبشة السلولي مضمنه أنه عليه
السلام قرأ صحيفة لعيينة بن حصن وأخبر بمعناها قال أبو محمد وهذا كله
ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه وقوله بل هو آيات بينات أضراب عن مقدر
من الكلام بمعنى ما تقدم كأنه قال ليس الأمر كما حسبوا بل هو وهذا الضمير
يحتمل أن يعود على القرآن ويؤيده أن في قراءة ابن مسعود بل هي آيات
ويحتمل أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده أن قتادة قرأ بل هو آية بينة
على الإفراد وقال المراد النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يعود على أمر محمد
في أنه لم يتل ولا خط وجل احتمال قال فرقة وكون هذا كله آيات أي علامات
في صدور العلماء من المؤمنين بمحمد يراد به مع النظر والاعتبار والظالمون
والمبطلون قيل بعمومهما كل مكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن
عظم الإشارة بهما إلى قريش لأنهم الأهم قاله مجاهد وقال قتادة المبطلون
اليهود قوله عز وجل وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما
الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل
كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا
بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ٥ الضمير في قالوا لقريش
ولبعض اليهود لانهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة يقولون لم لا
يأتيكم بمثل ما جاء به موسى من العصى وغيرها وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم وعلي بن نصر عن ابي عمرو اية من ربه وقرأ نافع وابن عامر
وابو عمرو وحفص عن عاصم ايات من ربه فامر الله نبيه ان يعلمهم ان هذا
الامر بيد الله عز وجل لا يبشر له الاقتراح ولا التمني وانه نذير
ولم يؤمر بغير ذلك وفي مصحف ابي بن كعب قالوا لولا يأتينا بايات من ربه
قل انما الايات ثم احتج عليهم في طلبهم اية بامر القران الذي هو اعظم الايات
ومعجز للجن والانس فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب ثم فسر ما
فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين وقوله اولم يكفهم جواب لمن قال
لولا انزل وحكى الطبري ان هذه الاية نزلت بسبب قوم من المؤمنين جاءوا عن
اليهود بطائق احرزوها فيها من التوراة وكتبوه فانكر ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال كفى بها ضلالة قوم ان رغبوا عما اتاهم به نبيهم
الى ما اتى به غيره ونزلت الاية بسببه قال ابو محمد والتاويل الاول
اجرى مع نسق الايات ثم امر تعالى نبيه بالاسناد الى امر الله وان يجعله
حسبه شهيدا وحاكما بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع امورهم وقوله
بالباطل يريد بالاصنام والاوثان وما يتبع امرها من المعتقدات والباطل
هو ان يفعل فعل يراد به امر ما وذلك الامر لا يكون عن ذلك الفعل والاصنام
اريد بامرها الاكمل والانجح في زعم عبادها وليس الاكمل والانجح الا
رفضها فهي اذا باطل وباقي الاية بين قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك

بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ٥ قوله ويستعجلونك بالعذاب
يريد كفار قريش في قولهم ائتنا بما تعدنا وغير ذلك من استدعائهم على
جهة التعجيز والتكذيب عذاب الله الذي توعدهم محمد صلى الله عليه وسلم
به ثم اخبر تعالى انه يأتيهم بغتة اي فجأة وهذا هو عذاب الدنيا وهو الذي ظهر
يوم بدر وفي السنين السبع ثم ذكر تعالى ان تاخره انما هو بحسب الاجل
المقدور السابق وذكر المفسرون عن الضحاك ان الاجل المسمى في هذه
الاية الاجال قال ابو محمد وهذا ضعيف يرده النظر والاجال لا محالة
اجل مسمى ولكن ليس هذا موضعها ثم توعدهم تبارك وتعالى بعذاب الاخرة
في قوله ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم قدر فعلهم وتحته واحزانه ووراهم
احاطة جهنم بهم وقال عكرمة فيما حكى الطبري ان جهنم هاهنا اراد بها
البحر قال ابو محمد وهذا ضعيف وقوله يوم يغشاهم ظرف يعمل فيه قوله
محيط ويغشاهم معناه يغطيهم من كل جهة من جهاتهم وقرأ نافع وعاصم وحمزة
والكسائي ويقول اي ويقول الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر نقول
بالنون فاما ان تكون نون العظمة او نون جماعة الملائكة وقرأ ابن مسعود
ويقال بياء والف وهي قراءة ابن ابي عبلة وقوله ذوقوا توبيخ وتنبيه من العذاب
بالذوق ومنه ذق عقق ونحو هذا الشعر وقوله بما كنتم تعملون اي بما هي
اعمالكم من اكتسابهم قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ٥ هذه الايات
نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة فاخبرهم تعالى بسعة
ارضه وان البقاء في بقعة على اذاية الكفار ليس بصواب بل الصواب ان تلتمس

عباده الله في أرضه وقال ابن جبير وعطاء ومجاهد ان الأرض التي فيها الظلم
والمنكر تترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك
وقال مطرف بن الشخير قوله إن ارضي واسعة عدة بسعة الرزق في جميع
الأرض وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يا عبادي بفتح اليا وقرا ابن عامر
وحده ان ارضي بفتح اليا ايضا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بسكونها
وكذلك قرا نافع وعاصم ارضي باسكانه وقوله فاياي منصوب بفعل مقدر
يدل عليه الظاهر تقديره فاياي اعبدوا فاعبدون على الاهتمام ايضا في التقدير
وقوله كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ومخاوفها
كان بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه انه يموت او
يجوع ونحو هذا فحقر الله شان الدنيا اي انتم لا محالة ميتون ومحشورون الينا
فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه اولى ما ممتثل وقرا الجمهور ترجعون بالتا
من فوق وروت عن عاصم باليا من تحت وذكرها ابو حاتم عن ابي عمرو وقرا
ابو حيوة كل نفس ذائقة بالتنوين الموت بالنصب ثم وعد المؤمنين العاملين
بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزا الذي ينالونه وقرا جمهور القرا
لنبوئنهم من المباءة اي لننزلنهم ولنمكننهم ليدوموا فيها وغرفا
مفعول ثان لانه فعل يتعدى الى مفعولين وقرا حمزة والكسائي لنثوينهم من اثوى
يثوي وهو معدى ثوى بمعنى اقام وهي قراءة علي بن ابي طالب وابن مسعود
والربيع بن خثيم وابن وثاب وطلحة وقراها بعضهم بفتح الثا وتشديد الواو
معدا بالتضعيف لا بالهمزة فقوله غرفا نصب باسقاط حرف الجر التقدير في غرف
وقرا يعقوب لنبوئنهم باليا من تحت وروي عن ابن عامر غرفا بضم العين والرا
ثم وصفهم تعالى بالصبر والتوكل وهاتان جماع الخير كله اي الصبر على الطاعات
وعن الشهوات **قوله تعالى** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم ولئن سالتهم من خلق السماوات والارض وسخر

الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له إن الله بكل شي عليم ولئن سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به
الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۝
كاين بمعنى كم وهذه الآية ايضا تحريض على الهجرة لان بعض المؤمنين فكر
في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة وقالوا غربة في بلد لا دار لنا فيه
ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم بالكثير الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروى
في رزقها المعنى فهو يرزقكم انتم ففضلوا طاعته على كل شي وقوله
لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر في ادخاره قاله ابو مجلز
ومجاهد وعلي بن الاقمر قال ابو مجلز والادخار ليس من خلق المؤمنين
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك إذا بقيت في حثالة من
الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة اي لا تتكفل
لنفسها ولا تروي فيه ثم خاطب العلماء في امر الكفار واقامة الحجة عليهم
بانهم إن سئلوا عن الامور العظام التي هي دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم
بانها لله تعالى ويؤفكون معناه يصرفون ونبه تعالى على خلق السماوات وخلق
الارض وتسخير الكواكب وذكر عظمها فاقتضى ذلك ما دونه ونبه على
بسط الرزق وقدره لقوم وانزال المطر من السما وهذه بينة جلية لمن
تامل بالحياة والمعتقد الاقوم ثم امر تعالى نبيه محمد على جهة التوبيخ لعقولهم
وحكم عليهم بان اكثرهم لا يعقلون ولا يبسط منهم نظر **قوله عز وجل**
وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا
هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
يكفرون ۝ وصف الله تعالى الدنيا في هذه الآية بانها لهو ولعب اي ما

كان منها لغير وجه الله تعالى فإن ما كان لله تعالى فهو من الآخرة
وأما أمور الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قوام العيش والقوة
على الطاعات فإنما هو لهو ولعب وتأمل ذلك في الملابس والمطاعم والأقوال
والمكتسبات وغير ذلك وانظر أن حالة الغني والفقير من الأمور الضرورية
واحدة كالتنفس في الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد
وهذه عظم أمر العيش والحيوان والحياة بمعنى وهو عند الخليل وسيبويه
مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال
أصله حييان فبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم
في البحر عند الخوف العظيم فإن كل بشر ينسى كل صنم وغيره ويتمسك بالدعاء
والرغبة إلى الله تعالى وقوله إذا هم يشركون أي يرجعون إلى ذكر أصنامهم
وتعظيمها وقوله ليكفروا نصب بلام كي وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر
وعاصم وليتمتعوا بكسر اللام وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وليتمتعوا
بسكون اللام على صيغة الأمر التي هي الوعيد والتهديد والواو على هذا
عاطفة جملة كلام لا عاطفة فعل على فعل وفي مصحف أبي بن كعب تمتعوا فسوف
تعلمون وفي قراءة ابن مسعود لسوف تا الأمر ثم عدد تعالى على هذه قريش
نعمته عليهم في الحرم وأنه جعله لهم أمنا من أحوال العرب وغاراتهم
وسوافعا لهم من القتل وأخذ الأموال ونحوه وذلك هو التخطف
كان الناس يتسلبه ثم قررهم على جهة التوبيخ على إيمانهم بالباطل وكفرهم
بالله ونعمته وقرأ جمهور القراء يؤمنون بالياء من تحت وكذلك يكفرون
وقرأهما بالتاء من فوق الحسن وأبو عبد الرحمن **قوله عز وجل** ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى
للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين
قررهم عز وجل على حال من افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهذه

كانت حالهم وأعلمهم أنه لا أحد أظلم منه وهذا أوحمه وعيد شديد
ثم بين الوعيد أيضا بالتقرير على أمر جهنم والمثوى موضع الإقامة وألفاظ
هذه الآية في غاية الاقتضاب والإيجاز وجمع المعاني ثم ذكر تعالى حال أوليائه
والمجاهدين فيه وقرن ذلك بذكر الكفرة والظلمة ليبين تباين الحالتين
وقوله فينا معناه في مرضاتنا وبغية ثوابنا قال السدي وغيره نزلت
هذه الآية قبل فرض القتال قال ـــــ أبو محمد فهي قبل الجهاد العرفي
وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن بن أبي الحسن
الآية في العباد وقال عباس وإبراهيم بن أدهم هي في الذين يعملون بما يعلمون
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلماء
بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقد قال عمر بن عبد العزيز إنما قصر بنا
عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا وقال أبو سليمان الداراني ليس الجهاد
في هذه الآية قتال العدو فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع
الظالمين وعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس
في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر قاله الحسن وغيره وفيه حديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وقال
سفيان بن عيينة لابن المبارك إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين
وأهل الثغور فإن الله يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم الآية وقال
الضحاك معنى الآية والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبوت على الإيمان
والسبل هاهنا يحتمل أن تكون طرق الجنة ومسالكها ويحتمل أن تكون
سبل الأعمال وحب التزيد والتفهيم وهذا هو أن يجازي العبد على حسنة
بازدياد حسنة وبعلم ينفتح من علم متقدم وهو حال من رضي عنه وباقي الآية وعد
ومع يحتمل أن تكون هنا اسما ولذلك دخلت عليها لام التأكيد ويحتمل
أن تكون حرفا ودخلت اللام لما فيها من معنى الاستقرار كما دخلت في إن

وبه الغني الذاد خرج تفسير السورة بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الروم

هذه السورة مكية بلا خلاف أجمعوا في ذلك **قوله تعالى** الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ تقدم القول في الحروف التي في أوائل السور بما فيه كفاية وقرأ الجمهور غلبت بضم الغين وقالوا معنى الآية أنه طرأ بمكة أن الملك كسرى هزم جيش ملك الروم قال مجاهد في الجزيرة وهو موضع بين العراق والشام وقال عكرمة بأذرعات وهي من بلاد العرب والشام وقال مقاتل بالأردن وفلسطين فلما طرأ ذلك سر الكفار فبشر الله عباده بأن الروم سيغلبون في بضع سنين وتكون الدولة لهم في الحرب وقرأ أبو سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن قرة وعبد الله بن عمر غلبت الروم بفتح الغين واللام وتأويل ذلك أن الذي طرأ يوم بدر إنما كان أن الروم غلبت فعز ذلك على كفار قريش وسر المسلمون فبشر الله عباده بأنهم سيغلبون أيضا في بضع سنين ذكر هذا التأويل أبو حاتم والرواية الأولى والقراءة بضم الغين أصح وأجمع الناس على سيغلبون أنه بفتح الياء يراد به الروم وروي عن ابن عمر أنه قرأ سيغلبون بضم الياء وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت به الروايات وأدنى الأرض معناه أقرب الأرض فإن كانت الوقعة في أذرعات فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي ۝ وإن كانت الوقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس إلى أرض كسرى وإن كانت بالأردن فهي أدنى إلى أرض الروم قال أبو حاتم وقرئ أداني الأرض وقرأ الجمهور

الناس عليهم بعض الأيام كما يقال أطب طبالك شطوه وقرأ ابن عمر بسكونها وهما مصدران بمعنى واحد أضيف إلى المفعول وروي في قصص هذه الآية عن ابن عباس وغيره أن الكفار لما فرحوا بمكة بغلب الروم بشر الله نبيه والمؤمنين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين أي من الثلاثة إلى التسعة على مشهور قول اللغويين كأنه تبضيع العشرة أي تقطيعها وقال أبو عبيدة من الثلاث إلى الخمس وقوله مرددة فلما بشرهم بذلك خرج أبو بكر الصديق إلى المسجد فقال لهم أسركم أن غلبت الروم فإن نبينا أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون في بضع سنين فقال له أبي بن خلف وأمية أخوه وقيل أبو سفيان بن حرب تعال يا أبا فصيل يعرضون بكنيته بالبكر فلنتناحب أي نتراهن في ذلك فراهنهم أبو بكر رضي الله عنه قال قتادة وذلك قبل أن يحرم القمار وجعل الرهن خمس قلائص والأجل ثلاث سنين فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له إن البضع إلى التسع ولكن زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل ففعل أبو بكر فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام فغلبت الروم في أثناء الأجل فروي عن أبي سعيد الخدري أن التقاء الروم بالفرس كان يوم بدر وروي أن ذلك كان يوم الحديبية وأن الخبر بذلك وصل يوم بيعة الرضوان وروي نحوه عن قتادة وفي طي اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين وذكر الناس أن سبب سرور المسلمين بغلبة الروم وهمهم أن تغلب وكون المشركين من قريش على ضد ذلك إنما هو أن الروم أهل كتاب كالمسلمين والفرس أهل أوثان أو نحوه من عبادة النار ككفار قريش والعرب قال أبو محمد ويشبه أن يعلل ذلك بما يقتضيه الفطر من محبة أن يغلب العدو الأصغر لأنه أيسر مؤنة ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه فتأمل هذا المعنى مع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الأمم وإرادة كفار مكة رميه الله بهلاك مستأصله ونحوهم منه

وسنين جمع لجمع من يعقل عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل
سنه سنهه او سنوه وكثرت السنين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه
ونظيره ثم اخبر تعالى بانفراده بالقدرة وان ما في العالم من غلبة وغيرها
انما هي منه وبارادته وقدرته وقدرة لله الامر اي انفاذ الاحكام
من قبل ومن بعد اي من بعد هذه الغلبة التي من هولا القوم وقبل وبعد
ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه وصار متضمنين ما حذف
فخالفا تعرف الاسما واشبها الحروف في التضمن فبنيا وخصا بالضم لشبههما
بالمنادى المفرد في انه اذا نكر واضيف زال بناوه وكذلك هما فضما
كما المنادي مبني على الضم وقيل في ذلك انما ان الفتح تعذر فيهما لانه
حالهما في اظهار ما اضيفا اليه وتعذر الكسر لانه حالهما عند اضافتهما
الى المتكلم وتعذر السكون لان ما قبل اخرهما ساكن فلم يبق الا الضم فبنيا
عليه ومن العرب من يقول من قبل ومن بعد بالخفض والتنوين قال الفرا ويجوز
ترك التنوين فيبقى كما هو في الاضافة وان حذف المضاف وقوله تعالى
يومئذ يحتمل ان يكون عطفا على القبل والبعد كانه حصر الازمنة الثلاثة
الماضي والمستقبل والحال ثم ابتدا الاخبار بفرح المومنين بالنصر ويحتمل
ان يكون الكلام قد تم في قوله بعد ثم استانف عطف جملة اخرها ان يوم
غلبة الروم للفرس يفرح المومنون بنصر الله وعلى هذا الاحتمال يتمشى
المعنى والنصر الذي يفرح به المومنون يحتمل ان يشار فيه الى نصر
الروم على فارس وهي نصرة الاسلام بحكم السببين اللذين قد ذكرناهما
ويحتمل ان يشار فيه الى نصر خص المسلمين على عدوهم وهذا ايضا غيب
اخبر به واخرجه الوجود اما يوم بدر واما يوم بيعة الرضوان ويحتمل
ان يشار به الى فرح المسلمين بنصر الله اياهم في ان صدق ما قال نبيهم من
الروم ستغلب فارس فان هذا ضرب من النصر عظيم وقوله تعالى وعد

الله نصب على المصدر المؤكد وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يريد الكفار من قريش والعرب اي لا يعلمون ان الامور من عند
الله وان وعده لا خلف وان ما يورده نبيه حق قال ابو محمد هذا
الذي ذكرناه عليه ما قيل وقد حكى الطبري وغيره روايات يردها
النظر او قول الجمهور من ذلك ان بعضهم قال انما نزلت وعد الله
لا يخلف الله وعده بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك وهذا
يقتضي ان الاية مدنية والسورة كلها مكية باجماع ونحو هذا من الاقوال

قوله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
٥ وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون امر الله وصدق وعده بانهم
انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا واختلف الناس في معنى ظاهر فقالت
فرقة معناه بينا اي ما ادته اليهم حواسهم فكان علومهم انما هي علوم
البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه ما فيه الظهور والعلو
في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال والفلاحات
ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا اي يعلمون امور الدنيا التي
لا بقا لها ولا عاقبة ومثل هذه اللفظة قول الهذلي

وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقال سعيد بن جبير ان قوله ظاهرا من الحياة الدنيا اشارة الى ما تعلم
من قبل الكهنة مما تسترقه الشياطين وقال الرماني كل ما يعلم باوائل
العقول فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن قال ابو
محمد وفيه ذم الغفلة وتقصير الجهال ثم وصفهم تعالى بالغفلة والاعراض
عن امر الاخرة وكرر الضمير تاكيدا وغفلة الكافر هي على الكمال والمومن

المنهمك في أمور الدنيا التي هي أكبر همته يأخذ من هذه الآية
حظه نوّر الله قلوبنا بهداه ثم وقفهم على جهة التوبيخ على أنهم قد فكروا
فلم تنفعهم الفكرة والنظر إذ لم يكن على سداد وقوله في أنفسهم
يحتمل معنيين أحدهما أن تكون الفكرة في ذوات أنفسهم وحواسهم وخلقتهم
ليستدلوا بذلك على الخالق المخترع ثم أخبر عقيب هذا المعنى بأن الحق
هو السبب في خلق السموات والأرض فهم على طريقة الإخبار والاختصار
أن من فكر في نفسه علم حقيقة هذا الخبر ووقف عليه ببصيرة نفسه
والمعنى الثاني أن تكون النفس ظرفا للفكرة في خلق السموات والأرض
فيكون قوله في أنفسهم تأكيدا لقوله يتفكروا كما تقول أبصر بعينك
واسمع بأذنك فقولك بأذنك تأكيد وقوله إلا بالحق أي بسبب
المنافع التي هي حق واجب ولواجب يريد من الدلالة عليه والعبادة
له دون فتور والانتصاب للعبرة ومنافع الأرزاق وغير ذلك
وأجل عطف على الحق أي وبأجل مسمى وهو يوم القيامة ففي الآية إشارة
إلى البعث والنشور وفساد بنية هذا العالم ثم أخبر عن كثير
من الناس أنهم كفرة بذلك المعنى فعبر عنه بلقاء الله لأن لقاء الله هو
عظم الأمر وفيه النجاة والهلكة **قوله عز وجل** أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض
وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ه هذا أيضا توقيف
وتوبيخ على أنهم سافروا ونظروا أي أن ذلك لم ينفعهم حين لم يتأملوا
حسب العبرة وخوف العاقبة قال أبو محمد ولا توجه للكفرة
أن يعارض منهم من لم يسر فيقول لم أسر لأن كافة من سار من الناس قد
نقلت إلى من لم يسر فاستوت المعرفة وحصل اليقين للكل وقامت الحجة ..

وهذا بين وقوله وأثاروا الأرض يريد بالمباني والحرث
والحروب وسائر الحوادث التي أحدثوها هي كلها إثارة للأرض
بعضها حقيقة وبعضها بتجوز لأن إثارة أهل الأرض والحيوان والمتاع
إثارة للأرض وقرأ أبو جعفر وآثاروا بمد الهمزة قال ابن مجاهد ليس
هذا بشيء قال أبو الفتح وجهها أنه أشبع فتحة الهمزة فنشأت ألف
ونحوه قول ابن هرمة فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح
قال وهذا من الشعر لا يجيء في القرآن وقرأ أبو حيوة وأثروا بالمد بغير
ألف بعد الثاء من الأثر والضمير في عمروها الأول للماضين وفي الثاني
للحاضرين المعاصرين وباقي الآية بين في الوعظ والتخويف من عقاب الله تعالى
قوله عز وجل ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات
الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا
بشركائهم كافرين ه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو عاقبة بالرفع على أنها
اسم كان والخبر يجوز أن تكون السوأى ويجوز أن يكون أن كذبوا
وتكون السوأى على هذا مفعولا بأساءوا وإذا كان السوأى خبرا فأن كذبوا
مفعول من أجله ولا يصلح تعلقه بأساءوا لأن في ذلك فصلا بين الصلة والموصول
بخبر كان وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي عاقبة بالنصب على أنها خبر
مقدم واسم كان أحد ما تقدم والسوأى مصدر كالرجعى والفتيا والشورى
ويجوز أن تكون صفة لمحذوف تقديره الحالة السوأى والخلال السوأى قال أبو
حاتم هذه قراءة العامة فالمد على الواو وفتح الهمزة وبالتأنيث فبعض القراء فخم
وبعضهم أمال وقرأ الحسن السوى بشد الواو ودون همز وقرأ الأعمش وابن
مسعود السوء بالتذكير وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال السوء
والسوأى أقرأ بما شئت قال ابن عباس أساءوا هنا بمعنى كفروا والسوأى هي النار

والتكذيب بآيات الله غير الاستهزاء بها فلذلك عدد عليهم الفعلين
ثم اخبر تعالى اخبارا مطلقا لجميع العالم بالحشر والبعث من القبور وقرا
طلحة وابن مسعود يبدي بضم اليا وكسر الدال وقرا جمهور القرا ترجعون
بالتاء من فوق وقرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم باليا وقوله ويوم
منصوب بيبلس والابلاس السكوت في شرع اليأس من الخير وذلك الشر
بعينه فالابلاس هو في عذاب الله تعالى وقراه عامة القرا بكسر اللام وقرا
ابو عبد الرحمن وامير المومنين علي بن ابي طالب بفتحها والمبلس الربع اذا
بلي وكانه يبس من العمارة ومنه قول العجاج
«يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا» وقرا
عامة القرا ولم تكن لهم باليا من تحت وروي عن نافع تكن بالتاء من فوق
والشركا المشار اليهم هم الاصنام اي الذين كانوا جعلوهم شركا
لله بزعمهم وقوله وكانوا معناه ويكونون عند معاينتهم امر الله وفساد
حال الاصنام فعبر عنه بالماضي لتيقن الامر وصحته ووقوعه قوله عز وجل
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقا الاخرة
فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ٥ يتفرقون معناه
في المنازل والاحكام والجزا قال قتادة فرقة والله لا اجتماع بعدها
ويحبرون ينعمون قاله مجاهد والحبرة والحبور السرور والنعم وقال
يحيى بن ابي كثير يحبرون يسمعون الاغاني وهذا نوع من الحبرة وقال ابن عباس
يحبرون يكرمون وفي المثل امتلات بيوتهم حبرة فهم ينتظرون العبرة
ومنه قول ابي ذويب «فراق كقيص السن فالصبر انه لكل اناس عثرة وجبور» هذا
على هذه الرواية ويروى عثرة وجبور وهي لغة وذكر تعالى الروضة لانها
من احسن ما يعلم من بقاع الارض وحيث اجمل النبت الاخضر وحين
وما كان منها في المرتفع من الارض كان احسن ومنه قول الاعشى
«ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها مسبل هطل»
ومنه قول كثير «فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها»
قال الاصمعي ولا يقال روضة حتى يكون فيها ما يشرب منه ومحضرون معناه
مجموعون له لا يغيب احد عنه وقوله تعالى فسبحان الله خطاب للمومنين
بالامر بالعبادة والحض على الصلاة وهذه الاوقات كانه يقول اذ هذه
الفرق هكذا من النعمة والعذاب فجدوا ايها المومنون في طريق الفوز
برحمة الله وقال ابن عباس وقتادة وبعض الفقها في هذه الاية تنبيه على اربع
صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخرة هي في اية
اخرى في زلفا من الليل او في ذكر اوقات العورة وقال ابن عباس ايضا وفرقة
من الفقها في هذه الاية تنبيه على الصلوات الخمس لان قوله حين تمسون تتضمن
الصلاتين وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلام من نوع
تعظيم الله تعالى والحض على عبادته وقرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون
المعنى حينا تمسون فيه قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من
تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم
ان في ذلك لايات للعالمين ٥ الحي والميت في هذه الاية يستعمل حقيقة ويستعمل
مجازا فالحقيقة المني يخرج منه الانسان والبيضة يخرج منها الطاير وهذه
بعينها ميتة يخرج من حي وما جرى هذا المجرى وبهذا المعنى فسر ابن مسعود
وابن عباس وقال الحسن المعنى المومن من الكافر والكافر من المومن

قال أبو محمد وروي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قرأ
هذه الآية عندما كلمته بالإسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط والمجاز
إخراج النبات الأخضر من الأرض وإخراج الطعم من النبات وما جرى
هذا المجرى ومثل بعد إحياء الأرض بالمطر بعد موتها بالجدوبة والعطش
ثم بعد هذه الأمثلة القاضية بتجويز بعث الأجساد عقلا ساق الخبر بأن
كذلك خروجنا من القبور وقرأت فرقة تخرجون بالياء من خرج وقرأت
عامة القراء تخرجون بالتاء المضمومة وقرأ الحسن وابن وثاب والأعمش
وطلحة بفتح التاء وضم الراء ومن في قوله ومن آياته أن خلقكم للتبعيض
وقال خلقكم من حيث خلق أباكم آدم وتنتشرون معناه تتصرفون
وتتفرقون في الأغراض والأسفار ونحوها وقوله من أنفسكم يحتمل أن
يريد خلقه حواء من ضلع آدم فحمل ذلك على جميع النساء من حيث إنهن مخلوقة
من نفس آدم أي من ذات شخصه ويحتمل أن يريد من نوعكم وجنسكم
والمودة والرحمة على بابهما المشهور من التوادد والتراحم هذا هو البليغ
وقال مجاهد والحسن وعكرمة عنى بالمودة الجماع وبالرحمة الولد
ثم نبه تعالى على خلق السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان وهذه
عظم مواقع العبرة من هذه الآيات وقوله وألوانكم يحتمل أن يريد به البياض
والسواد وغيرهما ويحتمل أن يريد ضروب بني آدم وأنواع أعقمهم بعم
واغماض الأجفة ونحوهم خلقت بالألوان ونغم الألسنة وبذلك تقع
الشهادات والمداينات وتقع الفروق والتميز وبهذا تبين الكلمة وقرأ الجمهور
العالمين بفتح اللام وقرأ حفص عن عاصم للعالمين بكسر اللام فالأولى
على أن هذه الآية هي في نفسها منصوبة لجميع العالم والثانية على معنى أن أهل
الانتفاع بالنظر فيها إنما هم أهل العلم قوله عز وجل ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن

آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض
بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم
السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون
ه ذكر تعالى النوم بالليل والنهار وعرف النوم إنما هو بالليل وحده
ثم ذكر الابتغاء من فضله كأنه فيهما وإنما معنى ذلك أنه عم الليل والنهار
قسمي الزمان وقصد من ذلك تعديد آية النوم وتعديد آية ابتغاء
الفضل فإنهما آيتان ونعمتان تكونان في ليل ونهار والعرف تخيير كل واحدة
من النعمتين إلى حيزها في الأغلب وقال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتأخير
قال أبو محمد وهذا ضعيف وإنما أراد أن يرتب النوم لليل والابتغاء
للنهار ولفظ الآية لا يعطي ما أراد وقوله يريكم فعل من تقع لما حذفت
أن التي لو كانت لنصبته فلما حل الفعل محل الاسم أعرب بالرفع ومثله قول
طرفة ،، ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
قال الرماني ويحتمل الآية أن يكون التقدير ومن آياته آية يريكم البرق وحذفت
آية لدلالة من عليها ومنه قول الشاعر
،، وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح ،، التقدير
فمنهما تارة أموت قال أبو محمد وهذا على أن من للتبعيض حسب هذه
الآيات ويحتمل في هذه وحدها أن تكون من لابتداء الغاية فلا يحتاج إلى تقدير
أن ولا تقدير آية وإنما يكون الفعل مخلصا للاستقبال وقوله خوفا وطمعا
قال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم قال أبو محمد ولا وجه لهذا التخصيص
ونحوه بل فيه الخوف والطمع لكل بشر قال الضحاك الخوف من صواعقه
والطمع في مطره وقوله أن تقوم السماء والأرض معناه تثبت كقوله تعالى وإذا
أظلم عليهم قاموا وهذا كثير وقيل هو فعل مستقبل أحله محل الماضي ليعطي فيه
معنى الدوام الذي هو في المستقبل والدعوة من الأرض هي البعث ليوم القيامة

من الأرض حال من المخاطبين كأنه قال خارجين من الأرض ويجوز
أن تكون من الأرض صفة للدعوة قال أبو محمد ومن عندي هاهنا
هي لابتداء الغاية كما تقول دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل والوقف
في هذه الآية عند نافع ويعقوب الحضرمي على دعوة والمعنى بعد إذا أنتم تخرجون
من الأرض وهذا على أن من لابتداء الغاية والوقف عند أبي حاتم على قوله
من الأرض وهذا على أن من لانتهاء الغاية قال مكي والأحسن عند أهل
النظر أن الوقف في آخر الآية لأن مذهب سيبويه والخليل في إذا الثانية
أنها جواب الأولى كأنه قال ثم إذا دعاكم خرجتم وهذا أشد الأقوال
وقرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وقرأ الباقون بضم التاء **قوله تعالى**
وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز
الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل
الآيات لقوم يعقلون ه اللام في له الأولى لام الملك وفي الثانية لام تعدية
لقنت إذ قنت بمعنى خضع في طاعته وانقياده وهذه الآية ظاهر لفظها العموم
في القنت والعموم في كل من يعقل وتعميم ذلك في المعنى لا يصح لأنه خبر ونحن
نجد كثيرا من الجن والإنس لا يقنت في كثير من المعتقد والأعمال فلا بد أن عموم
ظاهر هذه الآية معناه الخصوص واختلف المتأولون في هذا الخصوص
أين هو فقال ابن عباس وقتادة هو في القنت والطاعة وذلك أن جميع من
يعقل هو قانت لله في معظم الأمور من الحياة والموت والرزق والقدرة
ونحو ذلك وبعضهم يخل بالعبادة وبالمعتقدات فلا يقنت فيها فكأنه
قال كل له قانتون في معظم الأمور وفي غالب الشأن وقال ابن زيد ما
معناه أن الخصوص هو في الأعيان المذكورين كأنه قال وله من في

السموات والأرض ملك ومن بعض وقوله يبدأ الخلق معناه ينشيه
ويخرجه من العدم وجاء الفعل بصيغة الحال لما كان في هذا المعنى ما قد
مضى كآدم وسائر القرون وفيه ما يأتي في المستقبل فكانت صيغة
الحال تعطي هذا كله ونعيده معناه نبعثه من القبور وننشيه تارة أخرى
واختلف المتأولون في قوله تعالى وهو أهون عليه فقال ابن عباس والربيع
ابن خثيم المعنى وهو هين ونظيره قول الشاعر
لعمرك ما أدري وإني لأوجل بمعنى لوجل وقول الآخر
بيت دعائمه أعز وأطول وقولهم في الأذان الله أكبر وقول الآخر
وهو الشافعي فتلك سبيل لست فيها بأوحد يريد بواحد واستشهد
بهذا البيت أبو عبيدة وهذا شاهد كثير وفي مصحف ابن مسعود وهو
هين عليه وفي بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس أيضا ومجاهد
وعكرمة المعنى وهو أيسر عليه وإن كان الكل من اليسير عليه في حيز واحد
وحال متماثلة قال ولكن هذا التفضيل بحسب معتقد البشر وما يعطيهم
النظر في الشاهد من الإعادة في كثير من الأشياء أهون علينا من البداءة
للتمرن والاستغناء عن الروية التي كانت في البداءة وهذا أن العود لأن التقسيم
فيما عائد على الله تعالى وقالت فرقة أخرى الضمير في عليه عائد على الخلق
قال أبو محمد فهو بمعنى المخلوق فقط وعلى التأويلين الأولين يصح أن
يكون المخلوق أو يكون مصدرا من خلق قال الحسن بن أبي الحسن إن
الإعادة أهون على المخلوق من إنشائه لأنه في إنشائه يتصير من حالة إلى حالة
نطفة إلى علقة إلى مضغة ونحو هذا وفي الإعادة إنما يقوم في حين واحد
فكأنه قال وهو أيسر عليه أي أقصر مدة وأقل انتقالا وقال بعضها المعنى
وهو أهون على المخلوق أن يعيد شيئا بعد إنشائه أي فهذا عرف عند المخلوقين
فكيف تنكرون أنتم الإعادة في جانب الخالق قال أبو محمد والأظهر عندي

عوّد الضمير على الله تعالى وتوبيخ قوله تعالى وله المثل الأعلى لما جاء
بلفظ فيه استعارة واستشهاد المخلوق على الخالق وتشبيه بما يعهد الناس
من أنفسهم خلص جانب العظمة بأن جعل له المثل الأعلى الذي لا يتطرق إليه تكييف
ولا تماثل مع شيء والعزة والحكمة صفتان توافقان لمعنى الآية فيهما
نعيد ونفذ أمره في عباده كيف شاء ثم بين تعالى أمر الأصنام وفساد
معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل ومعناه أنكم أيها الناس إذا
كان لكم عبيد تملكونهم فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهم
أموركم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شأنكم أن تخافوهم
في أن يرثوا أموالكم أو يقاسموكم إياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض
فإذا كان هذا فيكم فكيف تقولون إن من عبيده وملكه شركاء في سلطانه
وألوهيته وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم هذا تفسير ابن
عباس والجماعة وجاء هذا المعنى في معرض السؤال والتقرير وقرأ الناس
خيفتكم أنفسكم بنصب السين وقرأ ابن أبي عبلة أنفسكم بضمها وقرأ الجمهور
نفصل بالنون حملا على رزقناكم وقرأ عباس عن أبي عمرو يفصل بالياء حملا على
ضرب لكم مثلا قوله عز وجل بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم
فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر
الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ٥
الإضراب ببل هو عما تضمنته معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة
ولا معذرة فيما فعلوه من تشريكهم مع الله بل اتبعوا أهواءهم جهلا له
وشهوة وقصدا لأمور دنياهم ثم قرر على جهة التوبيخ لهم على من يهدي إذا
أضل الله أي لا هادي لأهل هذه الحال ثم أخبر أنه لا ناصر لهم ثم أمر تعالى

نبيه عليه السلام بإقامة وجهه للدين المستقيم وهو دين الإسلام وإقامة
الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين وذكر الوجه لأنه
جامع حواس الإنسان وأشرفه وحنيفا معناه معتدلا مائلا عن
جميع الأديان المحرفة المنسوخة وقوله فطرة الله نصب على المصدر كقوله
صبغة الله وقيل هو نصب بفعل مضمر تقديره اتبع أو الزم فطرة الله واختلف
الناس في الفطرة هاهنا على وغيره وفي ذلك جميع ما يمكن أن تعرف هذه
اللفظة عليه وفي بعض ذلك قلق والذي يعتمد عليه في تفسير هذا اللفظ أنها الخلقة
والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة مهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله ويستدل
بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به فكأنه تعالى قال أقم وجهك للدين
الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر لكن
تعرضهم العوارض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
فأبواه يهودانه أو ينصرانه الحديث فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض
التي هي كثيرة وقوله لا تبديل لخلق الله يحتمل تأويلين أحدهما أن يريد
بها هذه الفطرة المذكورة أي اعلم أن هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة
الخالق ولا يجيء الأمر على خلاف هذه والآخر أن يكون قوله لا تبديل لخلق
الله إخبارا على الكفرة اعترض به أثناء الكلام كأنه يقول أقم وجهك للدين
الذي من صفته كذا وكذا فإن هؤلاء الكفرة قد خلق الله لهم الكفر
ولا تبديل لخلق الله أي إنهم لا يفلحون وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله
وهو قول ابن جبير والضحاك وابن زيد والنخعي قال أبو محمد وهذا
معناه لا تبديل للمعتقدات التي هي في الدين الحنيف فإن كل شريعة فهي عقائدها
وذهب بعض المفسرين في هذه الآية إلى التأويلات منها قول عكرمة وقد روي
عن ابن عباس لا تبديل لخلق الله معناه النهي عن خصاء الفحول من الحيوان ومنها
قول بعضهم في الفطرة الملة على أنه قد قيل في الفطرة الدين وتأول قوله

فطر الناس على الخصوص أي المؤمنين وقيل الفطرة هو العهد الذي أخذه
الله على ذرية آدم حين أخرجهم نسماً من ظهره ونحوه حديث معاذ
حين مر به عمر بن الخطاب فقال يا معاذ ما قوام هذه الأمة قال الإخلاص
وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها والصلاة وهي الدين والطاعة وهي
العصمة فقال عمر رضي الله عنه صدقت والعمى بيانا لهذين القيام الذي
هو معنى الاستقامة وقوله منيبين يحتمل أن يكون حالاً من قوله فطر
الناس لا سيما على رأي من رأى أن ذلك خصوص في المؤمنين ويحتمل
أن يكون حالاً من قوله أقم وجهك وجمعه لأن الخطاب بإقامة
الوجه هي للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته نظيرها قوله يا أيها النبي إذا طلقتم
والمنيب الراجع المخلص المائل إلى جهة ما بوده ونفسه والمشركون
المشار إليهم في هذه الآية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقال ابن زيد هم
اليهود وقالت عائشة وأبو هريرة هي في أهل القبلة قال أبو محمد
فلفظة الإشراك على هذا فيها تجوز فإنهم صاروا في دينهم فرقاً والشيع
الفرق واحدها شيعة وقوله كل حزب بما لديهم فرحون معناه معنا ه
أنهم مفتونون بآرائهم معجبون بضلالهم وذلك أضل لهم وقرأت
فرقة فارقوا دينهم بالألف **قوله عز وجل** وإذا مس الناس ضر
دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم
سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ه هذا ابتدا احتجا على عبدة الأصنام
المشركين بالله عز وجل بين تعالى لهم أنهم كسائر البشر في أنهم متى مسهم ضر
دعوا الله وتركوا الأصنام مطرحة ولهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع
فإذا أذاق رحمة أي باشرهم أمرها والذوق مستعار إذا طائفة تشرك
أصنامها ونحو هذا وإذا للمفاجأة فلذلك صلحت في جواب إذا الأولى بمنزلة

الفاء وهذه الطائفة هي عبدة الأصنام قال أبو محمد ويلحق من هذه
الألفاظ شيء للمؤمنين إذا جاءهم فرج بعد شدة علقوا ذلك بمخلوقين أو
بحذق آرائهم وغير ذلك لأن فيه قلة شكر لله ويسمى تشريكاً مجازاً
وقوله ليكفروا اللام لام كي وقالت فرقة هي لام الأمر على جهة الوعيد
والتهديد وأما قوله فتمتعوا فأمر على جهة الوعيد والتهديد قل لهم يا محمد
تمتعوا وقرأ أبو العالية فيتمتعوا بياء قبل التاء وذلك عطف على ليكفروا
أي لتطول أعمارهم على الكفر وفي حرف ابن مسعود فليتمتعوا وروي عن
أبي العالية فيمتعوا بضم الياء دون تاء أولى وفي مصحف ابن مسعود تمتعوا
كذا قال هرون وقرأ عامة الناس تعلمون بالتاء على المخاطبة وقرأ أبو
العالية يعلمون بالياء على ذكر الغائب وقوله أم هي بمعنى بل وألف الاستفهام
كأنه أضرب عن صدر الكلام ورجع إلى هذه الحجة والسلطان هاهنا البرهان
من رسول أو كتاب ونحوه والسلطان في كلام العرب جمع سليط كرغيف
ورغفان وغدير وغدران فهو مأخوذ من التسلط والتغلب ولزم
هذا الاسم في العرف الرئيس لأنه سليط بوجه الحق ولزمه اسم جمع من حيث
أنواع الغلبة والملك عنده وقال قوم هو اسم مفرد وزنه فعلان وقوله
تعالى فهو يتكلم معناه أن يظهر حجتهم ويغلب مذهبهم وينطق بشركهم قاله
قتادة فتكلم مجاز وذلك تمام الكلام كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
قوله عز وجل وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة
بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون
ه لما ذكر تعالى حال الناس متى نالتهم شدة وضر وخرجوا منه إلى نعمة
ذكر في هذه الآية الأمر أيضاً في الطرف الآخر بأن تنال الرحمة ثم تعقب الشدة

فلهم في الرتبة الأولى تضرع ثم استرسال وقلة شكر ولهم في هذه فرح
ثم قنط ولا يرى كل أحد أحدا من هذه الخلق يتسلط فالمقل والمكثر إلا
من ربطت الشريعة جأشه ولحمت الشبه سبيله وتأدب بأدب الله فصبر
عند الضرا وشكر عند السرا ولم يبطر عند النعمة ولا قنط عند الابتلاء
وقوله بما قدمت أيديهم أي أن الله تعالى يمتحن الانسان ويصيبهم عند
فشو المعاصي وظهور المناكر وكذلك قد يصاب بحظ سوء أعماله في
جسمه ونصابه ورحله وفي الأغلب يعفو الله تعالى عن كثير والقنط اليأس
الصريح وقرأ أبو عمرو وجماعة يقنطون بكسر النون وقرأ نافع والحسن
وجماعة بفتحها وجواب الشرط في قوله إن تصبهم قوله إذا هم وذلك
أنها للمفاجأة لا يبتدأ بها فهي بمنزلة الفاء لا يبتدأ بالفاء وجاوب بها الشرط وأما
إذا التي للشرط أو التي فيها معنى الشرط فهما يبتدأ بهما ولا تكون جوابا
لشرط ثم ذكر تعالى الأمر الذي من اعتبره لم ييأس من روح الله تعالى
وهو أن الله تعالى يخص من شاء من عباده ببسط الرزق ويقدر على من شاء
منهم فينبغي لكل عبد أن يكون راجيا عند ربه ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام
أمرا تدخل الأمة فيه وهذا على الندب إلى أن يأتي ذا القربى حقه من صلة المال
وحسن المعاشرة ولين القول قال الحسن حقه المواساة في اليسر وقولا
في العسر قال أبو محمد ومعظم ما قصد أمر المعونة بالمال ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم في المال حق سوى الزكاة وكذلك للمساكين وابن السبيل
حق وبين أن حق هذين إنما هو في المال وعند ذلك معهما لا غنا له
وكذلك يلزم الغريب المعدم الذي يمضي حقه أن يقضي هو أيضا حق قربه
في جودة العشرة ووجه الله هنا جهة عبادته ورضاه والمفلحون
الفائزون الناجحون لآمالهم قوله عز وجل وما آتيتم من ربا ليربوا
في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه

الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما
يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ه وقرأ جمهور القراء وما آتيتم بمعنى
أعطيتم وقرأ ابن كثير ما أتيتم بغير مد بمعنى ما فعلتم كما تقول أتيت صوابا
وأتيت خطأ وأجمعوا على المد في وما آتيتم من زكاة والربا الزيادة واختلف
المتأولون في معنى هذه الآية فقال ابن عباس وابن جبير ومجاهد وطاوس
هذه آية نزلت في هبات الثواب قال أبو محمد وما جرى مجراها
مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره فهو وإن كان لا إثم
فيه فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وقال ابن عباس أيضا وإبراهيم
النخعي نزلت في قوم يعطون قراباتهم وإخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم
والتفضل عليهم وليزيدوا في أموالهم على جهة النفع لهم وقال الشعبي معنى
الآية أن ما خدم الانسان به أحدا وخف له لينتفع في دنياه فإن ذلك
النفع يجري به الخدمة لا يربو عند الله قال أبو محمد وهذا كله قريب
جريه في التأويل الأول ويحتمل أن يكون معنى هذه الآية النهي عن الربا
في التجارات لما حض تعالى على نفع ذوي القربى والمساكين وابن السبيل
أعلم أن ما فعل المرء من ربا ليزداد به مالا وفعله ذلك إنما هو في أموال
الناس فإن ذلك لا يربو عند الله ولا يزكو بل يتعلق فيه الإثم ومحق
البركة وما أعطى الإنسان من زكاة تنمية لماله وتطهيرا يريد بذلك وجه
الله تعالى فذلك هو الذي يجازى به أضعافا مضاعفة على ما شاء الله له
وقال السدي نزلت هذه الآية في ربا ثقيف لأنهم كانوا يعملون بالربا
وتعمله فيهم قريش وقرأ جمهور القراء ليربوا بالياء وإسناد الفعل إلى
الربا وقرأ نافع وحده لتربوا بضم التاء على وزن تفعلوا بمعنى تكونوا ذوي

بيادات وهذه قراءة ابن عباس وأهل المدينة والحسن وقتادة وأبي رجا
والنخعي قال أبو حاتم هي قراءتنا وقرا أبو عمرو لتربوها بضم التاء والمضعف
الذي هو ذو أضعاف من الثواب كما المولف الذي له آلاف وكما
يقول أخصب إذا كان ذا خصب وهذا كثير ومنه أربى المتقدم وفي قراءة
من قرا لتربوا بضم التاء ثم ذكر مخاطبة الكفار في أمر أوثانهم فذكر أفعال
الله التي لا شريك له فيها وهي الخلق والرزق والإماتة والإحيا ولا يمكن
ان ينكر ذلك عاقل ووقف الكفار على جهة التقريع والتوبيخ هل من شركائهم
أي الذين جعلوهم شركا من يفعل شيئا من ذلك وهذا الترتيب بثم في الأحاد
شيا بعد شي ومن هذا أدخل الفقها الولد مع الأب في تعقب الأحباس إذا كان
اللفظ ثم على أعقابهم ثم على أعقاب أعقابهم ثم نزه تعالى نفسه عن
مقالتهم في الإشراك وقرا الجمهور يشركون بالياء من تحت وقرا الأعمش
وابن وثاب بالتاء من فوق ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ما ظهر من الفساد
بسبب المعاصي في قوله ظهر الفساد في البر والبحر واختلف الناس في
معنى البر والبحر في هذه الآية فقال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر
السواحل والمدن التي على ضفة البحر والأنهار الكبار وقال قتادة البر الفيافي
ومواضع القبائل وأهل الصحاري والعمود والبحر المدن جمع بحرة قال
أبو محمد ومنه قول سعد بن عبادة للنبي صلى الله عليه وسلم في شان عبد الله بن
أبي بن سلول الحديث ولقد أجمع أهل هذه البحرة على أن يتوجوه ومما يؤيد
هذا أن عكرمة قرا في البر والبحور وروي عن ابن عباس وقال مجاهد أيضا
ظهور الفساد في البر قتل أحد ابني آدم لأخيه وفي البحر أخذ السفن غصبا
وقال بعض العباد البر اللسان والبحر القلب وقال الحسن بن أبي الحسن
البر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة قال أبو محمد وهذا
هو القول الصحيح وظهور الفساد فيهما هو بارتفاع البركات ونزول

رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر قال
ابن عباس الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم وقلما توجد أمة فاضلة
مطيعة مستقيمة الأعمال إلا يدفع الله عنها هذه والأمر بالعكس في المعاصي
وبطر النعمة وكذلك كان أمر البلاد في وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان الظلم عم الأرض برا وبحرا وقد جعل الله هذه الأشيا ليجازي بها على المعاصي
فيذيق الناس عاقبة إذنابهم لعلهم يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله
تعالى وقوله بما كسبت تعدية جزا بما كسبت ويحتمل أن تتعلق الباء بظهر أي
بسبب المعاصي في البر والبحر هو نفس الفساد الظاهر والزجاج يجعل هو على
معتقدا نيا وحسب نظرا في الأودية وقرأت عامة القرا والناس ليذيقهم بالياء
وقرا قنبل عن ابن كثير والأعرج وأبو عبد الرحمن السلمي لنذيقهم بالنون ومعناهما
بين وقرا أيضا أبو عبد الرحمن لنذيقهم بالتاء من فوق قوله عز وجل قل
سيروا في الأرض فانظروا واحد كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين
فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من
كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ۝ هذه آية لقريش
وأمر لهم بالاعتبار فيمن سلف من الأمم وفي سوء عواقبهم بكفرهم وإشراكهم
ثم أمر تعالى نبيه بإقامة وجهه والمعنى اجعل قصدك ومسعاك للدين أي الطريقة
والأعمال والاعتقادات والقيم أصله قيوم اجتمعت الياء والواو وسبقت الأولى
ساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمت الأولى في الثانية ثم حذره تعالى من يوم
القيامة تحذيرا يعم العالم وإياهم القصد ولا مرد له معناه ليس فيه رجوع
لعمل ولا لرغبة ولا عنه مرحل ويحتمل أن يريد لا يرده راد حتى لا يقع وهذا
ظاهر بحسب اللفظ ويصدعون معناه يتفرقون بعد جمعهم وهذا هو التصدع
والمعنى يتفرقون إلى الجنة وإلى النار ثم قسم الفريقين بأحكام تلحقهم من
أعمالهم في الدنيا ثم عبر عن الكفر بعليه وهي تعطي الثقل والمشقة وعن العمل

الصالح باللام التي هي لام الملك ويمهدون معناه يوطئون ويهيئون
وهي استعارة منقوله من الفرش ونحوها الى الاحوال والمراتب وقال
مجاهد هذا التمهيد هو القبر قوله عز وجل ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته ان يرسل
الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا رسلا الى قومهم فجاؤوهم
بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ٥ اللام
في ليجزي متعلقة بيصدعون ويجوز ان تكون متعلقة بمحذوف تقديره
ذلك او فعل ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقرر من قوله
تعالى من كفر ومن عمل صالحا وقوله لا يحب الكافرين ليس الحب بمعنى الارادة
ولكنه لا يظهر عليهم امارات رحمته ولا يرضاه لهم دينا ونحو هذا
ثم ذكر تعالى من آياته اشياء تقتضي كل عقل بانها لا مشاركة للاوثان فيها
وهو ما في الريح من المنافع وذلك انها تبشر بالمطر ويذيق الله بها
ويلقح بها الشجر وغير ذلك وتجري بها السفن في البحر ويبتغي الناس بها فضل الله
في التجارات في البحر وفي درء الاطعمة وغير ذلك ثم آنس محمدا صلى الله عليه
وسلم بان ضرب له مثل من ارسل من الانبياء وتوعد قريشا بان ضرب لهم مثل
من هلك من الامم الذين اجرموا وكذبوا الانبياء ثم وعد تعالى محمدا وامته
النصر اذ اخبر انه جعله حقا عليه تبارك وتعالى وحقا خبر كان قدمه
اهتماما لانه موضع فائدة الجملة وبعض القراء في هذه الاية وقف
على قوله حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استانف جملة من قوله علينا
نصر المؤمنين وهذا قول ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم
الاية قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب

به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ٥ الاثارة تحريكها من سكونها وتسييرها
وبسطه في السماء هو نشره في الافاق والكسف القطع وقرا جمهور القراء
كسفا بفتح السين وهي قراءة الحسن وابي جعفر والاعرج وهما بناءان للجمع
كما يقال سدرة وسدر بسكون الدال وسدر بفتح الدال وقال مكي
من اسكن السين معناه يجعل السحاب قطعة واحدة والودق المطر
ومنه قول الشاعر ٤ فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ٤
وخلاله الفطور الذي بين بعضه وبعض لانه متخلل الاجزاء وقرا الجمهور
من خلاله بكسر الخاء والف بعد اللام جمع خلل كجبل وجبال وقرا علي بن ابي طالب
وابن عباس والضحاك والحسن بخلاف عنه من خلله وهو اسم جنس والضمير
في خلاله يحتمل ان يعود على السحاب ويحتمل ان يعود على الكسف في قراءة من قرا
بسكون السين وذكر الضمير مراعاة للفظ لا لمعنى الجمع كما تقول هذا
تمر جيد ومن الشجر الاخضر نارا ومن قرا كسفا بفتح السين فلا يعيد الضمير
الا على السحاب فقط وقوله من قبله تاكيد افاد الاعلام بسرعة تقلب
قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من ان ينزل عليهم
يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثيرة الايام ونحوه فجاء قوله
من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقرا يعقوب وعيسى
وابو عمرو بخلاف عنه ينزل مخففة وقرات عامة القراء بالتثقيل في الزاي
وقرا ابن مسعود عليهم لمبلسين بسقوط من قبله والابلاس الكون في حال سوء
مع الياس عن زوال الهم غمة لمخاطبه يراد بها جميع الناس من اثر رحمة
الله وهي المطر وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو اثر بالافراد وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي آثار بالجمع واختلف عن عاصم وقرا سلام الى اثر بكسر الهمزة وسكون

التاء وقوله كيف يحيي يحتمل ان يكون الضمير الذي في الفعل للاثر ويحتمل
ان يكون لله تعالى وهو اظهر وقرات فرقة كيف تحيي بالتاء المفتوحة الارض
بالرفع وقرا الجحدري وابن السميفع وابو حيوة كيف تحيي بتاء مضمومة على اسناد
الفعل الى ضمير الرحمة الارض نصبا قال ابو الفتح قوله كيف يحيي جملة منصوبة
الموضع على الحال حملا على المعنى كانه قال محييه وهذه الحياة والموت استعارة
في القحط والاعشاب ثم اخبر تعالى على جهة القياس والتنبيه عليه بالبعث
والنشور وقوله تعالى على كل شيء قدير قوله عز وجل ولئن ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون ٥ ثم اخبر تعالى عن حال تقلب ابن ادم في انه بعد الاستبشار
بالمطر ان بعث الله ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وقلة
توكل وتسليم لله تعالى والضمير في راوه للنبات كما قلنا او للاثر وهو
حياة النبات الذي به تحييت الارض وقال قوم هو للسحاب وقال
قوم هو للريح وهذا كله ضعيف واللام في ولئن مؤذنة بمجيء القسم وفي لظلوا
لام القسم وقوله ظلوا فعل ماض نزله منزلة المستقبل واستنابه منابه
لان الجزاء هنا لا يكون الا فعلا مستقبلا لكن يستعمل الماضي بدل المستقبل
في بعض المواضع توثيقا لوقوعه وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الاية
استعارة للكفار وقد تقدم القول على مثل هذه الاية في سورة النمل وهم
قرا ولا تسمع بتاء مضمومة ونصب الصم وقرا ابن كثير وعباس عن ابي عمرو يسمع
بياء مفتوحة الصم رفعا وقرا الجمهور بهادي العمي بالاضافة وقرا يحيى
ابن الحارث وابو حيوة بهاد بالتنوين العمي نصبا وقوله ان تسمع الا من يؤمن
معناه ان تسمع اسماعا ينفع ويخلص واما اسماع الكفرة فغير مجد فاستوى بها
وقوله تعالى عن ضلالتهم لما كانت الهداية تتضمن القرب عدي بعن كما

تعدي صرفت ومعنى الاية ليس في قدرتك يا محمد ولا عليك ان تهدي
وترد الى قبله من ضلالتهم قوله عز وجل الله الذي خلقكم من
ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما
يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب
الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا
تعلمون ٥ هذه ايضا عبرة يبين فيها ان الاوثان لا مدخل لها فيها وقرا جمهور
القراء والناس بضم الضاد في ضعف وقرا عاصم وحمزة بفتحها وهي قراءة ابن مسعود
وابي رجاء والضم اصوب وروي ابن عمر انه قراها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالفتح فردها عليه بالضم وقال كثير من اللغويين ضم الضاد في البدن وفتحها
في العقل وروي عن ابي عبد الرحمن والجحدري والضحاك انهم ضموا الضاد
في الاول والثاني وفتحوا ضعفا وقرا عيسى بن عمر ضعف بضمتين وهذه
الاية انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول هو كون الانسان من ماء مهين
والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الاسر والضعف الثاني الهرم والشيخ
هذا قول قتادة وغيره ثم اخبر تعالى عن يوم القيامة ان المجرمين يقسمون
لجاجا منهم وتسورا على ما لا علم لهم به انهم ما لبثوا تحت التراب غير ساعة
وهذا اتباع لتحيلهم الفاسد ونظرهم في ذلك الوقت على نحو ما كانوا
في الدنيا يتعودون ذلك فيؤفكون عن الحق اي يصرفون وقيل المعنى ما لبثوا
في الدنيا كانهم استقلوها لما عاينوا من امر الاخرة قال ابو محمد
وهذا ضعيف فقوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون اذ لو ارادوا تقليل الدنيا
بالاضافة الى الاخرة لكان منزعا سديدا وكان قولهم غير ساعة نحوا اي
في التقريب والموازنة ثم اخبر تعالى عن الذين اوتوا العلم والايمان انهم
يقفون في تلك الحال على الحق ويعرفون انه الوعد المعرف في الدنيا وقال

بعض المفسرين انما اراد اوتوا الايمان والعلم ففي الكلام تقديم وتاخير
قال ابو محمد ولا يحتاج الى هذا بل ذكر العلم يقتضي الايمان ولا يصف الله
بعلم من لم يعلم كل ما يوجب الايمان ثم ذكر الايمان بعد ذلك تنبيها
عليه وتشريفا لامره كما قال فاكهة ونخل ورمان فنبه على مكان الايمان
وخصه بالذكر تشريفا **قوله عز وجل** فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم
باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ه
هذا اخبار عن هول يوم القيامة وشدة احواله على الكفرة في انهم لا
ينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبى وهي الرضا ويستعتبون بمعنى يعتبون كما
تقول يملك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشي وليس هذا منه لان
المعنى كان يصير اذا كان المفهوم منه ولا تطلب منهم عتبى وقرا عاصم
والاعمش ينفع بالياء كما قال تعالى فمن جاءه موعظة من ربه وحسن هذا
ايضا بالتفرقة التي بين الفعل وما استند اليه كما قال الشاعر
وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلاث الاثافي والديار البلاقع ثم
اخبر تعالى عن قسوة قلوبهم وعجرفة طباعهم في انه ضرب لهم كل مثل ومن
عليهم بان الحق ثم هم مع ذلك عند الاية والمعجزة يكفرون ويلجون
ويعمهون في كفرهم ويصفون اهل الحق بالابطال ثم اخبر تعالى ان هذا
هو من طبعه وختمه على قلوب الجهلة الذين قد حتم عليهم الكفر في الازل
وذهب ابو عبيدة الى انه من قولهم طبع السيف اي صدئ اشد صدا ثم امر
نبيه عليه السلام بالصبر وقوى نفسه بتحقيق الوعد ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم
او التحرك واضطراب النفس لاقوالهم اذ هم لا يقين لهم ولا بصيرة وقرا ابن ابي
اسحق ويعقوب ويستخفنك خفيفة غير مشددة وقاف من الاستخفاف والجمهور على

الخاء المعجمة والباقون بالاسكان الا ان ابن ابي اسحق ويعقوب سكنا
النون من يستخفنك وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان في صلاة
الفجر فناداه رجل من الخوارج رافعا صوته بقراءة هذه الاية ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فعلم علي رضي
الله عنه مقصده في هذا وتعريضه فاجابه وهو في الصلاة بهذه الاية فاصبر ان
وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون   اخر تفسير السورة

تفسير سورة لقمان
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
هذه السورة مكية غير ايتين قال قتادة اولهما ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام الى اخر الايتين وقال ابن عباس ثلاث ايات اولهن ولو ان ما
في الارض من شجرة اقلام **قوله عز وجل** الم تلك ايات الكتاب الحكيم
هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة
هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من
يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب
مهين ه تقدم القول في الحروف التي في اوائل السور في سورة البقرة مع كل
قول منها والحكيم يصح ان يكون من الحكمة ويصح ان يكون من الحكم وقرا
جمهور القراء هدى ورحمة بالنصب على الحال من المبهم ولا يصح ان تكون
من الكتاب لانه مضاف اليه وقرا حمزة والكسائي هدى ورحمة بالرفع
على تقدير هو هدى ورحمة وخصصه للمحسنين من حيث لهم نفعه وهم
نظروه بعين الحقيقة والا فهو هدى في نفسه وفي قراءة ابن مسعود هدى
وبشرى للمؤمنين ثم وصف تعالى المحسنين بانهم الذين عندهم النفس بالعمل
وبكل ما جاء به الرسول وعندهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصفتهم ما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساله جبريل عن الاحسان فقال ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحديث وقوله تعالى

ومن الناس من يشتري لهو الحديث روي انها نزلت في قرشي اشترى جارية
مغنية لتغني هجا محمد صلى الله عليه وسلم وسبه فنزلت الاية في ذلك وقيل
انه ابن خطل وروي عن ابي امامة الباهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال شرا المغنيات وبيعهن حرام وقرا هذه الاية وقال في هذا المعنى
انزلت علي هذه الاية وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن
عبد الله ومجاهد وقال الحسن لهو الحديث المعازف والغنا وقال
بعض الناس نزلت في النضر بن الحرث لانه اشترى كتب رستم واسفنديار
وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدثهم تلك الاباطيل
ويقول انا احسن حديثا من محمد وقال قتادة الشرا في هذه الاية مستعار
وانما انزلت الاية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم
في الابطال قال ابو محمد فكان ترك ما يجب فعله وامتثال هذه المنكرات
شرا لها على حد قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقد
قال مطرف شرا لهو الحديث استحبابه قال قتادة ولعله لا ينفق فيه
مالا ولكن سماعه هو شراوه وقال الضحاك لهو الحديث الشرك وقال
مجاهد ايضا لهو الحديث الطبل وهذا ضرب من الغنا قال ابو محمد
والذي يترجح ان الاية نزلت في لهو حديث مضاف الى كفر فلذلك اشتدت
الفاظ الاية بقوله ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا والتوعد
بالعذاب المهين واما لفظة الشرا فيحتمله الحقيقة والمجاز على ما بينا
ولهو الحديث كل ما يلهي من غنا وخنا ونحوه والاية باقية المعنى في امة
محمد لكن ليس ليضلوا عن سبيل الله بكفر ولا يتخذوا الايات هزوا
ولا عليهم هذا الوعيد بل ليعطل عبادة ويقطع زمنا بمكروه وليكون
من جملة العصاة والنفوس الناقصة تروم تتميم ذلك النقص بالاحاديث
وقد جعلوا الحديث من القوي وقيل لبعضهم اتمل الحديث فقال انما يمل العتيق

قال ابو محمد يريد القديم المعاد لان الحديث من الاحاديث فيه
الطرافة التي تمنع من الملل وقرا نافع وعاصم والحسن وجماعة ليضل
بضم اليا وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتحها وفي حرف ابي ليضل الناس عن سبيل الله
وقرا حمزة والكساي وحفص عن عاصم ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل وقرا
الباقون ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري والضمير في يتخذها يحتمل ان يعود
على الكتاب المذكور اولا ويحتمل ان يعود على السبيل ويحتمل ان يعود على
الاحاديث لان الحديث اسم جنس بمعنى الاحاديث وكذلك سبيل الله اسم جنس
ولكل وجه من الحديث وجه يليق به من السبيل **قوله عز وجل** واذا تتلى
عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب
اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وعد
الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السماوات بغير عمد ترونها والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السما ما فانبتنا
فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
بل الظالمون في ضلال مبين ٥ هذه دليل لهم هذا الذي نزلت فيه الاية التي قبلها
والوقر في الاذن الثقل الذي يعسر ادراك المسموعات وجاه البشارة بالعذاب
من حيث قدرت ونص عليها ولما ذكر عز وجل هولا الكفرة وتوعدهم بالنار
على افعالهم عقب بذكر المومنين ووعدهم به من جنات النعيم ليبين الفرق
ووعد الله منصوب على المصدر وحقا مصدر موكد وقوله تعالى بغير عمد ترونها
يحتمل ان يعود الضمير على السما فيكون المعنى ان السما بغير عمد وانها
ترى كذلك وهذا قول الحسن والناس وترونها على هذا القول في موضع
النصب على الحال ويحتمل ان يعود الضمير على العمد فيكون ترونها صفة للعمد
في موضع خفض ويكون المعنى ان السما لها عمد لكن غير مريية قاله مجاهد
ونحا اليه ابن عباس والمعنى الاول اصح والجمهور عليه ويجوز ان تكون

ترونها في موضع رفع على القطع ولا عمد ثم والرواسي هي الجبال التي رست
أي ثبتت في الارض وقوله ان تميد بكم بمعنى لئلا تميد والميد التحرك يمنة ويسرة
وما قرب من ذلك وقوله من كل زوج أي من كل نوع والزوج في اللغة
النوع وليس بالذي هو ضد الفرد وقوله كريم يحتمل ان يريد مدحه من جهة
اتقان صنعته وظهور حسن الرتبة والتحكيم للصنع فيها تعم حينئذ جميع
الانواع لان هذا المعنى في كلها ويحتمل ان يريد مدحه بكرم جوهره وحسن
منظره وما تقضي له النفوس بانه افضل من سواه حتى تستحسن الكرم فتكون
الازواج على هذا مخصوصة من نفائس الاشيا ومستحسنها ولما كانت عظم الموجودات
كذلك خص الجملة بها وقوله انبتنا يعم انواع الحيوان وانواع النبات
والمعادن ثم وقف تعالى الكفار على جهة التوبيخ واظهار الحجة على هذه الاشيا
هي مخلوقات الله تبارك وتعالى ثم سالهم ان يوجدوه ما خلق الاوثان والاصنام
وغيرهم ممن عبد اي انهم لم يخلقوا اشيا بل هذا الذي قد لزمه ضلال مبين
فذكرهم بالصفة التي تعم معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الامم وقوله
ماذا يجوز ان تكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتدا وذا خبرها بمعنى
الذي والعائد محذوف ويجوز ان تكون ما مفعوله بارونى وذا صلة و ما
بمعنى الذي والعائد محذوف تقريبا في الوجهين خلقه قوله عز وجل ولقد
آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان
الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم ه لقمان رجل حكيم بحكمة الله تعالى وهي الصواب في المعتقدات
والفقه في الدين والعقل واختلف هل هو نبي مع ذلك او رجل صالح فقط فقال بنبوته
عكرمة والشعبي وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره وقال ابن عمر سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن
اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم

بالحق فقال رب ان خيرتني قبلت العافية وتركت البلا وان عزمت علي
فسمعا وطاعة فانك ستعصمني وكان قاضيا في بني اسرائيل نوبيا اسود مشقق
الرجلين ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب ومجاهد وابن عباس وقال له رجل
كنت ترعى معي الغنم فما بلغ بك يا لقمان ما ارى قال صدق الحديث والصمت
عما لا يعنيني وقال ابن المسيب كان من سودان مصر من النوبة وقال خالد
ابن الربيع كان نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وحكم لقمان كثيرة
مأثورة قيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان راه الناس مسيئا وقوله
ان اشكر يجوز ان تكون ان في موضع نصب على اسقاط حرف الجر اي بان اشكر
لله ويجوز ان تكون مفسرة اي كانت حكمته دائرة على الشكر لله ومعانيه
وجميع العبادات والمعتقدات داخلة في شكر الله عز وجل ثم اخبر تعالى
ان الشاكر حظه عائد عليه وهو المنتفع بذلك والله غني عن الشكر فلا
ينفعه شكر العباد حميد في نفسه فلا يضره كفر الكافرين وحميد بمعنى محمود
اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته وقوله واذ قال يحتمل ان يكون
التقدير واذكر اذ قال واختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه واسم
ابنه ثاران وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن
عاصم يا بني بالشد والكسر في اليا في الثلاثة على ادغام احدى اليائين في
الاخرى وقرا حفص والمفضل عن عاصم يا بني بالشد والفتح في الثلاثة على قولك
يا بنيا ويا غلاما وقرا ابن ابي بزة عن ابن كثير يا بني بسكون اليا ويا بني انها
بكسر اليا ويا بني اقم الصلاة بفتح اليا وروي عنه قنبل بالسكون في الاولى
والثالثة وكسر الوسطى وظاهر قوله ان الشرك لظلم عظيم انه من كلام لقمان
ويحتمل ان يكون خبرا من الله منقطعا من كلام لقمان متصلا به في تاكيد
المعنى ويؤيد هذا الحديث المأثور انه لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم

فأنزل الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم فسكن إشفاقهم قال أبو محمد
وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون ذلك خبرا من الله تعالى وقد يسكن الإشفاق
بأن يذكر الله ذلك لأنه عبد قد وصفه بالحكمة والسداد قوله عز وجل
ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن
اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم
إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ٥ هاتان الآيتان اعتراض أثناء
وصية لقمان ووجه الطبري ذلك بأنها من معنى كلام لقمان ومما قصه
وذلك غير متوجه لأن كون الآيتين في شأن سعد بن أبي وقاص حسب ما
أذكره بعد يضعف أن يكون مما قالها لقمان وأما الذي يشبه أنها اعتراض
أثناء الموعظة وليس ذلك بمفسد للأول منها ولا للآخر بل لما فرغ من هاتين
الآيتين عاد إلى الموعظة على تقدير إضمار وقال لقمان يا بني اختصر ذلك
لدلالة المتقدم عليه وهذه الآية شرك الله تعالى الأم والوالد فيها في رتبة
الوصية بهما ثم خصص الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع
فتحصل للأم ثلاث مراتب وللأب واحدة وأشبه ذلك قول الرسول
صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من أبر قال أمك قال ثم من قال ثم
أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أباك فجعل له الربع من المبرة
كالآية ووهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف وقيل أشار إلى مشقة الحمل
ومشقة الولادة بعده وقيل أشار إلى ضعف الولد وضعف الأم معه ويحتمل
أن أشار إلى تدرج حالها في زيادة الضعف فكأنه لم يقل ضعفين بل كأنه
قال حملته أمه والضعف يتزيد إلى أن ينقضي أمره وقرأ عيسى الثقفي وهنا
على وهن بفتح الهاء ورويت عن أبي عمرو وهما بمعنى واحد وقرأ جمهور الناس
وفصاله وقرأ الحسن وأبو رجاء والجحدري ويعقوب وفصله والفصل

إلى تقديره مدة الرضاع وتعبر عنه بغايته ونهايته والناس مجمعون على
العامين في مدة الرضاع في باب الأحكام والنفقات وأما في تحريم اللبن
فحددت فرقة بالعامين لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة العامان وما
اتصل بهما من الشهر ونحوه إذا كان متصل الرضاع في حكم واحد تحرم
وقالت فرقة إن فطم الصبي قبل العامين وترك اللبن فإن ما شرب بعد ذلك
في الحولين لا يحرم وقوله أن اشكر يحتمل أن تكون المفسرة أن اشكر ويحتمل
أن تكون مصدرية وقال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله
تعالى ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما وقوله إلي
المصير توعد أثناء الوصية وقوله وإن جاهداك الآية روي أن هاتين
الآيتين نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وذلك أن أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان
بن أمية لما أسلم حلفت ألا تأكل ولا تشرب حتى يفارق دينه ويرجع إلى دين قومه
فلج سعد في الإسلام وكانت هي إذا أفرط عليها الجوع والعطش شجروا فاها
ويروى شجروا فمها بعود ونحوه وصبوا ما يرمقها فلما طال ذلك ورأت
أن سعدا لن يرجع أكلت ففي هذه القصة نزلت الآيات قاله سعد بن أبي وقاص
والجماعة من المفسرين قال أبو محمد وكانت الآية الأخرى الأولى
بر الوالدين وتعظيمهم حكم بأن ذلك لا يكون في الكفر والمعاصي وجملة
هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان
وتلزم طاعتهما في المباحات وتستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه أمر الجهاد
الكفاية والإجابة للأم في الصلاة مع إمكان الإعادة على أن هذا أقوى
من الندب لكن يعلل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون
أقوى من الندب وخالف الحسن في هذا الفصل فقال إن منعته أمه من شهود
العشاء الآخرة شفقة فلا يطعها وصاحبهما في الدنيا معروفا يعني في الأبوين
الكافرين أي صلهما بالمال وادعهما برفق ومنه قول أسماء بنت أبي بكر

النبي صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها وقيل امها من الرضاعة فقالت
يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال نعم وراغبة قيل
معناه عن الاسلام قال ابو محمد والاظهر عندي انها راغبة في الصلة
وما كانت لتقدم على أسما لولا حاجتها ووالدة أسما قتيلة بنت عبد العزى بن
عبد أسعد وأم عائشة وعبد الرحمن هي أم رومان قديمة الاسلام وقوله
واتبع سبيل من اناب إلي وصية لجميع العالم كان المأمور الانسان واناب
معناه مال ورجع الى الشي وهذه سبيل الانبيا والصالحين وحكى النقاش ان
المأمور سعد والذي اناب ابو بكر وقيل ان ابا بكر لما أسلم اتاه سعد وعبد الرحمن
بن عوف وعثمان وطلحة وسعيد والزبير فقالوا آمنت قال نعم فنزلت فيه
أمن هو قانت آنا الليل فلما سمعها الستة آمنوا فانزل الله فيهم والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها الى قوله اولئك الذين هداهم الله ثم توعدهم عز
وجل بالبعث من القبور والرجوع اليه للجزاء والتوقيف على صغير الاعمال
وكبيرها **قوله عز وجل** يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله إن الله لطيف خبير يا بني
أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك
من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا
يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن انكر الاصوات
لصوت الحمير ٥ المعنى قال لقمان يا بني وهذا القول من لقمان إنما قصد به
اعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي امكنه ان يفهمه
لان الخردلة يقال ان الحس لا يدرك لها ثقلا إذ لا ترجح ميزانا وقد نطقت هذه
الآية بان الله تعالى قد احاط بها علما وقوله مثقال حبة عبارة تصلح للجواهر
أي قدر حبة وتصلح للاعمال اي ما يزنه على جهة المماثلة قدر حبة وظاهر
الآية انه اراد شيا من الاشيا خفيا قدر حبة ويؤيد ذلك ما روي من أن

ابن لقمان سال اباه عن الحبة تقع في مقل البحر أيعلمها الله فراجعه لقمان
بهذه الآية وذكر كثير من المفسرين انه اراد الاعمال المعاصي والطاعات
ويؤيد ذلك قوله يات بها الله اي لا تفوت وبها المعنى تحصل في الموعظة ترجية
وتخويف مضاف ذلك الى تبيين قدرة الله تعالى وفي القول الاخر ليس ترجية
ولا تخويف ومما يؤيد قول من قال هي من الجواهر قراءة عبد الكريم الجزري
فتكن بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشي المغطى وقرأ جمهور القرا
إن تك بالتاء من فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره مسالتك
على ما روي او المعصية او الطاعة على القول الثاني ويدل هذا المقدر هو الضمير
في انها وقرأ نافع وحده بالتا ايضا مثقال بالرفع على اسم كان وهي التامة واسند
الى المثقال فعلا فيه علامة التانيث من حيث انضاف الى مونث هو منه وهذا كقول
الشاعر ؛ مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم ؛ وهذه
قراءة الاعرج وابي جعفر وقوله فتكن في صخرة قيل اراد الصخرة التي عليها الارض
والحوت والما وهي على ظهر ملك وقيل صخرة في الريح قال ابو محمد وهذا
كله ضعيف لا يثبته سند وانما معنى الكلام المبالغة والانتها في التفهيم اي قدرته
تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السما وفي الارض وقرأ قتادة فتكن
بكسر الكاف والتخفيف من وكن يكن وتقدمت قراءة عبد الكريم فتكن وقوله
يات بها إن اراد الجواهر فالمعنى يات بها إن احتيج الى ذلك او كانت رزقا
ونحو هذا وإن اراد الاعمال فمعناه يات بذكرها وحفظها ليجازي عليها
بثواب او عقاب ولطيف خبير صفتان لائقتان باظهار الغرائب ثم وصى ابنه
بعظم الطاعة وهي الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا انما
يريد به بعد ان يمتثل هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات
والفضائل اجمع وقوله واصبر على ما أصابك يقتضي حضا على تغيير المنكر وان
نالك ضرر فهو اشعار بان المغير يؤذى احيانا وهذا القدر هو على جهة الندب

والقوة في ذات الله وأما على اللزوم فلا وقوله إن ذلك من عزم الأمور يحتمل
أن يريد مما عزمه الله وأمر به قاله ابن جريج ويحتمل أن يريد أن ذلك من
مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة والأول أصوب
وتحلهما قالت طائفة وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن ولا تصاعر
وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد وأبو جعفر ولا تصعر وقرأ
الجحدري ولا تصعر بسكون الصاد والمعنى متقارب والصعر الميل ومنه قول
الأعرابي : وقد أقام الدهر صعري بعد أن أقمت صعره : ومنه قول عمرو بن حني
التغلبي : وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم : أي فتقوم
أنت قاله أبو عبيدة وأنشده الطبري فتقوما وهو خطأ لأن قافية الشعر مخفوضة
وفي بيت آخر : أقمنا له من خده المتصعر : فمعنى الآية ولا تمل خدك للناس كبرا
عليهم وزهوا وإعجابا واحتقارا لهم وهذا هو تأويل ابن عباس وجماعة
ويحتمل أن يريد أيضا الضد أي ولا تسوا لا ولا ضراعة بالفقر والأول أظهر بدلالة
ذكر الاختيال والفخر بعد وقال مجاهد لا تصعر أراد به الإعراض هجرا
بسبب إحنة والمرح النشاط والمشي فرحا هو في غير شغل ولغير حاجة وأهل
هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيته وقد قال عليه السلام
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وقال بينما رجل من بني إسرائيل يجر
ثوبه خيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة وقال مجاهد الفخور
هو الذي يعدد ما أعطي ولا يشكر الله قال أبو محمد وفي اللفظة الفخر بالنسب
وغير ذلك ولما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن
يستعمله من القصد في المشي وهو أن لا يتخرق في إسراع ولا يتباطأ في إبطاء وتطاول
على نحو ما قال القائل : كلكم يمشي رويد : كلكم يطلب صيد : غير عمرو بن عبيد :
وأن لا يمشي مختالا متبخترا ونحو هذا مما ليس بقصد وغض الصوت أوفر للمتكلم
وأبسط لنفس السامع وفهمه ثم عارض ممثلا بصوت الحمير على جهة التشبيه أي

الحمير التي بعدت عن الغض فهي أنكر الأصوات فكذلك أنتما بعد عن الغض
من أصوات البشر فهو في طريق تلك وفي الحديث إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا
بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا وقال سفيان الثوري صياح كل شيء
تسبيح إلا صياح الحمير وقال عطاء نهاق الحمير دعاء على الظلمة وأنكر معناه أقبح
وأخشن وأنكر عبارة تجمع المذام اللاحقة للصوت الجهير وكانت العرب
تفخر بجهارة الصوت الجهير على خلق الجاهلية ومنه قول الشاعر يمدح آخر
: جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم :
: ويعدو على الأين عدو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم : فنهى الله تعالى
عن هذه الخلق الجاهلية وقوله صوت الحمير أراد بالصوت اسم الجنس ولذلك
جاء مفردا وقرأ ابن أبي عبلة أنكر الأصوات أصوات الحمير بالجمع في الثاني
دون لام والغض رد طمحان الشيء كالنظر وزمام الناقة والصوت وغير
ذلك قوله عز وجل ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض
وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ه هذه آية تنبيه على الصنعة
الدالة على الصانع وذلك أن تسخير هذه الأمور العظام كالشمس والقمر
والنجوم والسحاب والرياح والحيوان والنبات إنما هو لمسخر ومالك
وقرأ يحيى بن عمارة وابن عباس وأصبغ بالصاد على بدلها من السين لأن حروف
الاستعلاء تجتذب السين من سفلها إلى علوها فتردها صادا والجمهور قرأها
بالسين وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم والحسن والأعرج وأبو جعفر
وابن نصاح وغيرهم نعمه جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال والظاهرة
هي الصحة وحسن الخلقة والمال وغير ذلك والباطنة المعتقدات من الإيمان
ونحوه والعقل قال ابن عباس الظاهرة الإسلام وحسن الخلق والباطنة ما ستر

من جهة العمل وفي الحديث قيل يا رسول الله قد عرفنا الظاهر فما الباطن فقال
ستر ما لو رآك الناس عليه لمقتوك قال أبو محمد ومن الباطنة النفس
والهضم والعدل وما لا يحصى كثرة ومن الظاهرة عمل الجوارح بالطاعة
ومن الباطنة نور المعتقد قال المحاسبي رحمه الله الظاهرة نعم الدنيا
والباطنة نعم العقبى وقرأ جمهور من الناس نعمه على الإفراد فقال مجاهد المراد
لا إله إلا الله وقال ابن عباس أراد الإسلام والظاهر عندي أنه اسم جنس كقوله
تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم عارض الكفرة منها على فساد حالهم
وهم المشار إليهم بقوله ومن الناس وقال النقاش الإشارة إلى النضر بن الحارث
ونظرائه لأنهم كانوا ينكرون الله ويشركون الأصنام في الألوهية فذلك
جدالهم وبغير علم أي لم يتعلمهم من يقبل قوله ولا عندهم هدى قلب ولا نور
بصيرة يقيمون بها حجة ولا يتبعون بذلك كتابا من الله ينير بيانه وحي بل ذلك
دعوى منهم وتخرص وإذا دعوا إلى اتباع وحي الله رجعوا إلى التقليد
المحض بغير حجة فسلكوا طريق الآباء ثم وقف تعالى وهو المراد بالتوقيف
على اتباعهم دين آبائهم أيكون وهم حال من يصير إلى عذاب السعير فكان
القائل منهم يقول هم يتبعون دين آبائهم ولو كان مصيرهم إلى السعير فدخلت
ألف التوقيف على حرف العطف لما كان اتساق الكلام فتأمله قوله تعالى
ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة
الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم
بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات
والأرض إن الله هو الغني الحميد ۵ لما ذكر تعالى حال الكفرة أعقب بذكر
حال المؤمن ليبين الفرق ويحرك النفوس إلى طلب الأفضل وقرأت عامة القراء
يسلم بسكون السين وتخفيف اللام وقرأ عبد الله بن مسلم وأبو عبد الرحمن

يسلّم بفتح السين وشد اللام ومعناه يخلص بوجهه ويستسلم به والوجه
هنا الجارحة استعير للقصد لأن القاصد إلى الشيء فهو مستقبله بوجهه
فاستعير ذلك للمعاني والمحسن الذي جمع القول والعمل وهو الذي شرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن الإحسان والعروة
الوثقى استعارة للأمر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا إخلال والعرى
موضع التعلق فكان المؤمن متعلق بأمر الله فيشبه ذلك بالعروة والأمور
جمع أمر والبس بالمصادر ثم سلى عز وجل نبيه عليه السلام عن حزنه
لكفر قومه وإعراضهم فأمره ألا يحزن لذلك بل يعمل لما كلفه من التبليغ
ومرجع الكل إلى الله وقرأت فرقة يحزنك من أحزن وقرأت فرقة يحزنك من
اللاتي وذات الصدور ما فيها من ذلك إلى المعتقدات والآراء ومن ذلك
قولهم الذئب مغبوط بذي بطنه ومنه قول أبي بكر ذو بطن بنت خارجة
والمتاع القليل هو العمر في الدنيا والعذاب الغليظ معناه المغلظ المؤلم ثم أقام
عليهم الحجة في أمر الأصنام بأنهم يقرون بأن الله هو خالق المخلوقات ويدعون
مع ذلك غيره والمعنى قل الحمد لله على ظهور الحجة عليكم وقوله بل أكثرهم
إضراب عن مقدر تقديره ليس دعواهم بحق ونحو هذا وقوله أكثرهم على أصله
لأن منهم من شذ فعلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس وورقة بن نوفل ويحتمل أن
تكون الإشارة أيضا إلى من هو معد أن يسلم ثم أخبر على جهة الحكم وفصل
القضية بأن الله له ما في السموات والأرض وما فيهما أي وأقوال هؤلاء
لا معنى لها ولا حقيقة والغني الذي لا حاجة به في وجوده وكماله إلى شيء ولا
نقص جهة من الجهات والحميد المحمود أي كذلك هو بذاته وصفاته قوله
تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر
ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
إن الله سميع بصير ۵ روي عن ابن عباس أن سبب هذه الآية أن اليهود قالت

يا محمد كيف عنيتنا بهذا القول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ونحن قد أوتينا
التوراة فيها كلام الله وأحكامه وعندك أنها تبيان كل شيء فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الآية وهذا هو القول
الصحيح والآية مدنية وقال قوم سبب الآية أن قريشا قالت سيتم هذا
الكلام لمحمد وينحسر فنزلت هذه الآية وقال السدي قالت قريش ما أكثر كلام
محمد فنزلت قال أبو محمد والغرض منها الإعلام بكثرة كلمات الله وهي في
نفسها غير متناهية وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى لأنه غاية ما يعهده
البشر من الكثرة وأيضا فلأن الآية إنما تضمنت أن كلمات الله لم تكن لتنفد
وليس بمقتضى الآية أنها تنفد بأكثر من هذه الأقلام والبحور قال أبو علي المراد
بالكلمات والله أعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود وذهبت
فرقة إلى أن الكلمات هنا إشارة إلى المعلومات قال أبو محمد وهذا
قول يتجه إلى الاعتزال من حيث يرون في الكلام أنه مخلوق وهذه الآية خبر
نظر وفكرة نور الله قلوبنا بهداه وقرأ أبو عمرو وحده من السبعة وابن أبي
إسحق وعيسى والبحر بالنصب عطفا على ما التي هي اسم أن وقرأ جمهور الناس والبحر
بالرفع على أنه ابتداء وخبره في الجملة التي بعده لأن تقديرها هذه حاله كذا قدرها
سيبويه وقال بعض النحويين هو عطف على أن لأنها في موضع رفع بالابتداء
وقرأ جمهور الناس يمده من مد وقرأ الحسن بن أبي الحسن يمده من أمد
وقالت فرقة هما بمعنى واحد وقالت فرقة مد الشيء بعضه بعضا وأمد الشيء ما
ليس منه وكأن الأبحر السبعة المتوهمة ليست من البحر الموجود وقرأ جعفر
بن محمد والبحر مداده وهو مصدر وقرأ ابن مسعود وبحر يمده وقرأ الحسن
ما نفد كلام الله ثم ذكر تعالى أمر الخلق والبعث أنه في الجميع وفي شخص واحد
بالسواء لأنه كله بكن فيكون قاله مجاهد وحكى النقاش أن هذه الآية في أبي
بن خلف وأبي الأسد ونبيه ومنبه ابني الحجاج وذلك أنهم قالوا يا محمد إنا نرى

الطفل يخلق بتدريج وأنت تقول الله يبعثنا دفعة واحدة فنزلت الآية بسببهم
قوله تعالى ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله الى
هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ۝ هذا
تنبيه خوطب به محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع العالم وهذه عبرة تدل
على الخالق المخترع أن يكون الليل بتدريج والنهار كذلك فما نقص من أحدهما
زاد في الآخر بالعكس بقسم الزمن بحكمة باري العالم لا رب غيره ويولج
معناه يدخل والأجل المسمى القيامة التي تنقض فيها هذه البنية وتكور الشمس
وقرأ جمهور القراء بما تعملون بالتاء من فوق وقرأ عياش عن أبي عمرو يعملون بالياء
وقوله ذلك بأن الله هو الحق الإشارة بذلك إلى هذه العبرة وما جرى مجراها
ومعنى هو الحق أي صفة الألوهية حق يحسن في القول تقدير ذو وكذا الباب
متى أخبر بمصدر عن عين فالتقدير ذو وكذا حق مصدر ومنه قول الشاعر
فإنما هي إقبال وإدبار ~ وهذا أكثر ومتى قلت هذا وكذا حق فإنما معناه
اتصاف هذا بكذا حق وقوله وأن ما تدعون يصح أن يريد الأصنام وتكون
ما بمعنى الذي ويكون الإخبار عنها بالباطل على نحو ما قدمناه في الحق ويصح أن
تكون ما مصدرية كأنه قال وأن دعاكم آلهة من دونه الباطل أي العمل الذي
لا يؤدي إلى الغاية المطلوبة وقرأ الجمهور تدعون بالتاء من فوق وقرأ يدعون
بالياء ابن وثاب والأعمش وأهل مكة ورويت عن أبي عمرو وباقي الآية بين
قوله تعالى ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن
في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ۝
الرؤية في قوله ألم تر رؤية العين تترتب عليها النظر والاعتبار والمخاطب
محمد صلى الله عليه وسلم والمراد الناس أجمع والفلك جمع وواحد بلفظ واحد

وقرأ موسى بن الزبير الفُلُك بضم اللام وقوله سخر الله يحتمل أن يريد بما
تحمله السفن من الطعام والأرزاق والتجارات فالباء للإلصاق ويحتمل أن
يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هذا فالباء للسبب وقرأ الجمهور بنعمت
وقرأ الأعرج ويحيى بن يعمر بنعمات على الجمع المسلَّم وقرأ ابن أبي عبلة بنعمات بفتح
النون وكسر العين وذكر تعالى من صفات المؤمن الصبار والشكور لأنهما
عظم أخلاقه الصبر على الطاعات وعلى النوائب وعن الشهوات والشكر على
الضراء والسراء وقال الشعبي الصبر نصف الإيمان والشكر نصفه الآخر واليقين
الإيمان كله وغشي غطى أو قارب والظلل السحاب وقرأ محمد بن الحنفية كالظلال
ومنه قول النابغة الجعدي يصف البحر

«يماشيهن أخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان» ووصف تعالى في
هذه الآية حالة البشر الذين لا يعتبرون حق العبرة والمقصد بالآية تبيين آية
تشهد العقول بأن الأصنام والأوثان لا شرك لها فيه ولا مدخل وقوله فمنهم
مقتصد قال الحسن منهم مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعم وقال مجاهد
يريد منهم مقتصد على كفره أي منهم من يسلم لله ومنهم نحو هذا من العقيدة
وإن ضل في الأصنام من جهة أنه يعظمها بسيرته ونشأته والختار القبيح الغدر
وذلك أن نعم الله على العباد كأنها عهود ومنن يلزم عنها أداء شكرها والعبادة
لمسديها فمن كفر ذلك وجحده فكأنه ختر وخان ومن الختر قول عمرو بن معدي
كرب «وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر» وقال
الحسن الختار هو الغدار وهو بناء مبالغة **قوله عز وجل** يا أيها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ٥ تجزي معناه تقضي

والمعنى لا يؤدي شيئا ولا يدفع عنه وهو حال الجملة في موضع الصفة أي ولا تجزي
مولود فإن كان في الدنيا تجزي والغرور التطميع بما لا يحصل والغَرور
الشيطان بذلك فسره مجاهد والضحاك وقال هو الأمل والتسويف وقرأ
سماك بن حرب وأبو حيوة الغُرور بضم الغين وقال سعيد بن جبير معنى الآية
أن تعمل المعصية وتتمنى المغفرة وقرأ الجمهور تجزي بفتح الياء من جزا وقرأ
عكرمة تُجزى بضم الياء على ما لم يسم فاعله وحكي عن مجاهد قراءة لا تجزئ بضم
الياء والهمز وفي رفع مولود اضطراب من النحاة قال المهدوي ولا يجوز
مبتدأ لأنه نكرة وما بعده صفة له فيبقى بغير خبر وقرأ ابن أبي إسحاق وابن
أبي عبلة ويعقوب ولا يغرنك بخفيفة النون وقوله إن الله عنده الآية ذكر
النقاش أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الخمس
وروي أنه سأل عن بعضها عن جنين وعما يكسب ونحو هذا فنزلت الآية
حاصرة لمفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ذكر ذلك مجاهد ولن تجد من
المغيبات شيئا إلا هذه أو ما يعنيه النظر والتأويل إليها وعلم الساعة مصدر
مضاف إلى المفعول أي كل ما شأنه أن يعلم من أمر الساعة ولكن الذي
استأثر الله به هو علم الوقت وغير ذلك فقد أعلم بعض منه وكذلك نزول
الغيث أمر قد استأثر عز وجل بتفصيله وعلم وقته الخاص به وأمر الأجنة
كذلك وأفعال البشر وجميع كسبهم كذلك وموضع موت كل بشر كذلك
الأصقاع والموضع الخاص بالجسد وقرأ ابن أبي عبلة بأية أرض بفتح الياء وزيادة
تاء التأنيث وعليم خبير صفتان مشتبهتان لمعنى الآية وقال ابن مسعود كل شيء
أوتي نبيكم إلا مفاتح الخمس ثم تلا الآية وقرأ وينزل الغيث حمزة أهل
الكوفة وأبو عمرو وعيسى وقرأ ينزّل بالتثقيل نافع وأبو جعفر وعاصم
وشيبة وذكر أبو حاتم في ترجيح التثقيل رؤيا   تم تفسير السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة السجدة

هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهو قوله أفمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا إلى تمام ثلاث آيات وتأتي تفسيرها وقال جابر بن
عبد الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة
وتبارك الذي بيده الملك قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب
فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما
ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
أفلا تتذكرون ۝ تنزيل يصح أن ترفع بالابتداء والخبر لا ريب ويصح أن يرفع
على أنه خبر ابتداء وهو إما الحروف المشار إليها على بعض الأقوال في أوائل
السور وإما ذلك تنزيل أو نحو هذا من التقدير حسب القول في الحروف
وقوله لا ريب فيه أي هو كذا في نفسه ولا يراعى ارتياب الكفرة وقوله من
رب العالمين متعلق بتنزيل ففي الكلام تقديم وتأخير ويجوز أن يتعلق بقوله
لا ريب أي لا شك فيه من جهة الله تعالى وإن وقع شك للكفرة فذلك لا يراعى
والريب الشك وكذلك هو في كل القرآن إلا قوله ريب المنون وقوله
أم يقولون إضراب وتقرير كأنه قال بل أيقولون افتراه اختلقه ثم رد
تعالى على مقالتهم هذه وأخبر أنه الحق من عند الله واللام في قوله لتنذر
يجوز أن تتعلق بما قبلها ولا يجوز الوقف على قوله من ربك ويجوز أن تتعلق
بفعل مضمر تقديره أنزله لتنذر فيوقف حينئذ على قوله من ربك وقوله ما أتاهم
من نذير أي لم يباشرهم ولا رآه هم ولا آباؤهم العرب وقوله
تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير يعم من بوشر من النذر ومن سمع به
فالعرب من الأمم التي قد خلت فيها النذر على هذا الوجه لأنها علمت بإبراهيم العرب
وبنيه ودعوتهم وهم ممن لم يأتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد

عليهما السلام وقوله تعالى في ستة أيام يقتضي أن يوما من أيام الجمعة
بقي لم يخلق فيه شيء وتظاهرت الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتدأ يوم الأحد
وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء فهذا مستقيم مع هذه الآية ووقع في كتاب
مسلم أن الخلق ابتدأ يوم السبت وهذا يخالف الآية اللهم إلا أن يكون
أراد في الآية جميع الأشياء غير آدم ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يخلق
فيه شيء مما بين السماء والأرض لأن آدم لم يكن حينئذ مما بينهما وقد تقدم
القول في قوله استوى على العرش بما فيه هدايته وثم في هذا الموضع لترتيب
الجمل لا أن الاستواء كان بعد أن لم يكن وهذا على المعنى المختار في معنى استوى
ونفي الشفاعة محمول على أحد وجهين إما عن الكفرة وإما نفي الشفعاء
من ذواتهم على حد شفاعة الدنيا لأن شفاعة الآخرة إنما هي بعد إذن من الله
تعالى قوله عز وجل يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه
في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ۝ الأمر اسم جنس لجميع الأمور
والمعنى ينفذ الله تعالى قضاءه بجميع ما يشاؤه ثم تعرج إليه خبر ذلك في يوم
من أيام الدنيا مقداره أن لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن
ما بين السماء إلى الأرض خمسمائة سنة هذا أحد الأقوال وهو قول مجاهد
وابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك وقال مجاهد أيضا إن المعنى أن
الضمير في مقداره عائد على التدبير أي كان مقدار التدبير المنقضي في
يوم ألف سنة لو دبرها البشر وقال مجاهد أيضا المعنى أن الله تعالى
يدبر ويلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من عددنا وهو اليوم عنده فإذا
فرغت ألقى إليهم مثلها فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير
إليه آخرا لأن عاقبة الأمور إليه وقيل المعنى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض
في مدة الدنيا ثم يعرج إليه يوم القيامة ويوم القيامة مقداره ألف سنة
من عددنا وهو على الكفار قدر خمسين ألف سنة لهوله وشنعته حسبما

في سورة سأل سائل وسنذكر هنالك ما فيه من الاقوال والتاويل ان شاء
الله تعالى وحكى الطبري في هذه الاية عن بعضهم انه قال قوله في يوم الى
اخر الاية متعلق بقوله في ستة ايام ومتصل به اي ان تلك الستة كل
واحد منها من الف سنة قال ابو محمد وهذا قول ضعيف تكرهه
الالفاظ هذه الاية عليه وترده له الاحاديث التي بينت ايام خلق الله
المخلوقات وحكي ايضا عن ابن زيد عن بعض اهل العلم ان الضمير في مقداره
عائد على العروج والعروج الصعود والمعارج الادراج التي تصعد عليها
وقالت فرقة معنى الاية يدبر امر الشمس في انها تصعد وتنزل في يوم وذلك
قدر الف سنة قال ابو محمد وهذا ايضا ضعيف وظاهر عود الضمير
في اليه على اسم الله تعالى كما قال ذاهب الى ربي وكما قال مجاهد الى
ربي وهذا كله بري من التحيز وقيل ان الضمير يعود على السماء لانها قد تذكر
وقرا جمهور الناس تعدون بالتاء وقرا الاعمش والحسن بخلاف عنه يعدون
بالياء من تحت قوله عز وجل ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا ائذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد
بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
ثم الى ربكم ترجعون ٥ قالت فرقة اراد بالغيب الاخرة وبالشهادة
الدنيا وقيل اراد بالغيب ما غاب عن المخلوقين وبالشهادة ما شوهد
من الاشياء وكانه حصر بهذه الالفاظ جميع الاشياء وقرا جمهور الناس
خلقه بفتح اللام على انه فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن
من جهة ما هو لمقاصده التي اريد لها ومن هذا المعنى قول ابن عباس وعكرمة
ليست است القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة والحلة في خلقه حمل

القرد

ان تكون في موضع نصب صفة لكل او في موضع خفض صفة لشيء وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام وذلك منصوب على المصدر
والضمير فيه اما عائد على الله تعالى واما على المفعول ويصح ان يكون بدلا من كل
شيء وذهب بعض الناس على هذه القراءة الى ان احسن معناه الهم وان هذه
القراءة بمعنى قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الهم الرجل الى المراة
والجمل الى الناقة وهذا قول فيه بعد ورجحه الطبري وقرا جمهور الناس
وبدا وقرا الزهري وبدا خلق بالف دون همز ونصب القاف قال ابو
الفتح ذلك على البدل لا على التخفيف قال ابو محمد كانه ابدل الياء من بدى
الفا وبدى لغة الانصار وقال ابن رواحة

بسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

والانسان ادم عدد
امره على بنيه اذ خلقه خلق لهم من هو منسلهم والنسل ما يكون عن الحيوان
من الولد كانه ماخوذ من نسل الشيء اذا خرج من موضعه ومنه قوله تعالى
وهم من كل حدب ينسلون ومنه نسل ريش الطائر اذا تساقط والسلالة
من سل يسيل وكان الماء يسيل من الانسان ومن ذلك قول الشاعر

فجاءت به عصب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين

والمهين الضعيف مهن الانسان اذا ضعف وذل وقوله ونفخ عبارة
عن افاضة الروح في جسد ادم والضمير في روحه لله تعالى وهي اضافة ملك الى مالك
وخلق الى خالق ثم اظهر تعديد النعم عليهم في ان خصهم في قوله لكم بضمير
السمع والابصار والافئدة وهي لمن تقدم ذكره ايضا كما خص ادم بالتسوية
ونفخ الروح وهو لجميع ذريته وهذا كله اختصار واقتضاب وترك لما يدل
المنطوق به ويحتمل ان يكون الانسان في هذه الاية اسم الجنس وقوله
قليلا صفة لمصدر محذوف وهو في موضع الحال حين حذف الموصوف به
والضمير في قالوا للكفار الجاحدين البعث من القبور المستبعدين

لذلك دون حجة ولا دليل وموضع اذا نصب بما في قوله انا لفي خلق جديد
لان معناه انبعث واختلف القرا في اذا وقد تقدم استيعاب ذكره في غير
هذا الموضع وقرا جمهور القرا ضللنا بفتح اللام وقرا ابن عامر وابو رجا
وطلحة وابن وثاب ضللنا بكسر اللام والمعنى تلفنا وتقطعت اوصالنا فذهبنا
حتى لم نوجد ومنه قول الاخطل
كنت القذى في متن اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا ومنه قول
النابغه فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل اي
متلفوه دفنا ومنه قول امرئ القيس
تضل المدارى في مثنى ومرسل وقرا الحسن البصري صللنا
بالصاد غير منقوطه وفتح اللام قال القرا ويروى عن علي بن ابي طالب ومعناه
صرنا من الصلة وهي الارض اليابسه الصلبه ويجوز ان تريد به من التغير
كما يقال صل اللحم وروت هذه القراة عن ابن عباس وابان بن سعيد
بن العاصي وقرا الحسن ايضا صللنا بالصاد غير منقوطه وكسر اللام وقرا
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو حيوه ضللنا بضم الصاد وكسر اللام وشدها
وقولهم انا لفي خلق جديد اي لفي هذه الحاله نعاد ونجدد خلقنا وقوله
تعالى بل اضراب عن معنى استفهامهم كانه قال ليسوا مستفهمين بل
هم كافرون جاحدون بلقا الله تعالى ثم امر نبيه ان يخبرهم بجملة
الحال غير مفصله فبدا بالاخبار من وقت يفقد روح الانسان الى الوقت
الذي يعود فيه الى ربه فجمع الغايتين الاولى والاخره ويتوفاكم معناه
يستوفيكم ومنه قول الشاعر ان بني الادرد ليسوا من احد ولا توفاهم قريش في العدد
وملك الموت اسمه عزرائيل وتصرفه كله بامر الله وباختراعه وروي وخلقه
في الحديث ان البهائم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك الموت قال ابو
محمد كانه يعدم حياتها وكذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف

بشرف ملك الموت وملائكته معه في قبض ارواحهم وكذلك ايضا غلظ
العذاب على الكافرين بذلك وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك
الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث امر قوله عز وجل
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن باياتنا الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
قوله ولو ترى تعجيب لمحمد وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لو
محذوف لان حذفه اهول اذ يترك الانسان فيه مع اقصى تخيله والمجرمون
هم الكافرون بدليل التوعد بالنار وبدليل قولهم انا موقنون اي انهم
كانوا في الدنيا غير موقنين وتنكيس الروس هو من الذل واليأس والهم
بحلول العذاب وتعلق نفوسهم بالرجعة الى الدنيا وفي القول محذوف تقديره
يقولون ربنا وقولهم ابصرنا وسمعنا اي ما كنا نخبر به في الدنيا فكنا مكذبين به
ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفع ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لو شا لهدى
الناس اجمعين بان يلطف بهم لطفا يؤمنون به ويخترع الايمان في نفوسهم
هذا مذهب اهل السنه وقال بعض المعتزلين لعرض عليهم اية تضطرهم
بها الى الايمان قال ابو محمد وهذا قول بعض المعتزله الا ان من اثرنا
البيان المعتزلين لم يبد قدر القول ولا مغزاه ولذلك حكاه والذي يعتقد
المعتزله في هذه المقاله انهم يرون ان من يقدر على اللطف بانسان حتى يؤمن
ولا يفعل فان ذلك ليس من الحكمة ولا من الامر المستقيم والكلام على هذه
المسأله يطول وله مواقف والجنة الشياطين وقوله فذوقوا بمعنى يقال
لهم ذوقوا ونسيتم معناه تركتم قاله ابن عباس وغيره وفي الكلام حذف

مضافٍ تقديره عمل أو عقة ونحوه وقوله إنا نسيناكم سمّى العقوبة باسم الذنب
وقوله بما كنتم تعملون أي بتكسبكم الآثام ثم أثنى عز وجل على القوم الذين
يؤمنون بآياته ووصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم
وعدم استكبارهم خلاف ما يصنع الكفرة من الإعراض عند التذكير وقول
الهجر وإظهار التكبر وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن وقال ابن عباس
السجود هنا بمعنى الركوع وقد روي عن ابن جريج ومجاهد ان هذه الآية نزلت
بسبب قوم من المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من المسجد فكان
الركوع يقصد من هذا ويلزم على هذا ان تكون الآية مدنية وأيضا فمن مذهب
ابن عباس ان القارئ للسجدة يركع واستدل بقوله وخر راكعا وأناب **قوله
تعالى** تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما
أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون ه جفا الرجل الموضع إذا تركه وتجافى الرجل جنبه عن مضجعه
ومنه في الحديث وتجافى بضبعيه أي يبعدهما عن الأرض وعن جنبيه فقوله
تتجافى جنوبهم أي تبعد وتزول ومنه قول عبد الله بن رواحة
؎ يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع ؎ ويروى
يبيت تجافى قال الزجاج والرماني التجافي التنحي إلى جهة فوق قال أبو
محمد وهذا قول حسن وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سب ونحوه
والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم وقال أنس بن مالك
أراد بهذه الآية الصلاة بين المغرب والعشاء وقال عطاء وأبو سلمة أراد
صلاة العشاء الآخرة قال أبو محمد وكانت الجاهلية ينامون من أول

الغروب ومن أي وقت شاء الإنسان فجاء انتظار العشاء الآخرة غريبا
شاقا وقال أنس بن مالك أيضا أراد انتظار صلاة العشاء الآخرة لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها إلى نحو ثلث الليل وفي ذلك أحاديث كثيرة وقال
الضحاك تجافي الجنب هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وهذا قول حسن
يساعده لفظ الآية وقال الجمهور من المفسرين أراد بهذا التجافي صلاة النوافل
بالليل قال أبو محمد وعلى هذا التأويل أكثر الناس وهو الذي فيه المدح وفيه
أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قيام الليل ثم يستشهد بالآية ذكره
الطبري عن معاذ بن جبل ورجح الزجاج هذا القول بأنهم جوزوا بإخفاء
فدل ذلك على أن العمل إخفاء أيضا وهو قيام الليل وقوله يدعون يحتمل أن
يكون في موضع الحال من الموصوفين أي في وقت التجافي ويحتمل أن يكون صفة
مستأنفة أي تتجافى جنوبهم وهم أيضا في كل أحوالهم يدعون ليلهم ونهارهم
والخوف من عذاب الله والطمع في ثواب الله وينفقون قيل معناه الزكاة المفروضة
وهذا القول أمدح ثم ذكر تعالى وعدهم من النعيم بما لم تعلمه نفس ولا بشر
ولا ملك وقرأ حمزة وحده أخفي بسكون الياء كأنه قال أخفي أنا وهي قراءة الأعمش
وروي عنه ما أخفيت لهم من قرات أعين وقرأ عبد الله ما نخفي لهم بالنون
مضمومة وروى المفضل عن الأعمش ما يخفى لهم بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ
محمد بن كعب ما أخفى بفتح الهمزة أي ما أخفى الله وقرأ جمهور الناس أخفي بفتح
الياء على بناء الفعل للمفعول وما يحتمل أن يكون بمعنى الذي فعلى القراءة الأولى ثم ضمير
محذوف تقديره أخفيه وعلى قراءة الجمهور فالضمير الذي لم يسم فاعله يجري
في العودة على الذي ويحتمل أن يكون استفهاما فعلى القراءة الأولى فهي في موضع
نصب بأخفي وعلى القراءة الثانية هي في موضع رفع بالابتداء وقرة أعين ما تلذه
وتشتهيه وهي مأخوذة من القر كما أن سخنة العين مأخوذة من السخانة
وأصل هذا فيما يزعمون أن دمع الفرح بارد ودمع الحزن سخن وفي معنى هذه الآية

قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما
أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب على الله للذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة وأبو الدرداء قرات على الجمع وقوله جزاء بما
كانوا يعملون أي بتكسبهم وقوله أفمن كان مؤمنا الآية روي عن عطاء
بن يسار أنها نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط وذلك أنهما
تلاحيا فقال له الوليد أنا أبسط منك لسانا وأحد سنانا وأرد للكتيبة فقال
له علي اسكت فإنك فاسق فنزلت الآية وذكر الزجاج والنحاس وغيرهما أنها
نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية لأن عقبة
لم يكن بالمدينة وإنما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بدر ويعترض القول الآخر بإطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل
أن تكون في صدر إسلام الوليد لشيء كان في نفسه أو لما روي من نقله
عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه إن جاءكم فاسق بنبإ الآية ويحتمل أيضا
أن تطلق الشريعة ذلك عليه لأنه كان على طرف مما لا ينبغي وهو الذي شرب
الخمر في خلافة عثمان وصلى الصبح بالناس أربعا ثم التفت وقال أتريدون أن
أزيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره ثم قسم تعالى المؤمنين والفاسقين الذين
فسقهم بالكفر لأن التكذيب الذي في آخر الآية يقتضي ذلك وقرأ طلحة جنة
بالإفراد وقرأ أبو حيوة نزلا بإسكان الزاي والجمهور على ضمها وسائر ما في الآية
بين **قوله عز وجل** ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر
لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين
منتقمون الضمير في قوله لنذيقنهم لكفار قريش أعلم الله تعالى أنه يصيبهم
بعذاب دون عذاب الآخرة لعلهم يتوبون ويتعظون ولا خلاف أن العذاب

الأكبر هو عذاب الآخرة واختلف المتأولون في تعيين العذاب الأدنى فـ
قال إبراهيم النخعي ومقاتل هو السنون التي أجاعهم الله فيها وقال ابن عباس
وأبي بن كعب هو مصائب الدنيا من الأمراض ونحوها وقاله ابن زيد وقال ابن
مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف كبدر وغيرها قال أبو محمد
فيكون على هذا التأويل الراجع غير الذي يذوق بل الذي يبقى بعده وتختلف
رتبتا ضمير الذوق مع ضمير لعل وقال أبي بن كعب أيضا هي البطشة واللزام
والدخان وقال ابن عباس أيضا عنى بذلك الحدود قال أبو محمد ويتجه
على هذا التأويل أن تكون في فسقة المؤمنين وقال مجاهد عنى بذلك عذاب
القبر ثم قال تعالى ومن أظلم على جهة التعجب والتقرير أي لا أحد أظلم
ممن هذه صفته وهو خلاف ما تقدم في صفة المؤمنين من أنهم إذا ذكروا
بآيات الله خروا سجدا ثم توعد تعالى المجرمين وهم المتجاسرون على ركوب
الكفر والمعاصي بالنقمة وظاهر الإجرام هنا أنه الكفر وحكى الطبري عن
يزيد بن رفيع أنه قال إن قول الله في القرآن إنا من المجرمين منتقمون
إنما هو في أهل القدر قال أبو محمد يريد القائلين بأن الأمر أنف وأن
أفعال العبد من قبله قال ثم قرأ يزيد بن رفيع إن المجرمين في ضلال وسعر
يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر
قال أبو محمد وهذا المنزع من العبد ما لا خفاء به وروى معاذ بن جبل
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء في غير
حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما **قوله عز وجل** ولقد آتينا موسى
الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم
أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ه قرأ الناس في مرية بكسر الميم وقرأ
الحسن بضمها واختلف المتأولون في الضمير الذي في لقائه على من يعود فقال

أبو العالية الرياحي وقتادة تعود على موسى والمعنى لا تكن في شك من تلقي
موسى أي في ليلة الإسرا وهذا قول جماعة من السلف وقاله المبرد حين
امتحن أبا إسحق الزجاج بهذه المسألة وقالت فرقة الضمير عائد على الكتاب أي
أنه لقي موسى حين لقيه موسى والمصدر في هذا التأويل يصح أن يكون
مضافا إلى المفعول بمعنى لقي الكتاب بالنصب موسى وذلك أن إخباره
بأنه آتى موسى الكتاب كأنه قال ولقد آتينا موسى هذا العبء الذي أنت
بسبيله فلا تمتر أنك تلقى ما لقي هو من المحنة بالناس وكأن الآية تسلية
لمحمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة معناه فلا تك في شك من لقائه في الآخرة
قال أبو محمد وهذا قول ضعيف وقالت فرقة الضمير عائد على ملك الموت
الذي تقدم ذكره وقوله فلا تكن في مرية من لقائه اعتراض بين الكلامين
قال أبو محمد وهذا أيضا ضعيف والمرية الشك والضمير في جعلناه يحتمل
أن يعود على موسى وهو قول قتادة ويحتمل أن يعود على الكتاب وأئمة
جمع إمام وهو الذي يقتدى به وأصله أممة وجمهور النحويين على أيمة
بيا وتخفيف الهمزة إلا ابن إسحق فإنه جوز اجتماع الهمزتين وقرأ أإمة
وقرأ جمهور القراء لما صبروا بفتح اللام وشد الميم وقرأ حمزة والكسائي
بكسر اللام وتخفيف الميم وهي قراءة ابن مسعود وطلحة والأعمش فالأولى
في معنى الظرف والثانية كأنه قال لأجل صبرهم فما مصدرية وفي القراءتين
معنى المجازات أي جعلناهم أئمة جزاء على صبرهم عن الدنيا وكونهم موقنين
بآيات الله وأوامره وجميع ما تورده الشريعة وقرأ ابن مسعود بما صبروا
وقوله تعالى إن ربك الآية حكم يعم جميع الخلق وذهب بعض المتأولين
إلى تخصيص الضمير وذلك ضعيف **قوله عز وجل** أولم يهد لهم كم
أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات
أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا

ان الانبيا ايمه
والايمه ورثه

تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم
صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض
عنهم وانتظر إنهم منتظرون ۝ يهدي معناه يبين قاله ابن عباس وقرأ
جمهور الناس يهد بالياء فالفاعل الله في قول فرقة والمصدر في قول فرقة
كأنه قال أولم يبين لهم الهدى وجوز الكوفيون أن يكون الفاعل كم
ولا يجوز ذلك عند البصريين لأنها في الخبر على حكمها في الاستفهام في أنها لا يعمل
فيها ما قبلها وقرأ أبو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراءة الحسن وقتادة فالفاعل
الله تعالى وكم في موضع نصب بعد الكوفيين بيهدي وعند البصريين ب
أهلكنا على القراءتين جميعا وقرأ جمهور الناس يمشون بفتح الياء وتخفيف
الشين وقرأ ابن السميفع اليماني يمشّون بضم الياء وفتح الميم وشد الشين وقرأ
عيسى بن عمر يمشون بضم الياء وسكون الميم وشين مضمومة مخففة والضمير في
يمشون يحتمل أن يكون للمخاطبين بالتنبيه المحتج عليهم ويحتمل أن يكون للمهلكين
فيمشون في موضع الحال أي أهلكوا وهم يمشون في مساكنهم والضمير في يسمعون
للمنبهين ومعنى هذه الآية إقامة الحجة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا
فأهلكوا ثم أقام عز وجل الحجة عليهم في معنى الإيمان بالقدرة والبعث بأن
نبههم على إحياء الأرض الموات بالماء والنبات والسوق هو بالسحاب وإن كان
سوقه بريح فأصله من السحاب والجرز الأرض العاطشة التي أكلت نباتها
من العطش والقحط ومنه قيل للأكول جروز وقال الشاعر
خب جروز وإذا جاع بكى ۝ ومن عبر عنها بأنها الأرض التي لا تنبت فهي
عبارة غير مخلصة وعم تعالى كل أرض هي بهذه الصفة لأن الآية فيها والعبرة
بينة وقال ابن عباس وغيره أيضا الأرض الجرز أرض أبين من اليمن وهي أرض
تشرب بسيول لا بمطر وجمهور الناس على ضم الراء قال الزجاج ويقرأ
الجرز بسكون الراء ثم خص تعالى الزرع بالذكر تشريفا ولأنه عظم ما يقصد

من النبات وإلا فغرت أكل الأنعام إنما هو من غير الزرع لكنه أوقع الزرع
موقع النبات على العموم ثم فصّل ذلك بأكل الأنعام وبني آدم وقرأ أبو بكر عن
عاصم وأبو حيوة يأكل بالياء من تحت وقرأ ابن مسعود يبصرون وقرأ جمهور
الناس تبصرون بالتاء من فوق ثم حكى عن الكفرة أنهم يستفتحون فصل القضا
بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم هذا قول
جماعة من المفسرين وهو أقوى الأقوال وقالت فرقة الإشارة إلى فتح
مكة قال أبو محمد وهذا ضعيف يرده الإخبار بأن الكفرة لا ينفعهم
الإيمان فلم يبق أن يكون الفتح إلا أحد أمرين إما حكم الآخرة وهو قول مجاهد وإما فصل
الدنيا كبدر ونحوه وقوله قل يوم الفتح إشارة إلى الفتح الأول حسب محتملاته
فالألف واللام في الفتح الثاني للعهد ويوم ظرف والعامل فيه ينفع وينظرون
معناه يؤخرون ثم أمره تعالى بالإعراض عن الكفار وانتظار الفرج وهذا مما
نسخته آية السيف وقوله إنهم منتظرون أي العذاب بمعنى هذا حكمهم وإن
كانوا لا يشعرون وقرأ محمد بن السميفع منتظرون بفتح الظاء أي للعذاب
النازل بهم تم تفسير السورة بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأحزاب

هذه السورة مدنية بإجماع
فيما علمت وكذلك قال المهدوي وغيره **قوله عز وجل** يا أيها النبي
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع
ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا ۝ قوله اتق معناه دم على التقوى ومتى أمر أحد بشيء هو به متلبس
فإنما معناه الدوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية وحذره تعالى من
طاعة الكافرين وهم المجاهرون بالكفر والمنافقين وهم المظهرون للإيمان
وهم لا يبطنونه وسبب الآية أنهم كانوا يتحكمون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطلبات والإرادات وربما كان في إرادتهم سعي على الشرع

وهم يظنونها من طريق النصائح فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لخلقه
العظيم وحرصه على استيلاف [illegible] إيمانهم في بعض الأمور فنزلت الآية
بسبب ذلك تحذيرا له [illegible] على عداوتهم والنوازل في طلبا بهم
لنبوة محفوظة وقوله إن الله كان عليما حكيما تسلية لمحمد صلى الله عليه
وسلم أي لا عليك منهم ولا من إيمانهم فالله عليم بما ينبغي لك حكيم في هدي
من شاء وإضلال من شاء ثم أمره تعالى باتباع ما يوحى إليه وهو القرآن الحكيم
والاقتصار على ذلك وقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا توعد ما
وقرأ أبو عمرو وحده يعملون بالياء والتوعد على هذه القراءة للكافرين والمنافقين
أبين وقوله كان في هاتين الآيتين هي التي تقتضي الدوام أي كان ويكون
وليست الدالة على زمان مخصوص للمضي ثم أمره تعالى بالتوكل على الله في جميع
أمره وأعلمه أن ذلك كاف مقنع والباء في قوله بالله زائدة على مذهب سيبويه
وكأنه قال وكفى الله وهي عنده نحو قولهم بحسبك أن تفعل وغيره يراها
غير زائدة متعلقة بكفى على أنه بمعنى اكتف بالله والوكيل القائم بالأمر المغني
عن كل شيء **قوله عز وجل** ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم
قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ۝ اختلف
الناس في السبب في قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فقال ابن عباس
إن بعض المنافقين قال إن محمدا له قلبان لأنه ربما كان في شيء فنزع في غيره
نزعة ثم عاد إلى شأنه الأول فقالوا ذلك عنه فنفاه الله تعالى وقال ابن عباس
أيضا بل بسبب أنه كان في قريش في بني فهر رجل فهم يدعي أن له قلبين ويقال
له ذو القلبين قال الثعلبي هو أبو معمر وكان يقول أنا أذكى من محمد وأفهم
فلما وقعت هزيمة بدر طاش لبه وحدث أبا سفيان بن حرب بحديث كالمختبل
فنزلت الآية بسببه ونفيا لدعواه وقيل إنه كان ابن خطل قال الزهري

جا هذا اللفظ على جهة المثل في زيد بن حارثة وَالموطية لقوله تعالى وما جعل
ادعياكم ابناكم اي كما ليس لاحد قلبان كذلك ليس دعيه ابنه قال
ابو محمد وظاهر من الاية انما جعلها نفي لاشيا كانت العرب تعتقدها في ذلك
الوقت واعلام حقيقة الامر فيها ان بعض العرب كانت تقول ان الانسان
له قلب يامره وقلب ينهاه وكان تضاددا لخواطر يحملها على ذلك ومن هذا
قول الكميت ،، تذكر من انى ومن اين شربه يوامر نفسيه كذي الهجمة الابل ،،
والناس حتى الان يقولون اذا وصفوا افكارهم في شي ما يقول لي احد قلبي
كذا ويقول لي الاخر كذا وكذلك كانت العرب تعتقد الزوجة اذا ظوهر
منها بمنزلة الام وتراه طلاقا وكانت تعتقد الدعي المتبنى ابنا فاعلم الله تعالى
انه لا احد بقلبين ويكون في هذا ايضا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم
اي انما هو قلب واحد فاما فيه ايمان واما فيه كفر لان درجة النفاق كانها
متوسطة يوبخ قلب وبخ الاخر فنفاها الله تعالى وبين انه قلب واحد وعلى هذا
النحو يستشهد الانسان بهذه الاية متى نسي شيا او وهم يقول على جهة الاعتذار
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي اذا نسي قلبه الواحد يذكره الاخر
وكذلك اعلم ان الزوجة لا تكون اما وان الدعي لم يجعله ابنا وقرا نافع
وابن كثير اللاي دون يا وروي عن ابي عمرو وابن جريج اللاي بيا ساكنة من غير
همز وقرا ورش بياء مكسورة من غير همز وقرا عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر
وطلحة والاعمش بهمزة مكسورة بعدها يا وقرا ابن عامر تظاهرون بشد
الظا والالف وقرا عاصم والحسن وابو جعفر وقتادة تظاهرون بضم التا
وتخفيف الظا وانكرها ابو عمرو وقال انما هذا في المعاونة قال ابو محمد
وليس بمنكر ولفظة ظهار تقتضيه وقرا الكسائي وحمزة وابو بكر عن عاصم
تظاهرون بفتح التا والظا مخففة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تظهرون بشد
الظا والها دون الف وقرا يحيى بن وثاب تظهرون بضم التا وسكون الظا
وكسر الها وفي مصحف ابي بن كعب تتظهرون بتاءين وكانت العرب تطلق تقول

كان قال لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون لواحد ابوان ولا امان زوجته وامه ولو كان الرجل لكان اما حصيهم لم ابوان

ان تبنى تظهر التي نزلت الآية وانزل الله حكم الظهار وتفسير الظهار
وبيانه اثبتناه في سورة المجادلة وقوله وما جعل ادعياكم ابناكم الا به
سببها امر زيد بن حارثة كانوا يدعونه زيد بن محمد وذلك انه كان عبدا لخديجة
رضي الله عنها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام معه مدة ثم
جاء عمه وابوه يرغبان في فدايه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
قبل البعث خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فدا فخيراه فاختار
الرق مع محمد صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال محمد صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وارثه فرضي بذلك ابوه وعمه وانصرفا
وقوله بافواهكم تاكيد لبطلان القول اي انه لا حقيقة له في الوجود
انما هو قول فقط كما تقول انا امشي اليك على قدم فانما تؤكد بذلك
المبرة وهذا كثير ويهدي معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر وقرا
قتادة يهدي بضم اليا وفتح الها وشد الدال والسبيل هي سبيل الشرع والايمان
وابن كثير والكسائي وعاصم في رواية حفص يقفون السبيلا ويطرحونها
في الوصل وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالالف وصلا ووقفا وقرا ابو عمرو بغير
الف وصلا ووقفا وهذا كله في غير هذا الموضع واتفقوا هنا خاصة على طرح
الالف وصلا ووقفا لمكان الف الوصل التي تلقى اللام قوله عز وجل
ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين ومواليكم
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا
رحيما النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى
اوليايكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ۝ امر الله تعالى في هذه
الاية بدعا الادعيا الى ابايهم للصلب فمن جهل ذلك فيه كان مولى واخا في الدين
فقال الناس زيد بن حارثة وسالم مولى ابي حذيفة الى غير ذلك وذكر الطبري
ان ابا بكرة قرا هذه الاية قال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين

ومولى لا كره قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه قال
ابو محمد ورجال الحديث يقولون في ابي بكرة نفيع بن الحرث واسقط معناه
اعلاك وقال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعي الى
غير ابيه متعمدا حرم الله عليه الجنة وقوله عز وجل وليس عليكم جناح
الايه رفع للحرج عمن وهم ونسي واخطا فجرى على العادة من نسبة زيد
الى محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما يشبهه وابقى الجناح في التعمد
مع النهي المنصوص وقوله وكان الله غفورا رحيما يريد لما مضى من فعلهم
في ذلك ثم هي صفة لله تطرد في كل شي وقالت فرقة خطاهم كان فيما سلف
من قولهم ذلك قال ابو محمد وهذا ضعيف لا يتصف خطا الا بعد النهي
وانما الخطا هنا بمعنى النسيان وما يكون مقابل العمد وحكى الطبري عن
قتادة انه قال الخطا الذي رفع الله فيه الجناح ان يعتقد في احد انه فلان
فتنسبه اليه وهو في الحقيقة لسوايه والعمد ان تنسبه الى فلان وانت
تدري انه غيره والخطا مرفوع عن هذه الامة عقابه قال النبي صلى الله عليه
وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه وقال عليه السلام
ما اخشى عليكم الخطا وانما اخشى العمد وقوله تعالى النبي اولى بالمومنين الايه
ازال الله بها احكاما كانت في صدر الاسلام منها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يصلي على ميت عليه دين فذكر الله تعالى انه اولى بالمومنين من انفسهم
فجمع هذا ان المومن يلزم ان يحب النبي اكثر من نفسه حسب حديث عمر بن الخطاب
ويلزم ان يمتثل اوامره احبت نفسه ذلك ام كرهت وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين نزلت هذه الايه انا اولى بالمومنين من انفسهم من ترك مالا فلورثته
ومن ترك دينا او ضياعا فعلي انا وليه اقروا ان شيتم اولى بالمومنين من انفسهم
وقال بعض العلما العارفين هو اولى بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى
الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال ابو محمد ويويد هذا قوله عليه السلم

انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش وشرف تعالى
ازواج النبي بان جعلهن امهات المومنين في حرمة النكاح وفي المبرة وحجبهن
رضي الله عنهن بخلاف الامهات قال مسروق قالت امراه لعايشة يا امه
فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم وفي مصحف ابي بن كعب وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم وازواجه
امهاتهم وسمع عمر هذه القراه فانكرها فقيل له انها في مصحف ابي فساله فقررها
ابي واغلظ لعمر وقد قيل في قول لوط عليه السلام هولا بناتي انما اراد المومنات
اي تزوجوهن ثم حكم بان اولي الارحام احق مما كانت الشريعه قررته
من التوارث باخوه الاسلام وبالهجره فانه كان بالمدينه توارث في صدر الاسلام
بهذين الوجهين اختلفت الرواية في صفته وليس لمعرفته الان حكم فاختصر
ورد الله المواريث على الانساب الصحيحه وقوله في كتاب الله يحتمل ان
يريد القران ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ وقوله من المومنين متعلق باولي
الثانيه وهذه الاخوه والهجره التي ذكرنا وقوله الا ان تفعلوا الايه يريد
الاحسان في الحياة والصله والوصيه عند الموت قاله قتادة والحسن وعطا
وابن الحنفيه وهذا كله جايز ان يفعل مع الولي على اقسامه والقريب والكافر
يوصل له بوصيه واختلف العلما هل يجعل هو وصيا فجوز بعض ومنع بعض ورد
النظر في ذلك الى السلطان بعض منهم مالك بن انس رضي الله عنه وذهب مجاهد
وابن زيد والرماني وغيره الى ان المعنى الى اوليايكم من المومنين قال
ابو محمد ولفظ الايه يعضد هذا المذهب وتعميم لفظ الولي ايضا حسن كما قدمناه
اذ ولاية النسب لا تدفع في الكافر وانما يدفع ان يلقى اليه بالموده كولي الاسلام
والكتاب الذي سطر ذلك فيه يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا ومسطورا من قولك
سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا ومنه قول العجاج ⁂ في الصحف الاولى التي كان سطر
قال قتادة وفي بعض القراءة كان ذلك عند الله مكتوبا

قوله عز وجل

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد
للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم
جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا
إذ يحتمل أن يكون ظرفا لتقرير الأحكام المتقدمة في الكتاب كأنه قال
كانت هذه الأحكام مسطورة ملقاة إلى الأنبياء إذ أخذنا عليهم الميثاق في التبليغ
والشرائع فيكون إذ متعلقا بقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا ويحتمل
أن يكون في موضع نصب بإضمار فعل تقديره واذكر إذ وهذا التأويل أبين
من الأول وهذا الميثاق المشار إليه قال الزجاج وغيره إنه الذي أخذ عليهم
وقت استخراج البشر من صلب آدم كالذر قالوا فأخذ الله تعالى حينئذ ميثاق
النبيين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضا وجميع ما تضمنته النبوة وروي نحوه عن أبي
كعب وقالت فرقة بل أشار إلى أخذ الميثاق على كل واحد منهم عند بعثه وإلى
إلقاء الرسالة إليه وأوامرها ومعتقداتها وذكر تعالى النبيين جملة ثم خصص
بالذكر أفرادا منهم تشريفا وتخصيصا إذ هؤلاء الخمسة صلى الله عليهم وسلم
أصحاب الكتب والشرائع والحروب الفاصلة على التوحيد وأولو العزم ذكره
الثعلبي وقدم ذكر محمد صلى الله عليه وسلم على مرتبته في الزمن تشريفا خاصا له
وروي عنه عليه السلام قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وكرر
أخذ الميثاق لمكان الصفة التي وصف بها وغليظا إشعار بحرمة هذا الميثاق
وقوتها واللام في قوله ليسأل متعلقة بأخذنا ويحتمل أن تكون لام كي
أي بعث الرسل وأخذت عليها المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين
فرقة يسألها عن صدقها على معنى إقامة الحجة والتقرير كما قال لعيسى عليه
السلام أأنت قلت للناس فتجيب أنها قد صدقت الله في إيمانها وجميع أفعالها فيثيبها
على ذلك وفرقة كفرت فينالها ما أعد لها من العذاب الأليم ويحتمل أن تكون

اللام في قوله ليسأل لام الصيرورة أي أخذ المواثيق على الأنبياء ليصير الأمر
إلى كذا والأول أصوب والصدق في هذه الآية يحتمل أن يكون المضاد
للكذب في القول ويحتمل أن يكون من صدق الأفعال واستقامتها ومنه
عود صدق وصدقني السيف والمال وقال مجاهد الصادقين في هذه الآية
أراد بهم الرسل أي يسألهم عن تبليغهم وقال أيضا أراد المؤدين المبلغين
عن الرسل وهذا كله محتمل وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآيات
إلى قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك نزلت في شأن غزوة الخندق وما اتصل
بها من أمر بني قريظة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى بني النضير
من موضعهم عند المدينة إلى خيبر فاجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود
وخرجوا إلى مكة مستنهضين قريشا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجسروهم على ذلك وأزمعت قريش السير إلى المدينة ونهض اليهود إلى غطفان
وبني أسد ومن أمكنهم من أهل نجد وتهامة فاستنفروهم إلى ذلك فتحزب الناس
وساروا إلى المدينة واتصل الخبر برسول الله صلى الله عليه وسلم فحفر الخندق حول
ديار المدينة وحصنه وكان أمرا لم تعهده العرب وإنما كانت من أعمال فارس والروم
وأشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه فورد الأحزاب قريش وكنانة والأحابيش
في نحو عشرة آلاف عليهم أبو سفيان بن حرب ووردت غطفان وأهل نجد عليهم
عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ووردت بنو عامر وغيرهم عليهم عامر
بن الطفيل إلى غير هؤلاء فحصروا المدينة وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة
على ما قال ابن إسحاق وقال مالك كانت سنة أربع وكانت قريظة قد عاهدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الهدنة وعاقدوه على أن لا يلحقه منهم ضرر فلما تمكن
هذا الحصار داخلهم بنو النضير فغدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا
عهوده وصاروا له حزبا مع الأحزاب فضاقت الحال على رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ونجم النفاق وساءت الظنون ورسول الله صلى الله عليه

وسلم يبشر ويعد بالنصر والقى الله الرعب في قلوب المشركين ويئسوا من
الظفر بمنعة الخندق وبما راوا من جلد المؤمنين وجاء رجل من قريش اسمه نوفل
بن الحرث وقيل غير هذا فاقتحم الخندق بفرسه فقتل فيه فكان ذلك حاجزا بينهم
ثم ان الله تعالى بعث الصبا لنصرة نبيه على الكفار فاصدتهم وهدمت بيوتهم
واطفات نارهم وقطعت حبالهم واكفات قدورهم ولم يمكنهم معها قرار
وبعث الله مع الصبا ملايكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها وتلقي الرعب في
قلوب الكفرة حتى ازمعوا الرحلة بضع وعشرين ليلة للحصر فانصرفوا خايبين
فهذه الجنود التي لم تر وقرا وجنودا بفتح الجيم وقرا الجمهور تعملون بالتاء فكان
في الاية مقابلة لهم اي انتم لم تروا جنوده وهو بصير باعمالكم يبين في هذه
القدرة والسلطان وقرا ابو عمرو وحده يعملون بالياء على معنى الوعيد للكفرة
وقرا ابو عمرو ايضا بالتاء وهما حسنتان وروي عن ابي عمرو لم يروها
بالياء من تحت قال ابو حاتم قراءة العامة لم تروها بالتاء من فوق يعملون بالياء
من تحت وروي عن الحسن ونافع والاعرج تعملون بالتاء مكسورة وهي لغة
قوله عز وجل إذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ
زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي
المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ۝ هذه بدل من الاولى في قوله إذ جاتكم
وقوله من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد
مكة وساير تهامة قاله مجاهد وقيل بل من فوق واسفل هنا انما يراد به ما
يختص بقعة المدينة اي نزلت طايفة في اعلا المدينة وطايفة في اسفلها وهذه عبارة
عن الحصر وزاغت الابصار معناه مالت عن مواضعها وذلك فعل الواله الفزع
المختبل وادغم الاعمش إذ زاغت وبين الذال الجمهور وكل حسن وبلغت
القلوب الحناجر عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها شعاعا ويجد

كان حشوته وقلبه يصعد علوا لينفصل فليس بلوغ القلوب الحناجر
حقيقة بالنقلة بل تشير الى ذلك وتجيش فتستعار لها بلوغ الحناجر وروي
ان ابا سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر
فهل من شيء نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا فقالوها
فضرب الله وجوه الكفار بالريح فهزمهم وقوله وتظنون بالله الظنونا اي
تكادون تضطربون وتقولون ما هذا الخلف للوعد وهذه عبارة عن خواطر
خطرت للمؤمنين لا يمكن البشر دفعها واما المنافقون فجلحوا ونطقوا وقرا نافع
وابو عمرو وعاصم وابو جعفر وشيبة والاعمش وطلحة الظنونا بالالف في الوصل
والوقف وذلك اتباع لخط المصحف وعلته تعديل رؤوس الاي وطرد هذه العلة
ان يلازم الوقف وقد روي عن ابي عمرو انه كان لا يصل فكان يوافق خط
المصحف وما بين الفواصل وقرا ابو عمرو ايضا وحمزة في الوصل والوقف الظنون
بغير الف وهذا هو الاصل وقرا ابن كثير والكساي وعاصم وابو عمرو بالالف
في الوقف وبحذفها في الوصل وعللوا الوقف بتساوي رؤوس الاي على نحو فعل
العرب في القوافي من الزيادة والنقص وقوله هنالك ظرف زمان والعامل فيه
ابتلي ومن قال ان العامل فيه وتظنون فليس قوله بالقوي لان البداءة ليست متمكنة
وابتلي معناه اختبر وامتحن الصابر منهم من الجازع وزلزلوا معناه حركوا
بعنف وقرا الجمهور زلزالا بكسر الزاي وقراها زلزالا بالفتح الجحدري
وكذلك زلزالها في اذا زلزلت وهذا الفعل هو مضاعف زل اي زلزله غيره
ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب ونبه عليهم على جهة الذم لهم
وروي عن يزيد بن رومان ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى
وقيصر ومكة ونحن الان لا يقدر احدنا ان يذهب الى الغايط ما يعدنا الا غرورا
اي امرا نغتر به ونوبقنا فيما لا طاقة لنا به وقال غيره من المنافقين نحو هذا فنزلت
الاية فيهم وقولهم الله ورسوله انما هو على جهة الهزء لانهم يقولون على زعم

هذا الذي انه يقول ويدل على ان من المحال ان يكون اعتقادهم ان ذلك
الوعد هو من الله ومن رسوله بل تصوبة بالغرور بل معناه على زعم هذا
قوله عز وجل وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون
إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها
إلا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد
الله مسؤولا ٥ هذه المقالة روي ان بني حارثة قالوها ويثرب قطر محدود
المدينة في طرف منه وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص عن عاصم ومحمد اليماني
والأعرج لا مقام بضم الميم بمعنى لا موضع إقامة وقرأ الباقون لا مقام بفتح الميم
بمعنى لا موضع قيام وهي قراءة أبي جعفر وشيبة وأبي رجاء والحسن وقتادة
والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة والمعنى في حومة القتال وموضع الممانعة فارجعوا
معناه إلى منازلكم وبيوتكم وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والفريق المستأذن روي ان أوس بن قيظي استأذن في ذلك
عن اتفاق من عشيرته فقال إن بيوتنا عورة أي منكشفة للعدو وقيل أراد
خالية للسراق ويقال أعور المنزل إذا انكشف ومنه قول الشاعر

له الشدة الأولى إذا القرن أعورا — قال ابن عباس الفريق بنو حارثة

وهم كانوا عاهدوا الله إثر أحد لا يولون الأدبار وقرأ ابن عباس وابن يعمر
وقتادة وأبو رجاء عورة بكسر الواو فيهما وهو اسم فاعل قال أبو الفتح
صحة الواو في هذه شاذة لأنها متحركة قبلها فتحة وقرأ الجمهور عورة ساكنة
الواو على أنه مصدر وصف به والبيت المعور هو المعرض لمن شاءه
بسوء فأخبر الله عن بيوتهم أنها ليست كما ذكروه وأن قصدهم الفرار وأن
ما أظهروه من أنهم يريدون حماية بيوتهم وخاصة نفوسهم ليس كذلك
وأنهم إنما يكرهون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون حربه

وأن يغلب ولو دخلت المدينة من أقطارها واشتد الخوف الحقيقي ثم
سئلوا الفتنة والحرب لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لطاروا إليها وأتوها
محبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها إلا يسيرا قيل قدر ما يأخذون سلاحهم
وقرأ الحسن البصري ثم سولوا الفتنة بغير همز وهي من سال يسال لغة
في سأل العين فيها واو وحكى أبو زيد هما يتساولان وروي عن الحسن سيلوا
الفتنة وقرأ مجاهد سويلوا بالمد وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر لأتوها بمعنى
لجاؤوها وقرأ عاصم وأبو عمرو لآتوها بمعنى لأعطوها من أنفسهم وهي قراءة
حمزة والكسائي لما كانت ردا على السؤال ومشبهة له قال الشعبي وقرأها النبي صلى
الله عليه وسلم بالمد ثم أخبر عنهم تعالى أنهم قد كانوا عاهدوا على الا يفروا
وروي عن يزيد بن رومان ان هذه اشارة إلى بني حارثة قال أبو محمد
وهم مع بني سلمة كانتا الطائفتين اللتان همتا بالفشل في يوم أحد ثم تابا
وعاهدا على أن لا يقع منهم فرار فوقع يوم الخندق من بني حارثة هذا ها
الاستئذان وفي قوله وكان عهد الله مسؤولا توعد والأقطار النواحي واحدها
قطر وقتر والضمير فيها يحتمل المدينة ويحتمل الفتنة **قوله تعالى** قل
لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا يمتعون إلا قليلا قل
من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم
هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا ٥ أمر الله نبيه في هذه الآية أن يخاطبهم
توبيخا فأعلمهم أن الفرار لا ينجيهم من القدر وأعلمهم أنهم لا يمتعون في تلك
الأوطان كثيرا بل تنقطع أعمارهم في يسير من المدة والقليل الذي استثناه
هي هذه الآجال قاله الربيع بن خيثم ثم وقفهم على عاصم من الله يستندون إليه
ثم حكم بأنهم لا يجدون ذلك ولا وليا ولا نصيرا من الله عز وجل وقرأت فرقة
يمتعون بالياء وقرأت فرقة تمتعون بالتاء على المخاطبة وجميعها إخباره ان

الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم
بالاقوال والافعال من ذلك ويسعون على الدين ويقول عامتي امر اذا او عوتني
إذا بالغت وضعفت العقل واما القائلون فاختلف الناس في حالهم فقال
ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه في النسب وقرابته
هلم الينا الى المنازل والاكل والشرب وترك القتال وروى ان جماعة
منهم فعلت ذلك وروي ان رجلا من المؤمنين رجع الى داره فوجد اخا
له منافقا بين يديه رغيف وشواء ونبيذ فقال له تجلس يا فلان هكذا ورسول
الله في القتال فقال له اخوه هلم الي ما انا فيه يا فلان ودعنا من محمد فقد والله
هلك وما له قبل باعدائه فشتمه اخوه وقال والله لاعرفن رسول الله
فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الاية قد نزلت وقالت فرقة بل اراد
من كان من المنافقين يداخل كفار قريش والعرب فانه كان منهم من داخلهم
وقال لهم هلم الينا اي الى المدينة فانكم تغلبون محمدا وتستاصلونه فالاخوان
على هذا هم في الكفر والمذهب السوء وهلم معناه الدعاء الى الشيء ومن العرب
من يستعملها على حد واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجميع وهذا على انها اسم
فعل وهذه لغة اهل الحجاز ومنهم من يجريها مجرى الافعال فيلحقها الضماير المختلفة
فيقول هلم وهلمي وهلموا واصل هلم ها المم نقلت حركة الميم الى اللام
فاستغني عن الالف وادغمت الميم في الميم لسكونهما فجاء هلم وهذا مثل تعليل
ردّ من اردد والباس القتال والا قليلا معناه الا اتيانا قليلا وقلته يحتمل ان
تكون لقصر مدته وقلة ازمنته ويحتمل ان تكون لخساسته وقلة غنايه وانه
رياء وتلميع لا تحقيق قوله عز وجل اشحة عليكم فاذا جاء الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب
الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله
اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ٥ اشحة جمع شحيح ونصبه على الحال

من القائلين او من فعل مضمر دل عليه المعوقين او من الضمير في ياتون او على الذم
وقد منع بعض النحاة ان يعمل في هذه الحال المعوقين او القائلين لمكان
التفريق بين الصلة والموصول بقوله ولا ياتون الباس وهو غيره داخل
في الصلة وهذا الشح قيل هو بانفسهم يشحون على المؤمنين بها وقيل هو باحوالهم
وقيل باموالهم في النفقات في سبيل الله وقيل بالغنيمة عند القسم والصواب تعميم
الشح ان يكون بكل ما فيه للمؤمنين منفعة وقوله فاذا جاء الخوف قيل معناه
فاذا قوي الخوف من العدو وتوقع ان يستاصل جميع اهل المدينة لاذ هؤلاء
المنافقون بك ينظرون نظر الهلع المختلط كنظر الذي يغشى عليه فاذا ذهب
ذلك الخوف العظيم وتنفس المختنق سلقوا اي خاطبوا مخاطبة بليغة يقال
خطيب سلاق ومسلاق ومسلق ولسان سلق كذلك إذا كان فصيحا مقتدرا
وقرا ابن ابي عبلة صلقوكم بالصاد ووصف الالسنة بالحدة لقطعها المعاني ونفوذها
في الاقوال وقالت فرقة معنى قوله فاذا جاء الخوف اي إذا كان المؤمنون في
قوة وظهور وخشي هؤلاء المنافقون سطوتك يا محمد بهم رايتهم يصانعون
وينظرون اليك نظر فازع منك خايف هلع فاذا ذهب خوفك عنهم باشتغال
بعدو ونحوه كما كان مع الاحزاب سلقوكم حينيذ واختلف الناس في المعنى
الذي فيه يسلقون فقال يزيد بن رومان وغيره ذلك في اذى المؤمنين وسبهم
وتنقص الشرع ونحو هذا وقال قتادة ذلك في طلب العطاء من الغنيمة والالحاف
في المسالة قال ابو محمد وهذان القولان يترتبان مع كل واحد من
المنافقين المتقدمين في الخوف وقالت فرقة السلق هو في مخادعة المؤمنين
بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة وقوله اشحة حال من الضمير
في سلقوكم وقوله على الخير يدل على عموم الشح في قوله اولا اشحة عليكم
وقيل في هذا معناه اشحة على مال الغنايم وهذا مذهب من قال ان الخير في
كتاب الله حيث وقع فهو بمعنى المال وقرا ابن ابي عبلة اشحة بالرفع من اجل

تعالى عنهم انهم لم يؤمنوا ولا كمل تصديقهم وجمهور المفسرين على ان هذه
الاشارة الى منافقين لم يكن لهم قط ايمان ويكون قوله فاحبط الله اي
انه لم تقبل قط فكانت كالمحبطة وحكى الطبري عن ابن زيد عن ابيه انه قال نزلت
في رجل بدري نافق بعد ذلك ووقع في هذه المعاني فاحبط الله عمله في بدر
وغيرها قال ابو محمد وهذا فيه ضعف والاشارة بذلك في قوله وكان
ذلك على الله يسيرا يحتمل ان تكون الى احباط عمل هؤلاء المنافقين ويحتمل ان تكون
الى حالة حالهم التي وصف من شحهم ونظرهم وغير ذلك من اعمالهم اي امرهم
يسير لا يبالى به ولا له اثر في دفع خير ولا جلب شر قوله تعالى يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسالون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ۝
الضمير في يحسبون للمنافقين والمعنى انهم من الجزع والفزع بحيث رحل الاحزاب
وهزمهم الله تعالى وهؤلاء يظنون انها من الخدع وانهم لم يذهبوا بل يريدون
الكرة الى غلبة المدينة ثم اخبر تعالى عن معتقد هؤلاء المنافقين انه ودهم لو اتى الاحزاب
وحاصروا المدينة ان يكونوا هم قد خرجوا الى البادية في جملة الاعراب
وهم اهل العمود والرحيل من قطر الى قطر ومن كان من العرب مقيما بارض مستوطنا
فلا يسمون اعرابا وغرضهم من البداوة ان يكونوا سالمين من القتال وقرا ابن
عباس وطلحة بن مصرف لو انهم بدى في الاعراب بتشديد الدال منونة وهو
جمع باد كغاز وغزى وروى عن ابن عباس لو انهم بدوا وقرا اهل مكة ونافع
وابن كثير والحسن يسلون اي يتردد عليهم وقرا ابو عمرو وعاصم والاعمش
والحسن بخلاف يسالون خفيفة بغير همز على نحو قوله تعالى سل بني اسرائيل وقرا
الجحدري في الامام يتساءلون ثم سلى الله تعالى عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم
لو حضروا لما اغنوا ولما قاتلوا الا قليلا لا نفع له قال الثعلبي هو قليل من حيث

هو رياء من غير حسبة ولو كان لله لكان كثيرا ثم اخبر تعالى على جهة الموعظة
بان كل مسلم ومدع في الاسلام لقد كان يجب ان يقتدي بمحمد صلى الله عليه وسلم
حين قاتل وصبر وجاد بنفسه وقرا جمهور الناس اسوة بكسر الهمزة وقرا
عاصم وحده اسوة بضم الهمزة وهما لغتان ومعناه قدوة وتاسى الرجل اذا
اقتدى ورجا الله تابع للمعرفة به ورجا اليوم الاخر ثمرة للعمل الصالح وذكر
الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه وفي مصحف عبد الله بن مسعود يحسبون
الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا انهم بادون في الاعراب
قوله عز وجل ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ان الله كان غفورا رحيما ۝ وصف الله تعالى فعل المؤمنين حين راوا
الجمع واختلف في مراد المؤمنين بوعد الله ورسوله لهم فقالت فرقة
ارادوا ما اعلمهم به رسول الله حين امر بحفر الخندق فانه اعلمهم بانهم
يحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك
فلما راوا الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله فسلموا لاول الامر وانتظروا
اخره وقالت فرقة ارادوا بوعد الله ما نزل في سورة البقرة من قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب قال ابو محمد ويحتمل ان يكون المؤمنون نظروا في هذه
الاية وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند امرهم بحفر الخندق واشاروا
بالوعد الى جميع ذلك وهي مقالتان احداهما من الله والاخرى من رسوله
وزيادة الايمان هنا هي في اوصافه لا في ذاته لان ثبوته وابعاد الشكوك والشبه

عنه زيادة في أوصافه ويحتمل أن يريد أنه لم يزدهم ما وقع وما أخبرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يقع فتكون الزيادة بهذا الوجه مما يؤثر به لا في
نفس الإيمان وقرأ ابن أبي عبلة وما زادهم بواو جمع والتسليم الانقياد لأمر
الله تعالى فصح ما ذكرناه من أن المؤمنين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عند اشتداد ذلك الخوف يا رسول الله إن هذا أمر
عظيم فهل من شيء نقوله فقال قولوا اللهم آمن روعتنا واستر عورتنا
فقالها المسلمون في تلك الضيقات ثم أثنى عز وجل على رجال من المؤمنين عاهدوا
الله على الاستقامة التامة ووفوا وقضوا نحبهم أي نذرهم وعهدهم والنحب
في كلام العرب النذر والشيء الذي يلتزمه الإنسان ويعتقد الوفاء به ومنه قول
الشاعر ؛؛ قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر ؛؛ المعنى أنه التزم القتال إلى فتح
أو موت فمات ومن ذلك قول جرير
؛؛ بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب ؛؛ أي على أمر
عظيم التزم القيام به كأنه خطر عظيم وشبهه وقد يسمى الموت نحبا وبه فسر
ابن عباس هذه الآية وقال الحسن قضى نحبه مات على ما عهد ويقال للذي جاهد
في أمر حتى مات قضى فيه نحبه ويقال لمن مات قضى نحبه وهذا تجوز كأن الموت
أمر لا بد للإنسان أن يقع فيه فسمي نحبا لذلك فممن سمى المفسرون أنه أشير
إليه بهذه الآية أنس بن النضر عم أنس بن مالك وذلك أنه غاب عن بدر فساءه
ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما أصنع
فلما كان أحد أبلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانون جرحا فقالت فرقة
إن هذه الإشارة هي إلى أنس بن النضر ونظرائه ممن استشهد في ذات الله تعالى
وقال مقاتل والكلبي الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم أهل العقبة
السبعون أهل البيعة وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوا بعهود الإسلام على التمام فالشهداء منهم

والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم إلى من
حصل في هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة ما روي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان على المنبر فقال له أعرابي يا رسول الله من الذي
قضى نحبه فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم دخل طلحة بن عبيد الله
على باب المسجد وعليه ثوبان أخضران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين
السائل فقال ها أنا ذا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال أبو محمد
فهذا أدل دليل على أن النحب ليس من شروطه الموت وقال معاوية بن أبي
سفيان إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لطلحة ممن قضى نحبه وروت
هذا المعنى عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ومنهم من ينتظر يريد
منهم من ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح وهو بسبيل ذلك
وما بدلوا أي ولا غيروا ثم أكد بالمصدر وقرأ ابن عباس على منبر البصرة ومنهم
من بدل تبديلا رواه عنه أبو نضرة وروى عنه عمرو بن دينار ومنهم من ينتظر
وآخرون بدلوا تبديلا واللام في قوله ليجزي لام الصيرورة والعاقبة ويحتمل
أن تكون لام كي ويعذب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى
موتهم والتوبة موازية لتلك الإدامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب
فهما درجتان إدامة على نفاق أو توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة
فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هذين وواحدة من هذين ودل
ما ذكر على ما ترك ذكره ويدلك على أن معنى قوله ليعذب ليديم على النفاق
قوله إن شاء ومعادلته بالتوبة وحرف أو ولا يجوز أحد أن شاء يحتم في تعذيب
منافق على نفاقه قد حتم الله على نفسه تعذيبه **قوله تعالى** ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا
وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا ٥ عدّ الله تعالى في هذه الاية
نعمه على المؤمنين في هزم الاحزاب وان الله ردهم بغيظهم لم يشفوا منه
شيئا ولا نالوا امرا ارادوا وكفى كل مؤمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقاتل الاحزاب وروي ان المراد بالمؤمنين هنا علي بن ابي طالب وقوم
معه عنوا للقتال وبرزوا ودعوا اليه وقتل علي رجلا من المشركين اسمه
عمرو بن عبد ود فكفاهم الله مداومة ذلك وعودته بان هزم الاحزاب
بالريح والملائكة وصنع ذلك بقوته وعزته قال ابو سعيد الخدري حبسنا
يوم الخندق فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشا حتى كان بعد
هوي من الليل كفينا وانزل الله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام وصلى الظهر فاحسنها ثم كذلك كل صلاة باقامة
اقامة وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم يريد بني قريظة باجماع المفسرين
قال الرماني وقال الحسن الذين انزلوا من صياصيهم بنو النضير وقال الناس
هم بنو قريظة وذلك انهم لما غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهروا
الاحزاب عليه اراد الله النقمة منهم فلما ذهب الاحزاب جا جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر فقال يا محمد ان الله يامرك بالخروج الى
بني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقال لهم لا يصلين احد
العصر الا في بني قريظة فخرج الناس اليها ووصلها قوم من الصحابة بعد العشا
وهم لم يصلوا العصر وقوفا مع لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلم يخطئهم الله عز
وجل في ذلك وصلى قوم في الطريق وراوا ان قول النبي صلى الله عليه وسلم انما خرج
مخرج التاكيد فلم يخطئهم ايضا وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة
خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ الاسدي وكان بينهم وبين الأوسي
الاوس حلف فرجوا حنوه عليهم فحكم فيهم سعد بان تقتل المقاتلة وتسبى
الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار للمهاجرين دون

الانصار فقالت له الانصار في ذلك فقال اردت ان تكون لهم اموال
كما لكم اموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمت فيهم
بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجالهم فاخرجوا ارسالا وضربت اعناقهم وهم من الثمان مائة الى التسع
مائة وسيق فيهم حيي بن اخطب النضري وهو الذي كان ادخلهم في الغدر
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب الاحزاب دخل عندهم ووفا لهم
ن فاخذه الحصر حتى نزل فيمن نزل على حكم سعد فلما قرب وعليه حلتان فقاحيتان
ويداه مجموعة الى عنقه ابصر رسول الله فقال له يا محمد والله ما لمت نفسي
في عداوتك ولقد اجتهدت ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس
انه لا باس امر الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم تقدم فضربت
عنقه وفيه يقول جبل بن جوال الثعلبي

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ؞ ولكنه من يخذل الله يخذل ؞
لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها ؞ وقلقل يبغي العز كل مقلقل ؞

وظاهروهم
معناه عاونوهم وقرا عبد الله بن مسعود الذين آزروهم وهي بمعنى ظاهروهم
والصياصي الحصون واحدها صيصة وهي كل ما يمتنع به ومنه يقال لقرون
البقر الصياصي والصياصي ايضا شوك الحاكة وتتخذ من حديد ومنه قول دريد
بن الصمة ؞ كوقع الصياصي في النسيج الممدد ؞ والفريق المقتول الرجال
المقاتلة والفريق المأسور العيال والذرية وقرا الجمهور وتاسرون بكسر
السين وقراها ابو حيوة تاسرون بضم السين وقوله اورثكم استعارة
من حيث حصل ذلك لهم بعد موت الاخرين ومن قبلهم وقوله وارضا
لم تطؤها يريد بها البلاد التي فتحت على المسلمين بعد كالعراق والشام واليمن
ومكة فوعد الله تعالى بها عند فتح حصون بني قريظة واخبر انه قد قضى بذلك
قاله عكرمة وذكر الطبري عن فرقة انهم خصصوا ذلك فقال الحسن

ابن أبي الحسن أراد الروم وفارس وقال قتادة كنا نحدث أنها مكة
وقال يزيد بن رومان ومقاتل وابن زيد هي خيبر وقالت فرقة اليمن
قال ـــ أبو محمد ولا وجه لتخصيص شيء من ذلك دون شيء قوله تعالى
يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن
وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة
فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ۝ اختلف الناس في سبب هذه
الآية فقال قتادة سببها غيرة غارتها عائشة وقال ابن زيد وقع من أزواجه
عليه السلام تغاير ونحوه مما شقي هو به فنزلت بسبب ذلك وليسر الله له
أن يصرف إرادته في أن يؤذي البر منا وقال أبو الزبير نزل ذلك بسبب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أزواجه النفقة وتسلطن في طلبه
منها فوق وسعه وقالت فرقة بل بسبب ذلك أنهن طلبن منه ثيابا وملابس
وقالت واحدة لو كنا عند غير النبي لكان لنا حلي ومتاع وقال بعض الناس هذه
الآية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلاوتها عليهن وتخييرهن بين الدنيا
والآخرة وأمر الطلاق مرجا فلو اخترن أنفسهن نظر هو كيف يسرحهن
وليس فيها تخييرهن في الطلاق لأن التخيير يتضمن ثلاث تطليقات وهو قد قال
وأسرحكن سراحا جميلا وليس مع بت الطلاق سراح جميل وقالت فرقة
بل الآية تخيير واخترنه فلم يعد ذلك طلاقا وهو قول عائشة أيضا واختلف
الناس في التخيير إذا اختارت المرأة نفسها فقال مالك هي طالق ثلاثا ولا مناكرة
للزوج خلاف التمليك وقال غيره هي طلقة بائنة وقال بعض الصحابة إذا
خير الرجل امرأته فاختارته فهي طلقة وهذا ضعيف جدا وقوله تعالى
إن كنتن تردن الحياة الدنيا أي إن كانت عظم همتكن ومطلبكن أي
التعمق فيها والنيل من نعيمها وزينة الدنيا المال والبنون وتعالين دعاء وأمتعكن
معناه أعطيكن المتاع الذي ندب الله إليه في قوله ومتعوهن وأكثر الناس

على أنها من المندوب إليه وقالت فرقة هي واجبة والسراح الجميل يحتمل أن
يكون ما دون بت الطلاق ويحتمل أن يكون في نفسه جميل المعتقد وحسن
العشرة وجميل الثناء وإن كان من الطلاق بائنا وأعد معناه يسر وهيأ
والمحسنات الطائعات قال ـــ أبو محمد وأزواج النبي اللواتي نزلت الآية
فيهن تسع خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن
الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية
وأربع من غير قريش ميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب
الخيبرية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية قال
أبو محمد وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من الإيلاء الشهر
ونزلت عليه هذه الآية بدأ بعائشة فقال يا عائشة إني ذاكر لك أمرا ولا
عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم تلا عليها الآية فقالت له وفي أي هذا
أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت وقد علم أن أبوي
لا يأمراني بفراقه ثم تتابع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على مثل قول عائشة
فاخترن الله ورسوله رضي الله عنهن قوله عز وجل يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا
ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها
رزقا كريما يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ۝ قال أبو رافع كان
عمر كثيرا ما يقرأ سورة يوسف وسورة الأحزاب في الصبح فكان إذا بلغ يا نساء
النبي رفع بها صوته فقيل له فقال أذكرهن العهد وقرأ الجمهور من يأت
بالياء وكذلك من يقنت حملا على لفظ من وقرأ عمرو بن فائد والجحدري
ويعقوب من تأت ومن تقنت بالتاء منقوطة من فوق حملا على المعنى وقال قوم
الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط وإذا وردت منكرة فهي

سائر المعاصي وكل ما يستفحش وإذا وردت منعوتة بالبيان فهو عقوق
الزوج وفساد عشرته ولذلك نصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها والزنا
وغيره مما يستتر به ولا يكون مبينا ولا محالة أن الوعيد واقع على ما خفي
منه وما ظهر وقالت فرقة بل قوله فاحشة مبينة يعم جميع المعاصي وكذلك
الفاحشة كيف وردت ولما كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مهبط
الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب
مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الأجر والعذاب والإشارة
بالفاحشة إلى الزنا وغيره وقرأ ابن كثير وشبل وعاصم مبينة بفتح الياء وقرأ
نافع وأبو عمرو فيما روي عنه خارجة نضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب
وهي قراءة ابن محيصن وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت
وقرأ نافع وحمزة والكسائي يضاعف بالياء وفتح العين العذاب رفعا
وقرأ أبو عمرو يضعف على بناء المبالغة بالياء العذاب رفعا وهي قراءة الحسن
وابن كثير وعيسى وقرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين المشددة
العذاب نصبا وهي قراءة الجحدري وقوله ضعفين معناه يكون العذاب عذابين
أي يضاعف إلى العذاب سائر الناس عذاب آخر مثله وقال أبو عبيدة وأبو عمرو
فيما حكى الطبري عنهما بل يضاعف إليه عذابان مثله فيكون ثلاثة أعذبة
وضعفه الطبري وكذلك هو غير صحيح وإن كان له باللفظ تعلق احتمالي
وكون الأجر مرتين مما يفسد هذا القول لأن العذاب في الفاحشة بإزاء
الأجر في الطاعة والإشارة بذلك إلى تضعيف العذاب ويقنت معناه
يطيع ويخضع بالعبودية قاله الشعبي وقتادة وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم
وأبو عمرو وابن عامر يقنت بالياء وتعمل بالتاء نؤتها بالنون وهي قراءة الجمهور
قال أبو علي أسند يقنت إلى ضمير فلما تبين أنه لمؤنث حمل وتعمل على المعنى
وقرأ حمزة والكسائي كل الثلاثة المواضع بالياء حملا في الأولين على لفظ من

وهي قراءة الأعمش وأبي عبد الرحمن وابن وثاب وقرأ الأعمش فسوف يؤتها
الله أجرها والأعتاد التيسير والإعداد والرزق الكريم الجنة ويجوز
أن يكون ذلك وعدا دنياويا أي أن رزقها في الدنيا على الله وهو كريم من حيث
هو حلال وقصد وبرضى من الله في نيله وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعد
به ضعفين هو عذاب الدنيا ثم عذاب الآخرة وكذلك الأجر قال
أبو محمد وهذا ضعيف اللهم إلا أن يكون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع
عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة على ما هي حال الناس عليه بحكم حديث عبادة
بن الصامت وهذا أمر لم يرو في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره
ثم خاطبهن الله تعالى بأنهن لسن كأحد من نساء عصرهن فما بعد بل أفضل بشرط
التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن
وإنما خصص النساء لأن فيمن تقدم آسية ومريم فتأمله وقد أشار إلى هذا قتادة
ثم نهاهن الله عما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم
القول ولا تخضعن بالقول معناه لا تلن وقد يكون الخضوع في القول في نفس
الألفاظ ورخامتها وهيئتها وإن لم يكن المعنى مريبا والعرب تستعمل لفظة
الخضوع بمعنى الميل في الغزل ومنه قول ليلى الأخيلية حين قال لها الحجاج هل
رابك قط من توبة شيئا تنكرينه قالت لا والله أيها الأمير إلا أنه أنشدني يوما
شعرا ظننت منه أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشدته أنا
وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل الحكاية وقال
بن زيد خضع القول ما يدخل في القلوب الغزل وقرأ الجمهور فيطمع بالنصب على
أنه نصب بالفاء في جواب النهي وقرأ الأعرج وأبان بن عثمان فيطمع بالجزم
وكسر للالتقاء وهذه فاعطف محضة وكأن النهي دون جواب ظاهر وقراءة
الجمهور أبلغ في النهي لأنها تعطي أن الخضوع سبب الطمع قال أبو عمرو الداني
قرأ الأعرج وعيسى بن عمر فيطمع بفتح الياء وكسر الميم والمرض في هذه الآية قال

قتادة هو النفاق وقال عكرمة الفسق والغزل وهذا أصوب وليس للنفاق
مدخل في هذه الآية والقول المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا
النفوس قوله عز وجل وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ۝ قرأ الجمهور وقرن بكسر القاف
وقرأ عاصم ونافع وقرن بالفتح فأما الأولى فيصح أن تكون من الوقار تقول
وقر يقر فيقرن مثل عدن أصله أوقرن ويصح أن تكون من القرار تقول قررت
بالمكان بفتح اللام أقر فأصله اقررن حذفت الراء الواحدة تخفيفا كما
قالوا في ظللت ظلت ونقلوا حركتها إلى القاف واستغني عن ألف الوصل وقال أبو علي
بل على أن تبدل الراء ياء ونقلت حركتها إلى القاف ثم حذفت الياء لسكونها وسكون
الراء بعدها وأما قراءة من فتح القاف فعلى لغة العرب قررت بكسر الراء أقر بفتح
القاف في المكان وهي لغة ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف وذكرها الزجاج
وغيره وأنكرها قوم منهم المازني وغيره قالوا وإنما يقال قررت بكسر
الراء من قرة العين وأما من القرار فإنما هو قررت بفتح الراء وقرأ عاصم في
بيوتكن بكسر الباء وقرأ ابن أبي عبلة واقررن بألف وصل وراءين الأولى مكسورة
فأمر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وأعلم
أنه فعل الجاهلية الأولى وذكر الثعلبي وغيره أن عائشة رضي الله عنها كانت
إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها وذكر أن سودة قيل لها لم لا تحجين
وتعتمرين كما تفعل أخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في
بيتي قال الراوي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها
قال أبو محمد وبكاء عائشة رضي الله عنها إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل
وحينئذ قال لها عمار إن الله قد أمرك أن تقري في بيتك والتبرج إظهار
الزينة والتصنع بها ومنه البروج لظهورها وانكشافها للعيون واختلف

روي أنها ما [illegible] للجمار
حين [illegible]
[illegible] الحمية الذي
حملني كل ذلك على [illegible]
[illegible] للإصلاح [illegible]
والمجتهد مأجور [illegible]

الناس في الجاهلية الأولى فقال الحكم بن عيينة ما بين آدم ونوح وإبراهيم
وقال ابن عباس ما بين نوح وإدريس وذكر قصصا وقالت فرقة ما بين موسى
وعيسى وقال عامر الشعبي ما بين عيسى ومحمد وقال أبو العالية هي زمن داود
وسليمان كان فيه للمرأة قميص من الدر غير مخيط الجانبين قال أبو محمد
والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن
فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم
فكان أمر النساء دون حجبة وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام وليس
المعنى أن ثم جاهلية أخرى وقد مر اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام
فقالوا جاهلي في الشعراء وقال ابن عباس في البخاري سمعت أبي في الجاهلية
يقول إلى غير هذا والرجس اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات
والنقائص فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت ونصب أهل البيت على المدح
أو على النداء للمضاف أو بإضمار أعني واختلف الناس في أهل البيت من هم
فقال عكرمة ومقاتل وابن عباس هم زوجاته خاصة لا رجل معهن وذهبوا
إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة هي الجمهور
أهل البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وفي هذا أحاديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وفاطمة والحسن والحسين ومن
حجة الجمهور قوله عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن
قال أبو محمد والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن من ذلك البتة فأهل
البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها وهذه الآية تقتضي أن الزوجات
من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن أما أن أم سلمة قالت نزلت
هذه الآية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا
فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال هؤلاء أهل بيتي وقرأ الآية وقال اللهم أذهب

لا حجة في [illegible]
[illegible] الذكر
[illegible] لتغليب الأهل
[illegible]
[illegible]
أهل البيت [illegible]

عنهم الرجس ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة فقلت وأنا يا رسول الله فقال
أنت من أزواج النبي وأنت إلى خير وقال الثعلبي قيل هم بنو هاشم فهذا على أن البيت
يراد به بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم وروي
نحوه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه **قوله عز وجل** واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا إن المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين
والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ه اتصال هذه الألفاظ التي هي واذكرن
يعطي أن أهل البيت نساؤه وعلى قول الجمهور هي ابتداء مخاطبة أمر الله تعالى
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة وتعديد النعمة بذكر ما يتلى
في بيوتهن ولفظ الذكر هنا يحتمل مقصدين كلاهما موعظة وتعديد نعمة
أحدهما أن يريد اذكرن أي تذكرنه واقدرنه قدره وفكرن في أن من هذه
حاله ينبغي أن تحسن أفعاله والآخر أن يريد اذكرن بمعنى احفظن واقرأن
والزمنه الألسنة فكأنه يقول واحفظن أوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي
يتلى في بيوتكن من آيات الله وذلك مؤد بكن إلى الاستقامة والحكمة هي
سنة الله على لسان نبيه دون أن يكون في قرآن متلو ويحتمل أن يكون وصفا
للآيات وفي قوله لطيفا تأنيس وتعديد نعمة أي لطف بكن في هذه النعمة
وفي قوله خبيرا تحذير ما وقوله تعالى إن المسلمين والمسلمات الآية روي
عن أم سلمة أن سبب هذه الآيات أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
يذكر الله تعالى الرجال في كتابه في كل شيء ولا يذكرنا فنزلت الآية في ذلك وروى
قتادة أن نساء من الأنصار دخلن على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقلن لهن
ذكركن الله تعالى في القرآن ولم يذكر سائر النساء بشيء فنزلت الآية وذلك

فذكر عن ابن عباس أن نساء النبي قلن ما له تعالى يذكر المؤمنين ولا يذكر
المؤمنات فنزلت الآية وذلك وبدأ تعالى بذكر الإسلام الذي يعم الإيمان
وعمل الجوارح ثم ذكر الإيمان تخصيصا له وتنبيها على أنه عظم الإسلام ودعامته منه
والقانت العابد المطيع والصادق معناه فيما عوهد عليه أن يفي به ويكمله
والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط والخاشع الخائف
لله المستكين لربوبيته الوقور والمتصدق بالفرض والنفل وقيل هي في
الفرض خاصة والأول أمدح والصائم كذلك في الفرض والنفل وحفظ
الفرج صونه من الزنا وشبهه ويدخل مع ذلك الصيانة من جميع ما يؤدي إلى
الزنا وهو في طريقه وفي قوله الحافظات حذف ضمير يدل عليه المتقدم
تقديره والحافظاتها وفي الذاكرات [illegible] والمغفرة هي ستر ذنوبهم
والصفح عنها والأجر العظيم الجنة **قوله عز وجل** وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن
يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت
عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا
يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا
وكان أمر الله مفعولا ه قوله وما كان لفظة النفي ومعناه الحظر
والمنع من فعل هذا وهذه العبارة ما كان وما ينبغي ونحوها تجيء لحظر الشيء
والحكم بأنه لا يكون وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلا كقوله تعالى
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان
لبشر أن يكلمه الله وربما كان حظره بحكم شرعي كهذه الآية وربما كان
في المندوبات كما تقول ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا وسبب
هذه الآية فيما قال قتادة وابن عباس ومجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب

زينب بنت جحش وظنت ان الخطبة لنفسه فلما تبين انه انما يريدها لزيد بن حارثة
كرهت وابت فنزلت الآية فاذعنت زينب حينئذ وتزوجته وقال ابن زيد
انما نزلت بسبب ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي فزوجها
من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فزوجنا غيره فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد
والخيرة مصدر بمعنى التخير وهذه الآية في ضمن قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وهذه الآية تقوي قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة
ان تكون ما نافية لا موصولة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو جعفر وشيبة
والاعرج وعيسى ان تكون بالتاء على لفظ الخيرة وقرا عاصم وحمزة والكسائي
والحسن والاعمش وابو عبد الرحمن ان يكون على الخيرة وان تانيثها غير
حقيقي وقوله في الآية الاخرى ما كان لهم الخيرة دون علامة تانيث تقوي
هذه القراءة التي بالياء ثم توعد عز وجل واخبر ان من يعص الله ورسوله فقد
ضل وهذا العصيان يعم الكفر فما دونه وكل عاص فاخذ من الضلال ل
بقدر معصيته ثم عاتب تعالى نبيه بقوله واذ تقول الآية واختلف الناس
في تاويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري
وغيره الى ان النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب وهي في عصمة زيد
وكان حريصا على ان يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم ان زيدا لما اخبره بانه
يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان امر واذى باللسان وتعظما
بالشرف قال له اتق الله اي فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك وهو
يخفي الحرص على طلاق زيد اياها وهذا هو الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم
ما يجب من الامر بالمعروف وقالوا اخشى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالة الناس
في ذلك فعاتبه الله على جميع هذا وقرا ابن ابي عبلة ما الله مظهره وقال الحسن ما
نزل على رسول الله شيء اشد عليه من هذه الآية وقال هو وعائشة لو كان رسول

الله كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه وروى ابن زيد في
هذا القول ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب زيدا في داره فلم يجده ورأى زينب
فاعجبته فقال سبحان الله مقلب القلوب قال ابو محمد وفي هذه القصة
اشيا تطول ذكرها وهذا الذي ذكرنا يستوفي لغايتها وذهب قوم من المتاولين
الى ان الآية لا كبير عتب فيها وروي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان قد اوحى الله اليه ان زيدا يطلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله اي في اقوالك
وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها وهذا هو الذي اخفى في نفسه
ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها
فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس في شيء قد اباحه الله له وان قال امسك
عليك مع علمه انه يطلق واعلمه الله انه احق بالخشية اي في كل حال وقوله انعم
الله عليه يعني بالاسلام وغير ذلك وقوله انعمت عليه يعني بالعتق وهو زيد بن حارثة
وزينب هي بنت جحش بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اعلم تعالى انه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين في ازواج
ادعيائهم وليبين انها ليست بحرمة البنوة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لزيد ما احد في نفسي اوثق منك فاخطب زينب علي قال فذهبت ووليتها ظهري توقيرا
للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي
فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها النبي ودخل بها والوطر الحاجة
والبغية والاشارة هنا الى الجماع وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم زوجناكها قال ابو محمد وذهب بعض الناس من هذه الآية ومن قول
شعيب اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الى ان ترتيب هذا المعنى في المهور ينبغي
ان يكون انكحه اياها فيقدم ضمير الزوج كما في الآيتين وهذا عندي غير لازم لان الزوج

في الآية تخاطب مجلس تقدمه وفي المهود الزوجان غايبان فقد مرّ شيء
ولم يبق ترجيح لا بدرجة الرجال وانهم القوامون وقوله وكان امر الله
مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم امر الله او مضي امر الله والا
فالامر قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل على بعد ان يكون الامر واحد
الامور اي التي شاها ان تفعل وروي ان عايشة وزينب تفاخرتا فقالت
عايشة انا التي سبقت صفتي لرسول الله من الجنة في سرقة حرير وقالت
زينب انا التي زوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب
تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة
تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان الله انكحك اياي من السما وان السفير
في ذلك جبريل **قوله عز وجل** ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة
الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شي عليما يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم
وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما تحيتهم يوم
يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما ٥ هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم
انه لا حرج على رسول الله في نيل ما فرض الله له واباحه من تزوجه لزينب بعد
زيد ثم اعلم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم في الانبيا من ان ينالوا ما احله
الله لهم وحكى الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي ان الاشارة الى داود عليه السلام حيث
جمع الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب على المصدر او على اضمار فعل تقديره الزم
او نحوه او على الاغرا كانه قال فعليه سنة الله والذين خلوا هم الانبيا بدليل
وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله وامر الله في هذه الاية اي مامورات
الله والكاينات عن امره فهي مقدورة وقوله قدرا فيه حذف مضاف

اي ذا قدر وعن قدر وقرا ابن مسعود الذين بلغوا رسالات الله وقوله
ولا يخشون احدا الا الله تعريض بالعتاب الاول في خشية النبي صلى الله عليه
وسلم الناس ثم رد الامر كله الى الله وانه المحاسب على جميع الاعمال والمعتقدات
وكفى به لا اله الا هو ويحتمل ان يكون حسيبا بمعنى محسب اي كافيا وقوله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى قوله كريما اذهب الله بهذه الاية
ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم من تقد تزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب زوجة دعيه زيد بن حارثة لانهم كانوا استعظموا ان تزوج
زوجة ابنه فنفى القران تلك البنوة واعلم ان محمدا لم يكن في حقيقة امره
ابا احد من رجال المعاصرين له ولم يقصد بهذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في امر بنيه بانهم كانوا ماتوا ولا في امر
الحسن والحسين بانهما كانا طفلين ومن احتج بذلك فانه تأول نفي البنوة
عنه بهذه الاية على غير ما قصد بها وقرا ابن ابي عبلة وبعض الناس ولكن رسول
الله بالرفع على معنى هو رسول الله وقرا نافع وابو عمرو وعاصم والاعرج
وعيسى رسول الله بالنصب على العطف على ابا وهولا قرووا ولكن بالتخفيف
وقرات فرقة ولكن بشد النون ونصب رسول على انه اسم لكن والخبر
محذوف وقرا عاصم وحده والحسن والشعبي والاعرج بخلاف وخاتم
بفتح التا بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم وقرا الباقون
والجمهور وخاتم بكسر التا بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وروت عايشة
انه عليه السلام قال انا خاتم الانبيا بفتح التا وروي عنه عليه السلام انه قال
انا خاتم الف نبي وهذه الالفاظ عند جماعة علما الامة خلفا وسلفا متلقاه
على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي
ابن الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الاية ضعيف
وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد

قال [illegible] خاتم [illegible] [illegible] هذا [illegible] [illegible] بعده [illegible] [illegible] تخصيص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذا الكلام [illegible] [illegible] [illegible]

إلحاد عندي ونطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله
عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته وقرأ ابن مسعود من
رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح
من لم يصلح به فميؤوس من صلاحه وقوله وكان الله بكل شيء عليما عموم والمقصد
به هنا علمه تعالى بما رآه الأصلح لمحمد وبما قدره في الأمر كله ثم أمر الله عباده
بأن يذكروه ذكرا كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولته على العبد
ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على
عقله وقال الكثير أن لا ينساه أبدا وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقوله وسبحوه بكرة وأصيلا أراد في كل
الأوقات تحدد الزمن بطرفي نهاره وليله وقال قتادة والطبري وغيره
الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر قال أبو محمد وهذه الآية مدنية
فلا تعلق بها لمن زعم أن الصلاة إنما فرضت أولا صلاتين في طرفي النهار
والرواية بذلك ضعيفة والأصيل من العصر إلى الليل ثم عدد تعالى على عباده
نعمته في الصلاة عليهم وصلاة الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه ونشر عليه
الثناء الجميل وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين وروت فرقة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس
رحمتي سبقت غضبي قال أبو محمد واختلف في تأويل هذا القول فقيل إنه
كله من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس هو من كلام محمد تقدمه
بين يدي نطقه باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت غضبي وقدم عليه
السلام هذا من حيث فهم من السائل أنه توهم في صلاة الله على عباده وجها
لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه لله والتعظيم بين يدي إخباره وقوله ليخرجكم
أي صلاته وصلاة ملائكته لكي يهديكم وينقذكم من الكفر إلى الإيمان ثم أخبر
تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيسا لهم وقوله يوم يلقونه قيل يوم القيامة المؤمنين

تحية الملائكة بالسلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة
يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا بالسلام أي سلمنا وسلمك من كل مخوف وقيل
تحييهم الملائكة يومئذ والأجر الكريم جنة الخلد في جواره تبارك
وتعالى **قوله عز وجل** يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا
كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ۝ هذه
الآية فيها تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وتكريم لجميعهم وشاهدا
معناه على أمتك بالتبليغ وعلى سائر الأمم في تبليغ أنبيائهم ونحو ذلك ومبشرا معناه
للمؤمنين برحمة الله وبالجنة ونذيرا معناه للعصاة والمكذبين من النار
وعذاب الخلد قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا ومعاذا فبعثهما إلى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا
فإنه قد أنزل علي وقرأ الآية والدعاء إلى الله هو تبليغ التوحيد والأخذ به ومكافحة
الكفرة وبإذنه معناه هنا بأمره وتقديره ذلك في وقته وأوانه وسراجا
منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه فكأن المهتدين به والمؤمنين يخرجون
بنوره من ظلمة الكفر وقوله وبشر الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع
من الذي قبله أمره تعالى بأن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله قال أبو
محمد قال لنا أبي رحمه الله هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى لأن الله
تعالى قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عند الله فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل
الكبير ما هو في قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما
يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالآية التي في هذه السورة خبر والتي
في حم عسق تفسير لها وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي له عن

وإنما [illegible] السراج دون الشمس مثلا لكون [illegible] الأرواح [illegible]

السماع منهم في اشيا كانوا يطلبونها مما لا يجب وفي اشيا كانوا يدخلونها
مدخل النصائح وهي غش الى نحو هذا المعنى وقوله ودع اذاهم يحتمل معنيين
احدهما ان يامره بترك ان يوذيهم هو ويعاقبهم فكان المعنى واصفح عن
زللهم ولا توذهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ونسخ من الاية على هذا
التاويل ما يخص الكافرين وناسخه اية السيف والمعنى الثاني ان يكون قوله
ودع اذاهم بمعنى اعرض عن اقوالهم وما يوذونك فالمصدر على هذا التاويل
مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد ثم امره تعالى بالتوكل عليه وانسه بقوله
وكفى بالله وكيلا ففي قوة الكلام وعد بنصر وتقدم القول في كفى بالله والوكيل
الحافظ القايم على الامر ثم خاطب تعالى المومنين بحكم الزوجة تطلق قبل
البنا واستدل بعض الناس بقوله ثم طلقتموهن ومهلة ثم على ان الطلاق لا يكون
الا بعد نكاح وان من طلق المراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال
هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وامام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين
وقالت طايفة عظيمة من اهل العلم ان طلاق المعينة الشخص او القبيلة او
البلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع اصحابه وجمع عظيم من علما الامة
وقرا جمهور القرا تمسوهن وقرا حمزة والكسائي وطلحة وابن وثاب
تماسوهن والمعنى فيهما الجماع وهذه العدة انما هي لاستبراء الرحم وحفظ
النسب في الحمل فمن لم تمس فلا يلزم ذلك فيها وقرا جمهور الناس تعتدونها
بشد الدال على وزن تفتعلونها من العدد وروي عن ابي بزة عن ابي جعفر
تعتدونها بتخفيف ضمة الدال من العدوان كانه قال فما لكم عليهن تلزمونها
عدوانا وظلما لهن والقراءة الاولى اشهر عن ابي بزة وتخفيف الدال وهم
من ابي بزة ثم امر تعالى بتمتيع المطلقة قبل البنا واختلف الناس في المتعة فقالت
فرقة هي واجبة وقالت فرقة هي مندوب اليها منهم مالك واصحابه وقال قوم
المتعة للتي لم يفرض لها ونصف المهر للتي فرض لها وقال سعيد بن المسيب

بل المتعة لمن فرض لها انما تضمنته هذه الاية من المتعة وهذه الاية
خصصت ايتين احداهما والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
فخصصت هذه الاية من لم يدخل بها وكذلك خصصت من ذوات
الثلاثة الاشهر وهن من قعد عن المحيض ومن لم تحض من صغر المطلقات
قبل البنا والسراح الجميل هو الطلاق تتبعه عشرة حسنة وكلمة طيبة
دون مشاررة ولا اذى **قوله عز وجل** يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة
مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من
دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ٥ قرا الجمهور اللاتي
بتا من فوق وقرا الاعمش اللاي بيا من تحت وذهب ابن زيد والضحاك
في تفسير قوله تعالى احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن الى ان
المعنى ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة يوتيها مهرها واباح له كل
النسا بهذا الوجه واباح له ملك اليمين واباح له بنات العم والعمة
والخال والخالة ممن هاجر معه وخصص هولا بالذكر تشريفا وتنبيها منهن
اذ قد تناولهن على تاويل ابن زيد قوله تعالى ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
واباح له الواهبات خاصة له فهذه على تاويل ابن زيد اباحة مطلقة في جميع
النسا حاشى ذوات المحارم لا سيما على ما ذكر الضحاك ان في مصحف ابن مسعود
وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك ثم قال بعد هذا ترجي من تشا منهن
اي من هذه الاصناف كلها ثم جرى الضمير بعد ذلك على العموم الى قوله تعالى
ولا ان تبدل بهن فيجي هذا الضمير مقطوعا من الاول عايدا على ازواجه
التسع فقط على الخلاف في ذلك وتاول غير ابن زيد في قوله احللنا لك ازواجك

اللاتي آتيت أجورهن أن الإشارة إلى عائشة وحفصة ومن في عصمته
ممن تزوجها بمهر وأن ملك اليمين بعد حلال له وأن الله أباح له مع
المذكورات بنات عمه وعماته وخاله وخالاته ممن هاجر معه والواهبات
خاصة له فجاء الأمر على هذا التأويل أضيق على النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيد
هذا التأويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج
في أي الناس شاء وكان ذلك يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم
عليه بها الناس الا من سمي سر نساؤه بذلك قال ابو محمد لان ملك
اليمين انما يعلقه في المتأكد من الامر وبنات العم والعمات والخال والخالات
يسير ومن يمكن ان يتزوج منهن محصور عند نسائه لاسيما وقد قيل
ذلك بشرط الهجرة معه والواهبة ايضا من النساء قليل فلذلك سر
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم انحصار الامر ثم يجيء قوله تعالى ترجي من
تشاء اشارة الى من تقدم ذكره ثم يجيء قوله ولا ان تبدل بهن اشارة إلى
أزواجه اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل فيأتي الكلام منسقا مطردا
أكثر من اطراده على التأويل الأول والاجور المهور وقوله مما افاء الله
عليك اي رده اليك في الغنائم يريد او على امتك لانه في طلبه وملك
اليمين اصله الفيء من الغنائم او ما تناسل ممن سبي والسراري الحربيين
كالنساء ومباح السراري من الحربيين ولا يجوز سبي من له عهد ولا يملكهم
ويسمى سبي الخيبة وقوله وبنات عمك الآية يريد قرابتهم وروي عن أم
هانئ بنت ابي طالب انها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرني ثم نزلت هذه الآية فحرمتني عليه لاني لم اهاجر معه وانما كنت
من الطلقاء وقرأ جمهور الناس إن وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي استئناف
الامر أي إن وقع فهو حلال له على انه قد روي عن ابن عباس انه قال لم تكن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين

فأما بالهبة فلم تكن عنده منهن احد وقرأ الحسن البصري وأبي بن كعب
والثقفي والشعبي أن وهبت بفتح الالف فهي اشارة إلى ما وقع من الواهبات
قبل نزول الآية قال ابو محمد وكسر الالف يجري مع تأويل ابن
زيد الذي قدمناه وفتح الالف يجري مع التأويل الآخر ومن قرأ بفتح
الالف قال الاشارة الى من وهبت نفسها من النساء للنبي صلى الله عليه وسلم
على الجملة قال ابن عباس فيما حكى الطبري هي ميمونة بنت الحرث وقال علي
بن الحسين هي ام شريك وقال الشعبي وعروة هي زينب بنت خزيمة ام المساكين
وقال ايضا عروة بن الزبير خولة بنت حكيم بن الاوقص السلمي ممن وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وفي مصحف عبد الله بن مسعود وامرأة مؤمنة
وهبت دون ان وقوله خالصة لك اي هبة النساء انفسهن خاصة وتريد
لا يجوز ان تهب المرأة نفسها لرجل واجمع الناس على ان ذلك غير جائز
وان هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح الا ما روي عن ابي حنيفة ومحمد
بن الحسن وابي يوسف انهم قالوا إذا وهبت فاشهد هو على نفسه
بمهر فذلك جائز قال ابو محمد فليس في قولهم الا تجوز العبارة
ولفظة الهبة والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه قال
ابو محمد ويظهر من لفظ ابي بن كعب رضي الله عنه ان معنى قوله خالصة
لك يراد به جميع هذه الاباحة لان المؤمنين قصروا على مثنى وثلاث
ورباع وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم يريد الولي
والشاهدين والمهر والاقتصار على اربع قاله قتادة ومجاهد وقال ابي بن
كعب هو مثنى وثلاث ورباع وقوله لكيلا اي بينا هذا البيان وشرحنا
هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج وظن بك انك قد اثمت عند ربك في شيء
ثم آنس تعالى الجميع من المؤمنين بغفرانه ورحمته قوله عز وجل ترجي
من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك

ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ٥
ترجي معناه تؤخر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ترجئ بالهمز
وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي ترجي بغير همز وهما لغتان بمعنى
وتؤوي معناه تضم وتقرب وقال المبرد هو معدى رجا يرجو تقول رجا
الرجل وأرجيته جعلته ذا رجاء ومعنى هذه الآية أن الله تعالى فسح لنبيه
فيما يفعله في جهة النساء والضمير في منهن عائد على من تقدم ذكره من الأصناف
حسب الخلاف المذكور في ذلك وهذا الإرجاء والإيواء يحتمل معاني منها
أن المعنى في القسم أي تقرب من شئت في القسمة لها من نفسك وتؤخر عنك من
شئت وتكثر لمن شئت وتقل لمن شئت لا حرج عليك في ذلك فإذا علمن
هن أن هذا هو حكم الله لك وقضاؤه زالت الأنفة والتغاير عنهن
ورضين وقرت أعينهن وهذا هو تأويل مجاهد وقتادة والضحاك
قال أبو محمد لأن سبب هذه الآيات إنما كان تغايرا وقع من زوجات
النبي صلى الله عليه وسلم فشقي بذلك ففسح الله له وأنبهن بهذه الآيات
وقال أبو رزين وابن عباس المعنى في طلاق من شاء ممن حصل في عصمته
وإمساك من شاء قال أبو رزين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق
بعض نسائه فقلن له اقسم لنا ما شئت فكان ممن أرجى سودة وجويرية
وصفية وأم حبيبة وميمونة وآوى إليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب
وقال الحسن بن أبي الحسن المعنى في تزوج من شاء من النساء وترك من شاء
وقالت فرقة المعنى في ضم من شاء من الواهبات وتأخير من شاء قال
أبو محمد وعلى كل معنى فالآية معناها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم والإباحة له قالت عائشة لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه الآية قلت له ما أرى ربك إلا يسارع في هواك قال أبو محمد
وذهب هبة الله في الناسخ والمنسوخ له إلى أن قوله ترجي من تشاء الآية
ناسخ لقوله لا يحل لك النساء من بعد الآية وقال ليس في كتاب الله ناسخ
تقدم المنسوخ سوى هذا قال أبو محمد وكلامه يضعف من جهات
وقوله عز وجل ومن ابتغيت ممن عزلت يحتمل معاني أحدها أن تكون من
للتبعيض أي من أردت وطلبته نفسك ممن قد كنت عزلته وأخرته فلا
جناح عليك في رده إلى نفسك وإيوائه إليك بعد عزلته والوجه
الثاني وهو أن تكون مقويا ومؤكدا لقوله ترجي من تشاء وتؤوي من تشاء
فيقول بعد ومن ابتغيت ومن عزلت فذلك سواء لا جناح عليك في جميعه
وهذا كما تقول من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر وأنت تريد
من لقيك ومن لم يلقك وهذا المعنى يصح أن يكون في معنى القسم ويصح أن
يكون في الطلاق والإمساك وفي الواهبات وبكل واحد قالت فرقة وقرأ
جمهور الناس ذلك أدنى أن تقر أعينهن برفع الأعين وقرأ ابن محيصن أن
تقر ونصب الأعين وقوله بما آتيتهن أي من نفسك ومالك وقرأ جمهور
الناس كلهن بالرفع على التأكيد للضمير في يرضين ولم يجوز الطبري غيرها
وقرأ حيوة بن عابلة كلهن بالنصب على التأكيد للضمير في آتيتهن قال
أبو محمد والمعنى أنهن يتلين بالله وبحكمه والله قبل لا يتسامحن منهن للغيرة
ولا يسلمن للنبي صلى الله عليه وسلم أنفة حبا له هذا المعنى ابن زيد وقتادة
وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم خبر عام والإشارة به هنا إلى ما
كان في قلب رسول الله من محبة بعض دون بعض وهذا يدخل في المعنى
أيضا المؤمنون وقوله عليما صفة تقتضي منه تعالى صفحا وتأنيسا في هذا
المعنى إذ هي خواطر وفكر لا يملكها الإنسان في الأغلب واتفقت
الروايات على أنه عليه السلام عدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يمتثل بعض

ما ابيح له منبسطا لنفسه واحدا بالفضل غير ان سودة وهبت يومها
لعائشة تعففا لمسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
لا تحل لك النساء من بعد قيل كما قدمنا انها حظرت عليه النساء الا التسع
اللواتي كن عنده وكان الاية ليست متصلة بما قبلها قال ابن عباس وقتادة
لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا واولى منهن ثم خرج
وخيرهن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله ان حظر عليه النساء
غيرهن وقنعه بهن وحظر عليه تبدلهن ونسخ بذلك ما اباحه له قبل
من التوسعة في جميع النساء وقال ابي بن كعب وعكرمة قوله لا تحل لك
النساء من بعد اي من بعد الاصناف التي سميت ومن قال ان الاباحه
كانت له مطلقة قال هنا لا تحل لك النساء معناه لا تحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات قال ابو محمد وهذا تاويل فيه بعد وان كان
روي عن مجاهد وكذلك قدر ولا ان تبدل اليهوديات والنصرانيات
بالمسلمات وهو قول ابي رزين وسعيد بن جبير وقال ابي بن كعب من
بعد يعني لا تحل لك العمات والخالات ونحوهن وامر مع ذلك ان لا
يتبدل بازواجه التسع منع ان يطلقهن ويتزوج غيرهن قاله
الضحاك وقيل من تزوج وحصل في عصمته اي لا يبدلها بان ياخذ زوجة
انسان ويعطيه هو زوجته قاله ابن زيد وهذا شي كانت العرب تفعله
قال ابو محمد وهذا قول ضعيف انكره الطبري وغيره في معنى الاية
وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن انه دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال من هذه الحميرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة فقال عيينة يا رسول الله
ان شئت نزلت لك عن سيدة نساء العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا
اراد ذلك وانما احتقر عائشة لانها كانت صبية فقال هذا القول وقرا

ابو عمرو وخلاف لا تحل لك بالتاء على معنى جماعة النساء وقرا الباقون لا يحل
بالياء من تحت على معنى جميع النساء وهما حسنان لان تانيث لفظ النساء
ليس حقيقي وقوله ولو اعجبك حسنهن قال ابن عباس نزل ذلك
بسبب اسماء بنت عميس اعجبت رسول الله حين مات عنها جعفر بن ابي
طالب وفي هذه اللفظة اعجبك حسنهن دليل على جواز ان ينظر الرجل
الى من يريد زواجها وقد اراد المغيرة بن شعبة زواج امراة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وقال عليه
السلام لاخر انظر اليها فان في اعين الانصار شيا قال الحميدي يعني
صغرا وقال سهل بن ابي حثمة رايت محمد بن مسلمة يطارد ثبيتة بنت الضحاك
على اجار من اجاجير المدينة فقلت له اتفعل هذا قال نعم قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبة امراة فلا باس ان ينظر
اليها وقوله الا ما ملكت يمينك ما في موضع رفع بدل من النساء ويجوز
ان تكون في موضع نصب على الاستثناء وفي النصب ضعف ويجوز ان
تكون ما مصدرية والتقدير الا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك وهو
في موضع نصب لانه استثناء من غير الجنس الاول والرقيب فعيل بمعنى
فاعل اي راقب **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن
من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند
الله عظيما هذه الاية تضمنت قصتين احداهما الادب في امر الطعام
والجلوس والثانية امر الحجاب فاما الاولى فالجمهور من المفسرين على ان

سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم
عليها فدعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه
ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم فلما دخل وراهم
انصرف فخرجوا عند ذلك قال انس بن مالك فاعلم او اعلمته بانصرافهم
فجا فلما وصل الحجرة ارخى الستر بيني وبينه ودخل ونزلت الايه بسبب ذلك
وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي ان هذا السبب جرى في بيت ام سلمه
والاول اشهر وقال ابن عباس نزلت في ناس من المومنين كانوا يتحينون
طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك
ثم ياكلون لا يخرجون وقال اسماعيل بن ابي حكيم هذا ادب ادب
الله به الثقلا وقال ابن عايشه في كتاب الثعلبي حسبك من الثقلا ان
الشرع لم يحتملهم واما ايه الحجاب فقال انس بن مالك وجماعه سببها
امر القعود في بيت زينب القصه المذكوره انفا وقالت فرقه بل في بيت
ام سلمه وقال مجاهد سبب ايه الحجاب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكل معه قوم وعايشه معهم فمست يدها يد رجل منهم فنزلت ايه
الحجاب بسبب ذلك وقالت عايشه وجماعه سبب الحجاب كلام عمر
رانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا في ان يحجب نساءه فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل وكان عمر يتابع فخرجت سوده ليلا لحاجتها
وكانت امراه تفرع النسا طولا فناداها عمر قد عرفناك يا سوده حرصا
على الحجاب وقالت له زينب بنت جحش عجبا لك يا ابن الخطاب تغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فما زال عمر يتابع حتى نزلت ايه الحجاب وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث منها الحجاب ومقام
ابراهيم وعسى ربه ان طلقكن الحديث وكانت سيره القوم اذا كان

لهم طعام وليمه ونحوه ان يبكر من شا الى الدار الدعوه ينتظرون طبخ
الطعام ونضجه وحديث وانس وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا
كذلك فنهى الله تعالى المومنين عن امثال ذلك في بيت النبي صلى الله
عليه وسلم ودخل في النهي ساير المومنين والتزم الناس ادب الله
تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار
نضج الطعام وناظرين معناه منتظرين واناه مصدر انا الشي يانى اذا فرغ
وحان انى ومنه قول الشاعر تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حامله تمام
وقرا الجمهور بفتح النون من اناه واما لها حمزه والكسايي ثم اكد المنع وخصص
وقت الدخول بان يكون عند الاذن ثم امر بعد الطعام بان تفترق جمعهم
وينتشر وقوله ولا مستانسين عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبه على
الحال من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين وقرا
ابن ابي عبله غير بخفض الرا وهو انه على تقدير غير ناظرين اناه انتم وقرا الاعمش
اناه على جمع انا مقتديه بعد النون وقراه فرقه فيستحي باظهار اليا المكسوره
قبل الساكنه وقرات فرقه فيستحي بسكون اليا دون يا مكسوره قبلها وقوله
والله لا يستحي معناه لا يقع منه ترك قول الحق ولما كان ذلك يقع من البشر
لعلة الاستحيا نفى عن الله تعالى العلة الموجبه لذلك في البشر وقوله تعالى
واذا سالتموهن متاعا الايه هي ايه الحجاب والمتاع عام في جميع ما يمكن
ان يطلب على عرف السكنى والمجاوره من المواعين وساير المرافق
للدين والدنيا وقوله ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر
التي تعرض للرجال في امر النسا وللنسا في امر الرجال وقوله وما كان لكم
ان توذوا رسول الله الايه روي انها نزلت بسبب ان بعض الصحابه
قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عايشه فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاذى به هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابه

وحكى مكي عن معمر أنه قال هو طلحة بن عبيد الله قال أبو محمد [illegible]
بن عباس وهذا عندي لا يصح على طلحة الله عاصمه منه وروي أن رجلا
من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة
بعد أبي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله
لو مات لأجلنا السهام على نسائه فنزلت الآية في هذا وحرم الله نكاح أزواجه
من بعده وجعل لهن حكم الأمهات ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتدت العرب ثم رجعت تزوج عكرمة بن أبي جهل قتيلة بنت الأشعث لم يبن
بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوجها ولم يبن بها فصعب
ذلك على أبي بكر الصديق وقلق له فقال له عمر مهلا يا خليفة رسول الله
إنها ليست من نسائه إنه لم يخيرها ولا أرخى عليها حجابا وقد أبانها منه ردتها
مع قومها فسكن أبو بكر وذهب عمر إلى أن لا يشهد جنازة زينب بنت
جحش إلا ذو محرم منها مراعاة للحجاب فدلته أسماء بنت عميس على سترها
في النعش بالقبة وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي
أن ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل**
إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن
ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن
ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا ٥ قوله
تعالى إن تبدوا شيئا أو تخفوه الآية توبيخ ووعيد لمن تقدم التعريض
به في الآية قبلها ممن أشير إليه بقوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن
أشير إليه في قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله فقيل لهم في هذا
إن الله يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة فيجازيكم
عليها ثم ذكر تعالى الإباحة فيمن سمى من القرابة إذ لا تستغني حال البشر
إلا مداخلة من ذكر وكثرة ترداده وسلامة نفسه من أمر الغزل لما تحاماه

النفوس من ذوات المحارم ففي ذلك الآباء والأولاد والإخوة وأبناؤهم
وأبناء الأخوات وقوله ولا نسائهن دخل فيه الأخوات والأمهات
وسائر القرابات ومن يتصل من المتصرفات لهن هذا قول جماعة من أهل
العلم ويؤيده قولهم هذه الإضافة المخصصة في قوله نسائهن وقال ابن
زيد وغيره إنما أراد جميع النساء المؤمنات وتخصيص الإضافة إنما هي في
الإيمان وقوله أو ما ملكت أيمانهن قالت طائفة من الإماء دون العبيد
وقالت طائفة من العبيد والإماء ثم اختلفت هذه الطائفة فقالت فرقة ما
ملكن من العبيد دون من ملك سواهن وقالت فرقة بل من جميع العبيد
كان في ملكهن أو ملك غيرهن والمكاتب إذا كان عنده ما يؤدي
فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الحجاب دونه وفعلت ذلك
أم سلمة مع مكاتبها نبهان ذكره الزهراوي وقالت فرقة دخل الأعمام
في الآباء وقال عكرمة والشعبي لم يذكرهم لإمكان أن يصفوا لأبنائهم
وكذلك الخال وكره أن تضع المرأة خمارها عند عمها أو خالها واختلف
المتأولون في المعنى الذي رفع فيه الجناح بهذه الآية فقال قتادة هو الحجاب
أي أبيح لهذه الأصناف الدخول على النساء دون حجاب ورؤيتهن وقال
مجاهد ذلك في وضع الجلباب وإبداء الزينة ولما ذكر الله تعالى الرخصة
في هذه الأصناف وانجزمت الإباحة عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة
على جملة وهذا في نهاية البلاغة والإيجاز كأنه قال اقتصرن على هذا واتقين
الله فيه أن تتعدينه إلى غيره ثم توعد تعالى بقوله إن الله كان على كل شيء
شهيدا **قوله تعالى** إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما إن الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ٥ هذه الآية

شرف الله بها رسوله عليه السلام وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته بكثرة سوء في امر ازواجه ونحو ذلك وقوله يصلون قالت فرقة الضمير فيه لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرفه به ملائكته ولا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب عند النبي صلى الله عليه وسلم من اطاع الله ورسوله رشد ومن يعصهما فقد ضل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت قالوا لانه ليس لاحد من البشر ان يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير واحد ولله ان يفعل من ذلك ما يشاء وقالت فرقة في الكلام حذف تقديره ان الله يصلي على النبي وملائكته يصلون وذلك الظاهر من القول على ما نزل وليس في الاية اجتماع في ضمير وقالت فرقة بل جمع الله تعالى الملائكة مع نفسه في ضمير وذلك جائز للبشر فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف على ومن يعصهما وسكت سكتة ومما يؤيد هذا ان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في مصنف ابي داود ومن يعصهما فجمع ذكر الله تعالى وذكر رسوله في ضمير ومما يؤيد القول الاول ان في كتاب مسلم بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله قال ابو محمد وهذا يحتمل ان يكون لما خطاه في وقفه وقال له بئس الخطيب انت اصلح له بعد ذلك جميع كلامه لان فصل ضمير الله تعالى من ضمير غيره اولى لا محالة فقال له بئس الخطيب انت لموضع خطائه في الوقف وحمله على الاولى في فصل الضميرين وان كان جمعهما جائزا وقرأ الجمهور وملائكته بنصب التاء عطفا على المكتوب وقرأ ابن عباس وملائكته رفعا على الموضع قبل دخول ان وفي هذا نظر وصلاة الله تعالى رحمة منه وبركة وصلاة الملائكة دعاء وصلاة المؤمنين دعاء وتعظيم والصلاة على رسول الله في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها

الأمر لا خير فيه وقال عليه السلام اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود وصفتها على ما ورد عنه عليه السلام في كتاب الطبري من طريق ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قال له قوم من الصحابة هذا السلام عليك يا رسول الله عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم وارحم محمدا وال محمد كما رحمت وباركت على ابراهيم وال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وفي بعض الروايات زيادة ونقص وهذا معناه وقرأ الحسن يا ايها الذين امنوا فصلوا عليه وهذه الفاء فيها معنى الشرط اي صلى الله فصلوا انتم كما تقول اعطيتك فخذ وفي حرف عبد الله صلوا عليه كما صلى الله عليه وسلموا تسليما وقوله تعالى إن الذين يؤذون الله الاية قال الجمهور معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به وفي الحديث قال الله تعالى شتمني عبدي قال إن لي ولدا وكذبني فقال انه لن يبعث وقال عكرمة معناه بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله إلا الله بنحت الصور وخلقها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المصورين وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف تقديره يؤذون اولياء الله وإذاية الرسول هي ما يؤذيه من الاقوال في غير معنى واحد ومن الافعال ايضا قال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي قال ابو محمد والطعن في تامير اسامة اذاية له عليه السلام ولعنوا معناه ابعدوا من كل خير واذاية المؤمنين والمؤمنات هي ايضا بالافعال والاقوال القبيحة والبهتان والكذب الفاحش المختلق وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما لابي بن كعب إني قرات البارحة هذه الاية ففزعت منها والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية والله إني لاضربهم وانهرهم فقال له ابي يا امير المؤمنين لست منهم انما انت معلم ومقوم وذكر ابو حاتم ان عمر بن الخطاب قرأ إن الذين يؤذون

المؤمنين والمؤمنات فقال أبي كيف تقرأ هذه الآية فقرأها كما قال عمر
قوله عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا
رحيما ه لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة وكن يكشفن
وجوههن كما تفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن
وتشعب الفكر فيهن أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأمرهن بإدناء
الجلابيب ليقع سترهن ويبين الفرق بين الحرائر وبين الإماء فيعرف
الحرائر بسترهن ويكف عن معارضتهن من كان عزبا أو شابا وروي أنه
كان في المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن
ومراودتهن فنزلت الآية بسبب ذلك والجلباب ثوب أكبر من الخمار
وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء واختلف الناس في صورة
إدنائه فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر
منها إلا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس أيضا وقتادة ذلك أن تلويه
فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر
الصدر ومعظم الوجه وقوله ذلك أدنى أن يعرفن أي على الجملة بالفرق
حتى لا يختلطن بالإماء فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة مراقبة لرتبة
الحرية وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر إذا رأى
أمة قد تقنعت قنعها الدرة محافظة على زي الحرائر وباقي الآية ترجية
ولطف وحض على التوبة وتطميع في رحمة الله ودفعها تانيس للنساء في ترك
الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع **قوله عز وجل** لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ه اللام في قوله لئن هي المؤذنة بمجيء القسم

واللام في لنغرينك هي لام القسم وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في هذه الآية
وقرن توعده بقرينة متابعتهم وتركهم الانتهاء فقالت فرقة إن هذه الأصناف
لم تنته ولم ينفذ الله عليها هذا الوعيد ففي هذه الآية دليل على بطلان القول بإنفاذ
الوعيد في الآخرة وقالت فرقة إن هذه الأصناف انتهت وستر جميعهم
أمرهم وكفوا أو ما بقي من أمرهم أنفذ الله وعيدا بإزائه وهو نقل نهي النبي صلى
الله عليه وسلم عن الصلاة عليهم إلى غير ذلك مما أحله رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمنافقين من الإذلال في إخراجهم من المسجد وما نزل فيهم في سورة
براءة وغير ذلك فهم لم يمتثلوا الانتهاء جملتهم ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا
والمنافقون صنف يظهر الإيمان ولا يبطنه والذين في قلوبهم مرض هو الغزل
وحب الزنا قاله عكرمة ومنه قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون
في المدينة هم قوم من المنافقين كانوا يحدثون بغزو العرب المدينة وبأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغلب إلى نحو هذا مما يرجفون به نفوس المؤمنين
ويحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة بعضها من بعض ويحتمل أن تكون
داخلة في جملة المنافقين لكنه نص على هاتين الطائفتين وهو قد ضمهم عموم
لفظ النفاق تنبيها عليهم وتشديدا بهم وغضاضتهم ونغرينك معناه نحضك
عليهم بعد تعيينهم لك وقال ابن عباس المعنى لنسلطنك عليهم وقال قتادة
لنحرشنك بهم وقوله ثم لا يجاورونك أي بعد الإغراء لأنك تنفيهم بالإخافة
والقتل وقوله إلا قليلا يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا ويحتمل
أن يريد إلا عددا قليلا كأنه قال إلا أقلاء وقوله ملعونين يجوز أن
ينتصب على الذم قاله الطبري ويجوز أن يكون بدلا من أقلاء الذي قدرناه قبل في
أحد التأويلات ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يجاورونك كأنه قال ينفون
ملعونين فلما تقدر لا يجاورونك بعد بمعنى ينفون حسن هذا واللعنة الإبعاد
وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم وأخذوا معناه أسروا والأخيذ الأسير

ومنه قول العرب أخذت من الأخذ اتخذت الصحابة وقرأ جمهور الناس وقتلوا
بشد التاء وتوكيدها المصدر بعدها وقرأت فرقة بتخفيف التاء والمصدر
في هذه القراءة على غير الصدر قال الاعمش كل ما في القرآن غير هذا الوضع
فهو قتلوا بالتخفيف وقوله سنة الله نصب على المصدر ويجوز فيه الاغراء
على بعد والذين خلوا هم منافقوا الامم وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي من مغالب يستقر بتبديله فيخرج عن هذا تبديل العصاة والكفرة ويخرج
ايضا عنه ما يبدله الله من سنة بسنة في النسخ **قوله عز وجل** يسألك
الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسول وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ه سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن وقت الساعة متى هو فلم يجب في ذلك بشيء ونزلت الآية
بأن يرد العلم فيها الى الله إذ هي من مفاتح الغيب التي استأثر الله بعلمها
ثم توعد العالم بقربها في قوله وما يدريك الآية اي ينبغي ان تحذر وقريبا
ظرف لفظه واحد جمعا وافرادا ومذكرا ومؤنثا ولو كان صفة للساعة
لكان قريبة ثم توعد الكافرين بعذاب لا ولي لهم منه ولا ناصر وقوله
يوم يجوز ان يكون متعلقا بما قبله والعامل يجدون وهذا تقدير الطبري
ويجوز ان يكون العامل فيه يقولون ويكون ظرفا للقول وقرأ الجمهور
تقلب وجوههم على المفعول الذي لم يسم فاعله بضم التاء وشد اللام المفتوحة
وقرأ ابو حيوة تقلب وجوههم بفتح التاء بمعنى تتقلب وقرأ ابن ابي عبلة تتقلب
بتائين وقرأ خارجة وابو حيوة نقلب بالنون وقرأ عيسى بن عمر الكوفي
تقلب بكسر اللام وضم التاء اي تقلب السعير ونصب الوجوه في هاتين

القراءتين فيتميزون بوصف الايمان وطاعة الله ورسوله حين لا ينفعهم
التمني ثم لا ذووا بالتشكي من كبارهم في انهم اضلوهم وقرأ جمهور الناس
سادتنا وهو جمع سيد وقرأ الحسن بن ابي الحسن وابن عامر وجماعة من الشيعة
وابو عبد الرحمن وقتادة وابو رجاء والعامة في المسجد الجامع بالبصرة ساداتنا
في جمع الجمع والسبيلا مفعول ثان لان اضل يتعدى بالهمزة وضل يتعدى الى
مفعول واحد فيما هو مقيد كالطريق والمسجد وهي سبيل الايمان والهدى
ثم دعوا بأن يضاعف الله للكبراء المضلين العذاب اي عن انفسهم وعمن
اضلوا وقرأ عاصم وابن عامر وحذيفة بن اليمان والاعرج بخلاف عنه لعنا
كبيرا بالباء من الكبر وقرأ الباقون والجمهور كثيرا بالثاء ذات الثلاث والكثرة
اشبه بمعنى اللعنة من الكبر اي العنهم مرات كثيرة **قوله تعالى** يا أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند
الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ه الذين
آذوا موسى هم قوم من بني اسرائيل واختلف الناس في الاذاية التي كانت
وبرأه الله منها فقالت فرقة هي قصة قارون وادخاله المرأة البغي في ان تدعي
على موسى ثم تبرئتها اياه واشهارها لذلك قارون وقد تقدمت القصة في
ذكر قارون وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هي ان موسى وهرون خرجا
من فحص التيه الى جبل فمات هرون فيه فجاء موسى وحده فقال قوم هو قتله
فبعث الله الملائكة حملوا هرون حتى طافوا به في اسباط بني اسرائيل ورأوا آية
عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وروي انه حيي فاخبرهم
بأمره وببراءة موسى وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة هي ما تضمنه حديث
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة وكان
موسى عليه السلام يستتر كثيرا ويخفي بدنه فقال قوم هو ادر او ابرص او به

فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه واتبعه
موسى ثوبي حجر ثوبي حجر حتى اتباعه على ملإ من بني اسرائيل فراوه سليما
تمام الحديث بطوله خرجه البخاري فبراه الله مما قالوا والوجيه المكرم
الوجه وقرا الجمهور وكان عند الله وقرا عبد الله بن مسعود وكان عبد الله
ثم وصى عز وجل المؤمنين بالقول السداد وذلك يعم جميع الخيرات وقال عكرمة
اراد لا اله الا الله والسداد يعم جميع هذا وان كان ظاهر الايه يعطي انه
انما اشار الى ما يكون خلافا للاذى الذي قيل في جهة الرسول وجهة المؤمنين
ثم وعد تعالى بانه يجازي على القول السداد باصلاح الاعمال وغفران
الذنوب وباقي الايه بين قوله تعالى إنا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ٥ اختلف الناس في
الامانة فقال ابن مسعود هي امانات الودائع ونحوها وروي انه في كل
الفرائض واشدها امانة المال وذهبت فرقة هي الجمهور الى انه كل شيء يؤتمن
الانسان عليه من امر ونهي وشان دين ودنيا فالشرع كله امانة قال ابي
بن كعب من الامانة ان اوتمنت المراة على فرجها وقال ابو الدرداء غسل
الجنابة امانة ومعنى الايه إنا عرضنا على هذه المخلوقات العظام ان تحمل
الاوامر والنواهي وتقتضي الثواب ان احسنت والعقاب ان اساءت فابت
هذه المخلوقات واشفقت ويحتمل ان يكون هذا بادراك خلقه الله لها ويحتمل
ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة ويروى انها قالت رب خلقتني
مسخرة لما شئت انت طايعة فيه ولا تكلني الى نظري وعلي ولا اريد ثوابا
وحمل الانسان الامانة اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه
جهول بقدر ما دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن

حملها معناه خان فيها والايه في الكافر والمنافق قال ابو محمد والعصاة
على قدرهم وقال ابن عباس واصحابه والضحاك وغيره الانسان ادم تحمل
الامانه فما تم له يوم حتى عصى المعصيه التي اخرجته من الجنة وروي ان
الله تعالى قال له يا ادم اني عرضت على السموات والارض والجبال فابينها
واشفقن منها افتحملها انت بما فيها قال وما فيها قال إن احسنت اجرت
وان اسات عوقبت قال نعم قد تحملتها قال ابن عباس فما تم له قدر ما بين الاولى
والعصر حتى عصى ربه وقال ابن مسعود وابن عباس الانسان ابن ادم
قابيل الذي قتل اخاه وكان قد تحمل لابيه امانة ان يحفظ الاهل بعده وكان
ادم سافر عنهم الى مكة في حديث طويل ذكره الطبري وغيره وقال بعضهم
الانسان النوع كله وهذا حسن مع عموم الامانه وقال الزجاج معنى الايه
إنا عرضنا الامانة في نواهينا واوامرنا على هذه المخلوقات فقمن بامرنا
واطعن فيما كلفناها وتابين من حمل المذمة في معصيتنا وحمل الانسان المذمه
فيما كلفناه من اوامرنا وشرعنا قال ابو محمد والانسان على تاويله الكافر
والعاصي ويستقيم هذه الايه مع قوله ائتيا طائعين فعلى التاويل الاول الذي
حكيناه عن الجمهور يكون قوله ائتيا طائعين اجابة لامر امرت به وتكون
هذه الايه ابايه واشفاقا من امر عرض عليها وخيرت فيه وروي ان الله تعالى
عرض الامانه على هذه المخلوقات فابت فلما عرضها الله على ادم قال انا احملها
بين اذني وعاتقي فقال الله تعالى له اني سأعينك قد جعلت لبصرك حجابا فاغلقه
عما لا يحل لك ولفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما احللت لك قال ابو محمد
وروي في هذا المعنى اشياء تركتها اختصارا لعدم صحتها وقال قوم ان الايه
من المجاز اي إنا اذا قايسنا ثقل الامانه بقوة السماوات والارض والجبال
رأينا انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لابتها واشفقت فعبر عن هذا المعنى بقوله انا
عرضنا الايه وهذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد بذلك

فانبت قوته لثقل الحمل فرات انها مصرعته وقوله ليعذب اللام لام
العاقبة لان الانسان لم يحمل ليقع العذاب لكن حمل فصار الامر والمآل الى
ان يعذب من نافق واشرك وان يتوب على من آمن وقرا الجمهور ويتوب
بالنصب عطفا على قوله ليعذب وقرا الحسن بن ابي الحسن ويتوب بالرفع على
القطع والاستئناف وباقي الآية بيّن ٥ كمل تفسير السورة وبكمالها كمل
السفر السادس من الديوان يتلوه في اول السابع سورة سبا
والحمد لله رب العالمين